إعلام الأعلام

بمفهوم

الدين الإسلامي

و

رفع الحجاب

عن

مصدر الجمهورية والأحزاب

تأليف

[illegible]

الناشر

[illegible]

إعلام الأعلام

بمفهوم

الدين الإسلام

و

رفع الحجاب

عن

مضار الجمهورية والانتخاب

تاليف

شيخ الإسلام وشيخ القرآن مولانا ولي الله كابلگرام الشهيد رحمه الله

لناشر:

ابو بسام عطاء المنعم طيب

كابلگرام، سانگله، ملاكند پاكستان

اسم الكتاب : اعلام الأعلام بمفهوم الدين والاسلام
اسم المصنف : شيخ الاسلام شيخ القرآن والحديث
مولانا ولی الله الشهيد رحمه الله
عددصفحات : ٤٨٠
عددالنسخ : ٢٠٠٠
الطبعة الاولى : ١٤٢١ هـ
الطبعة الثانيه : ١٤٢٦ هـ
الطبعة الثالثه : ١٤٣٢ هـ
الناشر : أبوبسام عطاء المنعم طيّب
يطلب الكتاب من .
١- عطاء المنعم طيّب کابلگرام ، شانگله
٢- مكتبه جواهرالقرآن سليم خان ضلع صوابی
الهاتف : ٠٣٤٥.٨٩١٤٣٥٥ / ٠٣١٤.٩٩٨١٩٤٢
٣- یمان جنرل سٹور اینڈ کمپوزنگ سنٹر تورڈهیر ضلع صوابی
الهاتف : ٠٣٣٣.٩٤٣٠٨١٨ / ٠٣٣٣.٤٤٩٠٩٨٦
٤- مكتبة اليمان دارالقرآن پنج پیر ضلع صوابی
عنوان الناشر
أبوبسّام عطاء المنعم طيّب، کابلگرام ، شانگله، ملاكند

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطّبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالّين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كنت أردت بعد ما خرجت من السجن قبل سنتَين أن أكتب سطوراً في معنى الدين والإسلام، والانتقاء والجمهورية وما يتعلق بها، فكتبت في مختلف الأوقات أبوابًا متفرقة، ولم أتفرّغ لها أن أكتبها مربوطة منتظمة لعدم الفرصة، وتشتت البال والحال.

ثم بيضتها، ولكن لم يتيسّر لي طبعها إلى الآن، حتى شجّعني بعض أصحابي على طبعها، فأردت وعزمت وتركت بعض المطالب رأسًا واختصرتها.

والله الميسّر للأسباب وعليه الثقة والتكلان.

ولي الله

١٦ ذو الحجة ١٤١٧ هج الموافق ٢٣ أبريل ١٩٩٧ م

تنبيه هامّ واسترشاد تامّ

الحمد لله والصّلاة والسلام علي رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: فقد كنت كتبت قبل سنوات كلمات عن الجمهورية والانتقاء. ثم ألحقت بها تفسير «الدين النصيحة» ومعنى الإسلام والدين ومسائل تناسبها.

ولم يتيسّر لى طبعها إلى اليوم، والآن تيسّرت بحول الله سبحانه أسباب طبعها عن بعض الأحباب فى الله -والحمد لله وجزاهم الله-.

ومن صنّف فقد استهدف، ومن صنّف جعل علمه وعقله أمام القراء فى طبق، على أنى لا أزكى عملى هذا، وإنما هو جُهد المقلّ المعترف بتقصيره وخطئه.

والذى يتّصف بالكمال المطلق هو الله عزّ وجلّ لا غير، ولهذا فإنى أرحّب بكل نقد بناء يصل إلىّ عن طريق أىّ قارئ لإرشادى إلى سواء السبيل. والمؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا، والعمل الذى قمت به يحتاج إلى إكمال، وإن صنّف فيه كثير.

ولا يتأتّى لى ذلك إلا بنصح إخوتى فى الله، وإرشادهم إيّاى على أنى لم أقل شيئًا من عندى، وإنما حكيت أقوال أهل العلم رحمهم الله.

وإنى لمنتظر ذلك بفارغ صبر عن شرح صدر وسلامة قلب، لينير لى الطريق، حتى إذا تمكّنت من الطبعة الثانية تداركت ما فاتنى من هذه الطبعة -إن شاء الله سبحانه-.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، بأيّ لسان أحمده ، ولساني نعمة منه عليّ ، وبأيّ بنان وقلم أكتب حمده ، وهما نعمتاه عليّ ، بل كلّي نعمة منه ﴿وَمَا بِكُم من نعمَة فَمِنَ الله﴾ ﴿وَإِن تَعُدّوا نِعمَةَ الله لا تُحصُوهَا﴾ "العجز عن درك الأدراك إدارك" .

الحمد لله حمد الشاكرين لأنعمه ، والحمد لله حمد المعترفين بالعجز عن حمده .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وكيف أصلّي عليه ، والله تعالى يصلّي عليه وملائكته ، وكيف أصلّي عليه؟ والصلاة منه معروفة ، «هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف نصلّي عليك»[(١)] .

اللّهمّ فصلّ عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وعلى جميع الأنبياء والمرسَلين والملائكة أجمعين إلى يوم الدين .

---

(١) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة عند الدارمي ، وفيه : "فكيف نصلّي عليك" ، وكذا عنده عن بشير بن سعد : الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ . (ج١ ص٢٥١)
وأخرجه الترمذي في أبواب الوتر ، باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ عن كعب ابن عجرة ، وقال : حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن علي وأبي حميد وابن مسعود وطلحة وأبي سعيد وبريدة وزيد بن خارجة رضي الله عنهم . (ج١ ص٦٥)
وأخرجه البخاري في تفسير قوله تعالى : ﴿إنّ اللهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلّونَ . . .﴾ عن كعب بن عجرة وأبي سعيد رضي الله عنهما . (ج٢ ص٧٠٧)
وأخرجه مسلم في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ عن أبي مسعود الأنصاري وعبد الله بن زيد عن بشير بن سعد وكعب بن عجرة وأبي حميد الساعدي رضي الله عنهم (ج١ ص١٧٥) ، ورواه باقي الستة وأحمد وغيرهم وهو عند أحمد عن أبي سعيد (ج٣ ص٤٤٣) .

غربة الإسلام وأهله

أما بعد: فإنى فى زمان قد عمّت فيه الفتن، وكثرت فيه الابتلاءات والمحن، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا[١]، وصدق قول رسول الله ﷺ لحذيفة رضى الله عنه: «كيف بك إذا تركت بدعة قالوا ترك سنة وهذا هو ذا».

فصار المسلمون سيما الدعاة إلى الحق الناهين عن المنكر غرباء فى العالم كله يرمون عن قوس واحدة من كل جانب من الدول والأحزاب والأفراد، كأنهم تواصَوا به، ليس لهم حامٍ، ولا عنهم سائل، فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من دين الله سبحانه وتعالى[٢].

---

(١) قد جاء فى الخبر: «لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرًا والمنكر معروفًا» نقلا عن كتاب أبى طالب (المدخل ج٢ ص١٠)، ورواه أبو داود عن علىّ مرفوعًا فى حديث: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا». (المدخل ج٣ ص٢١٣)

وأخرج على المتقى فى "الكنز": كتاب القيامة الفصل الثالث "ثلاث إذا رأيتهنّ فعند ذلك خراب العامر وعمارة الخراب أن يكون المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وأن يتمرّس الرجل بالأمانة تمرس البعير بالشجرة". (ابن عساكر عن محمد بن عطية السعدى ج١٤ ص٢٢٣)

وذلك لما فى أبى داود فى الملاحم: باب فى تداعى الأمم على الإسلام، أخرجه عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعنّ الله عن صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت» (ج٢ ص٢٤٢)

(٢) أخرج الترمذى فى الإيمان: "باب ما جاء إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا" عن عمرو بن عوف رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبًا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى»، هذا حديث حسن. (ج٢ ص٣١٨)

وأخرج ابن أبى شيبة فى "الزهد" عن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبًا فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل»، وعنده فى الجواب: «قوم يصلحون حين يفسد الناس». (ج٨ ص١٣٤)

«من يعش منكم من بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا»[١]، فيا لله لغربة الإسلام وأهله، ولشيوع الجهل وتسميته علمًا، ويا للكفر والفسق والمعاصى وتسميتها إسلامًا وحسن أخلاق ومداراةً وترقيًا.

وصدق رسول الله ﷺ «يسمونها بغير اسمها» «ولتتبعن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل شبرًا بشبر وذراعًا بذراع» و «لو دخل أحدهم جُحر ضبٍّ لدخلتموه».

و «لو اتى أحدهم أمه علانيةً، لكان فى هذه الأمة من يأتى أمه»[٢]، وصدق

وأخرج الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى الجواب قال: "أناس صالحون أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم". (ج٢ ص٤٤٥) =

= وفى "تذكرة الحفاظ" عنه (ج٢ ص٧٥٥): وأخرج عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود كما بدأ فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس». (المسند ج١ ص٣٠١)

وأخرج السيوطى عن "فردوس الديلمى" عن أبى هريرة رضى الله عنه: "الغرباء فى الدنيا أربعة: قرآن فى جوف ظالم، ومسجد فى نادي قوم لا يصلى فيه، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء" (ض). (الجامع الصغير ج٢ ص٧٢)

(١) هو جزء حديث أخرجه الترمذي في أبواب العلم: باب الأخذ بالسنة، والاجتناب عن البدعة، عن العرباض بن سارية رضى الله عنه (فى حديث): «من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين عضّوا عليها بالنواجذ» هذا حديث حسن صحيح. (ج٢ ص٣٢٣)

وأخرجه ابن ماجة فى باب سنة الخلفاء الراشدين المهديّين بأبسط منه (ص٥)، وأخرجه أبو داود والدارمى وأحمد رحمهم الله تعالى.

(٢) أخرج البخارى فى باب قول النبى ﷺ: «لتركبن سنن من كان قبلكم» عن أبى هريرة رضى الله عنه: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع قيل: يا رسول الله! كفارس والروم، قال: ومن الناس إلا أولائك"، وعنده عن أبى سعيد رضى الله عنه: "ولو دخل أحدهم جُحر ضبّ تبعتموهم". (ج٢ ص١٠٨٨)

وأخرجه عن أبى سعيد رضى الله عنه فى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (ج١ ص٤٩١)، وأخرجه الحاكم والإمام أحمد والحميدى ومحمد بن وضاح وغيرهم.

وأخرج الترمذى فى الإيمان، باب افتراق الأمة، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ليأتينّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو أن فيهم من أتى أمه علانية كان فى أمتى من يصنع ذلك» (ج٢ ص٣١٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب

الله عزّ وجلّ: ﴿لتركَبُنّ طَبقًا عن طَبق﴾ .

وقال: ﴿ومَن يتولّهم منكُم فَإنّه منهُم﴾ .

وقال: ﴿وإن أطعتُموهُم إنّكُم لَمُشركُونَ﴾ .

وقال: ﴿ولَو كَانُوا يُؤمِنُونَ بِالله وَالنبِيّ وَمَا أنزِلَ إلَيه ما اتّخذُوهُم أولِيَاء﴾

سيأتى الكلام فى الآيات -إن شاء الله سبحانه- .

العالم الإسلامى فى حضيض أودية اللادينية

المسلمون كلهم حتى فى بلادهم ودولهم الإسلامية يحكون الكفرة: اليهود والنصارى والهنود والمجوس فى أديانهم وشرائعهم حتى فى لباسهم، وأكلهم وشربهم، وقيامهم وقعودهم، واجتماعهم وانفرادهم، وأعيادهم ومآتمهم، وحتى فى أجسادهم فى تغيير خلق الله سبحانه، وحتى فى لغاتهم ومعاشرتهم، ويا ليتهم فعلوا ما فعلوا محاكاةً فقط، ولكنهم فعلوا كل ذلك، واعتقدوه ترقّيًا شخصيّا وقوميّا ودوليّا، وافتخروا به حتى اعتقدوه غير مخالف للإسلام، بل جعلوه من الإسلام، فصاروا من اليهود والنصارى والهنود والمجوس ﴿ومَن يتولّهم منكُم فَإنّه منهُم﴾ والنفس متى ألفت شيئًا نسيت مضارّه، واستحضرت منافعه ﴿قُل فِيهِمَا إثم كبير ومنافعُ للناس﴾ بل قد تعتقده غير مخالف لما تدين به، بل قد تعتقده من دينه «حبُّك الشيء يعمى ويصمّ»(١) .

مفسّر لا نعرفه مثل هذا، إلا من هذا الوجه، وأخرجه محمد بن وضاع ص٨٤، وزاد فيه بعد كلمة "بنى إسرائيل" لفظة "مثل بمثل".

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب باب الهوى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «حبك . . . » إلخ (ج٢ ص٣٥٢)، قيل: موضوع -ولا يصح- وقيل: موقوف على أبى الدرداء رضى الله عنه وهو الأشبه. (مرقاة الصعود)

فصاروا معنيين بقوله سبحانه: ﴿إنكُم إذًا مثلُهُم﴾، وقوله: ﴿وقَد أمِرُوا أن يكفُرُوا به ويُريدُ الشّيطان أن يُضلّهُم ضَلالا بعِيدًا﴾.

﴿يَا أيّها الذينَ لا تَقُولُوا رَاعِنا وقُولُوا انظُرنَا واسمَعُوا﴾.

فيه دلالة على النهى الشديد والتهديد والوعيد على التشبّه بالكفار فى أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التى لم تشرع لنا، ولا نقر عليها، بل جعلوا دينهم ودستور حياتهم عقداً فى الإلهيات والنبوات، وفيما بعد الموت إلى الجنة والنار، وفى الغيب والكتب والقدر، وعملا فى الأحوال الشخصية، والأحكام المدنية، والأحكام الجنائية، وأحكام المرافعات، والإجراءات المدنية والجنائية، والأحكام الدستورية، والأحكام الدولية، والأحكام الاقتصادية والمالية، والأخلاق والأدب -المحاسن والمساوئ- تابعًا لدساتير حياتهم عقداً وعملا، بل يسترشدونهم، ويستنصحونهم فى ذلك كله، ويستهدون بهديهم، ويستنيرون بزعمهم من نورهم، ويسمونَ كل ذلك ترقّيًا وتساويًا وتساميًا عالميّا فى أسواق العالم الكفرى، ويعتقدون ذلك فوزًا ونجاحًا، وحقّا هو فوز ونجاح، ولكن لأعداء الدين وللكفر، لا للمسلمين وللإسلام ﴿فَما لهؤلاء القَوم لا يَكادُون يَفقَهُونَ حَديثًا﴾.

ويقول سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه: "لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره"، وفى رواية: "فتعلم من فجوره"[1].

وأخرجه الإمام أحمد رحمه الله فى "مسنده"، وقال: حدثنا أبو اليمان ولم يرفعه، ورفعه القرقسانى محمد بن محمد. (٢٥٠-٢٥١/ج٦)

(١) أخرج ابن أبى شيبة فى "المصنف" فى كتاب الزهد كلام عمر رضى الله عنه فى كلام له. (ج٨ ص١٤٧ وج٨ ص١٥٢)

كفرة العالم
نظارة اللعبة وهم المسلمون

والكفرة أئمتهم فى كل ذلك ينظرون إليهم من وراء الوراء، ويفرحون على ذلك، ويعلنون لهم بشهادات عالمية، ويعطونهم جوائز، ويعينونهم بأموال باهضة، وينصرونهم ويؤيدونهم حتى فى داخل دولهم، والمسلمون فى كل ذلك ﴿أمواتٌ غيرُ أحياءٍ ومَا يَشعرُونَ أيّانَ يُبعَثُونَ﴾.

﴿فَويلٌ لّهُم مِمّا كَتَبَت أيدِيهِم وَويلٌ لهُم مِمّا يَكسِبُونَ﴾.

﴿وَإِن أطَعتُمُوهُم إِنّكُم لَمُشرِكُونَ﴾ حيث عدلتم من أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الكفر والإشراك ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم ورُهبانَهم أربَابًا من دُونِ الله﴾.

فصاروا غثاء كغثاء السيل ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره، واتّبعه فى دينه، فقد أشرك به تعالى، بل آثره عليه سبحانه وتعالى، ولأنه أثبت حاكمًا سوى الله تعالى وهذا هو الشرك؛ لأن من اتّبع أمر غير الله، فقد أشرك بالله، هذا هو حال العوام رجالهم ونساءهم كبارهم وصغارهم.

حال العلماء

وأما علماء الأمة وزهّادها ومشايخها: فقد قنعوا بمدارسهم وبدور إرشادهم (خانقاهاتهم) وبمساجدهم وبخطبهم ومواعظهم ومقالاتهم ومحاضراتهم، وأذكارهم فى خلواتهم، وأدعيتهم للأمة، ولم يخطر ببالهم لإصلاح أمتهم عملا المبارزة فى معارك المنكرات، فكم تخطر الأمة فى بال، ولم تخطر فى بال، فويل

للجاهل مرة، وللعالم سبع مرّات[١].

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ولكِن كُونُوا ربّانيّينَ بما كُنتُم تُعلّمُونَ الكِتَابَ وبِما كُنتُم تَدرُسُونَ﴾.

﴿كُونُوا قَوّامِينَ بِالْقِسطِ شُهَداء لله ولو عَلى أنفُسِكُم أو الوَالِدَينِ والأقرَبِين إن يكُن غَنيّا أو فَقِيراً فَالله أولى بهِمَا﴾.

﴿كُونُوا قَوّامِينَ لله شُهَداء بِالقِسطِ﴾.

ولم يزل العلماء يستدرك بعضهم على بعض، وإن كان أباه أو شيخه، أو أكبر منه أو مثله[٢]، ما لكم معاشر العلماء كنتم نجوماً يُستَضاء بكم فصرتم ظلمة، وكنتم هداة يهتدى بكم فصرتم حيرة[٣].

العلم علمان: علم فى القلب، وذلك العلم النافع، وعلم على اللسان،

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى "الزهد" عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال: «ويل للذى لا يعلم مرةً وويل للذى يعلم ثم لا يعمل ست مرات». (ج٨ ص٣١٠)
وأخرجه الغزالى رحمه الله فى "الإحياء" بلفظ «سبع مرات» (ج١ ص٨٣)، و أخرج بمعناه على المتقى فى "كنز العمال" كتاب العلم، الباب الثانى (ص) عن جبلة مرسلا. (ج١٠ ص١٩٨)

(٢) من رسائل ابن عابدين (ج٢ ص٣٣٦).

(٣) أخرج ابن الجوزى من قول فضيل بن عياض -و قد جلس إليه سفيان بن عيينة رحمه الله-: "كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة". (كتاب القصّاص والمذكرين ص٥٥)
وأخرج ابن أبى شيبة فى "الزهد" عن أبى قلابة أنه قال: "مثل العلماء مثل النجوم التى يهتدى بها والأعلام التى يقتدى بها فإذا تغيبت عنهم تحيروا وإذا تركوها ضلوا". (ج٨ ص٢٥٣)
وأخرج المناوى عن "الفردوس": "اتّبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة" (كنوز الحقائق ج١ ص٧)، وأخرجه أيضاً عنه: "العلماء مصابيح الجنة وخلفاء الأنبياء". (الكنوز ج٢ ص٢١)
أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: قال النبى ﷺ: «إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضلّ الهداة». (المسند ج٣ ص٦٣)

فتلك حجة الله على عباده[١].

العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء، وورثتى وورثة الأنبياء[٢].

﴿فويلٌ لهم مما كَتَبت أيديهم وَويلٌ لهم مما يكسبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

﴿فَيا حَسرَة عَلى العِباد مَا يَأتِيهم من رسُول إلا كَانُوا به يَستهزءون﴾ (يس: ٣٠).

﴿أفحَسِبتُم أنما خَلقنَاكُم عبثًا وأنَّكُم إلينا لا تُرجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

فرض العلماء وأخذ ميثاقهم

﴿وَإذ أخذَ الله مِيثَاق الذِينَ أوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاس﴾ لتتكلمنَّ بالحق ولتصدقنّه بالعمل (ابن جرير).

وَإن لم يَسألُوا ﴿ولا تكتمونه﴾ إن سألوهم ﴿فنبذوه﴾ (وفاء العهد).

أو تبيين الكتاب (كتاب الإشارة) ﴿وراء ظهورهم﴾.

كانوا يقرأونه إنما تركوا العمل به (ابن جرير).

﴿واشتروا به﴾ بكتمانه أو تحريفه ﴿ثمنًا قليلا﴾.

﴿فبِئسَ ما يشترون﴾.

تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم (ابن كثير) أدرجوه فى الديباج، وحلوه بالذهب، ولم يحلوا حلاله، ولم يحرموا حرامه.

---

(١) أخرج ابن أبى شيبة فى "الزهد" عن الحسن: قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم...» إلخ. (ج٨ ص١٣٣)

(٢) أخرجه السيوطى فى "الجامع الصغير" عن ابن عدى فى "الكامل" ضعيف. (ج٢ ص٦٩)

العالم الربّانى

قال الله تعالى : ﴿لَولا يَنهَاهُم الربّانيّونَ والأحبَار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبِئس ما كانوا يَصنعُون﴾ (المائدة : ٦٣) .

الربانى منسوب إلى الربان الذى يربى الناس ، وهو الذى يصلح أمورهم ويربّها ويقوم بها ، وهو أولى الأقوال بالصواب .

وعن أبى رزين : ربانيين : حكماء ، علماء ، وعن السدى وقتادة -وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما- حكماء ، فقهاء ، وعن مجاهد : الفقهاء ، العلماء ، وهم فوق الأحبار ، وعن كثير من أهل العلم مثل ذلك ، تفسير ابن جرير باختصار (ج٣ ص٢٣٣) .

ويقول ابن جرير : فمعنى الآية ولكن يقول لهم : كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم فى أمر دينهم ودنياهم ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب ، وسائر ما حواه من معانى أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ودراستكموه (ج٣ ص٢٣٤) .

يقول سيدنا على رضى الله عنه : "هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم" (الكبير لشيخ الإسلام ج٧ ص٥٨٦) .

الربانى : العالم المعلّم (النهاية لابن الأثير ج١ ص١٨١) ، وقريب منه قول ابن قتيبة البغلانى رحمه الله (غريب القرآن ص١٠٧) .

ابن كثير رحمه الله : حكماء علماء (ج١ ص٣٧٧) ، ومثله قول الحسن الدارمى رحمه الله (ج١ ص٨١) : الربّانى كامل العلم والعمل (نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن ج١ ص٢٨٠) .

قال ابن عباس رضى الله عنه : ﴿كُونُوا رَبانيّين﴾ حكماء علماء فقهاء"

ويقال : الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره (البخارى باب العلم قبل القول والعمل ج١ ص١٦ ، النهاية ج ٢ ص ١٨١) .

الدارمى عن سعيد بن جبير وابن جرير والسيوطى فى "الإتقان" قريب من الأقوال السابقة (للمناوى : "فقهاء علماء" كنوز الحقائق ص٤٣ ج ١) وعن الضحاك رحمه الله فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولكن كُونُوا ربّانيّين﴾ ، قال : حق على كل من قرأ القرآن أن يكون فقيهاً (الدارمى ج ١ ص ٨٠)[1] .

• ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه : "كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم" (مناقب عمر لابن الجوزى ص١٨٢) .

وفى "كنوز السنة" : "كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة" (ج٢ ص٤٣) ، فتركوا ما أمروا به ﴿ونسُوا حظّاً مِمّا ذكّرُوا به﴾ .

فكانوا كاليهود وكالنصارى سواء كلهم ضلوا السبيل

هداة الدين قد ضلوا وقد بانت ضلالتهم

وباعوا الدين بالدنيا فما ربحت تجارتهم

أقطاب الأمّة

ومع ذلك "وأيم الله" إن فيهم لمن هم أقطاب رحى الإسلام والعلم ، وهم أسوة وقدوة لمن يريد الله والدار الآخرة ، بل هم ممن شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد .

---

(١) الربانى منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كا للحيانى والرقبانى ، وهو الكامل فى العلم والعمل . (البيضاوى ج١ ص٧٠)
الربانى الذى يجمع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة ، والتدبير والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم فى دنياهم ودينهم . (ابن جرير ج٣ ص٢٣٤)

أبو قلابة: "العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه ولم يعش الناس معه، ورجل عاش الناس بعلمه ولم يعش فيه، ورجل عاش بعلمه، وعاش الناس بعلمه"، أخرجه عبد الرزاق فى باب العلم. (ج١١ ص٢٥٤)

لا تزال طائفة من أمتي قائمةً على الحق لا يضرهم من ناوأهم[١] ألا وهم الذين دعا لهم النبى ﷺ بقوله: «نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها وأداها كما حفظها»[٢]، وهم المعنيون بقوله عزّ وجلّ آمراً لنبيه الأكرم الأمجد عليه من الصلوات أكملها، ومن التسليمات أذكاها ومن التحيات أنماها: ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أدعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

وبقوله: "اللهم إحفظ العلماء"[٣] وبقوله عليه السلام: «ما قبض الله عالـمًا إلا كان ثغرة فى الإسلام»[٤] اللهم فكثر سوادهم وبارك فى مساعيهم، واجعلنا من متبعيهم، آمين.

وأخرج على المتقى فى "الكنز" فى كتاب القيامة فى الفصل الثالث عن زيد ابن لبيد مرفوعًا (فى حديث): «ما قبض الله عالـمًا من هذه الأمة إلا كان ثغرة فى

---

(١) أخرجه البخارى فى باب "لا تزال طائفة... إلخ" عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». (ج٢ ص١٠٨٧)
وفى الباب عن معاوية رضى الله عنه عند البخارى (ج١ ص١٦) وعند أبى داود فى الفتن عن ثوبان مرفوعًا فى حديث طويل (ج٢ ص٢٣٤)، وعنده أيضًا عن عمران بن حصين رضى الله عنه فى باب دوام الجهاد (ج١ ص٣٤٣)، وعند الدارمى عن عمر رضى الله عنه مرفوعًا، ومغيرة بن شعبة رضى الله عنه مرفوعًا (ج٢ ص١٣٢-١٣٣) وحديث عمر رضى الله عنه عند الحاكم فى الفتن باختلاف يسير. (المستدرك ج٤ ص٤٤٩، وعند مسلم ج١ ص٨٧)

(٢) معنى حديث أخرجه الترمذى (ج٢ ص٣٢١) وقال: حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه وجبير بن مطعم رضى الله عنه وغيرهما مرفوعًا. (فر: ص٢١)

(٣) أخرجه المناوى فى "كنوز الحقائق" (فر: ج١ ص٤٦).

(٤) أخرجه المناوى فى "كنوز" (فر: ج١ ص٤٦).

الإسلام لا تسدّ بمثله إلى يوم القيامة» . (ابن عساكر عن أبى شجرة) كنز العمال ج١٤ ص٢٣٢ .

اللهم فكثره سوادهم وبارك مساعيهم واجعلنا من متبعيهم ، آمين ، إلا إن أكثرهم أتباع كل ناعق وناهق ، ولكل ساقطة لاقطة ، وكلما لاحت لهم شاردة اقتنصوها ﴿قُل هَل نُنَبّئكُم بالأخسَرين أعمَالا الذينَ ضَلّ سَعيهُم فى الحيَاة الدنيَا وهُم يَحسَبون أنّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾ (الكهف : ١٠٣-١٠٤) .

والناس أكثرهم فأهل ظواهر ... تبدو لهم ليسوا بأهل معان

فهم القشور وبالقشور قوامهم ... واللب حظ خلاصة الإنسان

فيا لله لغربة الإسلام وأهله ولضيعة العلم ، وطمس معالمه .

فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ووخامة تركه

على رضى الله عنه يقول لكميل بن زياد النخعى : " والناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلّم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق وناهق يميلون مع كلّ صائح لم يَستَضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق "(١) .

كأنهم لم يسمعوا قول الله عزّ وجلّ فى النجاة للناهين عن المنكر ﴿قَالُوا معذرِة إلى ربكُم ولعَلّهُم يتّقُون فلَمّا نسُوا ما ما ذكروا به أنجينَا الذينَ ينهونَ عن السوء وأخذنَا الذينَ ظَلمُوا بعَذاب بئيس بما كَانُوا يَفسُقُون﴾ (الأعراف : ١٦٤-١٦٥) .

وكأنهم لم يقرع سمعهم قول النبى ﷺ . . . عن ابن مسعود رضى الله عنه

---

(١) إعلام الموقعين : كلام على رضى الله عنه لكميل بن زياد (ج٢ ص١٩٥ وتذكرة الحفاظ (ج١ ص١١) .

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبىّ بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له فى أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١]

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفى رواية: «من رأى . . . فاستطاع أن يغيره بيده»[٢]، وعن أبى بكر رضى الله عنه فى تفسير قول الله عز وجلّ: ﴿عَليكم أنفسكُم﴾ وإنا سمعنا النبى ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب». وأخرجه الجصاص رحمه الله عنه فى "الأحكام" (ص٤٨٤ ج٢).

وفى رواية عن عمرو عن هشيم رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب»[٣].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتّق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد ولا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان: باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان، وإن الإيمان يزيد وينقص، وإن النهى عن المنكر، والأمر بالمعروف واجبان. (ج١ ص٥٢)

(٢) أخرجه مسلم فى الإيمان فى نفس الباب (ج١ ص٥٢)، وأخرجه أبو داود عن أبى سعيد فى الملاحم باب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ج٢ ص٢٤٨)، وأخرجه فى "الكنز" عن أبى سعيد. (حم م ٤ كنز العمال (ج٣ ص٦٧)

(٣) أخرجه أبو داود فى الملاحم: باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. (ج٢ ص٢٤٨)

فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض ثم تلا ﴿لُعِنَ الذينَ كفَرُوا مِن بنِي إسرائيلَ عَلى لِسَانِ داود وعيسى ابن مَريَم . . . ﴾ إلى قوله : ﴿فَاسِقُونَ﴾ ثم قال : كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر ولتأخذنّ على يد الظالم ولتأطرنّه على الحق أطراً ولتقصرنّه على الحق قصراً»[١] .

فضل العلم وفريضة العلماء

قوله تعالى : ﴿وَإذ أخَذَ الله ميثَاقَ الذينَ أوتُوا الكِتابَ لَتُبيِّننّه للنّاس ولا تَكتُمُونه﴾ (آل عمران : ١٨٧) وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَقُولوا للنّاس حُسنًا﴾ (البقرة : ٨٣) .

وقوله عليه السلام : «ما آتى الله عالـمًا علمًا إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه»[٢] ، وقوله عليه السلام : «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم»[٣] .

---

(١) أبو داود المرجع السابق نفسه .

(٢) أخرجه السيوطى فى "الجامع الصغير" عن ابن نظيف فى "جزءه" ، وابن الجوزى فى "العلل" عن أبى هريرة رضى الله عنه (صح) ورمز له بالصحة . (ج٢ ص١٤١)
أقول : قال ابن الجوزى بعد إخراج الحديث : وفيه البلغاوى ، قال أبو زرعة : كان يكذب ، وقال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات . (العلل المناهية ج١ ص٩٩)
فلا يصح حكمه عليه بالصحة ، وأخرجه على المتقى عن ابن نظيف وابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب العلم ، الباب الثانى . (ج١٠ ص١٩٠)

(٣) أخرجه السيوطى فى "الجامع الصغير" : عن الحسن بن سفيان (عق) عن أنس رضى الله عنه (ح) (ج٢ ص٦٩) ، وأخرجه على المتقى فى "الكنز" باختلاف يسير : «أمناء الرسل على عباد الله . . . فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (الحسن بن سفيان) ولفظ الديلمى : «اجتنبوهم» عق ، (ك فى "تاريخه" والقاضى أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد أستر آبادى فى "أماليه" ، وأبو نعيم

وأخرج الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه : "لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشىء، ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَإِذ أَخَذَ الله . . .﴾" صحيح ولا أعلم له علة (المستدرك ج ١ ص١٠٨) وأقره الذهبى رحمه الله تعالى.

وقوله عليه السلام : «ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه»[١]، وقال عليه السلام : «كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة»[٢].

«همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية»[٣]، وقال ﷺ : «ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين الله»[٤]، وقال : «مِن اقتراب الساعة كثرة الرواة وقلة الفقهاء»[٥].

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذّ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها فى خروق المسامع

والديلمى والرافعى عن أنس رضى الله عنه). (كنز العمال ج١٠ ص٢٠٤ وج١٠ ص١٨٣)

(١) أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن عن صهيب رضى الله عنه، وقال الترمذى : وأبو المبارك -أحد رواة الحديث- رجل مجهول، هذا حديث ليس إسناده بذاك (ج٢ ص٣٥٠)، وأخرجه السيوطى عنه فى "الجامع" ورمز له بالضعف. (ض: ج٢ ص١٤١)

(٢) أخرجه السيوطى فى "الجامع" (حل) عن ابن مسعود رضى الله عنه (ج٢ ص٩٧)، وأخرجه المناوى أيضًا عن ابن مسعود رضى الله عنه (حل : ج٢ ص٤٣)

(٣) الجامع الصغير عن ابن عساكر عن الحسن مرسلا (ض: ج٢ ص١٩٦. (كنوز الحقائق ج٢ ص١٤٥)

(٤) أخرجه السيوطى فى "الجامع" عن البيهقى فى "شعب الإيمان" عن ابن عمر رضى الله عنه (ض: ج٢ ص١٤٦)، وابن النحار عنه (كنز العمال : كتاب العلم، الباب الأول ج ٨ ص١٤٨) بزيادة: "ونصيحة المسلمين".

(٥) هو جزء حديث عند الطبرانى عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصارى رضى الله عنه. (ض: الجامع الصغير ج٢ ص١٥٧).
وأخرج على المتقى فى "الكنز" كتاب القيامة، الفصل الثالث حديثًا بمعناه «سيأتى على أمتى زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ويقبض العلم» الحديث (طب، ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج١٤ ص٢١٧)، وأخرج أيضًا : «ويكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة» (حل، ك) عن أنس رضى الله عنه. (ج١٤ ص٢٢٢)

ذم علماء السوء

﴿مثل الذين حمّلوا التوراة، ثُم لم يحملوها كَمثل الحِمار يحمِل أسفاراً بئسَ مثلُ القَوم الذين كَذبوا بآيات الله وَالله لا يَهدى القَوم الظالِمينَ﴾ (سورة الجمعة : ٥) حفظوه لفظًا، ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوّلوه وحرفوه وبدلوه. (ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٤)

وفى هذا تنبيه من الله لمن حمل الكتاب أن يتعلّم معانيه، ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. (القرطبى ج١٨ ص٩٤)

وكل من علم ولم يعمل بعلمه، فهذا مثله. (النسفى ج٤ ص٢٥٥ الطبرى ج٢٨ ص٦٤)، النيسابورى ج ٢٨ ص٦٥)

﴿وَاتلُ عَلَيهم نبأ الذى آتيناه آياتِنا فَانسَلخَ مِنها فَأتبعَهُ الشَيطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ . وَلَو شِئنَا لَرَفعنَاهُ بِهَا وَلكِنّه أخلَدَ إلَى الأرضِ وَاتّبعَ هَوَاهُ فمثَلُه كَمثَل الكَلبِ إن تَحمِل عَلَيه يَلهَث أو تَترُكهُ يَلهَث ذَلِكَ مَثَلُ القَومِ الذِينَ كَذّبُوا بآيَاتِنَا فَاقصُص القَصَصَ لَعَلّهُم يَتَفكّرُونَ﴾ (الأعراف : ١٧٥-١٧٦).

قال مجاهد رحمه الله : وهو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به. (الطبرى ج٩ ص٨٨)

«ويل لأمتى من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحًا لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم»[1].

---

(١) أخرجه صاحب "كنز العمال" فى كتاب العلم : الباب الثانى عن أنس رضى الله عنه (ض، ك) فى "تاريخه" (ج١٠ ص٢٠٥).

الربّانيون وعلماء السوء

وهذا هو الحد الفاصل بين العلماء الربّانيّين وعلماء السوء، وقد مرّت منا الروايات عن "الجامع" و "الكنوز" بأبسط من هذا.

الربّانيون يعملون لله تعالى، وغيرهم يعملون للدنيا ﴿اتّبعوا المرسَلين . اتبعُوا مَن لا يَسألُكُم أجرًا وهم مُهتدون﴾ (يس: ٢١).

ويقول سيدنا على رضى الله عنه: "يا حملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله" الحديث[١].

ويلكم معاشر العلماء السوء الجهلة بربهم جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم ولا أنتم أدخلتم الناس بصالح أعمالكم قطعتم الطريق على المريد وصددتم الجاهل عن الحق، فما ظنكم غداً عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه[٢].

بعث الله مَلَكَين إلى قرية أن دمراها بمن فيها، فوجدا فيها رجلا قائمًا يصلّى فى المسجد، فعرج أحدهما إلى الرب، فقال: ربنا وجدنا فيها عبدك فلانًا يصلّى فى مسجد، فقال: دمّراها ودمّراه معهم، فإنه ما تمعر وجهه فىّ قط[٣].

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثرًا: "أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن أخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيه فلان العابد؟ قال: به فابدأ، فإنه لم يتمعّر وجهه فىّ يومًا قط"[٤].

---

(١) كنز العمال كتاب العلم، باب التحذير من علماء السوء. (ج١٠ ص٢٧٢)

(٢) عن "المدخل" لابن أمير الحاج (ج١ ص١٣٤).

(٣) أخرجه محمد بن وضاح فى كتاب البدع والنهى عنها، باب هلاك الشيخ الذى لم يتمعّر وجهه فى ترك المنكر (ص٩٤)، وروى نحوه البيهقى فى "الشعب".

(٤) أخرجه ابن القيم فى "إعلام الموقعين" شرح كتاب عمر رضى الله عنه فى القضاء، باب لله على

وخامة ترك النهى عن المنكر

ولما تركوا ما أمروا به وهم ورثة الأنبياء، وزعموا أن السلطان لا ينكر عليه الجور والظلم، وقتل الأنفس التى حرّم الله، وإنما ينكر على غير السلطان بالقول، أو باليد بغير سلاح، فصاروا شرّا على الأمة من أعدائها المخالفين لها؛ لأنهم أقعدوا الناس عن قتال الفئة الباغية، وعن الإنكار على السلطان الظلم والجور حتى أدّى ذلك إلى تغلّب الفجّار، بل المجوس وأعداء الإسلام، حتى ذهبت الثغور، وشاع الظلم، وخربت البلاد، وذهب الدين والدنيا، وظهرت الزندقة والغلو ومذاهب الثنوية والخرمية والمزدكية، والذى جلب ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإنكار على السلطان الجائر[1]، ولعمرى إنها أدت إلى غلبة الفسّاق على أمور المسلمين، واستيلاءهم على بلدانهم حتى تحكّموا فحكموا فيها بغير حكم الله، وقد جرّ ذلك ذهاب الثغور وغلبة العدو حين ركن الناس إلى هذه المقالة فى ترك قتال الفئة الباغية، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإنكار على الولاة والجوار[2].

الحسن بن رشيد يقول: "سمعت أبا حنيفة رحمه الله تعالى يقول: أنا حدثت إبراهيم الصائغ عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ورجل قام إلى إمام جائر فأمره

كل أحد عبودية بحسب مرتبته. (ج٢ ص١٥٨)

(١) أحكام القرآن للجصاص (ج٢ ص٣٤).

(٢) الجصاص (ج٢ ص٤٠٣) يقول سيدنا عمر رضى الله عنه: سيأتى على الناس زمان يكون صالح الحى من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إن غضبوا غضبوا لأنفسهم، وإن رضوا رضوا لأنفسهم، لا يغضبون لله ولا يرضون لله عزّ وجلّ. (مناقب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ص١٩٥)

ونهاه فقتله»"[١].

والحق أن الحق أبلج، والباطل لجلج، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، وما من طامّة إلا وفوقها طامّة.

مصائب شتى جمعت فى مصيبة — فلم أكفها حتى قفتها مصائب
صرنا فى أمثال الرجال ولا رجال — وفى طغام الأحلام ولا أحلام
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم — وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وبعض الرجال فى الحروب غثاء، وبقينا فى عقول ربات الحجال، وذلك عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا نستطيع الرجوع إلى عزّنا والفوز بكرامتنا إلا بما تركناه ونبذناه وراء ظهورنا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وإن هذا الأمر الذى أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله[٢].

وأما ما دام السعدان مستلقيًا فلا . . . وإنما هو الفجر أو البجر، وما أحسن الحسنات فى آثار السيئات، وأقبح السيئات فى آثار الحسنات، وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيئات فى آثار السيئات، والحسنات فى آثار الحسنات.

قال على رضى الله عنه: يأتى على الناس زمان لا يقرّب فيه إلا الماحل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف، يتخذون الفىء مغنمًا، والصدقة مغرمًا، وصلة الرحم منّا، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون سلطان

---

(١) عن أم عبد الله الجرشية: ليأتينّ على الناس زمان يؤمنون بالله، ولا يشركون به شيئًا، يصومون رمضان، ويصلّون الخمس، وقد سلبوا دينهم، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أم عبد الله! هذا أمر عظيم، قالت: يا بنية! إذا رأوا الحق فتركوه فلا دين. (كتاب البدع والنهى عنها، باب لا دين لمن رأى الحق فتركه صـ٦٢)

(٢) الفقرة الأولى من كلام الإمام مالك رحمه الله (المدخل ج١ ص٢٦٢) والفقرة الثانية من خطبة أمير المؤمنين الصديق رضى الله عنه فى آخر خطبته قبل موته (المناقب لابن الجوزى ص٥٣).
. يقول على المتقى فى "الكنز" (الإمارة) قال أبو بكر رضى الله عنه فى آخر خطبته، وقد حمل إلى المنبر: إن هذا الأمر (كر) ج٥ ص٦٨١).

النساء، ومشاورة الإماء، وإمارة الصبيان[١].

وأيم الله كأنه رضى الله عنه نظر إلى زماننا عن ستر الغيب «اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[٢]، فابتلينا بكل ما قال، بل بأزيد مما قال: فإن لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم.

المسلمون فى الصدر الأوّل

(كان المسلمون فى الصدر الأوّل وحدة متكاملة يجمع بين شؤون الدين والدنيا والآخرة فى انسجام والتزام دقيق متوازن، سواء فى شخصه وأسرته، أو فى سلوكه، وعمله فى الحياة، وسواء كان حاكمًا قائدًا، أم رعية من آحاد المسلمين، فكان إذا دعا داع إلى الجهاد مثلا هب كالليث الهصور للدفاع المستميت عن دين الله عزّ وجلّ وعزة الإسلام وحرمات المسلمين، وإذا طرأت قضية تهمّ الجماعة، والمجتمع فى السياسة والحكم والقضايا الاجتماعية، أو فى مجال الإفتاء طار إلى تقديم كل ما يمكنه من عمل مثمر، أو فكر متفتح منتج مستلهمًا العون الإلهى مبتغيًا تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ.

واليوم تشعبت اتجاهات المسلمين ومسالكهم، فلم يُعدّ العمل للإسلام فى قمة اهتمام المسلم واعتناءه، وأصبح العمل البنّاء من أجل الصالح العام أمرًا قليل الأهمية، أو عسير التحقيق، وانصرف غالب الناس من ملايين المسلمين الموزعين فى زهاء خمسين دولة إلى أعمالهم الخاصّة، تشغلهم ثروتهم، أو تجارتهم، أو عملهم الحر، أو تثقيفهم بثقافات نظرية، أو عملية طغت على الثقافة الإسلامية،

---

(١) الكامل للمبرد (ج١ ص١٧٧).

(٢) أخرجه الترمذى فى تفسير سورة الحجر عن أبى سعيد مرفوعًا: «اتقوا فراسة... » ثم قرأ ﴿إنّ فى ذلكَ لآيات للمتوسّمين﴾ (ج٢ ص٣٧٩)، وأخرجه ابن العربى فى تفسير آية الحجر عن الترمذى (٣ ص١١٣١).

وأصبح من الصعب العثور على فهم إيجابى للمسلم لحياة العصر بسبب ازدواج الثقافة العلمية المادية والشرعية، أو بسبب العمل بالتقنينات الوضعية المستوردة والنظريات الاقتصادية الحديثة.

لكن يظل فى أعماق الساحة الإسلامية قلة من الرجال أو الشباب الذين فهموا ما يتطلبه الإسلام وحياة المسلم المعاصر من احتياجات مع زحمة أعباء الحياة لمعرفة شؤون الحلال والحرام من المعاملات، أو أحكام التكاليف الشرعية)[١]، شخصية كانت أو اجتماعية، سياسية كانت أو اقتصادية، أو إلى غير ذلك مما يتطرق إليه من شؤون حياته، وحياة أبناء جنسه.

الباعث على كتابة حقائق ومفاهيم بعض الكلمات الشرعية

ومما يهم فى العصر الحاضر، ويجب، معرفة الدين والإسلام والجمهورية والانتقاء، فإن لها معانى ومفاهيم قد تركت، وصارت نسيًا منسيًا، وحُمّلت الألفاظ الشرعية هذه على غير مفاهيمها، بل جعلت المفاهيم المستوردة الأجنبية الغربية الغربية مفاهيمها الحقيقية، حتى صارت مفاهيمها الشرعية كأنها لم تكن معانيها قط، بل صارت مفاهيمها أعم وأسمح من كل شىء حتى قد أطلقوها على أضدادها، فجعلوا الجمهورية الغربية مصداق الجمهورية الإسلامية، وكذا عمل الانتقاء الكفرى مفهوم الانتخاب الإسلامى الدينى.

(١) ما بين القوسين من "الفقه الإسلامى وأدلته" (ج١ ص١٣-١٤).

التحريف فى معنى الدين والإسلام

ولفظة الدين والإسلام وسعوا فيها حتى أطلقوهما على الكفر واللادينية الصرفة، كأنهم ﴿يُخادِعُون الله والذينَ آمنُوا وما يخدَعون إلا أنفسَهم وما يشعُرون﴾ (البقرة: ٩).

﴿يُحرّفون الكلِم عن مواضعه ويَقولون سمعنا وعصَينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنًا فى الدين﴾ (يحرمون الكلم) (مجاهد) يبدلون معناها ويغيرونها (ابن جرير) (وعصينا) أى لا نطيعك (ابن جرير) يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها، ويستحلون الحر، ويسمونه بغير اسمه[1]، وكذا غيرهما من الألفاظ الإسلامية غيّروا معانيها وبدّلوا مفاهيمها وحرّفوا مصاديقها، فجعلوا المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، كيف بك إذا تركت بدعة قالوا: تركه سنة[2]، فعليهم لعنة الله وملائكته وسائر خلقه إلى يوم الدين، قلع الله آثارهم وأباد خضراءهم، ولا جعل منهم على الأرض دياراً، قاتلهم الله أى دين وعلم أفسدوا،

---

(١) أخرج البخارى فى الأشربة، باب فيمن يستحلّ الخمر ويسميه بغير اسمه: عن أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه "والله ما كذبنى سمع النبى ﷺ يقول: ليكوننّ فى أمتى أقوام يستحلّون الحر والحرير والخمر والمعازف" (ج٢ ص٨٣٧)، وفى الباب عن عائشة رضى الله عنها عند الدارمى فى باب ما قيل: فى المسكر. (ج٢ ص٣٩)

(٢) أخرج عبد الرزاق فى الفتن عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: "كيف بكم إذا لبستكم الفتنة يربوا
فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويتخذ سنة، فإن غيرت يومًا، قيل: هذا منكر، قالوا: ومتى ذلك يا
أبا عبد الرحمن قال: إذا قلّت أمناءكم وكثرت أمراءكم وقلّت فقهاءكم وكثرت قراءكم وتفقه لغير
الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة" (المنصف ج١١ ص٣٥٩، كتاب البدع والنهى عنها ص٣٤)
وعند الدارمى عنه باب تغير الزمان (ج١ ص٥٨) وعنده عن عباد بن عباد الخواص الشامى (ج١
ص١٢٩) وفى ابن أبى شيبة كتاب الفتن باب من كره الخروج فى الفتنة (ج٨ ص٥٩٩) وفى "كنز
العمال" ج١١ ص١٨١ و٢٥٤)، وأخرجه الحاكم فى "المستدرك" فى الفتن عنه باختلاف يسير،
وفيه: "فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة" (ج٤ ص٥١٤).

ومن كان باكيًا فليبكِ على نفسه، وعلى الإسلام وغربته وغربة أهله والعاملين بالسنة.

فأردت أن أبيّن مفاهيمها الشرعية وأميّز عنها ما حرّفوا ﴿الطيّبات للطيّبينَ والطيّبونَ للطيّبات والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾.

وقسّمت الكتاب قسمين: القسم الأول: فى بيان مفهوم الدين والإسلام، وما يتعلق بهما، وسميته "إعلام الأعلام بمفهوم الدين والإسلام"، والقسم الثانى: فى بيان الجمهورية والانتخاب وحكمهما، وما يتعلق بهما، وسميته "رفع الحجاب عن مضارّ الجمهورية والانتخاب"، فأقول -وبالله التوفيق-:

الدين لغةً:

الدين لغةً: القهر، الحكم، القضاء، العادة، الإذلال، الاستعباد، الحساب، الطاعة، الجزاء، وزاد ابن منظور على ذلك: الدين: الإسلام وما يتديّن به الرجل، ومنه حديث على رضى الله عنه: "محبة العلماء دين يدان بها"[(١)]، والسياسة: دنته، أدينه، سسته، والملك: دنته ملكته - والحال.

قال النضر بن شميل رحمه الله تعالى: "سألت أعرابيًا عن شىء، فقال: لو لقيتنى على دين غير هذا لأخبرتك، والورع، والمعصية"[(٢)].

ويقول الراغب رحمه الله: "الدين يقال: للطاعة، والجزاء، واستعير للشريعة"[(٣)].

(١) ذكر كلام على رضى الله عنه بكماله الذهبى فى "التذكرة" محبة العالم دين يدان به (ج١ ص١١).

(٢) النهاية فى غريب الحديث: مادة د، ى، ن (ج١ ص١٤٨-١٤٩، لسان العرب نفس المادة (ج ٤ ص٤٥٨ و٤٦١، وقريب منه فى "نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن" ج١ ص٢٦٨ و٢٦٧.

(٣) مفردات القرآن ص١٧٥).

وقال ابن قتيبة رحمه الله : فى دين الملك أى فى سلطانه[١] ، شرعه وقانونه[٢] فى دين الله أى فى حكمه[٣] ، فى دين الله فى حكم الله كما قال الله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيأخُذَ أخاه فى دين الملِك﴾[٤] .

فى "دين الملك" : فى حكم ملك مصر وقضاءه ، وطاعته منهم[٥] ، "فى دين الله" : فى طاعة الله[٦] .

وزاد القاضى محمد أعلى التهانوى رحمه الله : الدين : الرأى ، دان=عصى ، وأطاع ، وذلّ وعزّ ، فهو من الأضداد[٧] .

الدين : الديانة والملة والإسلام والاعتقاد بالجنان ، والإقرار باللسان ، وعمل الجوارح بالأركان ، والسيرة والتدبير[٨] .

فهذه المعانى أكثر من عشرين ، وكلها متقاربة مربوطة متناسقة ، كلها ترجع إلى القهر والقضاء والطاعة والتدبير والسياسة كما هو ظاهر .

الدين شرعًا :

وأما اصطلاحًا : فالدين هو الاعتقاد بالجنان بجميع ما جاءت به

(١) غريب القرآن ص٢٢٠ .

(٢) محاسن التأويل للقاسمى رحمه الله (ج٩ ص٢٥٩) .

(٣) جلالين (ج٢ ص٢٩٤) .

(٤) القرطبى ج٩ ص٢٣٨ وج١٢ ص١٦٦ : وقريب منه فى ابن جرير ج ١٣ ص١٧ وفتح القدير للشوكانى ج٤ ص٥ .

(٥) الطبرى ج١٨ ص٥٢ وابن كثير ج٣ ص٢٦١ وابن كثير ج٢ ص٤٨٥ .

(٦) الطبرى ج١٣ ص١٧ .

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص٥٠٣ .

(٨) المعجم الوسيط ج١ ص٣٠٧ .

الرسل –صلوات الله عليهم– والإقرار به والعمل به عن اختيار، هو اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه، وأمرهم بالإقامة عليها[١]، أو – هو: وضع إلهىّ سائق لذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال، والفلاح فى المآل، وهو يشتمل العقائد والأعمال[٢].

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع (القارى): والمعنى أن الدين إذا أطلق فالمراد به التصديق والإقرار وقبول الأحكام، وليس مراد الإمام أن الدين إذا أطلق، يطلق على كل واحد من الإيمان والإسلام والشرائع انفراداً[٣].

الإسلام لغةً:

الإسلام لغةً: الطاعة، والانقياد، وشرعًا: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ[٤]، هو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد ﷺ[٥].

الإسلام شرعًا:

المسلم: المستسلم لأمر الله تعالى والمخلص لله العبادة[٦]، الإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبى ﷺ، وبذلك يحقن الدم، ويستدفع المكروه.

---

(١) لباب التأويل للخازن ج١ ص٢٧٨.

(٢) الثعالبى ج٤ ص٤٧، كشاف الاصطلاحات ج١ ص٥٠٣، نور الأنوار ص٤.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص١٠٨.

(٤) المعجم الوسيط ج١ ص٤٤٦.

(٥) البيضاوى ج١ ص٦٤ و٧١.

(٦) لسان العرب ج٦ ص٣٤٥، النهاية نفس المادة.

الإسلام: الإذعان الكلى لأوامر الله بجميع أعضاءه وجوارحه[١] ﴿إذ قالَ له ربّه أسلِم قَال أسلَمت لربّ العَالَمِين﴾ (البقرة: ١٣١).

﴿ثمّ لا يَجِدُوا فِى أنفُسهِم حَرجًا مِمّا قَضَيت ويسلّمُوا تَسليمًا﴾ (النساء: ٦٥) فى معنى الاستسلام: ﴿قالوا نَعبُد إلهكَ وإله آبائكَ إبراهِيم وإسمَاعيل وإسحَاق إلهًا واحِدًا ونحنُ له مُسلِمُونَ﴾)البقرة: ١٣٣).

﴿لا نفرّقُ بَين أحَد منهُم ونَحنُ له مُسلِمُون﴾ (البقرة: ١٣٦) وغير ذلك فى معنى الإخلاص، وبالتزام ما أتى به النبى ﷺ يحقن الدم، ويستدفع المكروه، «فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»، الحديث (ثعلب): الإسلام باللسان والإيمان بالقلب[٢].

وفى "مسند الحميدى رحمه الله تعالى": قال الزهرى رحمه الله تعالى فى حديث سعد رضى الله عنه: "وأعطِ فلانًا فإنه مؤمن، فقال النبى ﷺ: أو مسلم، فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل"[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: يمكن أن يكون مراد الزهرى أن المرء يحكم بإسلامه، و يسمى مسلمًا بالكلمة -أى كلمة الشهادة- وإنه لا يسمى مؤمنًا إلا بالعمل، والعمل يشمل عمل القلب، وعمل الجوارح يدل على صدقه[٤].

ابن أبى شيبة عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا: «الإسلام علانية والإيمان فى القلب ثم يشير بيده إلى صدره ويقول التقوى ههنا التقوى ههنا»[٥]، ومثله فى "كنز العمال"[٦].

---

(١) غرائب القرآن للنيسابورى فى تفسير آية القصص ﴿وأمرت أن أكُون مِن المسلمينَ﴾ ج-٢٠ ص٢١.

(٢) لسان العرب المرجع السابق (ج٦ صـ٣٤٥).

(٣) مسند الحميدى ج١ ص٣٧.

(٤) فتح البارى ج١ ص١١١.

(٥) المصنف: باب ما قالوا: فى صفة الإيمان ج٧ ص٢١١، ونحوه فى المسند (ج٣ص٥٨٤).

(٦) كنز العمال (ش): الفصل الأول فى حقيقة الإيمان ج١ ص٢٧ وبزيادة التقوى ههنا (حم، ن، ع)

الإسلام دين الأنبياء كلهم
عليهم السلام

الإسلام ملة الأنبياء قاطبةً، وإن تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم[(١)]، ثعلب رحمه الله: "كل نبيّ بعث بالإسلام غير أن الشرائع مختلفة"[(٢)].

الطحاوى: "ودين الله فى الأرض، وفى السماء واحد، وهو دين الإسلام"، قال الله تعالى: ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ورَضيتُ لكُم الإسلامَ دينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقال ابن أبى العز رحمه الله فى "شرحه": "ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمن يبتَغِ غيرَ الإسلام دينًا فَلن يقبَل منه﴾ عامّ فى كل زمان، ولكن الشرائع تختلف"[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وقد دلّ قوله: ﴿إنّ الدينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ﴾ على أنه دين جميع الأنبياء ورسله، واتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن قط ولا يكون له دين سواه، ثم ذكر آيات فى ذلك، ثم قال: فالإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه".

وصحّحه كنز العمال ج١ ص٣٣، وقريب منه فى شرح الملا على القارى الفقه الأكبر ص١٠٨).

(١) ابن كثير فى تفسير آية البقرة ﴿ونَحنُ له مُسلمُون﴾ ج١ ص١٨٦.

(٢) لسان العرب ج٦ ص٣٤٦.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٥، ونقل عنه القارى رحمه الله فى "شرح الفقه الأكبر" ص١٠٨-١٠٩.

فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن: هو دين الإسلام، والتى للشيطان فهى اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين[(١)].

أبو الشكور: وكلهم كانوا على دين واحد وملة واحدة، وهو دين الإسلام وملة الحنيفية[(٢)].

١- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة من علاة وأمهاتهم شتّى ودينهم واحد»[(٣)].

٢- ﴿شَرَعَ لكُم من الدين ما وصّى به نوحًا والذى أوحينا إليكَ﴾ قال مجاهد رحمه الله: وصّيناك يا محمد! وإياهم دينًا واحدًا[(٤)].

٣- وقال ابن جرير رحمه الله فى تفسير الآية: معلوم أن الذى أوصى به جميع الأنبياء وصية واحدة، وهى إقامة الدين الحق[(٥)].

٤- ابن كثير رحمه الله تعالى: عند البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة العلاة ديننا واحد»[(٦)].

٥- وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا قال: «الأنبياء إخوة من علاة وأمهاتهم شتى ودينهم واحد» (الحديث)[(٧)].

---

(١) مدارج السالكين: الإسلام دين الأنبياء كلهم (ج٣ ص٤٧٦).

(٢) التمهيد: ص١١٧.

(٣) المسند لأحمد ج٢ ص٦١٣ وج٣ ص١٧٨)، ورواه أبو داود رحمه الله مختصراً: باب التخيير بين الأنبياء عليهم السلام (ج٢ ص٢٩٤).

(٤) البخارى: كتاب الإيمان (ج١ ص٦).

(٥) الطبرى: ج٢٥ ص١٠.

(٦) ابن كثير (ج٢ ص٦٦ وج٤ ص١٠٩).

(٧) مسلم رحمه الله فى الفضائل: باب فضائل عيسى ابن مريم عليه السلام (ج٢ ص٢٦٥).

وعنه فى البخارى: كتاب الأنبياء باب قوله عزّ وجلّ: ﴿واذكُر فى الكتَابِ مريَمَ﴾ قال: «الأنبياء إخوة العلاة وأمهاتهم شتى ودينهم واحد»[١].

القرآن ودين الأنبياء عليهم السلام

والقرآن أعدل شاهد على أن الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام، كنوح وإبراهيم ويعقوب عليهم السلام واتّباعهم إلىٰ الحواريين، وهذا تحقيق لقوله عزّ وجلّ: ﴿ومَن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥)، وإن الدين عند الله الإسلام فى كل زمان ومكان.

نوح عليه السلام:

قال الله سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام -أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض-: ﴿وَأمِرتُ أن أكُونَ منَ المُسلِمينَ﴾ (يونس: ٧٢)، فهذا نوح عليه السلام الذى أغرق أهل الأرض بدعاءه عليهم لما عصوه، وهو الذى بثّ جميع الآدميين ثانيًا من ذريته عليه السلام ﴿وَجَعلنَا ذرّيّته هُم البَاقِينَ﴾ (الصافّات: ٧٧) يقول: إنه أمر أن يكون من المسلمين.

خليل الرحمن عليه السلام:

وأما الخليل وابنه عليهما السلام: فقد قال الله سبحانه وتعالى عنهما: ﴿ربّنا واجعَلنَا مُسلِمينَ لكَ ومِن ذُرّيّتِنا أمّة مسلمَة لك﴾ (البقرة: ١٢٨)، وقال: ﴿إذ قالَ له ربّه أسلِم قَال أسلَمتُ لربّ العالَمين. وَوصّى بهَا إبرَاهيم بنيه ويعقوب يا بنىّ إن الله اصطفى لكُم الدين فلا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (البقرة: ١٣١-١٣٢).

(١) البخارى (ج١ ص٤٩٠).

فقد أخبر الله عزّ وجلّ عنه أنه أمر الخليل عليه السلام بالإسلام، وأنه عليه السلام قال: ﴿أسلَمتُ لربّ العالَمين﴾ وإبراهيم عليه السلام وصّى بنيه أن لا يموتنّ إلا وهم مسلمون، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كانَ مِن المشركِين﴾ (آل عمران: ٦٧).

يوسف الصّديق عليه السلام:

وقد قال الله عزّ وجلّ عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ربّ قد آتيتَنى من الملك وعلّمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنتَ وَلِيِى فى الدنيا والآخرة توفّنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين﴾ (يوسف: ١٠١).

موسى الكليم عليه السلام:

وقال الله تعالى عن كليمه وصفيّه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسى يَا قَومِ إن كُنتُم آمَنتُم بِالله فعَليه تَوَكّلُوا إن كُنتُم مُسلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤).

السحرة الذين آمنوا:

وقال الله سبحانه عن السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿وما تنقم منا إلا أن آمنّا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفّنا مسلمين﴾ (الأعراف: ١٢٦).

دعوة سليمان عليه السلام:

وقال الله تعالى عن سليمان -ملك الدنيا- عليه السلام فى كتاب دعوته إلى بلقيس -ملكة سبأ-: ﴿إنّه من سليمانَ وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين﴾ (النمل: ٣٠-٣١) وقال عنه: ﴿قال يَا أيّها الملأ أيكُم يأتينى بعرشها قبلَ أن يأتونى مسلمين﴾ (النمل: ٣٨).

بلقيس ملكة سبأ :

وقال الله سبحانه عن بلقيس ملكة سبأ وهى تخبر عن نفسها : ﴿وأوتينا العلمَ من قبلها وكنّا مسلمين﴾ (النمل : ٤٢)، وقال عنها : إنها قالت : ﴿ربّ إنى ظلمتُ نفسِي وأسلمتُ مَع سُليمانَ لله ربّ العَالَمِينَ﴾ (النمل : ٤٤).

أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام :

وقال الله سبحانه عن أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام : ﴿إنّا أنزلنَا التوراةَ فيهَا هُدًى ونُور يحكُم بها النبيّون الذِينَ أسلمُوا للذينَ هَادُوا﴾ (المائدة : ٤٤).

حواريّو عيسى عليه السلام :

وقال الله عزّ وجلّ عن حواريّ عيسى عليه السلام : ﴿وإذ أوحَيتُ إلَى الحواريّينَ أن آمنُوا بِي وبرَسُولى قَالوا آمنّا وَاشهَد بأنّا مُسلِمُون﴾ (المائدة : ١١١).

علماء أهل الكتاب :

قال الله عزّ وجلّ عن علماء أهل الكتاب : ﴿الذِين آتَينَاهُم الكتَابَ من قبلِه هم به مؤمنُون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنه الحق من ربنا إنّا كنّا من قبله مسلمين﴾ (القصص : ٥٣-٥٤).

أهل الكتاب عامّة :

وقال الله سبحانه لأهل الكتاب : ﴿وقُل لِلّذينَ أوتُوا الكتَابَ والأمّيّينَ أأسلمتُم فإن أسلمُوا فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنما عليكَ البلاغ﴾ (آل عمران : ٢٠).

أبناء يعقوب عليه السلام :

وقال الله تعالى عن أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿قالُوا نَعبُدُ إلهكَ وإلهَ آبائكَ إبراهيمَ وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحنُ له مسلمون﴾ (البقرة : ١٣٣) .

قول موسى عليه السلام لقومه :

قال موسى عليه السلام لقومه : ﴿يا قَومِ إن كُنتُم آمَنتُم بِالله فعَلَيه تَوَكّلُوا إن كُنتُم مُسلِمِينَ﴾ (يونس : ٨٤) .

فرعون -لعنه اللّه- حين لم ينفعه إيمانه :

قال الله عزّ وجلّ عن فرعون -لعنه الله- لما أشرف على الغرق وكان مستيقنًا أن لا نجاة إلا بالإسلام، فقال : ﴿آمنتُ أنه لا إلهَ إلا الذى آمنتّ به بنُو إسرئيلَ وأنا من المسلمين﴾ (يونس : ٩٠) .

خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام :

يقول الله تبارك وتعالى عن حبيبه وصفيّه وخاتم رسله ﷺ : ﴿لا شَريكَ لَه وَبِذلِكَ أمِرتُ وَأنا أوّلُ المُسلِمِينَ﴾ (الأنعام : ١٦٢)، وقال : ﴿وَأمِرتُ لأن أكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ﴾ (الزمر : ١٢)، وقال عنه : ﴿قُل إنى أمِرتُ أن أكُون أوّل مَن أسلَمَ﴾ (الأنعام : ١٤)، وقال عنه : ﴿وأمِرتُ أن أسلم لربّ العَالَمِين﴾ (الغافر : ٦٦)، وقال عنه : ﴿قُل إن هدى الله هو الهُدى وأمِرنا لنسلمَ لرَبّ العَالمِينَ﴾ (الأنعام : ٧١) .

خاتم الأمم :

وقال الله عزّ وجلّ آمرًا خاتم الأمم : ﴿وأنيبُوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن

يأتيكُم العذاب ثم لا تنصرون﴾ (الزمر : ٥٤)، وقال : ﴿أفمَن شرحَ الله صدره للإسلام فهُو على نُور من ربّه﴾ (الزمر : ٢٢)، وقال : ﴿فمن يرد الله أن يَهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الأنعام : ١٢٥)، وقال : ﴿وإلهكُم إله واحد فله أسلموا وبشّر المخبتِينَ﴾ (الحج : ٣٤) وقال عنهم : ﴿لا نفرّق بينَ أحد منهم ونحنُ له مسلمون﴾ (البقرة : ١٣٦، آل عمران : ٨٤) وقال آمراً إياهم : ﴿اتّقُوا الله حَقّ تُقاتِهِ وَلا تموتنّ إلا وأنتُم مسلِمُون﴾ (آل عمران : ١٠٢) وغيرها من الآيات.

فصح أن دين الأنبياء كلهم إنما هو الإسلام، وكلهم دعوا أممهم إلى الإسلام، وأن يعيشوا تحت برنامج إلهىّ يرضاه الله لهم، وقد رضيه لهم فى الأزل قبل أن يولدوا، وصح أن الدين عند الله الإسلام لا غير ﴿ومَن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران : ٨٥).

وصح أن الإسلام لا يختصّ بمن بعث إليهم محمد ﷺ، بل هو حكم إلهىّ عامّ فى الأولين والآخرين، هذا : وفى المسألة قولان مصحّحان للعلماء : أحدهما : ما ذكرت من إطلاق الإسلام على كل دين سماوىّ، والثانى : أن الإسلام خاصّ بهذه الملة الشريفة، ذكرهما السيوطى رحمه الله، ومن قبله ابن الصلاح رحمه الله، ورجّح القول الثانى الأول، والأول الثانى كما هو فى "الحاوى للفتاوى" (ج٢ صـ٢٠٥ و٢٣٥)، ، ولهذا قال : ﴿وَمَن أحسَنُ دينًا ممن أسلمَ وجهَه لله وهُو مُحسن واتّبعَ مِلة إبراهيمَ حَنيفًا واتخَذ الله إبراهيمَ خَليلا﴾ (النساء : ١٢٥)، ولهذا سمّانا المسلمين ﴿وَهُو سَمّاكُم الْمُسلمِينَ مِن قبلُ وفى هذَا﴾ (الحج : ٧٨).

وقال : ﴿بلى مَن أسلمَ وَجهَه لله وهُو مُحسنٌ فَله أجرُه عندَ ربّه ولا خَوف عَليهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ﴾ (البقرة : ١١٢).

لمحة فكريّة أساسيّة :

فإذا كان الله لا يقبل، ولا يرضى فى الحياة البشرية دستوراً سوى الذى قرره بنفسه أىّ دستور كان، وفى أىّ شعب الحياة كان، وإن اتفق عليه العقلاء عند الناس

فى قرن، بل فى القرون كلها، وإن كانت قوانين مسلمة وبين الأقوام؛ لأنا لا نعرف الضرر من النفع، ولا الشر من الخير ﴿وَما أوتِيتُم من العلم إلا قَلِيلا﴾ (الإسراء: ٨٥).

﴿كُتِبَ عليكُم القِتالُ وهُو كُره لكُم وعسى أن تَكرهُوا شَيئًا وهُو خيرٌ لكُم وعسى أن تُحبّوا شيئًا وهُو شرٌ لكُم واللهُ يعلَمُ وأنتُم لا تعلَمُون﴾ (البقرة: ٢١٦).

﴿فعَسى أن تكرَهُوا شَيئًا ويَجعل الله فيه خيرًا كَثيرًا﴾ (النساء: ١٩).

ولا نعرف المفسِدَ منَ المصلِح ﴿وَاللهُ يَعلمُ المفسدَ من المصلح﴾ (البقرة: ٢٢٠).

فعلينا أن نعرف الإسلام، أهو الصلاة والصوم والحج، والذكر والتلاوة، وبناء المساجد والمدارس، وبيوت الإرشاد والدعوة، و أشياءُ رسمية غيرها، وبمناهج رسمية، أو مع ذلك غيرها أيضًا؟

الإسلام والإيمان

﴿قَالتِ الأعرَابُ آمنّا قُل لم تؤمِنوا ولكن قُولُوا أسلَمنَا﴾ (الحجرات: ١٤).

﴿فأخرجنَا من كَانَ فِيهَا منَ المؤمنِينَ فَما وجَدنَا فِيهَا غَيرَ بَيتٍ منَ المسلمينَ﴾ (الذاريات: ٣٥-٣٦).

ففى الأولى تصريح بالتغاير بين الإسلام والإيمان، وفى الثانية تصريح بعينيتهما ﴿واللهُ يَعلَمُ وأنتُم لا تعلمُونَ﴾.

والحق أن لهما فى مصاديقهما الشرعية عينية إذ لا إسلام شرعًا عند الله إلا بالإيمان، ولا إيمان إلا بالإسلام، وأما فى مفاهيمها اللغوية فهما غيران، والقول باتحادهما مطلقًا، أو بغيريتهما مطلقًا باطل.

وقد يطلق الإسلام على الأعمال المشروعة، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الدينَ

عندَ الله الإسلام﴾ (آل عمران : ٨٥)، وخبر أحمد "أىّ الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»" أخرجه الشيخان، وسيأتى مفصّلا، وخبر ابن ماجة: "قلتُ: ما الإسلام؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وتشهد أن محمداً رسول الله، وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرّها وحلوها ومرّها"، ومنه حديث جبرئيل عليه السلام المشهور.

الإسلام دستور الحياة :

فالإسلام دستور الحياة، وهو الدستور الكامل لجميع شؤون الحياة البشرية يجب التديّن به فى كل أنحاء الحياة البشرية، انفرادية كانت أو اجتماعية، دولية كانت أو شخصية حرة، سياسية كانت أو قضائية، جربية كانت أو سلمية إلى غيرها من الأنحاء ﴿وَرَضِيتُ لكُم الإسلامَ دينًا﴾ (المائدة : ٣).

﴿وَمن يبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فَلن يقبل منه وهُو فِى الآخرة مِن الخاسِرينَ﴾ (آل عمران : ٨٥).

﴿أُدخُلوا فى السلم كافّة﴾ (البقرة : ٢٠٨).

﴿ليبلوكُم فيما آتَاكُم﴾ (المائدة : ٤٨).

﴿وهُو الذِى جَعلَكُم خَلائف الأرض ورفع بعضكُم فوقَ بعض درجَات ليبلوكُم فيمَا آتاكُم﴾ (الأنعام : ١٦٥).

﴿إلا لنعلَم من يتبع الرسول ممن ينقَلِب على عَقِبَيه وإن كانت لكبِيرة إلا عَلى الذينَ هَدَى الله﴾ (البقرة : ١٤٣).

﴿خَلقَ المَوْتَ والحياةَ ليبلُوكُم أيكُم أحسنُ عملا﴾ (الملك : ٢).

﴿وسيرى الله عَملَكُم ورسُوله﴾ (التوبة : ٩٤).

﴿وقُل اعملُوا فسَيرَ الله عملَكُم ورسُوله والمؤمنونَ﴾ (التوبة : ١٠٥).

﴿ولنبلونّكُم حتى نعلمَ المجاهِدينَ مِنكُم والصابِرينَ ونبلوا أخباركُم﴾

(محمد: ٣١).

فهذه هى حقائقها اللغوية، وأما حقائقها الشرعية التى حرفت إلى غيرها حتى جعلت كأنها لم تكن، وصار ما اختلقت لها كأنها هى حقائقها الأصلية، أسماء وقعت على غير مسمّياتها، وإنما يريدون حسواً فى ارتغاء، فقد صارت حقائقها منكراً من القول وزوراً - عند الناس، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، كيف بك يا حذيفة! إذا تركت بدعة، قالوا: ترك سنة، فإذا غيرت قالوا: غير السنة.

تغيّر الزمان :

ولما انصرف الناس من صلاة الجمعة، وجدوا الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى ناحية المسجد يبكى؛ فسأل مّ بكاءك؟ فقال: "وما لى لا أبكى وما أعرف لكم شيئًا لما أدركت عليه الناس إلا القبلة"[١]، هذا فى زمن الحسن البصرى رحمه الله تعالى وهو من كبار التابعين ورضيع أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها، وفى خير القرون، فما ظنك بزماننا هذا ومساجدنا هذه؟

وعن أم الدرداء رضى الله عنها قالت: "دخل يومًا أبو الدرداء عليها مغضباً، فقالت: ما لك؟ قال: والله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلّون جميعًا"[٢].

قال مالك رحمه الله تعالى فى "موطئه" عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه: إنه قال: "لا أعرف شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة"[٣].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: "لو خرج رسول الله ﷺ إليكم ما عرف

---

(١) المدخل لابن الحاجّ (ج١ ص٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٦ ص٢٥١).

(٣) الموطأ: باب ما جاء فى النداء إلى الصلاة (ص٥٧) جامع العلم وفضله (ج٢ صـ١٩٩).

اليوم شيئًا كان هو عليه وأصحابه إلا الصلاة" قال الأوزاعى رحمه الله تعالى -أحد الرواة- : فكيف لو كان اليوم، قال عيسى رحمه الله -أحد الرواة- : فكيف لو أدرك الأوزاعى رحمه الله تعالى هذا الزمان.

قال الحسن رحمه الله تعالى : "لو أن بعض من مضى انتشر حتى يعاين خياركم اليوم لقال : ما لهؤلاء فى الآخرة من حاجة، ولو رأى شراركم لقال : ما يؤمنون هؤلاء بيوم الحساب" (كتاب البدع ص٦٠).

وعن عدىّ بن حاتم رضى الله عنه : أنه قال : "إنكم فى زمان معروفه منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأتِ" (كتاب البدع والنهى عنها ص٦٢).

رواية عدى رضى الله عنه فى "الكنز" : عن ابن سيرين رحمه الله عن عدى، وفيه بعد ما ذكر : "وأنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم لا تعرفون ما كنتم تنكرون ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما قام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخفٍ" (كر : كنز العمال ج٣ ص٤٩٠).

وقال علىّ رضى الله عنه : "لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم" (البداية : ج٨ص٦)، وقال رضى الله عنه : "يأتى من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره" (البداية : ج٨ص٧).

وأخرج ابن أبى شيبة فى الزهد عن سلمة بن كهيل قال : "لقينى أبو جحيفة، فقال لى : يا سلمة! ما بقى شىء مما كنت أعرف إلا هذه الصلاة" (البداية : ج٨ص٢٠٦).

فانظر كيف وقع الإنكار منهم لتغير الحال إلا فى بعض الأمور، فكيف ونحن فى القرن الخامس عشر، تبدلت الحقائق الأصلية، وحرفت المفاهيم الشرعية حتى صارت أسماء وقعت على غير مسمياتها، كلمة حق أريد بها الباطل؛ (لأن أسماءهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشىء فى نفسه). (لسان العرب : ج١ ص١٨٨)

أسماء وقعت على غير مسمياتها :

قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : «يا عبد الله كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس»[(١)] .

قال الإمام الشيخ رزين رحمه الله : " ما أتى على بعض العلماء المتأخرين إلا لوضعهم الأسماء على غير مسمّياتها "[(٢)] ، وما يأتى على بعض المتأخرين ما يأتى إلا أنهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم فى زمانهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كل زمان يختص بعرفه وعادته ، وهذا أوان التفصيل -إن شاء الله تعالى- ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أخرجه البخارى فى الصلاة فى باب تشبيك الأصابع فى المسجد (ج١ ص٦٩) وأخرجه أحمد فى "المسند" (ج٢ ص٣٤٥)، وأخرجه الطحاوى فى "مشكل الآثار" : بيان مشكل ما روى عن رسول الله ﷺ فى الزمان الذى يجب على الناس الإقبال فيه على خاصتهم أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان -أو قال- يوشك أن يأتى زمان يغربل الناس فيه غربلة ويبقى حثالة من الناس» الحديث (ج٢ ص٦٧) .

وعند أحمد فى "المسند" : عن عمرو بألفاظ متقاربة (ج٢ ص٤٤١ و٤٤٣) وعنه عند عبد الرزاق فى "المصنف" (ج١١ ص٣٥٩) فى الفتن، وأخرج البخارى فى الرقاق : باب ذهاب الصالحين عن مرداس الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حفالة كحفالة الشعير لا يباليهم الله بلة» (ج٢ ص٩٥٢) .

وعند الدارمى (ج٢ ص٢١١) : باب ذهاب الصالحين، وفى الباب عن أبى ذر عند الحاكم فى معرفة الصحابة رضى الله عنهم (المستدرك ج٣ ص٣٤٣) .

وعند أحمد فى الزهد عن أبى بكرة رضى الله عنه أخرجه السيوطى فى "الخلفاء" ص١٠٣، وأخرجه أحمد فى "المسند" (ج٥ ص٢١٤)، وكذا عنده (ج٢ ص٣٤٥)، وعند ابن أبى شيبة فى "المصنف" (ج٨ ص٢٦٢) فى الزهد عن مرداس رضى الله عنه موقوفًا، وفى "كنز العمال ج١٤ ص٢٢٩" : عن أبى هريرة رضى الله عنه (هـ، ك)، وعند ابن ماجة ص٣٠٢ : باب شدة الزمان عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) المدخل (ج١ ص١٤٩ وج٣ ص٩٥) .

تفصيل فى مفهوم الدين :

قال الله عزّ وجلّ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ ما وصّى به نُوحًا وَالذِي أوحَينا إلَيكَ ومَا وَصّينَا به إبرَاهيمَ ومُوسى وَعيسى أن أقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفرَّقُوا فيه كبُرَ علَى الْمُشركِينَ ما تَدعُوهُم إلَيه اللهُ يَجتَبِي إلَيه من يشَاءُ وَيَهدِي إلَيه من يُنِيب﴾ (الشورى : ١٣) .

قال مجاهد رحمه الله : "أوحيناك يا محمد وإياهم دينًا واحدًا"[١]، معلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة ، وهى إقامة دين الحق[٢]، فإذًا دين الأنبياء كلهم عليهم السلام دين واحد ، وهو الذى وصى به الله الأنبياء عليهم السلام ، وأمرهم به .

أولو العزم من الرسل :

سيما أولى العزم من الرسل وهم الخمسة المذكورون فى الآية ، وكذا فى آية الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذنَا مِنَ النَّبيِّينَ مِيثَاقَهم ومنِكَ ومِن نُوح وإبرَاهيمَ ومُوسى وعِيسى ابن مَريَمَ وأخَذنَا منهُم مِيثَاقًا غَليظًا﴾ (الأحزاب الآية : ٧) .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : "سيد الأنبياء خمسة ومحمد ﷺ سيد الخمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم"[٣] .

وقال أبو العالية رحمه الله تعالى : "أولو العزم من الرسل : نوح وإبراهيم وهود (عليهم السلام) ، أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء ، فكانوا ثلاثة ومحمد ﷺ رابعهم"[٤] .

---

(١) البخارى : كتاب الإيمان (ج١ ص٦) .

(٢) تفسير ابن جرير (ج٢٥ ص١٠) وبمعناه فى ابن كثير (ج٤ ص١٠٩) .

(٣) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" ، قال : صحيح الإسناد ، وإن كان موقوفًا على أبى هريرة رضى الله عنه ، وأقره الذهبى (مستدرك : كتاب التاريخ ج٢ ص٥٤٦) .

(٤) أخرجه البيهقى فى "السنن الكبرى" (ج٩ ص٨) فى السير ، وعنه أيضًا : هم نوح وإبراهيم وهود

وفى أولى العزم من الرسل أقوال: أحسنها ما نقله البغوى رحمه الله تعالى، عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة: "إنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد -صلوات الله وسلامه عليهم- قال: وهم المذكورون فى آية الأحزاب الآية: ٧، وآية الشورى: ١٣[١]، أولُو العزم من الرسُل ستّ وعدّ منهم آدم عليه السلام"[٢].

أولو العزم من الرسل جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو بعضهم؟ فيه قولان لأهل العلم، فكلمة "من" على الأول: مبيّنة، وعلى الثانى: مبعضة، الأول قول ابن زيد، والثانى قول قتادة[٣]، وفى الثانى أقوال كما ذكرت، وذكرها القرطبى رحمه الله تعالى[٤]:

وهم أولو العزم الذين بسورة الأ ... حزاب والشورى أتوا ببيان[٥]

(النونية ص١٧٦)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى "فتاواه": باب قاعدة الجماعة والفرقة قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدين﴾ (الشورى).

وهؤلاء هم أولوا العزم المأخوذ عليهم الميثاق فى قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ (الأحزاب: ٧، مجموعة الفتاوى: ج١ صـ١٢).

لأنهم أظهروا المفارقة لقومهم. (المرجع نفسه)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٤٩.

(٢) التمهيد لأبى الشكور السالمى ص٨٧.

(٣) معنى قول ابن جرير ج٢٦ ص٢١٤، والنيسابورى ج ٢٦ صـ٢١.

(٤) القرطبى ج١٦ ص٢٢٠.

(٥) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى "فتاواه" فى باب قاعدة فى الجماعة والفرقة: قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لكُم من الدين ما...﴾ (الشورى: ١٣)، وهؤلاء هم أولو العزم المأخوذ عليهم الميثاق فى قوله تعالى: ﴿وَإذ أخذنَا...﴾ الأحزاب: ٤. (مجموع الفتاوى ج١ ص١٢ والنيسابورى (ج٢٦ ص٢١).

والحق أن العزم أن أريد به العزم فى أداء ما أمروا به، فكل من الرسل ذو عزم وهمة، وإن أريد به العزم فى تحمل المشاقّ فهم الخمسة؛ لأنهم ابتلوا بأشد الابتلاءات لأنهم كان فى دينهم النهى عن المنكر، ولم يكن النهى قبل نوح عليه السلام.

ولذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَوحَينَا إِلَيكَ كَمَا أَوحَينَا إِلى نُوحٍ والنبيّينَ مِن بَعدِهِ﴾ (النساء: ١٦٣)، ولم يذكر من قبله، ولم يكن فى زمن نوح عليه السلام أحد ينهى عن المنكر[١].

فلنعرف الدين أولا من كتاب الله حتى نعرف الإسلام، وقد بينا معانيه لغةً، وبينا أن كلها ترجع إلى القهر والقضاء والطاعة، والتدبير والسياسة، وكلها مربوطة متناسقة، كأنها معنى واحد وإن تعدّدت صورة.

فالمراد به دستور الحياة البشرية الشامل لكل جهاتها عقداً وعملا، وفرداً واجتماعًا، وحياةً وموتًا، وقوميًا ودوليًا، وداخليًا وخارجيًا، وسياسيًا وقضائيًا، واقتصاديًا وثقافيًا، إلى غير ذلك من الجهات، بالطاعة والانقياد لذلك الدستور يعز الإنسان فى الدنيا والآخرة -نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما طلبنا العزة بغيره أذلّنا الله-[٢].

وبهذا يكافئ فى الدنيا، ويجازى فى الآخرة، وبهذا يحاسب العبد، ويسأل عنه فى البرزخ: "ما دينك؟"[٣] وفى القيامة: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير (ج١ ص١١٩) والطبقات (ج١ ص٤٠).

(٢) يقول سيدنا عمر رضى الله عنه -لما قدم الشام-: يا أبا عبيدة أنتم كنتم أقل الناس، وأذلّ الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى. (المستدرك: كتاب معرفة الصحابة رضى الله عنهم ج٣ ص٨٢)

(٣) أخرجه أبو داود وغيره عن البراء بن عازب وجرير رضى الله عنهما فى باب المسألة فى القبر، فيقولان: ما دينك، فيقول: دينى الإسلام (ج٢ ص٣٠٦).

أين اكتسبه وفيما أنفقه، وما ذا عمل فيما علم»[١].

وبهذا البرنامج السماوى يسوس المسلم العالم كله ناطقه وصامته، ويدبر الأمور تدبيرًا كاملا، وبهذا يقهر أعداء الدين ويذلهم، قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (الكهف: ٨٧).

وبهذا الأساس يستعبد المسلم من لا ينقاد له مسلمًا أو مسالـمًا، وبهذا القانون يعبد الله عزّ وجلّ لا بغيره ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩).

(والدين يقع على العمل كما يقع على القول (المنهاج للنووى نقلا عن ابن بطال ج١ ص٥٤)، وكانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبىّ خلفه نبىّ، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون»[٢]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٤).

فرض العلماء ومكانتهم فى السياسة الشرعيّة:

ولما انقطعت النبوة على خاتم النبيّين ﷺ ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠) «أنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى»، وكان علماء الأمة الربانيون خلفاءه ﷺ، فيجب عليهم أن يسوسوا الناس بكتاب الله سبحانه وسنة رسوله، إذ «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

---

(١) أخرجه الترمذى فى أبواب صفة يوم القيامة: باب ما جاء فى شأن الحساب عن ابن مسعود رضى الله عنه، وقال: حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ إلا من حديث حسين بن قيس، وهو ضعيف فى الحديث، وفى الباب عن أبى بردة وأبى سعيد (ج٢ ص٣٩٢).

(٢) أخرجه البخارى (ج١ ص٤٩١) عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا فى كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بنى إسرائيل.

السياسة :

والسياسة القيام على الشىء بما يصلحه ، أى تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية[1] ، وهذا هو أساس الحكم والقضاء ﴿لتحكُم بَينَ الناس بِما أراكَ الله﴾ (النساء : ١٠٥) .

﴿ومَن لم يَحكُم بمَا أنزَلَ الله فأولائكَ هُم الكافِرُونَ﴾ (المائدة : ٤٤) .

﴿وقُل للّذِينَ أوتُوا الكتابَ والأمّيّينَ أأسلمتُم فإن أسلمُوا فقَد اهتَدوا وإن تَولّوا فَإنّما عَليكَ البَلاغ﴾ (آل عمران : ٢٠) .

فإذا نأتى القرآن الكريم ونستفتيه عن الدين أهو العبادات الرسمية فقط أم ومعها الحياة فى ظل القرآن فى جميع شعب الحياة؟ فسبحان الله ما أكمل كتابه لم يترك أمرًا أساسيًا إلا وقد بينه ﴿ونزّلنا عليكَ الكتابَ تِبيانًا لِكلّ شَىء﴾ (النحل : ٨٩) علمه من علمه وجهله من جهله «فإن لم تجد فى كتاب الله» أصرح دليل على ذلك .

القرآن والدين :

يفتينا القرآن العظيم ، ويجيبنا أبين جواب فى الآيات الآتية بأن الدين هو الحكم والدستور والقانون الإلهى التكوينى الذى خضع له كل شىء طوعًا وكرهًا ، والتشريعى الذى خضع له بعض الإنس والجنّ ، ولم يخضع له أكثرهم ١- ﴿ولقَد ذَرأنَا لجَهنّم كثِيرًا من الجنّ والإنس لهم قُلوب لا يفقهُون بها ولهم أعين لا يُبصِرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئكَ كالأنعام بل هُم أضلّ أولئكَ هُم الغافلُون﴾ (الأعراف : ١٧٩) .

٢- ﴿ألَم ترَ أن الله يَسجُد له مَن فِى السموَاتِ ومَن فى الأرض والشمس والقَمر والنجُوم والجبَال والشجَر والدوَاب وكَثير منَ الناس﴾ أى ينقاد لحكمه

(١) النهاية لابن الأثير ج٢ ص٤٢١ مادة (س، د) المعجم الوسيط مادة : س، د (ج١ ص٤٢٩) لسان العرب : ج٦ ص٤٢٩ .

تكوينًا، وكثير من الناس تشريعًا وتكوينًا، ﴿وكثير حق عليهم العذاب﴾ لعدم الانقياد لحكمه تشريعًا، وإن انقادوا له تكوينًا، ﴿ومَن يُهن الله فمَا لَه مِن مكرم﴾ (الحج: ١٨).

٣- ﴿أفغير دين الله يَبغُونَ وله أسلَمَ مَن فى السّموَاتِ والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يُرجعونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

نصوص كتاب اللّه عزّ وجلّ فى معنى الدين :

والدين كما ذكرت دستور للحياة البشرية فى جميع ظروفها، ويشمل العقائد والأعمال، وهاك النصوص فى الباب.

١- ﴿ولا يزالُون يُقاتلونكُم حتى يردُّوكُم عَن دينكُم إن استَطاعُوا ومَن يرتَدد منكُم عَن دينِه فيَمُت وهُوَ كَافِر فَأولئكَ حَبِطت أعمَالُهم فى الدنيَا والآخرَة وأولئكَ أصحَابُ النَّار هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧).

٢- ﴿إنّ الدينَ عِندَ الله الإسلامُ﴾ (آل عمران: ١٩).

٣- ﴿ولا تؤمِنُوا إلا لِمَن تَبعَ دينكُم﴾ (آل عمران: ٧٣).

٤- ﴿ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام دينًا فَلَن يُقبلَ مِنهُ وهُو فِى الآخرَةِ مِنَ الخاسرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٥- ﴿أفغير دِينِ الله يَبغُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

٦- ﴿ومَن أحسَنُ دينًا ممّن أسلمَ وجهَه لله وهُو مُحسِن﴾ (النساء: ١٢٥).

٧- ﴿اليوم يَئِسَ الّذينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلا تَخشَوهُم وَاخشَونِ اليَومَ أكملتُ لَكُم دينكُم وأتممتُ عَليكُم نِعمَتِي ورَضِيتُ لكُمُ الإسلامَ دينًا﴾ (المائدة: ٣).

٨- ﴿يَا أيّهَا الذينَ آمَنُوا مَن يَرتَدّ منكُم عَن دينِه فَسَوفَ يَأتِي اللهُ بقَوم يحبّهم ويُحبّونه أذلّة على المُؤمنينَ أعزة على الكافرينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبيل الله ولا يَخافُونَ لَومَةَ لائم ذلكَ فَضلُ الله يُؤتيه مَن يشاءُ والله واسعٌ عَليم﴾ (المائدة: ٥٤).

٩- ﴿ذلكَ الدينُ القيّم﴾ (التوبة : ٣٦) .

١٠- ﴿إن الحُكمُ إلا لله أمرَ أن لا تَعبُدُوا إلا إيّاهُ ذلكَ الدينُ القيّمُ ولكنّ أكثرَ الناس لا يَعلَمُونَ﴾ (يوسف : ٤٠) .

١١- ﴿كذلكَ كِدنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ ليأخُذ أخاهُ فى دين الملكِ إلا أن يشَاءَ الله نَرفَعُ درجَات من نشَاء وفَوقَ كلّ ذى عِلم عَليم﴾ (يوسف : ٧٦) .

١٢- ﴿ولَه مَا فِي السموَاتِ والأرض ولَهُ الدّين وَاصبًا أفغَير الله تتّقُون وما بِكُم من نعمَةٍ فمِن الله ثُم إذا مسّكُم الضُرّ فإلَيه تَجأرُونَ﴾ (النحل : ٥٢-٥٣) .

١٣- ﴿ولا تأخُذكُم بهمَا رَأفَةٌ فى دين الله إن كنتُم تؤمنون بِالله واليوم الآخر﴾ (النور : ٢) .

١٤- ﴿إنّى أخافُ أن يُبدّلَ دِينَكُم أو أن يُظهِرَ فى الأرض الفَسَادَ﴾ (الغافر : ٢٦) .

١٥- ﴿لَكُم دِيْنُكُم ولِىَ دِينِ﴾ (الكافرون : ٦) .

١٦- ﴿ورَأيْتَ النّاسَ يَدْخُلُوْنَ في دِيْنِ اللهِ أفْواجاً﴾ (النصر : ٢) .

أقوال أهل العلم فى معنى الدين :

﴿إنّ الدين﴾ المرضىّ ﴿عِند الله﴾ هو ﴿الإسلامُ﴾ أى الشرع المبعوث به الرسل المبنى بالتوحيد (جلالين ج١ ص٤٨) ﴿ومَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وهُو فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبّدة عليه (الجلالين ج١ ص٥٦) ﴿مَا كَانَ ليأخُذ أخاهُ فى دِينِ الملكِ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى فى شرعه أو عادته (كتاب التسهيل ج ٢ ص١٢٤)، ابن عيسى رحمه الله تعالى : عادته، مجاهد رحمه الله : فى حكمه (القرطبى ج٩ ص٢٣٨).

وأبو السعود رحمه الله تعالى : القول الأول والثالث (ج٦ ص٨٢) ﴿فِي دين

الملك﴾ فى حكم ملك مصر وقضاءه وطاعته (ابن جرير ج١٣ ص١٧) ﴿ولا تأخُذكُم بهمَا رأفَة فِي دين الله﴾ فى طاعته وإقامة حده (أبو السعود بهامش الكبير ج٧ ص ١٨٠) فى حكم الله (الخازن ج٥ ص٣٩)، كما فى قوله: ﴿ما كانَ لِيأخُذَ أخَاهُ فى دينِ المَلِكِ إلا أن يَشاء الله﴾ (فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص٥) ﴿فى دين الله﴾ هو طاعته وطاعة رسوله (محاسن التأويل ج١٢ ص١١٤) ﴿إنّ الدينَ عند الله الإسلام﴾ أى لا دين مرضيّا لله تعالى سوى الإسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة (البيضاوى ج١ ص٦٤ وأبو السعود بهامش الكبير ج٢ ص٢١٧).

﴿ما كان ليأخُذَ أخاه في دين المَلِكِ﴾ أى شرعه وقانونه أى ما صح له أن يأخذ أخاه فى قضاء الملك (محاسن التأويل ج٢ ص٢٥٩) فى حكم الملك وقضاءه (الخازن ج٣ ص ٢٤٧) أى فى حكمه قاله قتادة رحمه الله، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: فى سلطانه (معالم التنزيل ج٣ ص٢٤٧) ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك . . . أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ وهو الإيمان بما يجب تصديقه، والطاعة فى أحكام الله (البيضاوى ص٤٨٥).

هؤلاء أساطين العلم فسروا لفظة الدين بالحكم والقضاء والطاعة، وهذه المعانى كما ذكرت تعبيرات عن معنى واحد، (وكل إلى ذلك الجمال يشير)، لست أريد أنه لا يراد بها غير هذه المعانى، بل أريد أن تلك من معانيها، وقد تركت وهجرت حتى صار المعروف منكراً.

ملحوظة:

أهل الكتاب وكتمانهم العلم، وتشريعهم من عندهم:

أهل الكتاب فى عهد النبى ﷺ لم يكن عندهم دين سماوىّ بشهادة القرآن العظيم، اللهمّ إلا فى بعض عبادات رسمية ﴿قُلْ يا أهْلَ الكتاب لَسْتُم عَلَىٰ شيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ﴾ (المائدة: ٦٨)، ومع ذلك سموا ما

اخترعوه وأسّسوه من عند أنفسهم دينًا ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ (آل عمران : ٧٣) وصيتهم معروفة فى أهل دينهم وقضيتهم مع رسول الله ﷺ فى كتمانهم آية الرجم تحت اليد، وتشريعهم للزانى تحميم الوجه والتجبية والتذليل من عند أنفسهم أعدل شاهد على أنهم ما كانوا على دين سماوى[١].

أكلهم السحت :

سيما فى القوانين القضائية والمالية ﴿ذلِكَ بأنّهُم قَالُوا لَيسَ عَلَينَا فِي الأمّيِّنَ سَبِيل﴾ (آل عمران : ٧٥) أى لا حرج علينا فى أخذ أموال العرب بأىّ طريق كان[٢]، وكما فى القصاص والدية بين بنى قريظة وبنى النضير، وكلتا الفرقتين من أهل الكتاب[٣]، وغير ذلك من تشريعهم من عند أنفسهم، قال الله عزّ وجلّ:

(١) أخرج البخارى فى الحدود: باب الرجم بالبلاط عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ بيهودى ويهودية قد أحدثا جميعًا، فقال لهم: ما تجدون فى كتابكم؟ قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية، قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتى بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله رضى الله عنه: ارفع يدك، فإذا آية الرجم تحت يده، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: فرجما عند البلاط، فرأيت اليهودى أجنأ عليها (ج٢ ص١٠٠٧).

وفى رواية عنه عنده فى باب ما يجوز من التفسير للتوراة، وكتاب الله بالعربية، فإذا آية الرجم تلوح (ج٢ ص١١٢٥).

وعنه أيضًا عنده فى باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (ج٢ ص١٠١١)، وكذا عنده عنه فى باب قوله تعالى: ﴿يعرفُونَه كما يعرفُون أبناءَهُم﴾ (ج١ ص٥١٣) وفى "المسند" (ج٢ ص٦٦): وأخرجه مسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى باب حد الزانى (ج٢ ص٧٠)، ورواه أبو داود وابن ماجة والدارمى وغيرهم من أصحاب الحديث.

(٢) ابن جرير (ج٣ ص٢٢٦) ابن كثير (ج١ ص٣٧٤): استجازوا الذهاب بحقوقهم (غريب القرآن ص١٠٦-١٠٧) ليس للأمّيين حرمة كحرمة أهل ديننا (معانى القرآن ج١ ص٢٢٤، النيسابورى ج٣ ص٢٢٦).

(٣) عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير، قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة، أدى مائة وسق من التمر، فلما بعث النبى ﷺ، قتل رجل من النضير رجلا من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبى ﷺ، فنزلت ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٤٣) ومع ذلك كانوا يوصون سفهاءهم بذلك الدين، ويقولون: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران: ٧٣) ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ . (المائدة: ٤١).

فهؤلاء أسّسوا قوانين وسمّوها دينًا وانقاد لها جهالهم، فاتخذوهم أربابًا، وهم نصبوا أنفسهم منصب الرب، وكتبوا بذلك القوانين الوضعية كتابًا، وأدرجوه فى كتاب الله التوراة[1].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

قال الراغب رحمه الله: الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور فى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، والكتاب الثانى التوراة، والثالث لجنس كتب الله تعالى (الإتقان: فصل الإطناب ج ٢ ص٦٨، وفى المفردات ص٤٣٧).

بالقسط، والقسط النفس بالنفس ثم نزلت ﴿أفحكم الجاهلية﴾ وعنه عنده فى حديث أن قتلى النضير كان لهم شرف، يؤدون الدية كاملة وإن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدية. النسائى: باب قول الله جل جلاله: ﴿وإن حكمت﴾ إلخ (ج٢ ص٢٣٩) مسند أحمد ج١ ص٤٠٧-٤٠٨) ابن كثير (ج١ ص٢٠٩) ابن جرير (ج٦ ص١٥٧) القاسمى (ج ٣ صـ٥٨ وج٩٦ صـ٢١٧) ابن هشام (ج٢ ص٤٣) وغيرها من التفاسير.

(١) قال ابن جرير رحمه الله: فى تفسير قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ آية الأعراف ١٦٩، وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة، وهو الكتاب الذى كتبوه، فحكموا له بها فى المثناة بالرشوة، فهو فيها محق، وهو فى التوراة ظالم (ج٩ ص٧٣).

فرعون يسمى شرعه دينا ويوصى به ، فرعون يعلن بأن موسى عليه السلام مفسد -العياذ بالله- :

وهذا فرعون موسى عليه السلام يسمى ما أسّسه لحياة المصريّين سبطيهم وقبطيهم من القوانين دينًا، ولما علم أن موسى عليه السلام أتى بقانون غير ما أسّسه أعلن من غير أىّ ما حياء، كما قال سبحانه : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (الغافر : ٢٦).

أى أن يبدل برنامج حياتكم كليًا، ولا أرضى به و هو باغ على القانون العصرىّ والدولة ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ (طه : ٦٣) وإلا فأقل ما يكون أن يظهر فى أهل مصر الفساد إذ يتبعه بعض الناس، إذ لكل صارخ مجيب فيصير له حزب، فيظهر فى الدولة الفساد، وفى كلا الحالين هو يهتك الأمن العام، فهو باغ واجب القتل والحبس، وكذا من آمن معه ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف : ١٢٧).

تهديد فرعون من يخالف شرعه كما فى باكستان :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (الغافر : ٢٦).

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (الغافر : ٢٩).

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء : ٢٩).

أقول : الحال فى باكستان اليوم من القتل والاستحياء والحبس والتذليل وسلب الأموال بسبب كلمة عدل من أعضاء نهضة تنفيذ الشريعة السماوية، كما كانت فى مصر قبل آلاف سنة فى زمن موسى عليه السلام ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات : ٥٤).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ (الغافر : ٢٥)، وسيأتى التفصيل -إن شاء الله تعالى-.

اختلاف القراءة :

قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد رحمه الله فيما نقل عنهما ﴿ويذرك وإلٰهتكَ﴾ أى عبادتك، ويذرك وعبودتك[١]، ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أى يغيروا على الناس دينهم الذى كانوا عليه[٢]، ﴿فى الأرضْ﴾ أى فى أرض مملكتك بتغيير الناس عنك[٣].

وقال بعضهم: إن كلمة "الآلهة" لفظة اصطلاحية عند العبرانيين يراد بها القضاة والحكام الذين يقضون بأمر الله، وإنها لو حملتْ على هذا ههنا لم يبعد، ويكون المعنى: ويذرك وقضاتك وذوى أمرك، والأظهر ما قدمناه أولا، وهو قوله: وكان للمصريين آلهة كثيرة[٤].

التوفيق بين القراءتين :

أقول -وبالله التوفيق-: قراءة العامة بلفظة الجمع أيضًا راجعة إلى قراءة عبد الله رضى الله عنه ومجاهد رحمه الله "وإلٰهتكَ" لأن ترك آلهة فرعون هو ترك الإلهة إذ ألوهية فرعون لم تكن بمعنى أنه خالق أهل مصر ورازقهم، بل على معنى أنه هو الذى ينفذ حكمه مستقلا به دون غيره، وأنه هو الحاكم لهذا الشعب بشريعته وقانونه، وأنه بإرادته وأمره تمضى الشؤون، وتقضى الأمور، وبهذا كان يدعى الألوهية على الشعب المستذلّ؛ لأنهم كانوا فاسقين، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّهُم كانُوا قومًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤).

وأما قول فرعون لشعبه الذليل المستخفّ لفسقهم: ﴿ مَا عَلِمتُ لَكُم مِن إلٰه

---

(١) ابن كثير ج٢ ص٢٣٩، ابن جرير ج٩ ص١٧، وقال: القراءة التى لا نرى القراءة بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليها.

(٢) النيسابورى: ج٩ ص٢٧.

(٣) القاسمى: ج٧ ص٢٣٤.

(٤) القاسمى المرجع السابق.

غَيرى﴾ (القصص: ٣٨)، وقوله: ﴿لإن اتخَذتَ إلهًا غَيرى﴾ (الشعراء: ٢٩).

أصح طرق التفسير:

فأقول -مستعينًا بالله سبحانه-: أجمع أئمة التفسير أن أصح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالأحاديث الصحيحة القولية والفعلية ثم وثم[1]، فإنه مهما أجمل وأبهم أمرًا فى موضع فصله الله سبحانه وأوضحه فى موضع آخر، أو فى حديث ﴿ثم إنّ علينا بيانَه﴾ ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾، «إنى أوتيت القرآن ومثله»[2].

مطلب دعوى فرعون الألوهيّة والربيّة لنفسه:

وإذا رجعنا إلى القرآن العظيم علمنا معنى قول فرعون إذ يقول هو عن نفسه مفتخراً ومتكبّراً على موسى عليه السلام وقومه، كما أخبرنا الله عنه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف: ٥٣).

وظاهر من الآيات أن ما ذكر من الشواهد ليست شواهد الألوهية الحقيقية، بل إنما يوازن هو بينه وبين موسى عليه السلام، إذ هو الآتى بدستور من عند الله مضادّ لدستوره الذى يدعى به هو الإلهية لنفسه، والربوبية العليا، بأنه هو الحاكم والمدبّر والمختار فى ضرب المكوس والنوائب على الأرض، وا الخارج منها وعلى مياه الأنهار -قاتله الله ما أجرأه على نهر أجراه- وأنه لا رَادّ لحكمه، وأن قوله كأنه

---

(١) ابن كثير ج١ ص٣، الإتقان: النوع الثانى والسبعون (ج٢ ص١٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى لزوم السنة عن المقدام بن معديكرب رضى الله عن النبى ﷺ قال: «إنى أوتيت الكتاب ومثله معه» الحديث (ج٢ ص٢٨٤).

﴿كُن فَيَكُونُ﴾ سواء أمر بالقتل أو الاستحياء ﴿أنا أحيي وأميت﴾ قول الطاغية الأولى طاغية جد موسى عليه السلام، وبأن معه أعوانًا وخدمةً، وله صرح، وحصون وشرطة، وعساكر ليس لموسى عليه السلام شيء من ذلك ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ (الغافر: ٣٦) ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ (القصص: ٣٨) ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ (الفجر: ١٠)، فبهذا المعنى قال: كما قال الله عزّ وجلّ عنه: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ (القصص: ٣٨) ﴿قال أنا ربكم الأعلى﴾ (النازعات: ٢٤).

وإلا فهو بنفسه مربوب مقهور، يحدث فى الليل والنهار أربع مائة مرة، كما قال بعض أهل العلم، وبنفسه يعبد الأصنام والبقر، والجمانة التى علقها فى نحره مع أشياء أخر، فما معنى كونه إلهًا؟

قول بعض أهل العلم: "إن فرعون كان دهريًا":

وأما ما قاله بعض أهل العلم: إن فرعون كان دهريًا، فلعله ترقى إلى هذه العقيدة فى آخر أمره، إذ لم يفاجئه فى حياته أمر خلاف إرادته، وما مرض طول عمره، وما أحدث حتى فاجأه الداعى المحقّ موسى عليه السلام بأسلحته ﴿في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ (النمل: ١٢).

وكان امرأ من جند إبليس فارتقى   به الحال حتى صار إبليس من جنده

اللهم إلا أمورًا عديدة وقعت بضد إرادته: منها: نجاة موسى عليه السلام بعد ولادته وتربيته إياه ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٨).

ومنها: نجاته عليه السلام لما أقبل عليه ودعاه إلى رب العالمين أى إلى الانقياد إلى حاكمية رب العالمين مع أنه كان سفاكًا مقدامًا على سفك الدماء متهاونًا بها، ومنها قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، ولم يستطع ذلك كما قال بعض أهل العلم، فلعله توهم أن ما يكون فى هذا العالم

إنما يكون اتفاقًا نتيجة لتأثير الكواكب، ولا دخل فيه لأىّ مدبر (١)، وإلا فنعلم قطعًا أنّ عاقلا مّا لا ينحت حجرًا أو خشبًا بيده صورة، ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه وخالق الكلّ ولا يتخذ نفسه لنفسه، ولغيره إلهًا وربًا، وهو يعلم من نفسه فى كل آن التغيّر والانقلاب فى الإرادات والأحوال، "عرفت ربّى بفسخ العزائم" قول علىّ رضى الله عنه.

نكتة فى كلمة "الربّ":

ولهذا قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (النازعات: ٢٤) معناه أنا الحاكم الأعلى والسائس النهائى الدولى لا أحد فوقى يعقب أمرى، ومن تحتى أرباب متفرقون هم دونى أعقب أمرهم إن شئت، ولا رادّ لقضاءى، وبهذا المعنى يقول سيدنا يوسف جد موسى عليهما السلام -وهو فى مصر أيضًا-: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩-٤٠).

اختار الله عزّ وجلّ ليوسف الصديق عليه السلام فى برنامج دعوته فى مصر كلمات: الأرباب، والعبادة، والحكم، ثم العبادة ثانيًا، والدين القيّم، ثم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فتدبّر فيها.

الدين دينان: واحد للشيطان، وهى خمسة: اليهودية، والنصرانية، والصابئة، والمجوسية، والشرك، وواحد للرحمن ألا وهُو الإسلام.

فأديان الشيطان كلها أديان عند الناس ودساتير وضعية للحياة إلا أنها عند الله غير قيمة، وإنما الدين القيّم والدستور هو دين الله عزّ وجلّ الإسلام المبنىّ على التوحيد، توحيد الرب، وتوحيد الشارع، وتوحيد الإله، وتوحيد العبادة لله وحده فى جميع شعب الحياة دون الصلوات والصيامات والصدقات، والأذكار والحج

(١) هذا ولا يثلج به القلب، ولا تسكن إليه النفس، بل لا أعتقد أنه كان دهريًا، وكان أعقل أهل مصر سوى رجال كانوا أعقل منه، وكان أعلم أهل مصر بعلم النجوم.

وغيرها من العبادات فقط .

إذ سلطة التشريع إنما هو لله وحده ﴿ألا له الحكم﴾ .

﴿إن الحكم إلا لله﴾ ومن جعل له التشريع فقد جعل ربًا ومعبودًا ، فقال: ﴿لكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلمُونَ﴾ .

غاية علمهم أن العبادات إنما هى الأركان الأربعة لا غير ، وهى تحصل بصورها عندهم ، ولم يعرفوا حقائقها ، ولم يخطر ببالهم ضرورة فهم أرواحها ، ولذا ختم الآية بقوله : ﴿لكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون معنى الرب ، ولا معنى العبادة ، ولا معنى الحكم والحاكم ، ولا معنى الدين ، ولا معنى القيم ، فنعوا بالقشور ، وما اعتنوا باللبّ ﴿لكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعْلَمُونَ﴾ .

لعلّك فهمت ربط الكلمات بعضها ببعض ، وأهميتها فى مجال الدعوة .

والناس أكثرهم فأهل ظواهر ، تبدو لهم ليسوا بأهل معانِ
فهم القشور وبالقشور قوامهم والـلب حظ خلاصة الإنسان[1]
والله لـولا الله نـاصـر ديـنـه وكـتـابـه بـالحق والـبـرهـان
لـتـخـطـفـت أعداءه أرواحـنـا ولـقطعت منا عرى الإيمان[2]

ولذا اختار الله سبحانه لموسى عليه السلام برنامج دعوته وعنوان رسالته كلمة الرب كما اختار لجده يوسف عليه السلام ، فاستمع لما يلقى إليك ﴿وقَالَ مُوسى يَا فِرعَون إنّى رَسُول مِن رَبّ العَالَمِين . . . فأرسِلْ مَعِى بَنِى إسرائيل﴾ (الأعراف : ١٠٤-١٠٥) .

﴿فقُولا إنّا رَسُولا رَبّ العَالَمِينَ أن أرسِلْ مَعَنا بَنِى إسرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ١٦-١٧) .

﴿فَأتِيَاه فقُولا إنا رَسُولا ربّكَ فَأرسِلْ مَعَنَا بَنِى إسرَائِيلَ ولا تُعذّبهم قد

(١) النونية ص١٨ .

(٢) النونية ص٥٣ .

جئناكَ بآية من ربّكَ﴾ (طه : ٤٧) .

﴿قَال فَمَنْ ربّكمَا يا مُوسى قال ربّنَا الذى أعطى كل شَىء خلقه ثمّ هدى﴾ (طه : ٤٩-٥٠) .

﴿قَالُوا آمنّا بربّ العَالَمِين رب مُوسى وهَارُون﴾ (الأعراف ١٢١-١٢٢) .

﴿فألقى السحرة سجدًا وقالُوا آمنّا برب هَارون ومُوسى﴾ (طه : ٧٠) .

﴿قَال فِرعَون وما ربّ العالَمِينَ﴾ (الشعراء : ٢٣) .

﴿قال ربّ السموات والأرض وما بينَهُما إن كُنتُم موقنين﴾ (٢٤) .

﴿قال ربّكم ورب آبائكم الأوّلين﴾ (٢٦) .

﴿قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كُنتُم تعقِلُون﴾ (٢٧) .

﴿قَالُوا آمنّا برب العالَمينَ﴾ (٤٧) .

﴿رب موسى وهارون﴾ (٤٨) .

﴿قالوا وهم فيها يَختصِمُون﴾ (٩٦) .

﴿تالله إنّا كنّا لفِي ضلال مبِين﴾ (٩٧) .

﴿إذ نسوّيكم برب العالَمِينَ﴾ (الشعراء : ٩٨) . وكذا اختار الله عزّ وجلّ كلمة الرب عنوان الدعوة لجده إبراهيم عليه السلام أيضًا ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ألَم ترَ إلى الذِى حَاجّ إبرَاهيمَ فِى ربّ أن آتاهُ الله المُلكَ إذ قالَ إبرَاهيمُ ربّى الذى يُحيِى ويُميتُ﴾ (البقرة : ٢٥٨) ، وقال إبراهيم عليه السلام فى دعوته لقومه : ﴿هذَا ربّى﴾ (٧٦) .

﴿هذا ربّى﴾ (٧٧) .

﴿لئِن لم يَهدِنِى ربّى (٧٧) .

﴿هذا ربّى﴾ (٧٨) .

﴿إلا أن يشاء ربّى﴾ (٨٠).

﴿وَسِعَ ربى كلَّ شَىءٍ علمًا﴾ (الأنعام: ٨٠ وغيرها).

فعلينا أن نعلم معنى الرب لنعلم اختصاصها بأهم المواقع والموارد.

معنى الرب:

الربّ: يطلق على المالك، والسيد، والمدبر، والمربى، والقيّم، والمنعم، وفى حديث ابن عباس مع ابن الزبير رضى الله عنهم: "لأن يُرَبّنى بنو عمى أحب إلىّ من أن يُرَبّنى غيرهم" وفى رواية: "إن ربّونى ربنى أكفاء كرام -أى يكونون على أمراء وسادة متقدمين يعنى بنى أمية- فإنهم فى النسب أقرب إلى ابن عباس رضى الله عنهما من ابن الزبير رضى الله عنهما.

يقال: ربه يربّه أى كان له ربًّا، ومنه حديث صفوان بن أمية، قال أبو سفيان بن حرب يوم حنين، لما وقع ما وقع، وضاقت على المؤمنين الأرض بما رحبت وولوا مدبرين: "غلبت والله هوازن، فأجابه: بفيك الكثكث، لأن يربنى رجل من قريش أحب إلىّ من أن يربنى رجل من هوازن"[1]، لرب قريش ابن أمية بعضهم لبعض "[2]. يقول فيها أبو سفيان وحكيم بن حزام وصفوان

ابن الأنبارى رحمه الله تعالى: الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: يكون الرب "المالك"، ويكون الرب "السيد" المطاع، قال الله سبحانه: ﴿أمّا أحدُكُما فيَسقى ربه خَمرًا﴾ أى سيده، ويكون الرب المصلح، ولا يطلق بلا إضافة إلا

---

(١) النهاية ج٢ ص١٨٠ واللفظ له، لسان العرب ج٥ ص٩٥-٩٦، المعجم الوسيط ج١ ص٣٢١.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (ج٨ ص٥٥٢) فى المغازى: غزوة حنين عن عبد الله بن عبيدة.

ف: فى ابن أبى شيبة: كتاب المغازى ما ذكر من كتب النبى ﷺ أنه لما رأى رسولى الباذام إليه حالقى
لحاهما مرسلى شواربهما، فقال لهما: ما يحملكما على هذا؟ قالا: يأمرنا بها الذى يزعمون أنه
ربهم. (ج٨ ص٤٦٠).

على الله، وفى الشعر قليل[1].

المعانى كلّها مُتقاربة :

والمعانى كلها متقاربة، وأصلها التدبير، والرب: المدبر، القيّم، كما فى الروايتين عند ابن الأثير رحمه الله، ولما ادّعى فرعون بقوله: ﴿أنا ربّكُم الأعلى﴾ أى مدبركم والقيّم لكم، وبهذا المعنى قال: "ما علمت لكم من إله غيرى".

واجهه موسى عليه السلام بقوله الموضوع لدعوته من الله سبحانه: ﴿إنى رَسُولٌ من ربّ العالَمِينَ﴾، إنى رسول مدبر العالم ومصلحه وقيّمه، إذ الإصلاح إنما هو بدعوة الأنبياء عليهم السلام والتصبّغ بصبغة الله عزّ وجلّ، والتمسّك بدينه ودستوره، وأما بغيره فلا، ﴿وَلا تُفسِدُوا فِي الأرض﴾ بمخالفة الدعوة ﴿بَعدَ إصلاحِها﴾ بدعوة الرسل (الأعراف: ٥٦و٨٥).

﴿وكَانَ فِي المَدِينَة تِسعَةُ رَهطٍ يُفسِدُونَ فِي الأرض ولا يُصلِحُون﴾ (النمل: ٤٨) يفسدون فى الأرض بمخالفة دعوة صالح عليه السلام، ولا يصلحون بالدعوة إليها ﴿وإذَا قيلَ لَهُم لا تُفسِدُوا فِي الأرض قَالُوا إنّما نَحنُ مُصلحُون. ألا إنّهُم هُمُ المُفسِدُونَ ولكِن لا يَشعُرُون﴾ (البقرة: ١١-١٢).

﴿وَالّذِينَ يَصِلُون ما أمرَالله به أن يُوصلَ﴾ (الرعد: ٢١).

﴿ويَقطَعُون ما أمرَالله به أن يُوصلَ وَيُفسِدُونَ فِي الأرض﴾ (البقرة: ٢٧ والرعد: ٢٥)، فقطع ما أمر الله به عزّ وجلّ أن يوصل فساد، ووصل ما أمر الله به أن يوصل إصلاح ليست بينهما واسطة ﴿فَما ذَا بعدَ الحقّ إلا الضلال﴾ (يونس: ٣٢).

وفرعون كان أعلم بمعنى الرب، وبما يريد به موسى عليه السلام علم أن

---

(١) لسان العرب ج٥ ص٩٥).

ذلك منه نداء عليه بأن المدبر والقيّم لأهل مصر، لا بل للعالم كله، علويه جويه، وسفليه ونوريه، ترابيه وناريه، إنما هو الله عزّ وجلّ، وإنما هو الذى يضع لهم الدستور التشريعى كما سخرهم فى الدستور التكوينى ﴿لَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٢ والفاطر: ٤٣ والفتح: ٢٣.

﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحوِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٧).

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحوِيلاً﴾ (الفاطر: ٤٣)، لا فرعون ولا أحد من الخلق غيره.

(وبمجرد أن قال له داعى الحق موسى عليه السلام: ﴿إنّى رَسُولُ اللهِ مِن رَبِّ العَالَمِينَ فأرسِل مَعِي بَنِى إسرَائِيلَ﴾ تبين مدلول هذه الدعوة إلى رب العالمين، أنه ردّ السلطان كله إلى الله بردّ عبودية العالمين كلها إلى رب العالمين، وبناء على هذا المدلول طلب موسى عليه السلام إرسال بنى إسرائيل معه، فإنه إذا كان الله رب العالمين، فلا يكون لعبد من عباده، وهو فرعون المتجبّر الطاغى أن يعبّدهم لنفسه، فهم ليسوا عبيداً إلا لرب العالمين، إذ رد الربوبية كلها إلى الله جلّ جلاله معناه رد الحاكمية كلها له)[1]، إذ لا إله ولا رب إلا الله سبحانه.

إنّ اللّه ابتعثنا :

يقول ربعى بن عامر الصحابى رضى الله عنه -فى جواره طاغوتاً من الطواغيت-: إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ونخرجهم من ذلّ الدنيا إلى عزّ الدنيا والآخرة، ونخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة[2].

---

(١) ما بين القوسين من "ظلال القرآن" (ج٣ ص٥٧٤).

(٢) قاله لرستم قائد عساكر فارس لما سأله ما جاء بكم؟ فأجاب بقوله: "إن الله، وقريب منه قول الزهرة رحمه الله تعالى: أحد قواد المسلمين فى قادسية، قول الربعى عند الطبرى فى التاريخ فى

وكما ذكرت أن الإصلاح إنما هو بالخضوع والتسليم لدعوة الرسل عليهم السلام، وهى إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإلا فهو فساد كبير عريض فى العلم والعمل من كل الوجوه والشؤون إذ الفساد يصيب تصورات الناس ومعتقداتهم، كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكون هناك أرباب متفرقون «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»[1]، ﴿أَمَرَ أن لا تعبُدُوا إلا إيَّاهُ ذلكَ الدينُ القيِّمُ ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يَعلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٥).

(وإعلان ربوبية الله للعالمين لا يجتمع مع خضوع أحد من العالمين لغير الله، ولا يجتمع مع حاكمية أحد بشريعة من عنده للناس، والذين يظنّون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر أى لربوبية غير ربوبية الله، واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون، إنهم لا يكونون فى دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله، وقانونهم غير شريعة الله إنما هم فى دين حاكمهم ذاك، فى دين الملك لا فى دين الله)[2]، وهكذا أدرك فرعون وملأه خطورة هذه الدعوة، وكذلك يدرك الطواغيت فى كل العصر.

•

هذا أمر تكرهه الملوك، إذاً تحاربك العرب والعجم:

(لقد قال الرجل العربى بفطرته وسليقته حين سمع رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: "هذا أمر تكرهه

حوادث سنة ١٤ (ج٣ ص٣٢ والكامل ج ٢ ص١٠٦)، وقول زهرة فى الطبرى ج٣ ص٣٢ والكامل ج٢ ص١٠٥، وذكر ابن كثير مثله فى الجواب عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عند رستم (البداية (ج٧ ص٣٩)، وذكر قول ربعى أيضاً (ج٧ ص٤٠).

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه (فى حديث: ج١ ص١٣)، وأخرجه مسلم عنه فى المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال، وترك الشبهات (ج٢ ص٢٨)، وأخرجه الإمام أحمد عنه بألفاظ متقاربة ج٥ ص٢٣٦ و٢٤٣.

(٢) ما بين القوسين من "ظلال القرآن" (ج٣ ص٥٩٩).

الملوك"، وقال له رجل آخر من العرب بفطرته وسليقته: "إذا تحاربك العرب والعجم".

لقد كان هذا العربي، وذاك يفهم مدلولات لغته، كان يفهم أن شهادة أن لا إله إلا الله ثورة على الحاكمين بغير شرع الله، عربًا كانوا أم عجمًا، كانت لشهادة أن أن لا إله إلا الله جديتها في حس هؤلاء العرب؛ لأنهم يفهمون مدلولات لغتهم جيدًا، فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن تجتمع في قلب واحد، ولا في أرض واحدة شهادة أن لا إله إلا الله مع الحكم بغير شرع الله، فيكون هناك آلهة مع الله، ما كان أحد منهم يفهم شهادة أن لا إله إلا الله، كما يفهمها اليوم من يدعون أنهم مسلمون، ذلك الفهم التافه الهزيل)[1].

إن الدعوة إلى كلمة "لا إله إلا الله" لا تعنى مجرد الذكر، باللسان، ولو كان كذلك لما امتنعت قريش من قبولها، وإنما يعنى العمل بمقتضاها، والعمل يستلزم تغيير الحكم السابق بكماله، وإبطال الأنظمة التى عاشت عليها الدولة منذ أمد بعيد، إذا الدعوة إلى هذه الكلمة دعوة إلى الحكم بما أنزل الله، وهذا عين ما فهمت قريش من دعوة رسول الله ﷺ إلى هذه الكلمة حينما أرادت أن تثبته، أو تقتله، أو تخرجه من بلده

كل من دان بدين فله حكم أهل ذلك الدين :

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى : إن كل من دان بدين فله حكم أهل ذلك الدين، كانت دينونته به قبل مجيء الإسلام أو بعده[2] ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب : ٤)، فيكون أحدهما لله تعالى، والآخر لغيره، «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا

(١) ما بين القوسين من "ظلال القرآن" (ج٣ ص١٦٠١).

(٢) تفسير ابن جرير ج٦ ص١٧٩.

فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب».

عداء الفراعنة على من يقول : لا رب إلا الله :

ولهذا هدد فرعون موسى عليه السلام بالقتل ﴿ذَرُونى أقتُل موسى وليَدعُ ربّه﴾ (الغافر : ٢٦)، وبقتل ذرية من آمن به ﴿قالَ سنُقتّل أبناءَهم ونَستَحيِى نِسَاءَهُم وإنا فَوقَهُم قَاهِرُون﴾ (الأعراف : ١٢٧).

﴿ولـمّا جاءَهُـم بالحقّ مِن عِندنا قَالُوا اقتُلوا أبناء الذينَ آمنُوا معَه وَاستحيُوا نِسَاءَهُم﴾ (الغافر : ٢٥).

وهدده بالحبس والتذليل ﴿قَالُوا أرجِه وأخَاهُ وابعَث فى الْمَدائِنِ حَاشِرينَ﴾ (الشعراء : ٣٦)، وبالجدل والمناظرة بواسطة علماء الدولة الطاغوتية علماء السوء الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، لصوص الدين وقطاع الطريق الصادين عن دين الله عزّ وجلّ «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار».

﴿وابعَث فى المدائِنِ حاشِرِينَ . يأتُوكَ بكلّ سحّار عليم . فجُمعَ السحرَةَ لميقَاتِ يِوم معلُوم﴾ (الشعراء : ٣٦ و٣٧ و٣٨) فاجتمعت السحرة علماء الدولة المحترفين لها، والأجراء النصحاء للدستور الطاغوتى فخذلهم الله سبحانه، وباستحياء النساء للخدمة والمهنة كما تلوت عليك الآيات البينات من كتاب الله عزّ وجلّ.

ولكن موسى عليه السلام إنما قام للدعوة بإقامة الله إياه لها وباصطفاءه، واصطناعه لها، وهو عليه السلام إنما كان يفعل ما يفعل عن ثلج القلب، وحرارة الإيمان، «وكذلك الإيمان إذا دخل بشاشة القلب»، فلم يتأثر بكل ذلك أىّ تأثر ﴿وقَد مكرُوا مكرَهم وعندَ الله مكرُهم وإن كانَ مكرُهُم لتَزُولَ منهُ الجِبَال﴾ (إبراهيم : ٤٦).

دعاة الحق جبال لا تزعزعهم الرياح النكدات ، بل كان عليه السلام
يوصي ويثبت من كان يؤمن به ، وهم يشكون إليه ما ابتلوا به من القبط ﴿إنّ
فِرعَونَ عَلا فِي الأرضِ وَجَعلَ أهلَهَا شِيَعًا يستَضعِفُ طائِفَةَ منهُم يُذبّح أبناءَهُم
ويَستَحيِي نِساءَهُم إنّه كَانَ مِنَ المفسِدِينَ﴾ (القصص : ٤) .

يشكونهم إليه ﴿أوذِينَا من قَبلِ أن تَأتِينَا ومن بَعدِ ما جِئتَنَا﴾
(الأعراف : ١٢٩) فلقّنهم وثبتهم ﴿وقَالَ موسى لِقَومِه استَعِينُوا بِالله
واصبِرُوا﴾ (الأعراف : ١٢٨) لأن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ، مع
كل ترح فرح ﴿إنّ معَ العُسرِ يُسراً . إنّ مَعَ العُسرِ يُسراً﴾ (الانشراح : ٥-
٦) . ﴿أم حَسِبتُم أن تَدخُلوا الجنّةَ ولمّا يأتِكُم مَثَلُ الذِينَ من قَبلِكُم مسّتهُمُ
البَأسَاءُ والضرّاءُ وزلزلوا حتى يقولَ الرسُولُ والذينَ آمنُوا معَه متى نصر الله ألا
إنّ نصرَ الله قَرِيب﴾ (البقرة : ٢١٤) ، وسلاهم ووعدهم النصر بقوله : ﴿إنّ
الأرضَ لله يُورِثُها من يشاءُ من عبادِهِ والعاقبةُ للمتّقِينَ﴾ (الأعراف : ١٢٨) ،
وبقوله : ﴿عَسَى رَبكُم أن يهلكَ عدوّكم ويستخلفكُم في الأرض فيَنظر كيفَ
تعمَلُون﴾ (الأعراف : ١٢٩) .

أتحكمون بدستور الكفر وبقوانين تضعونها من عند أنفسكم ، أو بدستور
الله عزّ وجلّ كما فعل قواددولة باكستان ، تحررت الدولة من الفرنج باسم
الإسلام بتضحيات النفوس والأموال والبلاد بما لا تعدّ ولا تحصى ، ثم
أصبحوا يحكمون بقوانينهم الكفرية إلى يومنا هذا ، وقد تكاملت لها من وقت
التحرير إلى الآن تسع وأربعون سنة ، بل أصبحوا يغيرون أحكام الدين
الإلهي ، ويحرفونها لتوافق القوانين العصرية الكفرية ، كما فعلت اليهود بعد
التحرير ﴿ولَقَد صَدّقَ علَيهِم إبليسُ ظَنّه فاتّبعُوه إلا فريقًا مِن المؤمنِينَ . ومَا كَانَ
له علَيهِم من سُلطانٍ إلا لنَعلمَ مَن يُؤمِن بالآخرةِ ممن هُو منها في شكٍّ ورَبكَ
عَلى كلِّ شَيءٍ حَفيظ﴾ (السبأ : ٢٠-٢١) .

﴿لتركبُنّ طَبقًا عَن طَبقٍ﴾ (الانشقاق : ١٩) :

«لتتبعنّ سُنَن من قبلكُم» "ما أشبه الليلة البارحة"، «أنتم أشبه الناس ببنى إسرائيل» تشبّهوا بالفرس فولوا امرأة، «ولن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة»، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نتيجة البحث :

فهذا هو معنى الرب، ولذا خاصم الأمم الأنبياء عليهم السلام، فإنهم كانوا يحاولون قلب نظام الحكم الطاغوتى الدولى كما حاول إبراهيم وموسى عليهما السلام، أو القومى الآبائى كما كان فى أعصار غيرهما من الأنبياء عليهم السلام، أو كليهما كما كان حاوله خاتم الرسل عليه السلام، سواء كان فى العقائد أو الأعمال الاجتماعية أو الانفرادية الشخصية، ولم تكن دعوتهم إلى عبادات معدودة رسمية فقط، بحيث يراد منها صورها فقط دون أرواحها وحقائقها، كلا والله.

ولو كانت دعوتهم هى هذه فقط لم يختلف عليهم أحد ﴿بل قَالُوا إنّا وجَدنَا آباءنَا عَلى أمة وإنّا عَلى آثارهم مهتَدُون﴾ (الزخرف: ٢٢-٢٣).

﴿وإذَا قيلَ لهم اتّبعُوا مَا أنزل الله قَالُوا بَل نتّبعُ ما ألفَينَا عَليه آباءَنا﴾ (البقرة: ١٧٠).

يقول أبو طالب الرئيس القومى لقريش:

لولا الملامة أو حذار مسبة　　　لوجدتنى سمحًا بذاك مبينًا

ويقول عند موته: اخترت النار على العار على ملة عبد المطلب.

كلمة "الربّ" فى كلام الرب عزّ وجلّ :

١- ولنفتش كلمة الرب فى القرآن العظيم، وأهميتها فى مواردها ﴿قَالَ فمَن ربكُمَا يَا مُوسى. قَال ربنَا الذِى أعطى كُلّ شَىء خَلقه ثُم هَدى﴾

(طه: ٤٩-٥٠).

٢- ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢)، وقد تلوت عليك آيات من قبل فتذكر.

٣- ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ (الفاتحة: ١).

٤- ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٧١).

٥- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

٦- ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

٧- ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦١ و٦٧ والشعراء: ١٦).

٨- ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الشعراء: ١٢١-١٢٢)

٩- ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧ والسجدة: ٢).

١٠- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (الرعد: ١٦).

١١- ﴿مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

١٢- ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الكهف: ١٤).

١٣- ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥).

١٤- ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّتِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٦).

١٥- ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩، ١٤٥-١٢٧، و١٦٤، ١٨٠).

١٦- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٨٧).

١٧- ﴿إنّى ظلمتُ نفسِي وأسلمتُ مع سُليمانَ لله ربّ العالَمِين﴾ (النمل: ٤٤).

١٨- ﴿إنّما أمرتُ أن أعبُدَ ربّ هذه البَلدَة التِي حرّمَها وله كلّ شَىء﴾ (النمل: ٩١).

١٩- ﴿فَما ظَنّكُم بربّ العالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٨٧).

٢٠- ﴿اللهَ ربّكُم وربّ آباءكم الأوّلين﴾ (الصافّات: ١٢٦).

٢١- ﴿يَا مُوسى إنى أنا اللهُ ربّ العالَمِينَ﴾ (القصص: ٨٧).

٢٢- ﴿وقضى بَيْنَهُم بالحَقّ وقَيلَ الحمدُ لله ربْ العالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

٢٣- ﴿وأمرتُ أن أسلم لربّ العالَمِينَ﴾ (الغافر: ٦٦).

٢٤- ﴿وتَجعَلُونَ لَه أندَاداً ذلكَ ربّ العالَمِينَ﴾ (فصّلت: ٩).

٢٥- ﴿ولَقَد أرسَلنَا مُوسى بآياتِنَا إلى فِرعَونَ وملأه فقَالَ إنّى رَسُول ربّ العالَمِين﴾ (الزخرف: ٤٦).

٢٦- ﴿فللّه الحمدُ رب السّموات ورب الأرض ربّ العالَمِين﴾ (الجاثية: ٣٦).

٢٧- ﴿تنزيل من ربّ العالَمِين العالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٨٠ والحاقّة: ٤٣).

٢٨- ﴿قال ربّ السجن أحبّ إلىّ مما يدعونَنى إلَيه﴾ (يوسف: ٣٣).

٢٩- ﴿وإذ قالَ إبراهِيمُ ربّ اجعَلْ هذَا البلدَ آمنًا﴾ (إبراهيم: ٣٥).

٣٠- ﴿ربّ إنّهنّ أضلَلنَ كثيراً من الناس فمن تَبِعَنى فَإنه منى﴾ (إبراهيم: ٣٦).

٣١- ﴿وقُل ربّ أدخِلنِى مُدخَل صِدق وأخرجنى مُخرج صِدق﴾ (الإسراء: ٨٠).

٣٢- ﴿وقالَ الرسُول يا ربّ إن قومى اتّخذُوا هذا القرآنَ مهجُوراً﴾

(الفرقان: ٣٠).

٣٣- ﴿فَلا وربّكَ لا يُؤمنونَ حتّى يُحكّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أنفُسِهِم حَرَجًا ممّا قَضَيت ويُسلّمُوا تَسليمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٣٤- ﴿فَاذهَب أنتَ وربّكَ فقَاتِلا إنّا ههنَا قاعِدُون﴾ (المائدة: ٢٤).

٣٥- ﴿ولَيَزيدنّ كَثيراً منهُم ما أنزِلَ إلَيكَ من ربّكَ طُغيَانًا وكُفرًا﴾ (المائدة: ٦٤ و٦٨).

٣٦- ﴿يا أيهَا الرسُولُ بلّغ ما أنزلَ إليكَ من ربّكَ﴾ (المائدة: ٦٧).

٣٧- ﴿وتَمّت كلمةُ ربّك صِدقًا وعَدلا﴾ (الأنعام: ١١٥).

٣٨- ﴿قَالُوا يا مُوسى ادعُ لَنَا ربّك بما عهِدَ عِندَك﴾ (الأعراف: ١٣٤).

٣٩- ﴿وتَمّت كَلمةُ ربّك صِدقًا وعَدلا لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾ (الأنعام: ١١٥).

٤٠- ﴿وإذَا أخذَ ربّكَ من بنى آدمَ من ظُهُورهِم ذريّتهم وأشهدَهُم عِلى أنفسِهِم ألستُ بربكُم قالوا بلى﴾ (الأعراف: ١٧٢).

٤١- ﴿كمَا أخرجَكَ ربّكَ من بَيتِك بالحقّ﴾ (الأنفال: ٥).

٤٢- ﴿واعبُد ربّكَ حتى يأتِيَكَ اليَقينُ﴾ (الحجر: ٩٩).

٤٣- ﴿يا أيّها النّاس اعبُدُوا ربكُم﴾ (البقرة: ٢١) وغيرها من الآيات.

الحاصل من الآيات:

ففى كل من هذه الآيات ذكرت كلمة "الرب" فى معرض ذكر تدبير العالم كله، وأنه مربوط بنظام وثيق صليب لا يغير ولا يبدل إمّا تشريعى، وإما تكوينيّ، وكلاهما مربوطان متلازمان متشابكان منسوجان، أحدهما بالآخر لا غنى لأحدهما عن الآخر، إما لهما وإما لواحد كسدى الثوب ولحمته،

وهذا فى حق المكلفين، والتدبير التشريعى هو القانون الأساسى للحياة عقيدةً وعملاً فى جميع أنحاء الحياة البشرية، لا العبادات فى متعارف الناس فقط، إذ الحياة فى ظلال هداية الشريعة كلها عبادة، حتى الحرف والصناعة، وحتى التخلى والنوم وغيرها من الأمور الطبعية.

وإلا فيكون خلق العالم عبثاً وسدًى ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون: ١١٥).

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦) بأن لا يؤمر ولا ينهى[1] ﴿قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ (الفرقان: ٧٧).

الملك والنبوة توأمان:

ولذا يقال: الملك والنبوة توأمان[2]، المعنى أن ما أتى به الأنبياء عليهم السلام من معارف النبوة، إنما تظهر وتشاع إذا ارتبطت بنظام دولىّ، حاكم،

---

(١) الرسالة للإمام الشافعى رحمه الله ص ٢٥.

(٢) النبوة والملك توأمان، هو من كلام العامة لا أصل له (كشف الخفاء ج ٢ ص ٤٢١) أى لا أصل له من المرفوع باللفظ، ولكنه حقيقة واقعية لا بد للناس من وازع، إنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن، وعن تميم الدارى عن عمر رضى الله عنهما -فى كلام له- إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بالطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان خيرة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له، ولقومه ((الدارمى) قرة العينين (ص ٩٠).
عمر رضى الله عنه. والله ما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن قال: لا يصلح الناس إلا أمير بر أو فاجر (هب) كنز العمال الإمارة ج ٥ ص ٧٤٦)، وعن على رضى الله عنه نحوه (كنز العمال ج ٥ ص ٧٧٩).
وعن قعقاع بن عمرو: ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويأخذ للمظلوم ويستقيم به شمل الناس (البداية ج ٧ ص ٢٤٧) أبو قلابة عن أبى مسلم الخولانى فى كلامه قال: ومثل الإمام والناس كمثل الفسطاط لا يستقل إلا بعمود، ولا يقوم العمود إلا بالطناب أو أوتاد فلما نزع وتد الأوتاد العمود وهنًا ولا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس، أخرجه عبد الرزاق فى "المصنف" باب الإمام راع. (ج ١١ ص ٣٢٧)

وازع، يأخذ بأيدى الظلمة الفسقة وأعداء الدين فى داخل الدولة وخارجها على ما عرف فى الشرع، ويأخذ من القوى والظالم حق الضعيف والمظلوم فى كل شؤون الحياة ﴿الذينَ إن مكنّاهُم فى الأرض أقامُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ وأمرُوا بالمعرُوفِ ونَهَوا عن المنكَر ولله عَاقِبةُ الأمُور﴾ (الحج: ٤١).

"أمروا بالمعروف": أمروا بإقامة الدين المرضىّ عند الله فى جميع شعب الحياة.

"ونهوا عن المنكر": وأنكر المنكر وأعظمه مخالفة الدستور الإلهى إلى غيره من الدساتير الوضعية طوعًا فى عبادة كانت المخالفة، أو فى غيرها من الظروف؛ لأن المخالفة هذه كفر وشرك ﴿إنّ الله لا يَغفِرُ أن يشرك به﴾.

﴿إنه من يشرك بالله فقَد حرّمَ الله علَيه الجنّةَ ومأواهُ النار ومَا للظالمِينَ من أنصَار﴾.

﴿إن الشركَ لظُلم عَظيم﴾.

﴿هو الذى أرسل رسوله بالهُدى ودين الحقّ ليُظهره على الدين كله﴾.

وإظهاره على الدين كله لا يكون إلا بدولة إسلامية حاكمة ببرنامج الرسل المنزّل من عند الله عزّ وجلّ وإلاّ بجهاد يحسم مادة الظلم فى العالم كله.

أعداء الدين كلهم يجتهدون أن يأتوا على الإسلام فى دستور حياة المسلمين فى كل العالم لا يمنعونهم من الصلاة والصيام والزكاة والحج والدعوة إليها، وغيرها من العبادات الرسمية عند المسلمين عامّةً، حتى فى أمريكا وبرطانية وإيطالية وألمان وأفرنسيا والصين، وحتى فى الشرق والغرب؛ ولذا قال رسول الله ﷺ المبعوث بالجهاد وبالسيف والحصاد: «ذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله» وقال: «أفضل الأعمال إيمان بالله وجهاد فى سبيله».

أعداء الدّين إنما يجتهدون

فى إفناء الدستور الشرعى دون العبادات المعروفة :

أعداء الدين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (التوبة : ٣٢ والصف :٨) ، وسأعود إلى البحث عن الجهاد -إن شاء الله تعالى- .

إن رسول الله ﷺ سئل : "أىّ العمل أفضل؟ فقال : الإيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ما ذا؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ما ذا؟ قال : حج مبرور"[١] .

حذيفة بن اليمان رضىَ الله عنه : قلت : "يا رسول الله! أيكون بعد هذا الخير شرٌ كما كان قبله ، قال : نعم ، قلت : فما العصمة يا رسول الله ، قال : السيف"[٢] .

ابن عمر رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا يشرك به شىء وجعل رزقى تحت ظلّ رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : «إن الله جعل رزق هذه الأمة فى سنابك خيلها وأزجّة رماحها ما لم يزرعوا فإذا زرعوا صاروا من الناس»[٤] .

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان : باب من قال : إن الإيمان هو العمل عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج١ ص٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى "المصنف" باب لزوم الجماعة (ج١١ ص٣٤١)، وأخرجه عنه ابن أبى شيبة فى الفتن من كره الخروج فى الفتنة وتعوذ منها (ج٨ ص٥٩١) ونحوه عنه فى "المسند" ج٩ ص٥٥٨-٥٥٩ ، وأخرجه عنه أبو داود فى الفتن والملاحم (ج٢ ص٢٣١).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى "المصنف" كتاب الجهاد . باب ما ذكر فى فضل الجهاد (ج٤ ص٥٧٥)، وأخرجه موقوفًا على طاوس (ج٤ ص٥٨١) ونحوه فى "مبسوط السرخسى" كتاب الجهاد (ج١٠ ص٣).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة مرسلا عن مكحول (ج٤ ص٥٨٩).

وعن ابن أبى أوفى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[١].

وعن أبى بكر رضى الله عنه فى حديث: «ما ترك قوم الجهاد إلا عمّهم الله بالعذاب»[٢]، وسيأتى باقى الكلام -إن شاء الله-.

يقول سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فى خطبة خلافته الأولى: "الضعيف فيكم قوىّ عندى حتى آخذ له حقّه، والقوىّ ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق إن شاء الله"[٣].

التفصيل فى الاستدلال بالآيات:

وأنت ترى أن فرعون لا يسأل عن موسى عليه السلام عن الله عزّ وجلّ، وإنما يقول له: ﴿فَمَن ربكُما يَا مُوسى﴾ (طه: ٤٩).

﴿قَالَ فِرعَونُ وَما ربّ العَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣) وموسى عليه السلام يقول له: ﴿إنى رَسُولٌ من ربّ العَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٤).

﴿إنّا رَسولُ ربّ العالمين﴾ (الشعراء: ١٦).

﴿فَأتِيَاه فقُولا إنّا رسُولا ربّكَ﴾ (طه: ٤٧).

ويجيب موسى عليه السلام فرعون عن سؤاله ﴿قَالَ ربّ السّموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا إذ كُنتُم موقنِينَ﴾ (الشعراء: ٢٤)، ويقول: ﴿ربكم وربّ آباءكُم الأولِينَ﴾ (الشعراء: ٢٦)، ويقول: ﴿ربّنا الذي أعطى كُلّ شيء خلقه ثمّ هَدى﴾ (طه: ٥٠)، وتقول صحابة موسى عليه السلام، وأول من سفكت

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (ج٤ ص٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبرانى فى "الأوسط" و"الخلفاء" للسيوطى مسانيد أبى بكر رضى الله عنه ص٩٣.

(٣) تاريخ الملوك والأمم (ج٢ ص٤٥٠) والكامل (ج٢ ص٢١٥) والطبقات الكبرى (ج٣ ص١٨٢).

دماءهم فى دين الله فى عصرهم ، وأشجع الناس فى ذلك العصر بعد موسى وهارون عليهما السلام ﴿آمَنَّا بِربِّ العَالَمِينَ ربِّ مُوسَى وَهَارُون﴾ (الأعراف: ١٢١-١٢٢ ، الشعراء: ٤٧-٤٨) .

﴿وقَالُوا آمَنَّا بِربِّ هَارُون وَمُوسى﴾ (طه: ٧٠)، ولما سئل فرعون موسى عليه السلام ﴿فَما بَالُ القُرُون الأولى﴾ .

أجابه موسى عليه السلام بقوله : ﴿عِلمُهَا عِندَ رَبّى فِى كِتاب لا يَضِلّ ربّى وَلا يَنسى﴾ (طه: ٥٢) .

ففى كل ذلك ترى قطب الكلام ومحوره كلمة الرب فى كلام الصديق والعدو ، فهل ترى أن ذلك الجدال والنزاع فى تربية البطن والجسد فقط؟ ﴿كَلا بَل رَانَ عَلى قُلُوبِهِم ما كانُوا يكسِبُونَ﴾ (المطففين : ١٤) بل ﴿وَهَمّت كُل أمّة بِرَسُولِهِم ليأخُذوهُ وَجَادلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدحضُوا به الحَقّ﴾ (الغافر: ٥) .

﴿وَلَقَد جَاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبل بِالبيّنات فَمَا زِلتُم فِى شَكّ ممّا جَاءَكُم بِهِ حتّى إذَا هَلكَ قُلتُم لَن يبعَثَ اللهُ مِن بَعده رَسُولا كَذلكَ يُضِلّ الله مَن هُو مُسرفٌ مرتاب﴾ (الغافر: ٣٤) .

أكان هذا الجدال أربعين سنة على تلك التربية ، أو على عبادات معدودة رسمية؟ لا مع موسى وهارون عليهما السلام فقط ، بل مع كل نبى كما يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ألم يأتِكُم نَبأ الّذِينَ مِن قَبلِكُم قَوْم نوح وعَاد وثَمُود والّذِينَ مِن بَعدِهِم لا يَعلَمُهُم إلا الله جَاءَتهُمْ رُسُلُهم بالبَيّنَات فردّوا أيديهم فِى أفوَاهِهِم وَقَالُوا إنّا كفرنَا بِمَا أرسِلتُم به وإنّا لَفِى شكّ مِمّا تَدعُونَا إلَيه مُريب﴾ (إبراهيم: ٩) .

كلا ثم كلا بل كان كل ذلك على التربية الأساسية فى جميع شؤونهم بأحكام الله عزّ وجلّ ، ولهذا قال العربى : "هذا أمر تكرهه الملوك" وقال آخر: "إذًا تقاتلك العرب والعجم" .

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها النّاسُ اعبُدُوا ربّكُم﴾ (البقرة: ٢١)، ويقول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما "وحدوا ربكم، وبكلمة الرب أخذ الميثاق فى عالم الغيب" ﴿أَلستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلى﴾ (الأعراف: ١٧٢).

معنى قوله: ﴿إذ نُسوّيكُم بربّ العالمينَ﴾:

ويقول أصحاب النار لسادتهم وكبراءهم الذين اتخذوهم أربابًا من دون الله: ﴿تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مبِينٍ إذ نُسَوِّيكُم بِربِّ العَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨).

والله مـا سـاووهـم فـى ... الخلق والإرزاق والإحسان
والله مـا سـاووهـم بـالله بـل ... زادوا لهـم حبًا بـلا كتمان[1]

وقد سمعت الله عزّ و جلّ يقول لنا من شكاة محمد ﷺ: ﴿وَقَالَ الرّسُولُ يَا رَبّ إنّ قَومِي اتّخَذُوا هذَا القُرآنَ مَهجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠).

يشكو إلى الله عزّ وجلّ بعنوان الرب الذى أعطاه الدستور التربوى للعالم كله، يشكو إلى الله سبحانه إعراض الناس وتوليهم عن دستوره المنزل بأن هجروه علمًا وعملا، وقنعوا منه بتكرار الكلمة الطيبة، وبعض الأذكار سواها، والصلاة وأنواع النافلة، وحفظوا من كتاب الدستور الإلهى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذكَرُوا اللهَ كَثيرًا﴾ ﴿وَالذّاكِرِينَ اللهَ كَثيرًا﴾ ﴿وَالّذينَ يَذكُرُونَ الله قِيامًا وقُعُودًا وعلى جُنُوبِهم﴾ إلى غير ذلك من هذا النوع، وجل أمرهم ومبلغ علمهم تعليم الفضائل ولو بالضعاف، لا، بل ولو بالموضوعات من الروايات، والدعوة إلى كلمات واصطلاحات خاصة عندهم، كأنها هى الدين كله، ولم يخطر ببالهم ولم يتفكروا قط فى قوله عزّ وجلّ:

(١) النونية: ١٥٧-١٥٨.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خلقِ السَّموَاتِ والأرضِ ربَّنَا مَا خَلقتَ هذَا بَاطلا﴾ (آل عمران : ١٩١).

مطلب فى نبذ كتاب الله وراء ظهورهم :

ولم يتفكّروا قط فى معنى نبذ آيات الله عزّ وجلّ وراء ظهورهم ما هو النبذ، ولا فى معنى الهجر للكتاب ما هو؟ حتى يحترز عنه لئلا يلحق بهم من الذم ما لحق هؤلاء وهم أهل الكتاب.

سفيان الثورى رحمه الله : "أدرجوه فى الديباج وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه[1]، فمن حفظ حروفه، وضيع حدوده، كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير"[2].

الحسن البصرى رحمه الله : "والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم يقول : قرأت القرآن كله، ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل"، رواه ابن أبى حاتم[3]، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به، وامتثال أوامره، واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر، أو قول، أو غناء، أو لهو، أو كلام، أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه[4]، وسيأتى التفصيل فيه فى باب النصيحة لكتاب الله سبحانه -إن شاء الله تعالى-.

---

(١) النيسابورى فى تفسير آية البقرة : ١٠١ (ج١ ص٣٤٦).

(٢) النيسابورى فى تفسير آية ص٢٩ (ج٢٣ ص٩٧).

(٣) ابن كثير (ج٤ ص٣٣).

(٤) ابن كثير فى تفسير آية الفرقان : ٣٠ : ﴿إنّ قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ (ج٣ ص٣١٧).

حال العلماء والمشايخ

ومن الناحية الأخرى قنع علماء الأمة ومشايخها بمدارسهم ومساجدهم وخانقاهاتهم، وخطبهم ومواعظهم الرسمية، ولم يبالوا الخلف للقرآن، ابتليت الأمة بالشرك في سلطة التشريع وفي الحكم، أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانًا، ومعالجو الأمة يداوونهم بالدعوة إلى الصلاة والصدقات وغيرها يدعون الأمة إلى رفع البناء بلا أساس، ولا سقف، ألم تكن المدارس، والعلماء في بخارا، وترمذ، وتاشقند، ونيسابور، وغيرها من بلاد وأمصار وسط آسيا، ولكن لما لم يعرفوا مرض الأمة، وقنعوا بمدارسهم ومساجدهم، ولم يعدّوا لأعداء الله ما استطاعوا من قوة، فاستحوذ عليهم العدو الاشتراكيّ، حتى ذبحوا علماءهم ومشايخهم في مدارسهم ومساجدهم، وجعلوا مدارسهم ومساجدهم مراكزَ دولية للعسكر واللعب والخمور وغيرها، ونرى ذلك قريبًا في أفغانستان ما ذا صنع العدو الاشتراكيّ بالمسلمين، وبالمساجد وبالعلماء، وإلى الآن هم في دسائسهم وحيلهم "أنجاهم الله منهم".

قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وقاتل الرسول عليه السلام نبي الملاحم عشر سنين متواليات، ومع ذلك لم يتصور اليوم أحد من قواد المسلمين في أمر الجهاد، أهو أمر من أمور دينهم أم لا؟

فيا حسرة عليهم، انتظر ما وعدتك، وهل تدبرت قول الله سبحانه وتعالى عن أهل النار لسادتهم وكبرائهم: ﴿تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في أيّ شيء سووهم برب العالمين، أفي الخلق، أم في الرزق، أم في تدبير العالم، أم في الإحياء والإماتة؟ أم في الإعزاز والإذلال؟

كلا والله لا فى شىء من ذلك، وإنما سووهم به فى العبادة والتربية السياسية القضائية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (آل عمران: ٦٤).

مطلب فى اتّخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابًا:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (التوبة: ٣١) أخرج ابن أبى شيبة فى تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ عن أبى البخترى قال: "أطاعوهم فيما أمروهم به من تحريم الحلال وتحليل الحرام، فعبدوهم بذلك"[١].

عن حذيفة رضى الله عنه وغيره قال: "لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتّبعوهم".

وقال عدى بن حاتم رضى الله عنه: "أتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب، فقال: يا عدى! ألقِ هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة البراءة حتى أتى على هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ قال: فقلت: يا رسول الله! إنا لم نتخذهم أربابًا، قال: بلى، أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه، ويحرّمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم"[٢].

وأخرج ابن كثير رحمه الله تعالى عن المسند، والترمذى حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فذاك عبادتهم إياهم» والجهلة

---

(١) المصنف ج٨ ص٢٢٠.

(٢) إعلام الموقعين: الفرق بين التقليد والاتّباع (ج٢ ص١٩٠).

من الأحبار والرهبان يدخلون فى هذا الذم[١].

أخرج ابن جرير رحمه الله وابن المنذر رحمه الله عن ابن جريج رحمه الله تعالى فى قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا﴾ قال: لا يطيع بعضنا - بعضاً فى معصية الله.

ويقال: إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم فى غير عبادة، وإن لم يصلوا لهم، ويقول الخازن: وقيل: معناه لا نطيع أحداً فى معصية الله[٢].

أسئلة وأجوبة

وكأنى بك وقد أوردت علىّ قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) بأنا ما عبدناهم، وبأن الذم إنما هو إذا اتخذوا أرباباً من دون الله أى سوى الله بأن تترك ربوبية الله رأساً وأصلا ويدان بربوبيتهم، وأما نحن فإن اتخذناهم أرباباً، فمع الله لا من دونه، فلسنا فى حكم الآية، وبأن الآية إنما نزلت فى أهل الكتاب، وأما نحن فمن المسلمين -والحمد لله-.

أقول -وبالله أستعين-: عن الأول ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ. بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٨-٦٩).

وقد قلت فيما قبل: إن أصح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالحديث، ثم وثم، وقد قال الله سبحانه فى القرآن العزيز: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٦)، ثم قال فى نفس السورة:

---

(١) ابن كثير (ج١ ص٣٧٧).

(٢) الدر المنثور (ج٢ ص٤٠، والخازن (ج١ ص٣٠٣) ومثله فى "معالم التنزيل" فى الصفحة نفسها.

﴿وَلا يُشرِكْ بِعِبادَةِ ربِّه أحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال: ﴿إنِ الحُكمُ إلا لله﴾، ثم قال: ﴿أمَرَ ألا تَعبُدُوا إلا إيّاهُ﴾، ثم قال: ﴿ذلِكَ الدِّينُ القَيِّم﴾ (يوسف: ٤٠)، الشرك فى الحكم عبادة لأىّ أحد كان.

وأمر أن لا تعبدوا إلا إياه وهو الدين القيّم، وسأعود إلى البحث عن ذلك -إن شاء الله تعالى-.

ولا تنسَ استفسار سيد المركوسية من النصارى سيد قومه عدى بن حاتم رسول الله ﷺ عن الآية المذكورة لما وافاه، ورسول الله ﷺ يتلوها بقوله: ما كنا نعبدهم يا رسول الله! وتفسير سيد الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام بقوله: أليس كانوا يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم.

وعن الثانى: أن الشرك شرك؛ لأنه تشريك أحد بالله ومع الله، وإذا ترك، ونسى أصلا، واتخذ غيره ربًّا، فهو كفر، وليس شركًا، وسيأتى الفرق بينهما، والمتخذ ربًّا هو من دون الله، ومع الله، وغير الله.

"دون" بمعنى "مع" فى القرآن:

١- والقرآن أصدق شاهد وأعدل حاكم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَجعَلْ مَعَ الله إلهًا آخَر﴾ (الإسراء: ٢٢ و٣٩).

٢- ﴿وَمَن يدعُ مَعَ الله إلهًا آخَر﴾ (المؤمنون: ١١٧).

٣- ﴿وَالذينَ لا يَدعُونَ مَعَ الله إلهًا آخَر﴾ (الفرقان: ٦٨).

٤- ﴿فَلا تَدعُ مَعَ الله إلهًا آخَر﴾ (الشعراء: ٢١٣).

١- وقال الله سبحانه: ﴿قُل أندعو من دُونِ الله مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضرُّنَا ونُردّ على أعقَابِنَا بَعدإذ هَدَانَا الله﴾ (الأنعام: ٧١).

٢- ﴿إن الّذِينَ تَدعُون من دُون الله عِبادٌ أمثالُكُم﴾ (الأعراف: ١٩٤).
٣- ﴿وَلا تَدعُ مِن دُونِ الله مَا لا يَنفعُكَ وَلا يَضُرّكَ﴾ (يونس: ١٠٦).
٤- ﴿يَدعُوا مِن دُونِ الله مَا لا يَضُرّه وَمَا لا يَنفَعُه﴾ (الحج: ١١٢).

فيا لله هل ترى فرقًا بين "دون" و "مع" فى موارد الاستعمال، وفى المراد بهما؟ كأنهما تعبيران من معنى واحد.

"دون" بمعنى "مع" عند أهل العلم:

ورحم الله أهل العلم كأنهم أحسّوا ذلك، ورأوا بفراستهم ونور إيمانهم أنه يأتى على الناس زمان يتخذون رؤوسًا جهالا يستفتونهم، فيفتونهم بغير الحق، فيضلون ويضلون، فأزاحوا الشبهة، وفسروا كلمة "دون" بمعنى "مع" لئلا يتبع الذين فى قلوبهم زيغ ما تشابه منه مهما أمكن.

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى فى تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿إن يَدعُونَ من دُونِه إلا إنَاثًا﴾ (النساء: ١١٧) "دون الله" بعد الله وسواه[١]، ابن كثير رحمه الله: أى مع الله[٢]، الراغب رحمه الله: أى غير الله[٣].

حذيفة رضى الله عنه عن أبى بكر رضى الله عنه "هل الشرك إلا ما عبد من دون الله، أو ما دعى مع الله" شك ابن جريج، أخرجه ابن السنى رحمه الله فى "عمل اليوم والليلة" (ص١٠٥) فى باب الشرك فى حديث طويل.

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله سبحانه: ﴿كُنتُم خَيرَ أمّة أخرجَت لِلنّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهونَ عن المُنكَر وَتُؤمِنُونَ بِالله﴾ (آل

(١) الطبرى: ج٥ ص١٨٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج١ ص٣٧٧.

(٣) المفردات: ص١٧٥.

عمران : ١١٠) ومن لم يتّصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله : ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهُونَ عَن مُنكَر فَعلُوهُ﴾[١] .

إنّ بنى إسرائيل قد مضوا :

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن بنى إسرائيل قد مضوا ، وأنتم تعنون يا أمة محمّد ﷺ[٢] .

ما أقرب الليلة بالبارحة :

يقول أبو هريرة رضى الله عنه : " ما أقرب الليلة من البارحة ، أنتم أشبه الناس ببنى إسرائيل " .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : ما أشبه القوم بعضهم ببعض ، وما أشبه الليلة بالبارحة (ابن أبى شيبة فى " الزهد " كلام عكرمة (ج٨ ص ٢٩٤) .

من فسد من علمائنا :

ويقول سفيان بن عيينة رحمه الله : " من فسد من علمائنا كان فيه شبه من

---

(١) ابن كثير : ج١ ص٣٩٦ .

(٢) أخرج ابن جرير عن ابن جريج : وبلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى قصة بنى إسرائيل : ﴿أفتؤمنونَ ببعض الكتَاب وتكفرُون ببَعض﴾ (البقرة : ٨٥) إن بنى إسرائيل قد مضوا وأنتم تعنون بهذا الحديث (ج١ ص٣١٧) .

وأخرج النيسابورى فى قوله عزّ وجلّ : ﴿يَا بَنِى إسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الّتى أنعَمتُ علَيكُم﴾ (البقرة:٤٧) .

روى عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول : قد مضى والله بنو إسرائيل وما عنى بما تسمعون غيركم (ج١ ص٢٧٨) .

اليهود، ومن انحرف من عبّادنا كان فيه شبه من النصارى "(١).

وقالت طائفة من السلف: " من انحرف من العلماء، ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد، ففيه شبه من النصارى "(٢)، وأخرج ابن أبى شيبة رحمه الله فى الزهد عن الحسن رحمه الله تعالى قال: " وما أشبه القوم بعضهم ببعض، ما أشبه الليلة بالبارحة "(٣).

المراد بـ﴿المغضُوب علَيهِم﴾ :

جمال الدين القاسمى رحمه الله: ثم إن المراد بـ﴿المغضُوب عَليهِم وَلا الضَالّين﴾ كل من حاد عن جادة الإسلام من أىّ فرقة ونحلة، وتعيين بعض المفسّرين فرقة منهم، فهو من تمثيل العام بأوضح أفرادها وأشهرها(٤).

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير آية النور: ﴿وَالخَامِسَةَ أنَّ غَضبَ الله عَلَيهَا﴾ والمغضوب عليه الذى يعلم الحق، ثم يحيد عنه(٥).

---

(١) الكبير لشيخ الإسلام ذكر القولين (ج٧ ص٧٧): وذكر القول الثانى بقوله: " وكانوا يقولون: من فسد من . . . إلخ " مجموع الفتاوى: قسم التصوف (ج١١ ص٢٦ وج١ ص٦٥)).
قسم توحيد الألوهية: يقول الإمام ابن كثير فى تفسير آية التوبة: ﴿إنّ كَثيراً من الأحبار والرهبان﴾ والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: " من فسد من علماءنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ".
وفى الحديث الصحيح: «لتركبنّ سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فمن؟» وفى رواية: «فارس والروم قال فمن الناس إلا هؤلاء»، والحاصل التحذير من التشبه بهم فى أقوالهم وأحوالهم (تفسير القرآن ج ٢ ص٣٥٠)، وذكره صاحب " مجالس الأبرار " أيضاً ص٦٦ المجلس التاسع.

(٢) شرح عقيدة الطحاوى ص٥٩٥.

(٣) المصنف ج٩ ص٢٩٤.

(٤) تفسير محاسن التأويل (ج٢ ص٢٤).

(٥) تفسير القرآن لابن كثير (ج٣ ص٢٦٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومزاحمة النبوّة : وهذا موجود فى جنس العلماء والعباد والأمراء وغيرهم "(١) .

نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل :

عن همام رحمه الله : قال : كنا عند حذيفة رضى الله عنه فذكروا ﴿وَمَن لم يَحكُم بِما أنزلَ الله فأولئكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ ، فقال رجل : هذا فى بنى إسرائيل ، فقال حذيفة رضى الله عنه : " نعم الأخوة بنو إسرائيل ، إن كان لكم الحلو ، ولهم المرّ ، كلا والذى نفسى بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة"(٢) .

وعن الثالث : بأن سبب النزول لا يخصص الحكم ، العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمورد إلا فى مواضع دل الدليل على الاختصاص ، وسيأتى التفصيل ، وأقوال العلماء فى ذلك ، وتذكر ما ذكرت من أقوال العلماء قُبيل هذا .

كلية أصوليّة :

وههنا كلية أخرى ، وهى أن الأصل فى الأدلة والنصوص الإعمال لفظًا ومعنًى دون الإهمال ، والإعمال لفظًا : هو فى سبب النزول ، ومعنًى : هو إعمالها فيما هو نظيرها ، ولا نص فيه ، فالاستدلال بعبارة النص من قبيل الأول ، والاستدلال بإشارة النص ، ودلألته واقتضاءه من قبيل الثانى لا عينه .

---

(١) الكبير لشيخ الإسلام (ج٣ ص٢٤٧) .

(٢) أخرجه الحاكم فى " المستدرك " فى التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وسكت عليه الذهبى ، وأصل الحديث عند الشيخين وغيرهما (ج٢ ص٣١٢) .

العود إلى النتائج :

أخى المسلم! أنشدك الله، هل قرأت فى كتاب الله عزّ وجلّ ﴿تنزِيل الكِتَاب لا رَيبَ فِيه مِن ربّ العَالَمِينَ﴾ (السجدة : ٣، يونس : ٣٧)، بدون تنزيل الكتاب، وقوله تعالى: ﴿وَإنّه لتَنزِيلُ رَبّ العَالَمِينَ﴾ (الشعراء : ١٩٢)، وقوله: ﴿تنزِيلٌ من ربّ العَالَمِينَ﴾ (الواقعة : ٨٠، الحاقة : ٤٣).

١- وهل تدبرت فيها؟ وهل الكتاب عبارة وعبارة فقط؟ بل هو اسم للنظم والمعنى جميعًا فى قول عامة أهل العلم، وهو الصحيح من قول الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

٢- وهل المنزل من الله سبحانه محض العبادات الرسمية فقط؟ كلا والله ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

٣- وهل تدبرت أن الله سبحانه رب الأجساد فقط؟أم هو ربنا فى كل شؤون حياتنا ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

٤- وهل تفكّرت فى الآيات الخمس يذكر فيها القرآن، ويذكر لمنزله صفة الرب، مضافًا إلى العالمين، فلو كان الرب ربًا فى الدستور التكوينى فقط، فما فضل بنى آدم على غيرهم؟ ﴿وَلَقَد كَرّمنَا بَنى آدمَ﴾ (الإسراء : ٧٠).

١- ﴿كُلٌّ قَد عَلِمَ صَلاتَه وَتَسبِيحَه﴾ (النور : ٤١).

٢- ﴿وإن مِن شَىء إلا يُسبّح بِحَمدِهِ ولكن لا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُم﴾ (الإسراء : ٤٤).

٣- ﴿قَالَتا أتينا طَائِعِينَ﴾ (فصلت : ١١).

٤ - ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحنَ والطير﴾ (الأنبياء : ٧٩) .

٥ - ﴿إنّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَه يُسَبِّحنَ بِالعَشِيِّ وَالإشرَاقِ والطير مَحشُورة كُلٌ له أوّاب﴾ (ص : ١٨-١٩) .

٦- ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَه والطير﴾ (سبأ : ١٠) .

٧- ﴿تُسبِّح لهُ السموَاتُ السبعُ والأرضُ ومَن فِيهنّ﴾ (الإسراء : ٤٤) .

٨- ﴿إنّا عَرَضنَا الأمانةَ عَلَى السموَاتِ والأرضِ والجِبَال فأَبَينَ أن يحمِلنَهَا وأشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إنّه كَانَ ظَلُومًا جَهولا﴾ (الأحزاب : ٧٢) .

تفسير الآية وأقوال أهل العلم :

﴿فأَبينَ أن يحمِلنَهَا﴾ "أن يخُنّها وأشفقن من الخيانة فيها وقالتا : أتينا طائعين" على قول الزجاج رحمه الله[١] ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

وهل أهمل ربنا رب العالمين تبارك وتعالى دستور حياتنا ، وإنما فرض علينا صور عبادات لا أرواح لها ، ثم وعدنا بها الجنة ، بل الجنات ، وأوعدنا بتركها النار ، بل النيران ، كلا والله ﴿أم لهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهُم منَ الدّين مَا لَم يأذَن به الله﴾ لا

---

(١) البيضاوى : ج٢ ص١٣٦ ، النسفى : ج ٣ ص٣١٥ ، النيسابورى : ج ٢٢ ص٣٦ ، الكشاف : ج ٣ ص٢٧٧ ، أبو السعود : ج ٧ ص٤٦٣ ، جامع البيان : ج ٢ ص٣٨ ، محاسن التأويل : ج ١٢ ص٣٢٦ ، الكمالين : ج ٢ ص٣٥٨ .

قال الآلوسى بعد ذكر هذا القول : ولا يخفى بعده ، ولم نرَ فى المأثور ما يؤيده (روح المعانى : ج ١٢ ص٩٢) .

أقول : لا يخفى بعد بعده ، ويؤيده القرآن كما فى آية حم السجدة ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ وغيرها من الآيات التى ذكرت ولا ينافى هذا القول قول الجمهور من المفسّرين ، فإن مبناهما على أصلين مختلفين (عدنان) .

إلهَ إلا الله .

التدبّر فى القرآن :

أظنّك ما فكرت فيما ذكرت لك ، وكان فرضًا عليك ﴿فَاعلَم أنّه لا إلهَ إلا الله﴾ (محمد : ١٩) ، والعلم قبل القول والعمل كما مر ، وقال الأشعث : ألا ترى أنه بدأ بالعلم قبل العمل (كتاب العلم : ص ٣٢) ﴿أفلَم يدّبّروا القَولَ﴾ (المؤمنون : ٦٨) .

﴿كِتَابٌ أنزَلنَاه إلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدّبّرُوا آيَاتِه﴾ (ص : ٢٩) .

وأخرج أبو خيثمة فى كتاب العلم عن على رضى الله عنه " لا خيرَ فى عبادة لا علم فيها ، و لا خير فى علم لا فقه فيه ، ولا خيرَ فى قراءة لا تدبر معها " (ص٢٩) .

فتدبّر القرآن إن رمت الهدى

فالعلم تحت تدبّر القرآن

فالآن فى الحالة الراهنة يسعك أن تتدبّر فى الآيات ، ثم فى ظروف الأسئلة ، هل تستطيع أن تشهد أن ربك هو رب الأرزاق ورب التشريع التكوينى ، ورب الجنة والنار فقط؟ بالله عليك أتشهد بذلك عن ثلج قلبك ، استفت قلبك وإن أفتاك المفتون[1] ، ﴿هَلُمّ شُهَدَاءكُم الّذِينَ يَشهَدُونَ أن الله حرّمَ هذَا فَإن شَهِدُوا فَلا تَشهَدْ مَعَهُم﴾ (الأنعام : ١٥٠) .

﴿أم لهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهُم منَ الدّين مَا لَم يأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

---

(١) معنى حديث أخرجه الدارمى (ج٢ ص١٦١) فى البيوع فى باب "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" عن وابصة بن معبد الأسدى رضى الله عنه : " أن رسول الله ﷺ قال لوابصة رضى الله عنه : جئت تسال عن البر والإثم ، قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ، وقال : استفت نفسك استفت قلبك يا وابصة ثلاثًا ، البرّ ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردّد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك " .

أيها المسلم! تقول قبل تحريمتك للمكتوبة ﴿إنّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحيَايَ وَمَمَاتِي لله رِبّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَه وبِذلِكَ أمِرتُ وَأنَا أوّلُ المسلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، فهل تقرأها تلاوةً، أم طلبًا للأجر، أم اعترافًا بعقيدتك؟ أظنّك تقرأها للمعنى الثالث، وإلا فلم لا تقرأ سورة الإخلاص، وهى تعدل ثلث القرآن، وسورة الكافرون وهى تعدل ربع القرآن[1]، وآية الكرسى وهى أعظم آية فى القرآن، فإذًا الصلاة والنسك هى العبادات، فما الذى تعنى بمحياى ومماتى؟

أتريد أنه الخالق والمحيى والمميت، أو تريد بهما معنى غير هذا، فإن أردت المعنى الأول، فبالله الذى تؤمن به، هل تعرف أحدًا من خلق الله فيما مضى سوى فرعون، وأمثاله عند بعض أهل العلم، جحد الله عزّ وجلّ، أو جحد صفاته هذه؟

تعال! حتى أفتح لك أبواب روضات كتاب الله سبحانه؛ لتعرف وترى بعينك الأقوام أعداء الله عزّ وجلّ وأعداء الرسل عليهم السلام، وأعداء دين الله، يعترفون بالله سبحانه ويعترفون له بصفات أكثر مما تقر له به ﴿أو لَم يَكفِهِم أنّا أنزَلنَا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم﴾ (العنكبوت: ٥١).

واشترط عليك ما اشترط الله علينا بقوله: ﴿إنّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهُوَ شَهيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

وهو الذى يقول: ﴿سَأصرِفُ عَن آياتِي الذينَ يَتَكَبّرُونَ فى الأرضِ بِغَيرِ الحَقّ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

لئلا تقول غدًا: ﴿لَو كُنّا نَسمَعُ أو نَعقِلُ مَا كنّا فِي أصحَابِ السّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠).

ولئلا تقول: ﴿بَلى ولكِن حَقّت كَلِمةُ العَذاب عَلى الكَافِرِينَ﴾

---

(١) أخرج السيوطى فى "الدرّ المنثور" (ج٦ ص٤٠٥) عن ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا: «من قرأ ﴿قُل يَا أيّهَا الكافِرُونَ﴾ كانت له عدل ربع القرآن»، وأخرج عن الطبرانى والبيهقى عن سعيد بن أبى العاص رضى الله عنه مرفوعًا: «ومن قرأ ﴿قُل يَا أيّهَا الكافِرُونَ﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ ﴿قُل هُوَ الله أحدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن».

(الزمر : ٧١) .

ولئلا تقول: ﴿بلى قد جاءَنَا نَذير فَكذّبنا وقُلنَا مَا نَزّل الله مِن شَىء﴾ (الملك : ٩) وغير ذلك من الحسرات والويلات -أعاذك الله وإياى أيها الأخ وجميع أمة محمد ﷺ من هذه الفضيحة والخزى- .

أوقفك بآيات كتاب الله فى هذا الباب ، فافتح عينيك ، وألق سمعك ، وأحضر قلبك منيبًا إلى الله عزّ وجلّ ومسترشدًا من كتابه بحول الله وقوته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

الآيات فى عقيدة المشركين فى الإلهيات :

كانوا يعترفون بالله عزّ وجلّ ١ - ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِالله لَنُبَيِّتَنّه وأهلَه﴾ (النمل : ٤٩) هؤلاء قوم صالح عليه السلام يؤمنون بالله العظيم ، ويحلفون به ٢- ﴿فَمَا كَانَ جَوابَ قَومِه إلا أن قَالُوا ائتِنَا بِعَذاب الله إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت : ٢٩) طالبوا رسولهم لوطًا عليه السلام بعذاب الله ؛ لأنهم كانوا معترفين به ٣- ﴿قُلنَ حَاشَ لله مَا هذَا بَشَرًا﴾ (يوسف : ٣١) .

﴿قُلنَ حَاشَ لله مَا عَلِمنا عليه من سُوء﴾ (يوسف : ٥١) .

﴿وَاستَغفِرِى لِذنبِك إنّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾ (يوسف : ٢٩) أى من الزوج أو من الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يثبتون الإله الأعظم ، ويجعلون الأصنام شفعاء، ولذا قال يوسف عليه السلام لصاحبيه فى السجن : ﴿أأربَابٌ مُتفرِّقُونَ خَيرٌ أم الله الوَاحِدُ القَهّار﴾[1] (يوسف : ٣٩) .

ففى هذه الآيات ترى أن المصريين فى قديم الدهر كانوا يعترفون بالله العظيم ٤- ﴿قَالُوا إنْ هُوَ إلا رَجُل افترى عَلى الله كَذِبًا وَمَا نَحنُ لَه بِمُؤمِنِينَ﴾ (المؤمنون : ٣٨) ، هذا قول الكفار لنبيهم ، بل لأنبياءهم أنه افترى على الله ، اعترفوا

(١) النيسابورى ج١٢ ص١٢٩ .

بالله عزّ وجلّ وقالوا: ٥- ﴿مَ نَعبُدُهُم إلا لِيُقربّونا إلَى الله زُلفى﴾ (الزمر: ٣) كلهم كانوا يعترفون بالله سبحانه، وإنما عبدوا معه الأنداد للتقربّ بها إلى الله سبحانه.

قال الإمام الرازى رحمه الله تعالى: وحاصل الكلام لعباد الأصنام أنهم قالوا: إن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر، لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد الله[1]، ومثل ذلك فى ابن كثير، وابن جرير، والثعالبى، وغيرها من كتب التفسير[2]، فهؤلاء كانوا يثبتون الله، وإنما أشركوا به ظنّا منهم أن الله عزّ وجلّ لا يعبد إلا بالوسائط قياسًا منهم على الملوك ﴿فَلا تَضرِبُوا لله الأمثالَ﴾.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه[3].

وعن الثعالبى رحمه الله: وكان هذه الطوائف كلها ترى نفوسها أقلّ من أن تتصل هى بالله، فكانت ترى أن تتصل بمخلوقاته[4].

٦- ﴿ويَعبُدُون من دُون الله مَا لا يَضُرّهم ولا يَنفَعُهُم ويَقُولُونَ هؤلاء شُفَعَاءنَا عندَ الله﴾ (يونس: ١٨) فهذه النصوص وغيرها كقول جميع الأنبياء لأممهم ﴿اعبُدُوا الله ما لَكُم من إلهٌ غَيره﴾ وقولهم: ﴿فَاتّقُوا الله وَأطِيعُونِ﴾ دالّة على اعترافهم بالله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ.

يقول السالمى رحمه الله فى "التمهيد": قالوا: إن أنفسنا نجسة لا تصلح

(١) مفاتيح الغيب ج٧ ص٢٢٢.

(٢) ابن جرير ج ٢٣ ص١٢٢، النيسابورى ج ٢٣ ص١٢٤، النسفى ج٤ ص٥٠، النكت والعيون ج٥ ص١١٤، محاسن التأويل جزء٢٣ ص١٩٥، الكشاف ج٣ ص٣٨٦.

(٣) ابن كثير ج٤ ص٤٥.

(٤) الجواهر الحسان ج٤ ص٤٧.

وكانوا يدعون الله فى الشدائد والمصائب ولا يشركون به شيئًا :

١- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء : ٦٧) .

٢- ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت : ٦٥) .

٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ (الروم : ٣٣) .

٤- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (لقمان : ٣٢) .

٥- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ (الزمر : ٨) .

٦- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس : ٢٢) .

فهذه نصوص كتاب الله عزّ وجلّ تنادى بأعلى صوت ببيان عقائد المشركين فى ذات الله وصفاته ، فهل تستطيع أن تقول : إنهم كانوا يجحدون الله سبحانه ، أو يجحدون صفاته؟ فإن قلت : بذا فقد خلعت ربقة الإسلام من عنقك ، وإلا فأىّ فرق بينك وبينهم فى قولك : ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ غير اختلاف الكلمات ، ولعلك لم تشعر بهذا إلى الآن ، فالآن : فاعلم أنه لا إله إلا الله .

إنما المراد برب العالمين شارع الدستور للعالمين فى كل شؤون الحياة البشرية ، يقول المصلى : هذه الكلمات المباركات اعترافًا بأنى كما خضعت لله مصلّيًا فى المسجد أكون له خاضعًا بعد صلاتى ، وخارجًا عن المسجد أيضًا فى

جميع ما ينوبنى فى حياتى، فإذا حضرت الصلاة الأخرى أقرّ ثانيًا وتائبًا عما فرط فيما بين الصلاتين، وهكذا ثالثًا ورابعًا وخامسًا، وفى كل يوم من أيام عمره.

حقيقة واقعيّة:

يقول الإمام ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى: والمشركون وافقو المسلمين فى تدبير الأمور العظام، وفيما أبرم وجزم، ولم يترك لغيره خيرة[١]، ويقول: فمن تلك الأصول المسلّمة عندهم القول: بأنه لا شريك لله تعالى فى خلق السماوات والأرض، وما فيهما من الجواهر، ولا شريك له فى تدبير الأمور العظام، وأنه لا رادّ لحكمه، ولا مانع لقضاءه، إذا أبرم وجزم[٢].

ويقول ابن أبى العز رحمه الله تعالى: وهذا التوحيد توحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونه مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا به فى الباطن[٣].

لعلك فهمت معنى قول الله عزّ وجلّ ا لذى تقوله قبل مكتوبتك: فاحمد الله عزّ وجلّ بأن وفقك لفهم ما كنت تتلوه من غير فهم، وحسبى الله لا إله إلا هو عليه توكّلت، وهو رب العرش العظيم.

(١) حجة الله البالغة (ج١ ص٥٩): باب التوحيد.

(٢) حجة الله البالغة (ج١ ص١٢٥).

(٣) شرح عقيدة الطحاوى ص٧٧.

العود إلى أول الكلام بعد السفر عنه :

أعود إلى ما كنت بصدده من معنى كلمة الرب فى ضوء كتاب الله عزّ وجلّ، الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدًى، هل جادلوا قومهم وأرباب دولتهم فى الرب بمعنى مربى الأجسام بالأرزاق؟

إن كان هذا، فهل كان قومهم منكرى الرب تعالى شأنه، هذا لم يقله أحد، ولا يقوله إلا من كان من ذرية فرعون على قول بعض أهل العلم، وهل هاجروا قومهم وأقاربهم وأزواجهم وذرياتهم وبلادهم بهذا فقط؟ كلا والله. ﴿أم لهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهُم منَ الدّين مَا لَم يأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ربّ السموات والأرض وما بَينَهُما فَاعبُده واصطبِر لعِبادَتِه هَل تَعلمُ له سميّا﴾ أمران ونتيجتان بين دليلين: أحدهما: ﴿ربّ السمٰوات والأرض وما بَينَهُما﴾، وثانيهما: ﴿هَل تَعلمُ له سميّا﴾.

١- أفترى أن النتيجة تترتب على الدليل الأول ترتبًا كليًا مطابقيًا إذ كان الرب على المعنى المتعارف عند العوام، هل ينتج فاعبده، وسيأتى الكلام فى العبادة -إن شاء الله تعالى-. ٢- وكذا قوله: ﴿هَل تَعلمُ له سميّا﴾ إن كان الأمر كما زعمت ٣- فأىّ ذنب لفرعون فى قوله: ﴿ألَم نربّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ وفى قوله: ﴿أنا ربكُم الأعلى﴾ ٤- وهل العبادة للرب تعالى شأنه هذه التى تعارفها الناس فقط، لا وكلا، بل العبادة أن تجعل كليتك لله عزّ وجلّ عقدًا وقولا وعملا فى جميع حركاتك وسكناتك، والرب الذى يحلف به هو الذى يفزع إليه فى كل ما شجر بين الناس ليقضى بينهم، لا الذى يصلى له ويصام فقط.

٥- وما الأمر الصعب الذى يزيد كثيرًا منهم طغيانًا وكفرًا مما أنزل الله إلى الرسول -صلوات الله وسلامه عليه من ربه- هل فكرت فيه قط؟ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ولَيَزِيدَنّ﴾ مؤكدًا بتأكيدين: أهو ما تصورته دينًا

فى زعمك؟ وأ ذاك أنزل الله سبحانه فقط، وأمر نبيه بقوله: ﴿بلّغ ما أنزل إليكَ من ربّك﴾ فما ذا بلغه بعد الهجرة عشر سنين من عمره المبارك، وقال سبحانه: ﴿فإن لم تَفعَل فَما بَلّغتَ رِسَالتَه﴾.

إنما هو الدين فى مصطلح الشرع لا فى مصطلح أهل العصر، وهل أخذ الميثاق بقوله: ﴿ألستُ بربكُم﴾ للرب الذى زعمت أنه ربك بما تعارفته، أم للرب الذى عرفه القرآن الكريم، وعرفه الرسول الأمين -عليه الصلاة والسلام-.

لعلك مللت من إملاءى عليك فأتركك كى تتفكر بنفسك فى الآيات التى تلوتها عليك، وقد هديتك إلى طريقة التفكّر فى الآيات، وفتحت لك الباب جعلك الله وإياى من أولى الألباب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

لوازم الدين

الدين النصيحة

تعال! لنستفتيَ الرسول ﷺ ما هو الدين عنده؟ عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"، وفى روايته: قال رسول الله ﷺ: «لا أقبل منك حتى تبايع على النصح لكل مسلم»[1].

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان فى باب الدين النصيحة (ج١ ص١٤)، وفى باب كيف يبايع الإمام الناس (ج٢ ص١٠٦٩)، وأخرجه مسلم واللفظ له فى باب الإيمان باب الدين النصيحة (ج١ ص٥٥، وأخرجه أبو داود باب فى النصيحة (ج٢ ص٣٢٨)، وأخرجه الترمذى: باب فى النصيحة عن أبى هريرة رضى الله عنه، وقال: حديث حسن، وفى الباب عن ابن عمر رضى الله عنهما وتميم الدارى وجرير وحكيم بن أبى يزيد عن أبيه وثوبان رضى الله عنهم (ج٢ ص٢٣٩). وأخرجه النسائى: فى باب البيعة على النصح لكل مسلم (ج٢ ص١٨٠)، وأخرجه الحميدى

وعن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[١]، وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

يقول الإمام النووى رحمه الله: هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام كما سنذكره من شرحه، وأما ما قاله جماعات العلماء: إنه أحد أرباع الإسلام أى أحد الأحاديث الأربعة التى تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوا.

أجمع كلمة "وأفصحها" كلمة النصيحة وكلمة الفلاح:

بل المدار على هذا وحده، قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله: النصحية كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، قال: ويقال: هو من وجيز الأسماء، وإنه ليس فى كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا: فى الفلاح ليس فى كلام العرب كلمة أجمع

فى "مسند جرير" (ج٢ ص٣٤٩-٣٥٠)، وأخرجه أحمد فى "مسنده" (ج٥ ص٧١)، و أخرجه الطحاوى عن كلهم بالفاظ متقاربة (مشكل الآثار ج٢ ص١٨٩-١٩٠)، وفى "المسند أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج٢ ص٥٨٥)، وألفاظ الزيادة فى "كنز العمال" (طس) عن جرير (ج١ ص١٠٥ كل ذلك بألفاظ متقاربة.

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان: باب الدين النصيحة (ج١ ص٥٤، وأبو داود بلفظة الدين النصيحة ثلاثًا، باب فى النصيحة (ج٢ ص٣٢٨)، وعند النسائى فى باب النصيحة للسلطان عن تميم وأبى هريرة رضى الله عنهما ج٢ ص١٨٥)، وعندالحميدى (ج٢ ص٣٦٩)، أخرجه الإمام الشافعى بسنده عن تميم المسند ضمن (مختصر المزنى ص٤٢٠) وكلها بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه (ج١ ص٦)، ومسلم فى الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه (ج١ ص٥٠) أيضًا (ج١ ص٥٠).

لخير الدنيا والآخرة منه[١] .

الأنبياء كلهم بعثوا بالنصيحة :

وكل نبى بعث بالنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم يذكر لنا القرآن العظيم بعضهم، وقد علمت أنهم كلهم بعثوا بالدين ﴿إنّا أوحَينَا إلَيكَ كما أوحَينَا إلى نُوح والنَّبِيّينَ من بَعده﴾ (النساء : ١٦٣) .

﴿شَرَعَ لكُم من الدينِ ما وصّى به نُوحًا والذِى أوحَينَا إلَيكَ وَمَا وصّينَا بِهِ إبرَاهِيمَ ومُوسى وعِيسى أن أقيمُوا الدينَ وَلا تَتَفرّقُوا فِيه﴾ (الشورى : ١٣) .

فما ذكر عن بعضهم، فهو عن كلهم فى أصول الدين ﴿مِنهُم مَن قَصَصنَا عَليكَ ومِنهُم مَن لم نَقْصُص عَليكَ﴾ (الغافر : ٧٨) .

﴿وَرُسُلا قَد قَصَصنَاهُم مِن قَبل عَلَيكَ وَرُسُلا لم نَقصُصهُم عَلَيكَ﴾ (النساء : ١٦٤) .

نوح عليه السلام ونصيحته لأمته :

نوح عليه السلام أول رسول بعثه الله سبحانه بالحلال والحرام تفصيلا، وأوّل رسول بعث بالنهى عن المنكر، يقول الله عزّ وجلّ عنه، وهو ينصح أمته : ﴿وَلا يَنفَعُكُم نُصحِى إن أردت أن أنصحَ لَكُم﴾ (هود : ٣٤)، ويقول : ﴿أبلّغُكُم رِسَالاتِ ربّى وأنصحُ لَكُم وأعلَمُ منَ الله ما لا تَعلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٦٢) .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (جـ١ ص٥٤) .

هود عليه السلام ونصيحته لأمته :

ويقول سبحانه وتعالى عن هود عليه السلام : ﴿أبلّغكُم رِسَالاتِ رِبّى وَأنا لكُم نَاصِحٌ أمِين﴾ (الأعراف : ٦٨) .

صالح عليه السلام ونصيحته لأمته :

يقول الله سبحانه عن صالح عليه السلام : ﴿وقَالَ يَا قَومِ لَقد أبلَغتُكُم رِسالَةَ ربّى ونَصحتُ لَكُم ولكِن لا تُحِبّونَ الناصِحِينَ﴾ (الأعراف : ٧٩) .

خطيب الأنبياء عليه السلام ونصيحته لأمته :

ويقول سبحانه عن شعيب عليه السلام : ﴿وقَالَ يَا قَومِ لَقد أبلَغتُكُم رِسالَةَ ربّى ونَصحتُ لَكُم فَكيفَ آسى على قَوم كَافِرينَ﴾ (الأعراف : ٩٣) .

أمة نبينا ﷺ وفريضتهم النصيحة للّه ولكتابه و لرسوله :

يقول الله عزّ وجلّ عن المتخلّفين عن الجهاد والمعذورين : ﴿وَلا عَلَى الّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُولِه مَا عَلى المُحسنِينَ من سَبِيل والله غَفُور رحِيم﴾ (التوبة : ٩١) .

النصيحة هو العدل المأمور به :

١- ﴿إنّ الله يَأمُرُكُم أن تُؤدّوا الأمانَاتِ إلى أهلِهَا وَإذَا حَكمتُم بَين النّاس أن تَحكُمُوا بالعَدل﴾ (النساء : ٥٨) .

٢- ﴿فَلا تَتّبِعُوا الهَوى أن تَعدِلُوا﴾ (النساء : ١٣٥) .

٣- ﴿إنّ الله يأمُرُ بالعَدلِ والإحسانِ وَإيتَاءِ ذِي القُربى﴾ (النحل : ٩٠) .

٤- ﴿وَلا يَجرِمَنّكُم شَنآنُ قَومٍ عَلى أن لا تَعدِلُوا اعدِلُوا هُو أقرَبُ لِلتّقوى﴾ (المائدة : ٨) .

٥- ﴿وَإذَا قُلتُم فَاعدِلُوا﴾ (الأنعام : ١٥٢) .

٦- ﴿وَأمِرتُ لأعدِلَ بَينَكُم﴾ (الشورى : ١٥) .

وهو الإحسان :

١- وهذا العدل هو الإحسان أيضًا ﴿وَأحسِنُوا إنّ اللهَ يُحِبّ المُحسِنِينَ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

٢- ﴿وَقُولُوا للنّاس حُسنًا﴾ (البقرة : ٨٣) .

٣- ﴿إن أحسَنتُم أحسَنتُم لأنفُسِكُم﴾ (الإسراء : ٧) .

٤- ﴿وَأحسِن كمَا أحسَنَ إلَيكَ﴾ (القصص : ٧٧) .

مطلب فى النصيحة للّه سبحانه :

الله سبحانه هو الغنيّ وهو الصمد لا حاجة له إلى أحد، ولا إلى نصيحة أحد على المتعارف، وإنما النصيحة هو الاعتراف بحقه، وجعله له وحده لا شريك له وذلك لأجل ﴿إنّ الشركَ لَظُلم عَظِيم﴾ (لقمان : ١٣) .

﴿إنه مَن يشرك بِالله فقَد حَرّمَ الله عَلَيه الجنّةَ وَمأوَاهُ النّار وَمَا للظّالِمِينَ من أنصَار﴾ (المائدة : ٧٢) .

﴿ومَن يشرِكْ بالله فَكأنّمَا خرّ منَ السّماء فَتَخطَفُهُ الطّيرُ أو تَهوى بِهِ الريحُ فى مَكانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج : ٣١) .

﴿إنّ الله لا يَغفِرُ أن يشركَ به﴾ (النساء : ٤٨ و١١٦) .

وكذا النصيحة له سبحانه هو تنزيهه عن التشبيه بأحد من مخلوقه كالملوك

والجبابرة، إذ ﴿ليس كَمثلِهِ شَيء وهُو السّميعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).
﴿فلا تَضرِبُوا لله الأمثَالَ إنّ الله يَعلمُ وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٤).
﴿ولَم يَكُن لَه كُفُوًا أحَد﴾ (الإخلاص: ٤).

مطلب في النصيحة إجمالا النصيحة لله سبحانه:

يقول الإمام يحيى النووى رحمه الله نقلا عن الخطابى رحمه الله وغيره من العلماء رحمهم الله: أما النصيحة لله تعالى شأنه فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفى الشرك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه عن جميع أنواع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص فى جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحثّ عليها، والتلطّف فى جميع الناس، أو من أمكن منهم عليها.

قال الخطابى رحمه الله: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد فى نصحه نفسه، فالله تعالى غنىّ عن نصح الناصح.

النصيحة لكتاب الله سبحانه:

وأما النصيحة لكتاب الله سبحانه: فالإيمان بأنه كلام الله وتنزيله لا يشبه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه فى التلاوة، والذبّ عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكّر فى عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه،

وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه، وإلى ما ذكرنا من نصيحته.

النصيحة للرسول ﷺ:

وأما النصيحة لرسوله: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته فى أمره ونهيه، ونصرته حيّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبثّ دعوته، ونشر شريعته، ونفى التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقّه فى معانيها، والدعاء إليها، والتلطّف فى تعلّمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدّب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلّق بأخلاقه، والتأدّب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع فى سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

النصيحة لأئمة المسلمين:

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألّف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابى رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، وا لجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف، أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاه أيضًا الخطابى رحمه الله، وقد قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء

الدين، وإن من نصحهم قبول ما رووه، وتقليدهم فى الأحكام، وإحسان الظنّ بهم.

النصيحة لعامة المسلمين:

وأما النصيحة لعامة المسلمين: وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم إلى مصالحهم فى آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلون من دينهم ودنياهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عواراتهم، وسدّ خلاتهم، ورفع المضارّ عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخوّلهم بالموعظة الحسنة، وترك غشّهم وحسدهم، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه من المكروه، والذبّ عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثّهم على التخلّق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان فى السلف رضى الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه -والله أعلم-[1].

تفصيل فى النصيحة لله عز وجل :

أخرج الإمام البخارى رحمه الله تعالى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، قال له : «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»(١) .

وأخرج مسلم رحمه الله عنه : «فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله»(٢) ، وعنه قال : قال النبى ﷺ : «يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا أتدرى ما حقهم عليه قال الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم»(٣) .

فالنصيحة لله عزّ وجلّ أن نعبده وحده ونوحده فى جميع صفاته ، وسيأتى البحث فى صفات الله سبحانه وخواصّ الألوهية -إن شاء الله تعالى- .

ومن النصيحة لله سبحانه أن نعتقد فيه أنه هو الذى يعلم الغيب لا غيره أحد من الخلق إلا من أعلمه الله سبحانه من رسله بخبر ما ، لا يعطيه العلم بالغيب ، و إنما ينبأه من الغيب بما يتعلق بالرسالة .

---

(١) بخارى التوحيد (ج٢ ص١٠٩٦) .

(٢) مسلم : باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله (ج١ ص٣٦) .

(٣) البخارى : باب التوحيد (ج٢ ص١٠٩٧) ، والحديث مفصّل فى باب من أجاب بـ"لبيك وسعديك" (ج٢ ص٨٨٢ وص٩٢٧) ، وأخرجه مسلم : عن أبى أيوب رضى الله عنه فى الإيمان قال النبى ﷺ فى جواب أعرابى سأله عن عمل يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار : تعبد الله ولا تشرك به شيئًا (ج١ ص٣١) .
وعند الحاكم : عن أبى هريرة رضى الله عنه نحو حديث الشيخين ، وقال فيه : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه هكذا (كتاب الدعاء ج١ ص٥١٧) ، وعند عبد الرزاق عن معاذ وأبى هريرة رضى الله عنهما بألفاظ متقاربة باب الرخص والشدائد . (ج١١ ص١٨٢-١٨٣)

بحث علم الغيب ، والفرق بينه وبين الإنباء :

يقول الله عزّ وجلّ : ١- ﴿قُل لا يَعلمُ مَن فِي السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلا الله﴾ (النمل : ٦٥).

٢- ﴿وإنّ ربّكَ لَيعلمُ ما تُكنّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنُونَ﴾ (النمل : ٧٤).

٣- ﴿وَعِندَه مَفاتح الغَيبِ لا يَعلَمُهَا إلا هُوَ﴾ (الأنعام : ٥٩).

٤- ﴿ولَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ لاستَكثَرتُ مِن الخَير وما مَسّنِيَ السّوء﴾ (الأعراف : ١٨٨).

٥- ﴿وَمِمّن حَولَكُم منَ الأعرابِ مُنافِقُونَ ومن أهل المدِينَةِ مَردُوا عَلى النّفاقِ لا تَعلَمُهُم نَحنُ نَعلَمُهُم﴾ (التوبة : ١٠١) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة والنصوص الصريحة .

أثبت الله سبحانه علم الغيب لنفسه ، ونفاه عن غيره ، وأثبت الإنباء لغيره ، للرسل عليهم السلام ، وهو غير العلم ، العلم ملكة وإن كان عطائيّاً ، ولا يكون فى الخلق إلا عطائيّا ، وأما الإنباء وهو من الله سبحانه ، فلا يكون ملكة .

يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ذلِكَ مِن أنبَاء الغَيبِ نُوحِيه إلَيكَ﴾ (آل عمران : ٤٤ ، يوسف : ١٠٢).

١- ﴿تِلكَ مِن أنبَاء الغَيبِ نُوحِيهَا إلَيكَ﴾ (هود : ٤٩).

٢- ﴿ذلِكَ مِن أنبَاء القُرى نَقُصّه عَليكَ﴾ (هود : ١٠٠).

٣- ﴿وَكُلا نَقُصّ عَلَيكَ مِن أنبَاء الرسُلِ مَا نُثَبّت بِه فُؤادَكَ﴾ (هود : ١٢٠).

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : " من حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : ﴿لا يَعلمُ الغَيبَ إلا الله﴾ "[1].

---

(١) البخارى : باب قوله : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً (ج٢ ص١٠٩٨).

وعند مسلم رحمه الله : قالت : " ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿قُل لا يَعلَمُ مَن فِى السموَاتِ والأرض الغَيبَ إلا الله﴾ "[١] .

والمسألة اعتقادية داخله فى معنى " لا إله إلا الله " فمن اعتقد فى أحد من الخلق ، ملكًا كان أو بشرًا ، أو جنًا ، حيًا كان أو ميتًا أنه يعلم الغيب ، فإن اعتقد أنه يعلم كل ما أراد أن يعلمه من الغيب ، فهو كافر بالله ، كافر بالقرآن كافر بالسنة ، كافر بالإجماع ، ﴿أإلهٌ معَ اللهِ لا إلهَ إلا الله﴾ .

يجب التبيّن فى اللفظ والمعنى جميعًا :

وإن أراد أنه يعلم بعض الغيوب بإعلام من الله عزّ وجلّ إياه ، معجزة له إن كان نبيًا ، أو كرامة له إن كان وليًا متّبعًا للنبى ﷺ حق اتّباع ، فالمعتقد صحيح إلا أن الإطلاق غير صحيح ، لا يجوز ، إذ هو مبهم موهم لمعنى غير صحيح ، ويجب على المرء مراعاة لفظة كما يجب عليه مراعاة معناه ﴿اِعدِلُوا هُو أقرَبُ لِلتّقوى﴾ (المائدة :٨) .

﴿وَإذَا قُلتُم فَاعدِلُوا﴾ (الأنعام : ١٥٢) ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ (البقرة : ١٠٤) .

١ - يقول الجصاص رحمه الله تعالى : " اللفظ إذا احتمل الخير والشر ، فغير جائز إطلاقه "[٢] .

٢- ويقول شمس الأئمة رحمه الله : " ينبغى للمرء أن يراعى عبارته كما يراعى معنى كلامه "[٣] .

---

(١) مسلم : باب قوله عزّ وجلّ : ﴿ولَقَد رَآه نَزلَة أخرى﴾ (ج١ ص٩٨) .

(٢) أحكام القرآن (ج١ ص٥٨) .

(٣) شرح السير الكبير (ج٤ ص١٥٠١) .

٣- النيسابورى رحمه الله تعالى : "ولهذا لا يجوز أن يطلق، ويقال: فلأن يعلم الغيب"(١).

٤- ابن عابدين رحمه الله : مجرد إبهام المعنى المحال كافٍ فى المنع عن التلفّظ بهذا الكلام، وإن احتمل معنًى صحيحاً(٢)، ٥- وقال أيضاً : ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كافٍ فى المنع كما قدمناه(٣).

٦- ابن العربى رحمه الله : يجب تجنب الألفاظ المحتملة التى فيها التعرّض للتنقيص والغض(٤).

٧- ابن أبى العز رحمه الله تعالى : والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الآلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة(٥).

الولىّ فى القرآن :

والولى هو المؤمن المتقى أى الشرك والبدع، فيكون مؤمناً بالله عزّ وجلّ فى ذاته وصفاته، ولوازم الألوهية جميعاً متّبعاً للسنة النبوية فى كل شؤونه، وتتفاوت درجات الولاية بتفاوت اتّباع السنة ﴿هُدًى لِلمُتَّقِينَ﴾.

﴿اِهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ حقائق بينة ودلائل ظاهرة على ذلك، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ألا إنّ أولِياءَ الله لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ الذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتّقُونَ﴾ (يونس : ٦٢-٦٣).

---

(١) النيسابورى : تفسير ﴿يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ﴾ (ج١ ص١٣٤).

(٢) رد المحتار : كتاب الكراهية وكره قوله : فى دعاءه ﴿بِمَعقَد العزّ مِن عَرشِكَ﴾ (ج٥ ص٣٤٨).

(٣) الشامى : كتاب الكراهية فى شرح قوله : ﴿وبِحَقّ رُسُلكَ وأنبياءكَ﴾ (ج٥ ص٣٥٠).

(٤) أحكام القرآن ج١ ص٣٢).

(٥) شرح العقيدة ص١٠٩.

أقوال أهل العلم فى تعريف الولى :

١- التفتازانى رحمه الله : الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات[١]، ٢- ويقول : "الولى هو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات"[٢].

٣- يقول الطحاوى رحمه الله تعالى : "والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن" يقول شارحه : "وتكون الولاية كاملة وناقصة ، فالولاية لمن : كان من الذين آمنوا وكانوا يتّقون ، وهى عبارة عن موافقة الولى الحميد فى محابّه ومساخطه ، ليست بكثرة صوم ولا صلاة ، ولا تملق ، ولا رياضة"[٣].

٤- على القارى رحمه الله تعالى : فإن الولى من واظب على الطاعات ولم يرتكب شيئًا من المحرمات ، فما دام عليه امتثال أمر واجتناب زجر ، فلا يطلق عليه اسم الولى العرفى ، وإن كان يقال لكل مؤمن : إنه الولى اللغوى[٤].

٥- أبو المنتهى رحمه الله : "والولى فى اللغة : القريب ، فإذا كان العبد قريبًا من الله تعالى بسبب كثرة طاعته وكثرة إخلاصه ، كان الرب قريبًا منه برحمته وفضله وإحسانه[٥]".

وأولياء الله الذين يذكر الله عند رؤيتهم (كنوز الحقائق (ش) ج١ ص٨٨) .

---

(١) شرح المقاصد (ج٢ ص٢٠٣) ، شرح الفقه الأكبر لملا على ص٩٥ .

(٢) شرح العقائد ص١٠٥ .

(٣) شرح العقيدة ص٤٠٢ و٤٠٤ .

(٤) شرح الفقه الأكبر ص١٤٨ .

(٥) شرح الفقه الأكبر لأبى المنتهى ص٦٩ .

أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله (حك كنوز الحقائق ج١ ص٨٧).

والمتقون هم الذين أخبر الله عنهم بقوله : ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمنَ بِالله واليوم الآخرِ والملائكَةِ والكِتابِ والنَّبِيِّينَ وآتى المالَ عَلى حُبِّه ذَوِي القُرْبى واليتامى والمساكِين وابن السبِيلِ والسائِلينَ وفِي الرقَابِ وَأقَامَ الصلاة وآتى الزكاة والموفُونَ بَعهدِهِم إذا عَاهَدُوا والصابِرِينَ فِي البَأسَاء والضراء وحِينَ البأس أولئِكَ الذينَ صَدَقُوا وأولئِكَ هُمُ المتقُونَ﴾ (البقرة : ١٧٧).

الكرامة ليست شرطًا ، ولا شطرًا فى الولاية :

وأما الكرامة العرفية : فليست من الولاية فى شىء لا شرطًا ولا شطرًا، وإنما يظهره الله عزّ وجلّ أحيانًا لإظهار إكرام الولى، وإعزازه، لحكمة ما، ولتثبته واستقامته على الدين.

﴿وَجَعلَني منَ المكرَمِينَ﴾ (يس : ٢٧) أدلّ دليل على ذلك لئلا يشوش عليه الشياطين فى دينه، اللهمّ يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك.

الكرامة عند أهلها الاستقامة على الدين :

ولذلك من كانوا مثبّتين فى دينهم مهديّين مستبصرين، قلّت : كراماتهم العرفية حتى تعد بالأنامل، وإنما الولاية إكرام الله سبحانه العبد بتوفيقه الاتباع الكامل، والاجتناب عن المحرمات والمشتبهات، ﴿عَلى بَصيرَةٍ أنا ومَن اتبَعَني﴾ (يوسف :١٠٨).

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا، قول علىّ رضى الله عنه كما قالوا.

(بينات من الهدى والفرقان، البقرة (١٨٥) "الاستقامة فوق ألف كرامة"، قول المشايخ الصوفية.

١ – قال السيد أبو محمد المرجانى رحمه الله : إن أكبر الكرامات فى هذا

الزمان اتباع السنة، والعض عليها بالنواجذ، والتشمير لامتثال ما ورد فى وقت وأوان، وترك البدع وقلاها، وترك الالتفات لمن يتعاطاها، أو يرضى بها[١].

٢- ابن أبى العز رحمه الله : ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطنًا وظاهرًا، ومن لم يكن مصدقًا فيما أخبر، ملتزمًا لطاعته فيما أمر فى الأمور الباطنة التى فى القلوب، والأعمال الظاهرة التى على الأبدان، لم يكن مؤمنًا، فضلا عن أن يكون وليًا لله تعالى، ولو طار فى الهواء، أو مشى على الماء، وأنفق من الغيب، أو أخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق، ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور به، وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى المقربة إلى سخطه وعذابه.

٣- قال يونس بن عبد الأعلى الصدفى رحمه الله : قلت للشافعى رحمه الله : إن صاحبنا الليث كان يقول : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعى رحمه الله : قصر الليث، بل إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء، ويطير فى الهواء، فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب[٢].

٤- ويقول إمام الطائفة الجنيد رحمه الله : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء، ويطير فى الهواء، فلا تلتفتوا إليه، فإن الشيطان يطير من الشرق إلى الغرب، ويمشى على الماء، ولكن انظروا فى اتباعه الكتاب والسنة، فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبدًا[٣].

٥- أبو على الجوزجانى رحمه الله : كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا

(١) المدخل ج٤ ص٢٩٤.

(٢) شرح العقيدة : ٥٧٢-٥٧٣، وابن كثير فى تفسير آية ﴿أبى واستكبر﴾ (ج١ ص٧٨).

(٣) المدخل ج٤ ص٢٩٢.

للكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة[١].

٦- السرى السقطى رحمه الله: لو أن رجلا دخل بستانًا فيه من جميع ما خلق الله عزّ وجلّ من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته، وقال: السلام عليك يا ولى الله! فسكنت نفسه إلى ذلك، كان فى أيديها أسيراً[٢].

٧- شيخ الإسلام (أبو يزيد البسطامى رحمه الله): لو رأيتم الرجل يطير فى الهواء، ويمشى على الماء، فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهى، ثم ذكر قول يونس بن عبد الأعلى عن الليث بن سعد، وعن الشافعى رحمه الله[٣].

٨- القرطبى رحمه الله: وقال علماءنا رحمهم الله: ومن أظهر الله على يديه ممن ليس بنبى كرامات وخوارق العادات، فليس ذلك دالا على ولايته[٤].

٩- الشيخ أحمد السرهندى رحمه الله: بل أوهام وخيالات تربى بها أطفال الطريقة[٥]، يقول: ذلك فى المواجيد والأحوال والمعارف التى تعرض للولىّ، بل قالوا: الكرامة حيض الرجال، بمعنى أنها تخفى ولا تظهر، بل تمنع القاصر عن الاستباق إلى الخيرات، وتقنعه على حاله كالحيض يمنع النساء عن الخيرات التى تشترط لها الطهارة، وللمسألة مقام آخر.

---

(١) شرح الفقه الأكبر لملا على القارى ص٩٦.

(٢) تلبيس إبليس ص١٣١.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج١ ص١٣٩.

(٤) تفسير القرطبى لآية ﴿أبى واستكبر﴾ ج٣ ص٢٩٧، ابن كثير فى تفسير الآية عن القرطبى ج١ ص٧٨.

(٥) المكتوبات ج٣ ص٥٠.

ومن النصيحة لله تعالى الدعاء :

ومن النصيحة لله عزّ وجلّ دعاءه والتضرع إليه فى جميع الحاجات، حتى ولو انقطع شسع نعل أحد، فيسأله وحده لا غيره أحدًا من خلق الله أيّ مخلوق، كان حيًّا أو ميتًا، إذ لا معطى، ولا مانع إلا هو، ولا نافع، ولا ضارّ إلا هو، ولا مجيب إلا هو ﴿أإله مع الله﴾ لا إله إلا الله . .

وأما الخلق فإنهم يعطون ويمنعون ويضرون، وينفعون ويجيبون بمشيئة الله عزّ وجلّ، إذا كان مقدوراً لهم، وكان تحت الأسباب العادية، وأما إذا لم يشأ الله سبحانه فلا يستجيبون، ولا يضرّون، ولا ينفعون ولا يعطون، ولا يمنعون ولا ذرة، ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ .

ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث طويل : " يقول له النبى ﷺ فيه : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وإذا سئلت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعواك بما لم يقضِه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه"[1] .

وكذا إذا لم يكن الشىء تحت الأسباب العادية لا يمكن الخلق من أن يفعلوه، أو يوجدوه؛ لأن الخلق إنما يفعلون ما يفعلون بأسباب أجرى الله العادة بوجوده بها، أو بعدها ﴿وَلَو أنهُم رَضُوا ما آتَاهُم اللهُ ورَسُولُه وقَالُوا حسبُنَا الله سَيُؤتينَا الله ورَسُولُه إنّا إلى ربّنا راغِبُونَ﴾ (التوبة : ٥٩) .

﴿وَما نَقَمُوا منهُم إلا أن أغناهُم الله ورسُولُه من فَضلِه﴾ (التوبة : ٧٤) .

نسب الإيتاء فى الآية الأولى إلى الله، وإلى رسوله، وكذلك الإغناء فى الآية الثانية؛ لأن لهما سببًا وهو الغنيمة، وأما الحسب فللّه وحده لا شريك

---

(١) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" فى "معرفة الصحابة" قال الذهبى رحمه الله : فيه قداح، قال أبو حاتم فيه : متروك، وشهاب بن خراش مختلف فيه، وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس رضى الله عنهما فيما أرى (جـ١ ص٥٤١-٥٤٢) .

له؛ لأنه بلا سبب.

الآيات فى الدعاء والإجابة :

١ - ﴿له دَعوةُ الحَقّ وَالذينَ يَدعُونَ مِن دُونِه لا يَستَجيبُونَ لَهُم بِشيء﴾ (الرعد : ١٤).

٢ - ﴿قُل إنّما أدعُو ربّى ولا أشرِكُ به أحداً﴾ (الجن : ٢٠).

٣ - ﴿فَلا تَدعُ مَعَ الله إلهًا آخرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذّبِينَ﴾ (الشعراء : ٢١٣).

٤ - ﴿وَلا تَدعُ مَعَ الله إلهًا آخَرَ لا إله إلا هُوَ﴾ (القصص :٨٨).

٥ - ﴿أجِيبُ دَعوة الدّاعِ إذا دَعانِ﴾ (البقرة :١٨٦).

٦ - ﴿أمّن يجيبُ المُضطرّ إذا دَعاهُ ويَكشِفُ السوءَ﴾ (النمل :٦٢).

٧ - ﴿قَالَ قَد أجيبت دَعوتكُما﴾ (يونس : ٨٩).

٨ - ﴿فاستَجابَ لَهُم ربّهُم﴾ (آل عمران : ١٩٥).

٩ - ﴿إذ تستغِيثُونَ ربكُم فَاستَجَابَ لَكُم إنّى مُمِدّكُم﴾ (الأنفال: ٩).

١٠ - ﴿فاستَجابَ له ربّه فَصرَفَ عَنه كيدَهنّ﴾ (يوسف : ٣٤).

١١ - ﴿أن تَدعُوهُم لا يسمَعُوا دُعاءَكُم ولو سَمِعُوا ما استَجَابُوا لَكُم﴾ (الفاطر : ١٤).

١٢ - ﴿وَمَن أضَلّ مّمَن يدعو من دُونِ الله من لا يستَجيبُ لَه إلى يومِ القِيامَةِ وهُم عن دُعَاءِهِم غَافِلُونَ وإذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا لَهُم أعداءً وكانُوا بِعِبَادَتِهِم كافِرينَ﴾ (الأحقاف : ٥-٦) وغيرها من الآيات.

الآيات فى أنّ النفع والضرّ من الله تعالى :

١ - قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإن يَمسَسكَ الله بِضُرّ فَلا كَاشِفَ لَه إلا هُوَ﴾

يمسسك الله بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (الأنعام : ١٧) .

٢- ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ (يونس : ١٠٧) .

٣- ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ (الأنعام : ٤٦) .

٤- ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾ (الأنعام : ٥٨) .

٥- ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ (الأعراف : ١٨٨) .

٦- ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله﴾ (يونس : ٤٩) .

٧- ﴿قل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ (الجن : ٢١) وغيرها من الآيات .

ومن النصيحة لله سبحانه العبادة :

ومن النصيحة لله سبحانه العبادة له بجميع أنواعها ، لسانية كانت أو بدنية ، أو مالية ، اللسانية : وصفه سبحانه بما وصف به نفسه من غير إلحاد ، ودعاءه في المصائب والحاجات ، ودفع الضر وجلب الخير وضدها ، وصف أحد بما يوصف به الله سبحانه وحده ، ودعاء أحد في الحاجات والمصائب إذا كان المدعو غائبا ، أو غير قادر على جلب النفع ودفع الضر .

والبدنية : القيام والركوع والسجود والقعود ، والصوم ، والطواف والسعي ، وتقبيل الحجر ، والالتزام بالملتزم ، ورمي الجمار ، والتعريف ، وشرب الماء ، والتلبية ، والإحرام ، وخلع الثياب المخيطة ، وما يستر الرأس ، وخلع النعال المتعارفة ، والسفر ، وحلق الرأس ، أو قصره ، أو عدم الحلق وقصره ، كل ذلك عبادات بدنية ، بعضها مؤبدة ، وبعضها موقتة بمكان أو

زمان، ومن العبادة البدنية الجهاد فى سبيل الله بالنفس، ولو كان بذهاب النفس والأهل والمال، وهو ذروة سنام الدين[1]، «لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل»[2].

والمالية: الزكاة والعشر فى الخارج والمعادن، والنذور والوقف والصدقات بأنواعها، فكل ذلك لله وحده لا شريك له فيها على ما ذكرت فى الشرع، فإن العبادات يرجع فى أوقاتها وهيئاتها وكيفياتها إلى الشرع، كما يرجع فى أصلها إليه، وبها يصير العمل صالحًا وحسنًا، أو أحسن، فالصالحات وهى من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه[3].

فإذا فعل العبد واحداً من هذه لأحد من الخلق عبادةً، فقد أشرك بالله عزّ وجلّ -والعياذ بالله- فلا يغفر له إذا مات عليه، و ﴿قَد حَرَّمَ الله عَلَيه الجَنَّةَ وَمأوَاهُ النّار وَمَا للظّالِمينَ من أنصَار﴾، إذا الشرك ظلم عظيم، و ﴿كأنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماء فَتَخطَفُهُ الطّيرُ أو تَهوِى بِهِ الريحُ فى مكانٍ سَحِيقٍ﴾ وأىّ ظلم أعظم من أن يعطى حق الله عزّ وجلّ لمخلوق عاجز فقير «أنتم الفقراء إلى الله» «يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا».

---

(١) ذروة سنام الإسلام: الجهاد فى سبيل الله لا يناله إلا أفضلهم (طب) عن أبى أمامة (صح) (الجامع الصغير ج٢ ص١٩).

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الإيمان: باب الجهاد من الإيمان عن أبى هريرة رضى الله عنه: «ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية -ولوددت ثلاث مرات كلمة- ثم أحيى ثم أقتل» (ج١ ص١٠).

ورواه فى الجهاد: باب تمنى الشهادة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا منى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت» -وذكر ثم أحيى ثم أقتل أربع مرات- (ج١ ص٣٩٢).

(٣) البيضاوى فى تفسير آية البقرة ﴿وبشّر الذينَ آمَنُوا﴾ (ج١ ص١٦).

وشرط النجاة والفوز ما قال الله سبحانه ﴿الَّذين آمَنُوا ولم يَلبسُوا إيمانَهُم بظُلم﴾ (الأنعام : ٨٣)، وقد تحقق أنه ﴿وَما يُؤمنُ أكثَرُهُم بالله ألا وهُم مُشركُون﴾ (يوسف : ١٠٦) الشرك أخفى من دبيب النمل فى ليلة ظلماء على صخرة صماء سوداء[1]، اللهمّ إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا، وأنا أعلم به وأستغفرك لما لا أعلم به .

إن الحكم للّه :

ومن النصيحة لله سبحانه تنفيذ برنامج الدستور الإلهى كله إذا الأرض أرض الله، والخلق خلق الله، ودستور الحياة فيها لغير الله؟ ولا إله إلا الله، إن الحكم إلا لله، وسيأتى التفصيل -إن شاء الله تعالى- .

باكستان والدستور الإسلامى

ولنرجع إلى دولتنا دولة باكستان، هل فيها شيء من النصح لله عزّ وجلّ، فنرى القضاء فيها، والحكم لغير الله سبحانه، وبغير سنة رسول الله ﷺ، وبغير سنة الخلفاء الراشدين والصحابة المهديّين والأئمة المجتهدين - رضى الله تعالى عنهم أجمعين-، وجعلنا الله سبحانه بهديهم مستنين فى جميع شؤون الحياة، ويسمون كله دستورًا إسلاميًا ﴿وَإذا جاءوكُم قَالُوا آمنّا وَقَد

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبى موسى رضى الله عنه مرفوعًا قال خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال : أيها الناس! اتّقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل (ج٥ ص٥٤٩-٥٥٠) .
وأخرجه ابن الأثير فى "النهاية" بلفظ "الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل" (ج١ ص٤٦٦)، وفى "الإحياء" : بزيادة لفظة "على الصفا" يقول العراقى فى "التخريج" : أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى "الضعفاء" من حديث أبى بكر رضى الله عنه، ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى رضى الله عنه (الإحياء مع التخريج : ج١ ص١٦٣ وج٤ ص٩٦) .

دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ (المائدة: ٦١).

﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾ (النور: ٤٠).

وذلك بتركهم الشائع الذائع المعمول من الدين، وأخذهم بالغرائب والتأويلات البعيدة فى النصوص، وحملها على غير محاملها، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، «كيف بك إذا تركت بدعة قالوا ترك سنة» فسبحان الله ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ (النساء: ١٢٢).

﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾ (النساء: ٨٧).

﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا﴾ (الأنعام: ١١٥) حيث يقول الله عز وجل: ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ (الانشقاق: ١٩).

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت: ٢).

ويقول الرسول الأعز الأكرم ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل»، ويقول حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ﴿أحسب الناس﴾ أيظن أصحاب محمد ﷺ ﴿أن يتركوا﴾ أى يمهلوا بعد محمد ﴿أن يقولوا﴾ بأن يقولوا: آمنا بمحمد عليه السلام والقرآن ﴿وهم لا يفتنون﴾ لا يبتلون بالهوى والبدعة وانتهاك المحارم[1].

المحاكم فى باكستان

فنرى المحاكم فى باكستان مشحونة مما يسخط الله عز وجل كالصور والتماثيل وهى موضوعة فى أكرم موضع عندهم فى غاية إعزاز ذلك - بأنهم

(١) تنوير المقباس ص٢٤٥.

كرهوا ما أنزل الله واتبعوا ما أسخط الله سبحانه، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وكَرِهُوا رِضْوانَه فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: ٢٨)، وقد حرم الله عزّ وجلّ التصاوير تصاوير ذوات الروح، ويفعلون ما يفعلون تقليدًا ومحاكاة للكفرة أئمتهم اليهود والنصارى أعداء المسلمين وأعداء الإسلام، يقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿مَا آتاكُم الرسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُم عَنه فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقد نهانا الرسول الخاتم عليه السلام عن تصاوير ذوات الروح؛ لأن فيها مضاهاة بخلق الله تبارك وتعالى، ولأنها سبب لعبادتها وتعظيمها كما كان فى الأمم السابقة، وفى هذه الأمة أيضًا.

منع تصاوير ذوات الروح والأحاديث فى الباب:

١- عن أبى طلحة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير»[١]، ٢- عن سالم عن أبيه قال: "وعد النبى ﷺ جبرئيل عليه السلام فراث عليه حتى اشتد على النبى ﷺ، فخرج النبى ﷺ، فلقيه فشكا إليه ما وجد، فقال له: إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب"[٢].

٣- عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «أشدّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»[٣].

---

(١) أخرجه البخارى رحمه الله فى اللباس: باب التصاوير (ج٢ ص٨٨٠)، وأخرجه مسلم رحمه الله فى باب تحريم صورة الحيوان (ج٢ ص٢٠٠).

(٢) أخرجه البخارى فى اللباس: باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة، وأخرج عن عائشة رضى الله عنها مثله باب من لم يدخل بيتًا فيه صورة (ج٢ ص٨٨١).
وأخرجه مسلم فى اللباس والزينة: باب تحريم صورة الحيوان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن ميمونة رضى الله عنها، وفيه قصة امتناع جبرئيل عليه السلام (ج٢ ص١٩٩).

(٣) أخرجه البخارى فى اللباس: باب ما وطئ من التصاوير، و أخرج مثله عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى باب عذاب المصورين يوم القيامة (ج٢ ص٨٨٠)، وأخرجه مسلم فى اللباس والزينة: باب تحريم تصوير الصورة عنها (ج٢ ص٢٠١).

٤ – وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة أو شعيرة»[(١)].

٥ – عن سعيد بن أبى الحسن رحمه الله قال: كنت عند ابن عباس رضى الله عنه إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس! إنى رجل إنما معيشتى من صنعة يدى، وإنى أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس رضى الله عنه: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته، يقول: «من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيه الروح وليس بنافخ فيها أبدًا» فربا الرجل ربوة شديدة واصفرّ وجهه، فقال: ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك أن تصنع بهذا الشجر، وكل شىء ليس فيه روح[(٢)].

٦ – عن عون بن جحيفة قال: رأيت أبى اشترى حجامًا، فأمر بمحاجمه، فكسر فسألته عن ذلك، قال: إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب و كسب الأمة، و لعن الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله ولعن المصور[(٣)].

٧– وعن علىّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب»[(٤)].

وفى الباب أحاديث كثيرة عند الشيخين وغيرهما من الصحاح وغيرها،

---

(١) أخرجه البخارى فى اللباس: باب نقض الصورة (٢ ص٨٨٠)، وأخرجه مسلم فى نفس الباب (ج٢ ص٢٠٢).

(٢) أخرجه البخارى فى نفس الباب مختصرًا (ج٢ ص٨٨١)، وأخرجه مسلم فى نفس الباب مفصّلا، واللفظ له (ج٢ ص٢٠٢)، وفى "المسند" (ج١ ص٥٩٤).

(٣) أخرجه البخارى فى نفس الباب مختصرًا (ج٢ ص٨٨١)، وأخرجه فى البيوع باب ثمن الكلب، باب ثمن الكلب مفصّلا (ج١ ص٢٩٨).

(٤) أخرجه الدارمى: باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تصاوير (ج٢ ص١٩٦).

فلا نصيحة فى باكستان لله، ولا لكتابه، ولا للرسول ﷺ، فلا دين إذاً، والدين النصحية.

القضاة فى باكستان:

وكذلك صور القضاة ولباسهم، وهيئات جلوسهم للقضاء، ولغتهم كلها مستوردة من الخارج مخالفة لما يرضاه الله عزّ وجلّ ورسوله، وأما حلق اللحى فقد صار شعار عامة الباكستانيّين، بل لعامة المسلمين فى العالم كله، ويستخفّون أصحاب اللحى.

الملعونون بلسان الوحى:

١- والقضاة فى باكستان وأعضاء الحكومة والوزراء ورئيس الجمهورية فكلهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: "لعن النبى ﷺ المخنّثين من الرجال"[١]، ٢- وعنه قال: "لعن النبى ﷺ المتشبّهين من الرجال بالنساء والمتشبهات بالرجال"[٢].

٣- وعن ابن عمر رضى الله عنه قال النبى ﷺ: «انهكوا الشوارب واعفوا اللحى»[٣].

٤- وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء»، أخرجه الحاكم فى

---

(١) أخرجه البخارى فى اللباس: باب إخراجهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن النبى ﷺ المخنّثين من الرجال والمترجلات من النساء" (ج٢ ص٨٧٤).

(٢) أخرجه البخارى فى نفس الباب: باب المتشبهين بالنساء (ج٢ ص٨٧٤).

(٣) أخرجه البخارى فى اللباس: باب إعفاء اللحية (ج٢ ص٨٧٥)، وعنه عند النسائى: باب إحفاء الشارب أحفوا الشارب وأعفوا اللحى (ج١ ص٧ وج٢ ص٢٧٤ و٢٩١)، وعنه عند الترمذى (ج٢ ص٣٣٣).

"المستدرك" فى الإيمان: باب ثلاثة لا يدخلون الجنة[١].

قال الله عزّ وجلّ منبهًا خلقه بخبث طوية إبليس وعلانيته: ﴿وَلَآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلقَ اللهِ﴾ (النساء: ١١٩)، قال ابن زيد: ومنه ا(أى لتغيير) التخنث[٢]، قال الراغب رحمه الله: إشارة إلى ما يشوهونه من الخلقة بالخصاء، ونتف اللحية، وما يجرى مجراه[٣].

٥- اللحية كمال الرجولية، وزينة الوجه للرجل، وسنة جميع الأنبياء عليهم السلام، وشعار الإسلام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُل إن كُنتُم تُحِبّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ اللهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم واللهُ غَفُور رَحِيم﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال الله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الذينَ هَدى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقتَدِه﴾ (الأنعام: ٩٠) "بهداهم" أى بسنتهم، ٦- ولم يكن فى العالم نبى حلَقَ اللحية، أو قصرَها، والخير كله فى الاتباع، وقد قال: ﴿فَاتَّبِعُونِى﴾ وقال: ﴿مَا آتاكُم الرسُولُ فخُذُوه﴾ (الحشر: ٧).

وقال النبى ﷺ موصيًا أنسًا رضى الله عنه فى حديث: «من أحب سنتى فقد أحبّنى ومن أحبّنى كان معى فى الجنة»[٤].

وإعفاء اللحية، وقصّ الشارب من شعائر الإسلام والمسلمين "سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب" على أن عامتهم يستهزئون منها.

---

(١) قال الذهبى: صحيح الإسناد (ج١ ص٧٢).

(٢) النيسابورى: ج٥ ص١٧٨).

(٣) مفردات القرآن ص١٥٧).

(٤) أخرجه الولى التبريزى فى "المشكاة" عن الترمذى الاعتصام بالكتاب والسنة: الفصل الثانى عن أنس رضى الله عنه (ج١ ص٣١)، وهو عند الترمذى فى نسخة «من أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة» كتاب العلم: باب الأخذ بالسنة والاجتناب عن البدعة (ج٢ ص٣٢٣).

أعاذنا الله من سوء الخاتمة، اللهم اهدِ قومى، فإنهم لا يعلمون ﴿إنّكَ لا تَهدِي من أحبَبتَ ولكِنِ الله يَهدِي من يشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦).

القضاء فى المحاكم بقوانين الكفر

وأسوأ من ذلك كله، وأسخطه عند الله عزّ وجلّ، وعند المؤمنين حكمهم وقضاءهم فى جميع المحاكم، ومن جميع قضاتهم بالقوانين الوضعية الكفرية، وأقضاهم عندهم من كان متخصّصًا فى تلك القوانين، فيكون هو قاضى القضاة[1] عند الحكومة، وأما وكلاءهم ﴿فَويلٌ لهُم ممّا كَتَبَت أيديهِم وويلٌ لهُم ممّا يكسِبُون﴾ (البقرة: ٧٩) يستدلون فى دعاويهم ومسائلهم بحكم جزئيات حدثت فى أىّ قطر العالم الكفرى، وقضى به قاضٍ سواء كان ضد الحكم الشرعى، ومقابلا له أم غير ذلك، وينقاد لدليله القاضى ويحكم به، كأنه حكم سماوىّ أوحى إليه فى الوقت الراهن، فنسخ ما كان قبله، فنعوذ بالله سبحانه من الكفر بعد الإسلام ﴿وكيفَ تَكفُرون بالله وأنتُم تُتلى عليكُم آياتُ الله وفيكُم رسُوله﴾ (آل عمران: ١٠١).

بل قد ينكرون التحاكم إلى الله ورسوله جهاراً وعلانيةً ولا يستحيون أىّ حياء، ولا يخشون الله سبحانه ﴿ويَقُولُون آمَنّا بالله وبالرسُول وأطعنَا ثُمّ يَتولّى فَريقٌ منهُم من بَعد ذلكَ وَما أولئكَ بالمؤمنِينَ. وإذا دُعُوا إلى الله ورَسُوله ليَحكُمَ بينَهُم ثم يتولّى فَريق منهُم وهُم معرضُون﴾ (النور: ٤٧-٤٨).

﴿ألم ترَ إلى الذينَ يَزعُمُونَ أنهم آمَنُوا بِما أنزلَ إليكَ وَما أنزلَ من قبلِكَ يُرِيدُونَ أن يتحَاكَمُوا إلى الطاغُوت وقَد أمِرُوا أن يكفرُوا به ويُرِيدُ الشيطانُ أن يُضلّهُم ضَلالا بعِيداً وإذا قيلَ لهُم تَعالَوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسُول رأيت

(١) چيف جسٹس.

المنافقين يَصُدّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ (النساء: ٦٠-٦١).

﴿وَمن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يقبل منهُ وهُو فِى الآخرةِ من الخاسرِينَ. كَيفَ يَهدِى الله قوماً كَفَرُوا بعد إيمانهم وشَهِدُوا أن الرسُولَ حقٌ وجاءهُمُ البيّنات والله لا يَهدى القَوم الظالِمينَ﴾ (آل عمران: ٨٥-٨٦).

جاهليّة أم إسلاميّة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أفَحُكم الجاهليّة يَبغون ومن أحسنُ من الله حُكمًا لقَوم يُوقنونَ﴾ (المائدة: ٥٠) حكم الجاهلية وحكم الله شيئان متقابلان، ولا ثالث لهما واسطة، فما هو حكم الجاهلية، وما هو حكم الله عزّ وجلّ؟

حكم الجاهلية والاحتكام إليه كفر وشرك، إذا لم يكن عن إكراه أو جنون، و هو سلب حق الله عزّ وجلّ إلى غيره من الخلق، وإنكار عن قول "لا إله إلا الله" عملا، وإن لم يجحد قولا، وهو سبيل النار، وأما الاحتكام إلى حكم الله فهو إيمان وتوحيد واعتراف بحق الله عزّ وجلّ له وسبيل الجنة.

فلنبين السبيلين حتى نبصر أيهما نختار على بصيرة إذا المقام مفرق الجنة والنار -أعاذنا الله منها- فو الذى نفسى بيده ما بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار، فلنعلم أن الله هو الخالق لهذا الكون بجميع كياناته وهو العالم به بجميع كيفياته، وهو القادر به بجميع أطواره وهو الذى وضع للخلق كلهم دستوراً لحياتهم وبقاءهم وفناءهم تكوينيًا ﴿وله من أسلمَ من فى السموات والأرض طوعًا وكَرهًا﴾ (آل عمران: ٨٣)، فهو الذى يضع لهم دستوراً تشريعيًا لمن وعدهم بالجنة، وأوعدهم بالنار لاحق لأحد سواه أن يكون شارعًا ومقننًا.

﴿ألا لهُ الخلقُ والأمرُ﴾ (الأعراف: ٥٤).

﴿وَلا يشرك فى حكمه أحدًا﴾ (الكهف: ٢٦).

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ (الشورى: ٢١).

وفى مقابلته حكم الجاهلية، الخلق خلق الله، والأرض أرض الله، والسماء سماء الله، والرزق رزق الله، والحكم تكوينيًا حكم الله، ثم يشرع أحد من الخلق للخلق دستوراً يحتكمون إليه، وقانونًا يرجعون إليه فى اختلافاتهم:

﴿ومَا اختلفتُم فيه مِن شَىء فحكمه إلى الله﴾ (الشورى: ١٠).

﴿والله يقُول الحق وهُو يَهدِى السبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤).

فيُعبّدون العباد للعباد، ويسلبون حريتهم، وقد خلقهم الله لعبادته، وخلقهم أحراراً، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿اعبُدُوا ربّكُم﴾ (البقرة: ٢١).

وكل نبى يدعو قومه فيقول: ﴿يا قَوم اعبُدُوا الله ما لكُم من إله غيره﴾ ويقول: ﴿ولقَد بَعثنَا فى كُل أمة رسُولا أن اعبُدوا الله واجتَنِبُوا الطاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

ويقول المسلم الأول: إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فإذا احتكم الإنسان إلى قوانين وضعية للعباد ضد حكم الله عزّ وجلّ طوعًا، فقد ابتغى حكم الجاهلية، وترك حكم الله ونبذه وراء ظهره.

يقول الشيخ محمد على الصابونى مختصراً كلام السيد قطب فى "ظلال القرآن": "إن الجاهلية فى ضوء هذا النصّ القرآنى البليغ ﴿أفَحُكم الجاهليّة يَبغُون﴾ هى حكم البشر للبشر، وعبودية البشر للبشر، ورفض ألوهية الله، والخروج من عبوديته إلى عبودية غير الله إنه مفرق الطريق، فإما حكم الله وإما حكم الجاهلية، ولا وسط ولا بديل.

فإما أن تنفذ شريعة الله فى حياة الناس، أو ينفذ حكم الجاهلية وشريعة الهوى، ومنهج العبودية لغير الله، والجاهلية ليست فترة من الزمان، ولكنها

وضع من الأوضاع يوجد بالأمس واليوم وغداً، والناس إما أنهم يحكمون بشريعة الله، ويقبلونها ويسلمون لها تسليماً، فهم إذا مسلمون، وأما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر، فهم في الجاهلية، وهم خارجون من شريعة الله[١].

ويقول السيد القطب رحمه الله: الجاهلية ليست فترة تاريخية، إنما هي حالة توجد كل ما وجدت مقوماتها في وضع، أو نظام، وهي في صميمها الرجوع بالحكم، والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة، ويستوي أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمة، أو أهواء جيل كامل من الناس، فكلها مادامت لا ترجع إلى شريعة الله أهواء.

يشرع فرد لجماعة، فإذا هي جاهلية؛ لأن هواه هو القانون، أو رأيه هو القانون، لا فرق إلا في العبارات، وتشرع طبقة لسائر الطبقات، فإذا هي جاهلية؛ لأن مصالح تلك الطبقة هي القانون، أو رأي الغالبية البرلمانية هو القانون، فلا فرق إلا في العبارات، ويشرع ممثلو جميع الطبقات، وجميع القطاعات في الأمة لأنفسهم، فإذا هي جاهلية؛ لأن أهواء الناس الذين لا يتجرّدون أبداً من الأهواء، ولأن جهل الناس الذين لا يتجرّدون أبداً من الجهل هو القانون، أو لأن رأي الشعوب هو القانون، فلا فرق إلا في العبارات، وتشرع مجموعة من الأمم للبشريّة، فإذا هي جاهلية؛ لأن أهدافها القومية هي القانون، أو رأي المجامع الدولية هو القانون، فلا فرق إلا في العبارات، ويشرع خالق الأفراد وخالق الجماعات، وخالق الأمم والأجيال للجميع، فإذا هي شريعة الله التي لا محاباة فيها لأحد على حساب أحد، لا لفرد، ولا لجماعة، ولا لدولة، ولا لجيل من الأجيال؛ لأن الله رب الجميع،

---

(١) صفوة التفاسير: ج١ ص٥٣٧)، وهو في نفس الكتاب بأوسع بيان في "ظلال القرآن" (ج٢ ص٧٥١-٧٥٢.

والكل لديه سواء، ولأن الله يعلم حقيقة الجميع، ومصلحة الجميع، فلا يفوته سبحانه أن يرعى مصالحهم وحاجاتهم بدون تفريط ولا إفراط، ويشرع غير الله للناس، فإذا هم عبيد من يشرع لهم كائنًا من كان فردًا أو طبقة، أو أمة، أو مجموعة من الأمم، ويشرع الله للناس، فإذا هم كلهم أحرار متساوون لا يحنون جباههم إلا لله، ولا يعبدون إلا الله.

ومن هنا خطورة هذه القضية فى حياة بنى الإنسان، وفى نظام الكون كله ﴿ولو اتبَعَ الحقّ أهوَاءهُم لفَسَدَت السَّمَوات والأرض ومن فيهنّ﴾، فالحكم بغير ما أنزل الله معناه الشر والفساد، والخروج عن نطاق الإيمان بنص القرآن[1].

نظام الدين النيسابورى رحمه الله عن الحسن وغيره: "هو عام فى كل من يبتغى غير حكم الله عزّ وجل"[2].

يقول ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الضلالات والجهالات من ما يضعونها بآراءهم وأهواءهم، وكما يحكم به التتار من السياسيات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان الذى وضع لهم "الياسق"، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت فى بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك، فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه فى قليل، ولا كثير.

وقال بعد قليل: قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: عن ابن عباس رضى

(١) فى "ظلال القرآن" تفسير آية المائدة (ج٢ ص٧٢٩-٧٣٠).

(٢) غرائب القرآن: ج٦ ص١٥٦.

الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أبغض الناس إلى الله عزّ وجلّ من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ مسلم بغير حق ليريق دمه». وروى البخاري رحمه الله عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة[١]، ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاحذَرهُم أن يفتِنُوك عَن بعض ما أنزلَ الله﴾ (المائدة: ٤٩) أي واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور، فلا تغترّ بهم، فإنهم كذبة، كفرة، خونة[٢].

الفرق بين منافقي القرن الأوّل وبين منافقي عصرنا

لاحظ الفرق بين هؤلاء وهؤلاء أولئك كان يتولى فريق منهم، وهم معرضون، أما هؤلاء فيتولى كل منهم، الحاكم، والخصمان، والوكلاء ﴿ومَن لم يحكُم بمَا أنزَلَ الله فَأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

ومع ذلك كأنهم يقولون بألسنة: حالهم ما قال الله سبحانه عن أسلافهم ومقدميهم أنهم قالوا: ﴿أيّ الفريقَين خيرٌ مقَامًا وأحسنُ نَديًا﴾ (مريم: ٧٣).

﴿وَلئِن رددت إلى ربّي لأجدنّ خيرًا منها مُنقلبًا﴾ (الكهف: ٣٦).

﴿وَلئِن رُجعت إلى ربّي إن لي عندَه للحسنى﴾ (حم سجدة: ٥٠).

فيا لله لغربة الإسلام «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء»، صار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وبقينا في حثالة من الناس ﴿يا لَيتَني متّ قبلَ هذا وكُنتُ نسيًا منسيًا﴾.

---

(١) ابن كثير في تفسير الآية (ج٢ ص٦٧).

(٢) ابن كثير (ج٢ ص٦٧).

فيا ليتهم فعلوا ما فعلوا واعتقدوه معصيةً وبغيًا على دين الإسلام، ولكنهم يعتقدون فيه، و يقولون عنه: إنه دين وإسلام وعدل وإحسان، وهذا هو الخطر العظيم يستحلون الحرام، ويسمونه بغير اسمه، كما قال عليه السلام: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلون محارم الله بأدنى الحيل»[1].

﴿يُحرِّفُون الكَلِمَ من بَعد مَواضعِهِ يَقُولُون إن أُوتيتُم هذا فَخُذُوهُ وإن لم تُؤتَوه فاحذَرُوا﴾ (المائدة: ٤١).

﴿وإذا قِيل لهُم لا تُفسِدُوا فى الأرض قَالُوا إنّما نَحنُ مُصلِحُون ألا إنهُم هُمُ المفسِدُونَ ولكن لا يَشعُرُون﴾ (البقرة: ١١-١٢).

﴿يُحرِّفُون الكَلِمَ عَن مَواضِعِهِ ويَقُولُون سَمِعنَا وعَصَينَا واسمَعْ غَيرَ مُسمَعٍ ورَاعِنَا ليًّا بألسِنَتِهِم وطَعنًا فِي الدينِ﴾ (النساء: ٤٦).

هؤلاء أشرّ من منافقى القرن الأول؛ لأنهم كانوا يكتمون كفرهم ونفاقهم، وأما هؤلاء اليوم فهم يظهرونه، بل يفتخرون به، بل يجعلونه دينًا وقانونًا إسلاميًا ظلمت بعضها فوق بعض.

سوء صنيع الوكلاء:

والوكلاء يلقنون المدعى والمدعى عليه الكذب البحت فى الدعوى والدفع، ويحثونهم على الافتراء والأيمان الفاجرة، وكذا الشهداء يلقنهم الوكلاء الشهادة الكاذبة شهادة الزور التى عدلت الإشراك بالله سبحانه ﴿وَاجتنِبُوا قَولَ الزورِ﴾ (الحج: ٣٠) وقال: ﴿وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لكَ بِهِ عِلم إن السمعَ والبَصرَ والفُؤادَ كُلّ أولئكَ كانَ عَنهُ مسؤولا﴾ (الإسراء: ٣٦) وقال: ﴿ما يَلفِظُ من قَول إلا لَدَيه رَقِيبٌ عَتِيد﴾ (ق: ١٨) وقال: ﴿إنّ ربّكَ

(١) أخرجه الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير آية الأعراف ﴿وَاسألهُم عَن القَريَةِ﴾ عن ابن بطة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا (تفسير القرآن ج٢ ص٢٥٧).

لبالمرصاد﴾ (الفجر: ١٤) وقال: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ (الفرقان: ٧٢).

عن أبى بكرة رضى الله عنه: قال: "قال النبى ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سكت"[1]، وصلّى النبى ﷺ الصبح، فلما انصرف، قام قائمًا، فقال: عدلت شهادة الزور الإشراك بالله -ثلاث مرات- ثم تلا هذه الآية ﴿وَاجتَنِبُوا قَولَ الزورِ. حُنَفاء لله غَيرَ مُشركِين به﴾[2].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»[3] فضلوا وأضلوا ﴿فَويلٌ لهُم مِمّا كَتَبَت أيديهِم وَوَيلٌ لهُم مِمّا يَكسِبُونَ﴾.

مَلحُوظة-١:

إنما أقول للحاكمين بالقوانين الوضعية الطاغوتية قضاةً ووكلاءً -بعرف الناس ومتفاهَمهم، وإلا فهو تحريف للكلِم الشرعية عن مواضعها-: لا تستحقون تلك الأسامى الشرعية أصلا، وكلما ذكرتَ القاضى والوكيل، فإنما هو على هذا العرف، وأعوذ بالله سبحانه من هذه الإطلاقات، فليس فى باكستان النصيحة لله سبحانه، فليس فيه الدين ﴿أفَغَيرَ دِينِ الله يَبغُونَ﴾ (آل

(١) أخرجه البخارى فى الشهادات: باب ما قيل: فى شهادة الزور، وفى الباب عن أنس رضى الله عنه نحوه (ج١ ص٣٦٢)، وعنده فى الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر عنهما بألفاظ متقاربة (ج٢ ص٨٨٤)، وأخرجه مسلم فى باب الكبائر وأكبرها (ج ١ ص٦٤)، وأخرجه الترمذى: باب ما جاء فى عقوق الوالدين وصححه (ج٢ ص٢٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجة عن خريم بن فاتك أبواب الأحكام: باب شهادة الزور ص١٧٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة فى نفس الباب ص١٧٣.

عمران: ٨٣) لا إله إلا الله، ولا دين إلا الإسلام.

ملحوظة-٢:

إنما قلت: ما قلت عن أكثر الحكام والقضاة والوكلاء: ولعل أن يكون فيهم من هو مسلم ظاهراً وباطناً متديّناً بدين الله عزّ وجلّ في خلواتهم وجلواتهم، وقليل ما هم، والرجوع في الاختلاف إنما يكون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ومَا اختلفتُم فيه مِن شَيء فحكُمه إلى الله...﴾ (الشورى: ١٠) «ومن يعش منكم من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين»[١].

وأما هؤلاء فيتحاكموا إلى الطاغُوت ﴿وقَد أمرُوا أن يكفرُوا به ويُريدُ الشيطانُ أن يُضلّهُم ضَلالا بعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠).

﴿فَمَن يكفُر بالطاغُوتِ ويُؤمنُ بالله فقَد استَمسَكَ بالعُروة الوثقى لا انفِصَامَ لهَا وَالله سميعٌ عَليمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وسيأتي البسط فيه -إن شاء الله تعالى-.

الوكالة:

الوكالة عمل من الأعمال لا بد له من معرفة حقيقته اللغوية والشرعية، فالوكالة لغة: بالفتح والكسر، اسم من التوكيل بمعنى التفويض والاعتماد، يقول الكاساني: التوكيل: إثبات الوكالة، والوكالة في اللغة: تذكير ويراد بها الحفظ، ويراد بها الاعتماد وتفويض الأمر، وفي الشريعة: تفويض التصرّف

---

(١) هو معنى حديث أخرجه الترمذي في العلم: باب الأخذ بالسنة، والاجتناب عن البدعة، عن عرباض بن سارية رضي الله عنه (في حديث) عن النبي ﷺ قال: «فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين عضوّا عليها بالنواجذ» هذا حديث حسن صحيح (ج٢ ص٣٢٣).

والحفظ إلى الوكيل[١].

الشيخ محمد أعلى التهانوى رحمه الله: "وشرعاً: تفويض التصرف إلى غيره، وذلك الغير يسمى وكيلا، أى الوكالة إقامة أحد غيره مقام نفسه فى تصرف شرعى معلوم مورّث لحكم شرعى[٢]، وهى جائزة شرعًا وعقلا، إذا كانت على شرائطها؛ لأن فيها اتصال النفع إلى الغير بالإعانة فى حقه.

قال القدورى رح: "كل عقد جاز أن يعقده الإنسان بنفسه جاز أن يوكّل به غيره"، يقول المرغينانى رحمه الله: "لأن الإنسان قد يعجز عن المباشرة بنفسه على اعتبار بعض الأحوال، فيحتاج أن يوكل به غيره، فيكون بسبيل منه دفعًا للحرج".

وقال القدورى رح: "يجوز الوكالة بالخصومة فى سائر الحقوق".

المرغينانى رحمه الله: لما قدمنا من الحاجة إذ ليس كل أحد يهتدى إلى وجوه الخصومات[٣].

قال القدورى رح: ومن شرط الوكالة أن يكون الموكّل ممن يملك التصرّف، ويلزمه الأحكام، ويشترط أن يكون الوكيل ممن يعقل العقد ويقصده[٤].

يقول الكاسانى رحمه الله: الشرط فى الموكّل فهو أن يكون ممن يملك فعل ما وكّل به بنفسه[٥]، ويقول: الوكيل بالخصومة يملك الإقرار على موكّله

(١) البدائع: ج٦ ص١٩.

(٢) كشاف الاصطلاحات: ج٢ ص١٥١١.

(٣) الهداية: ج٣ ص١٦١.

(٤) الهداية: ج٣ ص١٦٣.

(٥) البدائع: ج٦ ص٢٠.

فى الجملة عند أصحابنا الثلاثة[١].

القرآن والوكالة :

يقول الله عزّ وجلّ: ١ - ﴿وتَعاوَنُوا علَى البرّ والتقوى﴾ (المائدة : ٢).

٢ - ﴿اِعدِلُوا هُو أقرَبُ لِلتّقوى﴾ (المائدة :٨).

٣ - ﴿وإذا قُلتُم فاعدِلُوا ولو كانَ ذا قربى وبِعهدِ الله أوفُوا ذلكُم وصّاكُم به لعلّكُم تذكّرون﴾ (الأنعام : ١٥٢).

٤ - ﴿يَا أيّها الذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ بالقِسطِ شُهَدَاءَ لله ولو على أنفُسِكُم أو الوالدَين والأقرَبين﴾ (النساء : ١٣٥).

٥ - ﴿يا أيّهَا الذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لله شُهَدَاءَ بالقِسطِ﴾ (المائدة :٨).

٦ - ﴿وَلا تَكُن للخَائِنينَ خَصِيمًا. واستَغفِرِ اللهَ إن الله كَانَ غَفُوراً رحِيمًا﴾ (النساء : ١٠٥-١٠٦).

٧ - ﴿لا تُقَدّمُوا بينَ يَدى الله ورسُوله واتّقُوا الله إنّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَرفَعُوا أصواتَكُم فَوقَ صَوتِ النبىّ﴾ (الحجرات : ١-٢).

٨ - ﴿إنّ الله يأمُرُ بالعَدل والإحسان وإيتَاء ذِى القُربى﴾ (النحل : ٩٠)

٩ - ﴿قُل أمرَ ربّى بِالقِسط﴾ (الأعراف :٢٩).

١٠ - ﴿وَقُولُوا للنّاس حُسنًا﴾ (البقرة : ٨٣).

١١ - ﴿وَأحسِنُوا إن الله يُحِبّ المحسنِينَ﴾ (البقرة : ١٩٥).

الآيات كلها فيها الأمر بالعدل والقسط والإحسان، وهما يكونان بالفعل والقول، وفيها الأمر بالقيام لله قولا وفعلا، وفيها المنع عن التقدم بين يدى الله ورسوله أى المنع عن التقدم على كتاب الله وسنة نبيه، وفيها النهى عن رفع

(١) البدائع : ج٦ ص٢٤.

الأصوات فوق صوت النبى ﷺ، والمنع عن الجهر بالقول، والمراد بهما المنع عن سوء الأدب فى حقه عليه السلام فى حياته، وبعد مماته، وأية سيئة وسوء أدب أسوأ من الخلاف عن كتاب الله و سنة رسوله، وهذا سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه، وقد كان هو قاضيًا مصالحًا فى عهده ﷺ، وإذا لم يمكن الصلح بين الخصمين رفع الخصومة إليه ﷺ، ومع ذلك لما رفع المسلم القضية إليه بعد ما قضى عليه رسول الله ﷺ، وسمع منهما قضيتهما، ضرب المسلم بالسيف، فبرد فى مكانه، و سمى عند الله عزّ وجلّ فاروقًا، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إذا أصابَتهُم مصيبة بما قدّمت أيديهم ثمّ جاءُوكَ يحلفُونَ بالله إن أردنَا إلا إحسانًا وتوفيقًا﴾ (النساء: ٦٢).

الآيات نزلت فى تلك القضية كما قاله عامة أهل العلم بالتفسير، وذلك لما قال الله سبحانه: ﴿مَا كانَ لمُؤمِن ولا مؤمنَة إذا قضى الله ورسُولُه أمرًا أن يكونَ لهُم الخيَرة من أمرهِم ومن يعصِ الله ورسُولَه فقَد ضلّ ضلالًا مبينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وقال: ﴿فَلا وربّكَ لا يُؤمِنُونَ حتّى يُحكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فى أنفُسِهِم حرَجًا مّما قَضَيتَ ويُسلّمُوا تسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وقدمرّ منا تفسير الآيات.

ومن الناحية الأخرى:

يقول الله عزّ وجلّ: ١- ﴿وَاجتنِبُوا قَولَ الزور حنفَاء لله غيرَ مُشركِينَ به﴾ (الحج: ٣٠-٣١).

٢- ﴿وَلا تقفُ مَا لَيسَ لكَ بِهِ علم إن السمعَ والبَصرَ والفُؤادَ كُلّ أولئك كانَ عَنهُ مَسئولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

٣- ﴿والّذينَ لا يَشهَدُونَ الزورَ﴾ (الفرقان: ٧٢).

٤- ﴿ما يَلفِظُ من قَول إلا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق :١٨).

٥- ﴿إنّ ربّكَ لَبِالمِرصَادِ﴾ (الفجر : ١٤).

٦- ﴿وَلا تَكُن للخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاستغفرِ الله إنّ الله كَانَ غَفُوراً رحِيمًا﴾ (النساء : ١٠٥-١٠٦).

٧- ﴿وَلا تُجَادِل عن الّذينَ يَختَانُونَ أنفُسَهُم إنّ الله لا يُحبّ من كَانَ خوّانًا أثِيمًا﴾ (النساء : ١٠٧).

٨- ﴿وَمَن يكسِبْ خَطِيئَةً أو إثمًا ثمّ يَرمِ بِهِ بَرِيئًا فقَد احتَمَلَ بُهتَانًا وإثمًا مبِينًا﴾ (النساء : ١١٢).

٩- ﴿وَمَن قُتِلَ مَظلُومًا فقَد جَعَلنَا لوَلِيّه سُلطَانًا فَلا يُسرف فِي القَتل إنّه كَانَ مَنصُوراً﴾ (الإسراء : ٣٣).

١٠- ﴿يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبأ فتَبَيّنُوا أن تُصِيبُوا قَومًا بِجَهَالَة فَتُصبِحُوا عَلى ما فَعَلتُم نَادِمِينَ﴾ (الحجرات : ٦).

١١- ﴿وإن طَائِفتَانِ من المؤمِنِينَ اقتَتَلُوا فأصلِحُوا بَينَهُما فَإن بَغَتْ إحداهُما عَلى الأخرى فقَاتِلُوا الّتِى تَبغِى حتّى تَفِيءَ إلى أمرِ الله فَإن فَاءَتْ فَأصلِحُوا بَينَهُما بالعَدل وأقسِطُوا إنّ الله يُحِبّ المقسطِينَ. إنّما المؤمِنُونَ إخوة فَأصلِحُوا بَينَ أخوَيكُم واتّقُوا الله لَعَلّكُم تُرحمُونَ. يَا أيّها الذينَ آمَنُوا اجتَنِبُوا كَثيراً منَ الظّنّ إن بَعضَ الظَنّ إثم ولا تجَسّسُوا﴾ (الحجرات : ١٠-١٢).

١٢- ﴿أفتُؤمِنُونَ بِبعضِ الكِتَابِ وتَكفُرُونَ بِبَعض فما جراء من يفعَل ذلكَ منكُم إلا خزيٌ فِي الحياةِ الدنيَا ويَومِ القِيامَةِ يُرَدّون إلى أشدّ العَذابِ وَما اللهُ بِغَافل عمّا تَعمَلُون﴾ (البقرة : ٨٥).

١٣- ﴿إن الذينَ يَكفُرُونَ بِالله ورُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أن يُفرّقُوا بَينَ الله ورُسُلِه ويَقُولُون نُؤمنُ بِبَعض ونَكفُر بِبَعض ويُريدُون أن يَتّخِذُوا بَين ذلكَ سَبِيلا﴾ (النساء : ١٥٠).

١٤- ﴿أولئكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقًّا وأعتَدنَا للكَافِرينَ عَذابًا مُهينًا﴾ (النساء: ١٥١).

١٥- ﴿ولاَ تَعاونُوا علَى الإثم والعُدوَان﴾ (المائدة: ٢).

ابن القيم رحمه الله: فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ سببًا لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آراءهم وعقولهم وأذواقهم، وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به، ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟(١).

التقدم بين يدى الله ورسوله:

الآيات صريحة فى مسائل: ١- حرمة الكذب لنفسه ولغيره، والوكالة فى عصرنا هذا هو الكذب وتلقينه، وخداع وإخلاف الوعد، ٢- وحرمة القول بغير علم أى بغير دليل شرعى، وفى الوكالة القول بغير علم وبالظن المحرم، وفيها التجسّس وهو حرام أيضًا، ٣- وحرمة الوكالة للخائن والعاصى والجدال عنه، وفى الوكالة جدال عن الخائن، والعاصى وخصومة عنه، وإن كانت الوكالة عن المحق المظلوم، ففيه أيضًا الكذب والاعتداء، ورمى البرىء أيضًا بالإثم والخطيئة عدى الظالم المعتدى والاعتداء على الظالم زائدًا على اعتداءه، وكلها حرام، ٤- وحرمة الاستناد إلى قول الفاسق، والاعتماد عليه، مدّعيًا كان أو مدعى عليه أو الشهداء. والوكالة لا توجد إلا بالاعتماد عليه، ٥- وفيها الأمر بالصلح بين الخصمين، والوكلاء يجتهدون أن لا يُصطلحوا كى لا تتمّ القضية "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم" (ص ٢٤)، ٦- وفيها الأمر بالقيام ضد الباغى والمعتدى، وفى الوكالة القيام مع الباغى والمعتدى، ٧- وفيها حرمة العمل على الظن وحرمة التجسّس، وفى الوكالة الأخذ بالظن والتجسّس، ٨- وفيها حرمة التوفيق

(١) إعلام الموقعين: ج١ ص٥١).

بين الدساتير الكفرية الطاغوتية وبين الأحكام الإلهية الإسلامية، وحرمة تسميتها إحسانًا، بل هو إساءة أكبر من كل إساءة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله فى بيان الرد إلى كتاب الله وسنة النبى ﷺ وقت التنازع: والإيمان إنما يقتضى إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول، وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأى، فمحض الإيمان فى هذا: الحرب، لا التوفيق[١]، ٩- وفيها حرمة التعاون على الإثم والعدوان، وفى الوكالة التعاون على الإثم والعدوان بالحثّ عليه والإلجاء.

الإمام الشافعى رحمه الله: والعدل اتّباع حكمه المنزل[٢]، وفى الآيات أحكام أخر غير ما ذكرت صريحة، ففى هذه الوكالة مفاسد لا تحصى، بل الوكالة أم المفاسد، ومنبعها، وفيها الإنكار لبعض الكتاب ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: ٨٥).

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥٠) ربّ اهدِ قومى، فإنهم لا يعلمون.

الأحاديث والوكالة

١- أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (فى حديث طويل)، قالوا: فإن لم يفعل قال: فيأمر بالخير -أو قال: بالمعروف- قالوا: فإن لم يفعل، قال: فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة[٣].

---

(١) إعلام الموقعين: ج١ ص٥٠.

(٢) "الأم": باب الأقضية: ج٧ ص٩٣.

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب: باب كل معروف صدقة (ج ٢ ص٨٩٠)، وأخرجه مسلم عن حذيفة رضى الله عنه فى البر، بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (ج١ ص٣٢٤).

٢- أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»(١).

٣- أنس بن مالك رضى الله عنه: عن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»(٢).

٤- وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا قالوا يا رسول الله ﷺ هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا قال تأخذ فوق يديه»(٣).

٥- أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٤).

٦- عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله»(٥).

٧- أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: "قالوا: يا رسول الله! أىّ الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده"(٦).

٨- أبو هريرة رضى الله عنه (فى حديث) قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (ج ٢ ص٨٩٦) ونحوه عند مسلم فى البر باب تحريم الظن (ج٢ ص٢١٦).

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (ج١ ص٦).

(٣) أخرجه البخارى فى المظالم والقصاص: باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (ج١ ص٣٣١)، وعند مسلم عن جابر رضي الله عنه فى البر والصلة: باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا (ج٢ ص٣٢٠).

(٤) أخرجه البخارى فى العلم: باب من سئل عن علم وهو مشتغل (ج١ ص١٤).

(٥) أخرجه البخارى فى الإيمان (ج١ ص٦، والحميدى (ج ٢ ص٢٧١).

(٦) أخرجه البخارى فى الإيمان (ج١ ص٦)، و مسلم فى الإيمان: بيان تفاضل الإسلام (ج١ ص٤٨).

«كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه»(١).

٩- عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ (فى حديث طويل) قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا فليبلّغ الشاهد الغائب»(٢).

١٠- أبو هريرة رضى الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قال: حق المسلم على المسلم ست.... وإذا استنصحك فانصح له"(٣).

١١- أبو هريرة رضى الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشّ فليس منا»(٤).

١٢- ابن عمر رضى الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على خصومة بغير حق كان فى سخط الله حتى ينزع»(٥)، وستمر عليك آيات وأحاديث غير هذا فى كتابنا هذا -إن شاء الله- صريحة فى حرمة الوكالة هذه.

الأحاديث صريحة فى مسائل

١- الإمساك عن الشر حق على المسلم، وفى الوكالة هذه ابتداء بالشر على الخصم، ٢- حرمة الظن أى العمل بالظن؛ لأنه أكذب الحديث وحرمة

---

(١) أخرجه الترمذى فى البر والصلة: باب ما جاء فى الشفقة على المسلم (ج٢ ص٢٣٩).

(٢) أخرجه البخارى فى العلم: ليبلغ الشاهد الغائب (ج١ ص٢١)، وأخرجه فى أبواب من "جامعه"، وأخرجه مسلم فى القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء عن أبى بكرة (ج٢ ص٦١).

(٣) أخرجه مسلم فى السلام: باب حق المسلم على المسلم رد السلام... (ج٢ ص٢١٣).

(٤) أخرجه الترمذى فى البيوع: باب ما جاء فى كراهية الغشّ، وقال: حديث حسن صحيح (ج١ ص١٦٧).

(٥) أخرجه الحاكم فى الأحكام، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى (المستدرك: ج٤ ص٩٩).

التجسّس والتحاسد والتدابر والتباغض، وكلها تورثها الوكالة هذه، ٣- من الإيمان محبة ما يحبّ لنفسه لأخيه المسلم، والوكيل يبغض من توكل عنه إذ يشيره بالكذب والبهتان على خصمه، بل قد يشيره على حرق متاع ومال نفسه حتى يدعي على خصمه بذلك، ويتقوى الوكيل بذلك في خصومته، وقد يشيره بقتل خصمه، أو ابنه، أو آخر من أقرباءه، ولا يحبّ شيئًا من ذلك لنفسه، فأين الإيمان؟

ويبغض خصم من توكل عنه أشدّ من هذا، ويجتهد كل جهده في أن يخصمه، وإن كان محقًا، فأين الإيمان؟ ٤- يجب نصر الظالم بأخذ يده من الظلم، نصر المظلوم في مظلمته فقط، وفي الوكالة نصر الظالم في ظلمه، فيصير ظلمه ظلمات، ونصر المظلوم ظلمًا بجهات سوى ظلامته في الخصومة، فيسير الوكيل ضد أمر الرسول عليه السلام، فأين الإيمان؟ ٥- إسناد الأمر إلى غير أهله ممنوع شرعًا، والوكيل ليس أهلا لإسناد الأمر إليه بالوجوه المذكورة سابقًا، فلا يجوز إسناد الأمر إليه، ٦- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والوكيل لا يسلم منه أحد والمهاجر من هجر ما نهى الله، والوكيل عامل بما نهى الله عنه، فأين الإسلام؟ على أن الوكيل يعتقد في كل ما يفعله جائزًا سائغًا، بل قد يعده حسنة وخدمة للخلق، فأين الإيمان؟ فلا إيمان ولا إسلام ﴿بلى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وأحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأولئِكَ أصحَابُ النّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١).

﴿إلا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ ما هُم﴾ (ص: ٢٤).

٧- كل المسلم على المسلم حرام، والوكيل يسعى في إراقة الدماء، وهتك الأعراض وإهلاك الأموال ﴿وَإذَا تَولّى سَعى فى الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا ويُهلِكَ الحرثَ والنسلَ والله لا يُحبّ الفَسادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

٨- يجب النصح لكل مسلم، ويحرم الغشّ، والوكيل لا ينصح لأحد، والوكيل يغش كل أحد، ويتمنّى الفساد، حتى يتأكل بذلك، وإن

كان ناصحًا فى الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِم والله أعلمُ بِمَا كَانُوا يكتُمُونَ﴾ (آل عمران : ١٦٧) .

٩- من أعان على خصومة بغير حق كان فى سخط الله ، فليتفكّر الوكلاء فيم يعينون، وبم يعينون ﴿ومَن لم يحكُم بمَا أنزَلَ اللهُ فَأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾ (المائدة : ٤٤) .

﴿يُرِيدُونَ أن يَتحاكَمُوا إلَى الطاغُوتِ وقَد أمِرُوا أن يكفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشيطانَ أن يُضِلّهُم ضَلالا بَعيدًا﴾ (النساء : ٦٠) .

﴿إلا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَقَليلٌ ما هُم﴾ (ص : ٢٤) رب اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون .

باكستان والمشاهد

وأما العبادة لله عزّ وجلّ فنرى المساجد فى القرى خالية ، وبعضها خاوية ، والمشاهد والمقابر عامرة ليلا ونهاراً ، وسدنتها كأنهم من خزنة النار أمول أهل القرية ، وأغناهم بجمع السحت والحرام لا يؤذن فى المساجد ، ولا تقام فيها الصلاة «مساجدهم عامرة وهى خراب عن ذكر الله»[(١)] .

ومن جانب آخر : ما من يوم وليلة إلا وفيه عرس لميت ، ومقبور من أعوام ودهور ، فيه اجتماع الرجال والنساء على جميع أنواع المنكرات ، وأكثر الأعراس يحضر إليها الوزراء فى أول يوم ، أو فى الختام ، ويعلن لها فى الجرائد والإذاعة ، بل يعلن للشركة فى الأعراس فى الدول الخارجة ، ويعلن

(١) أخرجه الشيخ ولى الدين التبريزى الخطيب عن البيهقى فى "شعبه" فى العلم : الفصل الثالث عن على رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى» الحديث (المشكاة : ج١ ص٣٨) .

لها بالمراعاة في الجوازات، وفى السفر لها إلى بغداد، وأجمير، ودهلى، وإيران وغيرها، كأنها شعائر إسلامية يحيونها، بل يرسل إلى بعضها وفود الحكومة، وفيها الوزراء وأعضاء الشورى.

محو آثار الشرك ومواضعه من فرائض الدولة

وهى شعائر الكفر كان على المسلم والدولة الإسلامية أن يميتها، ومن فرائض الملة الإسلامية هدمها حتمًا، لا تبرّعًا واستحبابًا "ألا أبعثك على ما بعثنى رسول الله ﷺ"[1]، نص صريح فى ذلك، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَهَوا عَنِ الـمُنكَرِ﴾ (الحج: ٤١)، وقوله عليه السلام: «فليغيره بيده» نصوص صريحة فى ذلك.

علىّ رضى الله عنه وهدم القباب:

ولكنهم يسيرون ضد الشرع والإسلام، كان علىّ رضى الله عنه فى حياة النبى ﷺ مأموراً فى الدولة الإسلامية بتسوية القبور المشرفة، ومحو التماثيل.

وفى باكستان تعلن الحكومة بتعمير قبور الأولياء رحمهم الله، وبناء القباب عليها والمساجد، وقد قال الله عزّ وجلّ فى الذين أرادوا أن يتّخذوا على أصحاب الكهف مسجداً إنهم غلبوا على دينهم، وجعلوه تابعًا لهواهم:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبى الهياج الأسدى رحمه الله قال: قال لى على رضى الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفًا إلا سويته (الجنائز فصل فى طمس التمثال وتسوية القبر ج١ ص٣١٢).
وعند أحمد عن جرير بن حيان عن أبيه أنّ عليّا قال: أبعثك فيما بعثنى رسول الله ﷺ أمرنى أن أسوّى كل قبر وأطمس كل صنم (المسند (ج١ ص١٤٤) ورواية مسلم عن أبى الهياج عند أحمد (ج١ ص١٥٤).

﴿وقَالَ الّذِينَ غَلَبُوا عَلى أمرِهِم لَنَتّخِذَنّ عَلَيهِم مسجِدًا﴾ (الكهف: ٢١).

شرار خلق الله:

وقال رسول الله ﷺ: «إن شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتّخذون القبور مساجد»[(١)].

وعن عائشة رضى الله عنها فى حديث مرضه ﷺ، وذكر مارية الكنيسة والتصاوير فيها، فقال: أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[(٢)].

لايجوز إبقاء مواضع الشرك بعد القدرة عليها ولا لحظة

وعن أبى سعيد رضى الله عنه: "أن النبى ﷺ نهى أن يبنى على القبر"[(٣)]، فالحكومة مسؤولة بهدم القباب والأبنية المبنية على القبور، ولو كانت باسم المساجد أو المدارس أو الخانقاهات، أو بأىّ اسم كانت «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، ولا يجوز تركها ولا لحظة؛ لأنها كمسجد الضرار، بل هى أشدّ منها ضراراً وكفراً ﴿والّذِينَ اتّخَذُوا مَسجِدًا ضِرَارًا وكُفرًا وتَفرِيقًا بينَ المؤمِنِينَ وإرصَادًا لِمن حارَبَ الله ورسُولَه﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا بلفظة «ومن يتخذون القبور مساجد» (ج١ ص٦٦٨)، وأخرجه ابن عبد الهادى فى "الصارم المنكى" عن أحمد وابن أبى حاتم أيضًا (ص١٧٢).

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى باب هجرة الحبشة (ج١ ص٥٤٧)، وأخرجه أيضًا فى باب بناء المسجد على القبر مفصّلا (ج١ ص١٧٩).

(٣) أخرجه ابن ماجة فى باب النهى عن البناء على القبور ص١١٣.

(التوبة : ١٠٧).

﴿أفمن أسّس بُنيَانه عَلى تَقوى من الله ورضوَان خير أمّن أسّسَ بُنيانَه عَلى شَفَا جُرُف هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فى نَارِ جَهَنّمَ وَالله لا يَهدِى القَومَ الظّالِمِينَ﴾ (التوبة : ١٠٩).

وقد أمر النبى ﷺ بهدم مسجد الضرار مرجعه من تبوك سنة عشر من الهجرة، فهدمه الصحابة رضى الله عنهم، وحرقوه وتركوه كجمل أجرب، وجعلوا موضعه كناسة تلقى فيه القمامات[١].

يقول القرطبى رحمه الله فى تفسير آية التوبة (١٠٧) الخامسة: قال علماءنا رحمة الله عليهم: وإذا كان المسجد الذى يتخذ للعبادة، وحضّ الشرع على بناءه، فقال النبى ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كان كمحص قطاة بنى الله له بيتًا فى الجنة» يهدم وينزع إذا كان فيه ضرر بغيره، فما ظنك بسواه، بل هو أحرى أن يزال ويهدم حتى لا يدخل الضرر على الأقدم[٢].

عمر رضى الله عنه وشجرة بيعة الرضوان :

هذه هى الدولة الإسلامية التى تزيل المنكرات، بل تنسيها وتميتها كما أزال عمر رضى الله عنه شجرة بيعة الرضوان، واقتلعها عن أصلها، ومنع الناس عن موضعها فى الموسم، لما رأى الناس جعلوها مشهداً كمشاهد الحج، حتى نسى الناس موضعها فى الموسم القابل، وذلك بمشهد الصحابة رضى الله عنهم، وكلهم وافقوه على ذلك كأنه إجماع منهم، وكل دولة لا تغير المنكرات، ولا تميتها، بل تزوجها وتحييها لا تكون دولة إسلامية، وإن سميت

(١) يقول النيسابورى رحمه الله: وأمر رسول الله ﷺ أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة (غرائب القرآن: ج ١١ ص١٨)، وكذا فى "القرطبى" (ج ٨ ص٢٥٨) ويقول الطبرى: عن ابن زيد وألقى الناس عليه النتن والقمامة (التفسير ج ١١ ص٢٠ والبيضاوى: ج ١ ص٢٠٩).

(٢) تفسير القرطبى (ج ١ ص٢٥٥).

إسلامية، كما لو سميت الحنظلة تفاحة، ولا يجتنى منها إلا الحنظل.

حقائق الأشياء ثابتة :

إذ حقائق الأشياء ثابتة نقلا وعقلا ﴿مَا جَعلَ الله لرَجُل من قَلبَين فى جَوفِه وَما جَعَلَ أزوَاجَكُم اللائِى تُظاهِرُونَ مِنهُنّ أمهاتكُم ومَا جَعلَ أدعيَاءَكُم أبناءَكُم ذلكُم قولكم بأفوَاهِكُم والله يَقُول الحقّ وهُو يَهدِى السّبِيلَ﴾ (الأحزاب : ٤).

وصدق رسول الله ﷺ «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه» الحديث.

أقوال أهل العلم

أقوال أهل العلم فى جوب هدم القباب إذا قدر عليه :

الآلوسى رحمه الله : روى أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لعن الله تعالى زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج».

ومسلم رحمه الله : «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياءهم مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك» وأحمد عن أسامة وهو والشيخان والنسائى عن عائشة رضى الله عنها، ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد».

وأحمد والشيخان والنسائى : «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة».

وأحمد والطبرانى رحمهما الله تعالى : «إن شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد» .

وعبد الرزاق رحمه الله تعالى : «من شرار أمتى من يتخذ القبور مساجد» وأيضًا : «كانت بنو إسرائيل اتخذوا القبور مساجد فلعنهم الله تعالى» إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة .

ثم فصل المسألة عن الشوافع رحمهم الله تعالى والحنابلة حتى قال : وقال بعض الحنابلة : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركًا به ، عين المحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ وإبداع دين لم يأذن به الله عزّ وجلّ للنهى عنها ، ثم إجماعًا ، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك : الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناءها عليها ، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور ، إذ هى أضرّ من مسجد الضرار ؛ لأنها أسّست على معصية الرسول ﷺ لأنه عليه السلام نهى عن ذلك ، وأمر بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل ، أو سراج على القبر ، و لا يصح وقفه ولا نذره -انتهى- .

ثم قال : " وينبغى لكل أحد هدم ذلك ما لم يخشَ منه مفسدة ، فيتعين الرفع للإمام" -انتهى- .

ثم قال : وبالجملة لا ينبغى لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف ما نطقت به الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة معولا على الاستدلال بهذه الآية ، فإن ذلك فى الغواية غاية ، وفى قلة النهى نهاية[1] .

ويقول الشيخ أحمد الرومى رحمه الله : النصب كل ما نصب وعبد من من دون الله تعالى من شجر أو حجر ، أو قبر ، أو غير ذلك ، والواجب هدم ذلك كله ، ومحو أثره كما أن عمر رضى الله عنه لما بلغه أن الناس يتناوبون الشجرة التى بايع الصحابة رضى الله عنهم رسول الله ﷺ تحتها أرسل إليها فقطعها ، فإذا كان عمر رضى الله عنه فعل بالشجرة التى بايع الصحابة رسول

(١) روح المعانى : ج١٥ ص٢٣٧ و٢٣٩ .

الله تحتها، وذكرها الله تعالى فى القرآن حيث قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ فما ذا يكون حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب التى قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بسببها، وأبلغ من ذلك أن عليه السلام هدم مسجد الضرار، ففى هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه كالمساجد المبنيّة على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن يهدم كلها، حتى يساوى بالأرض، وكذا القباب التى بنيت على القبور يجب هدمها؛ لأنها أسّست على معصية الرسول ومخالفته، وكل بناء أسّست على معصية الرسول ومخالفته، فهو بالهدم أولى من مسجد الضرار؛ لأنه عليه السلام نهى من البناء على القبور، ولعن المتّخذين عليها مساجد، فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم ما نهى عنه النبى ﷺ، ولعن فاعله، وكذلك يجب إزالة كل قنديل وسراج وشمع أوقدت على القبور؛ لأن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ، فكل ما لعن فيه رسول الله ﷺ، فهو من الكبائر[1].

ويقول قبل ما ذكرت فى نفس الباب: وإذا قصد الرجل الصلاة عند المقبرة تبرّكًا بالصلاة فى تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله تعالى ورسوله، ومخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى، فإن العبادات مبناها على الاستنان، والاتباع لا على الهوى والابتداع، إلى آخر ما أفاد، ولقد أجاد رحمه الله[2].

وقال الملا على القارئ رحمه الله فى شرح حديث جابر رضى الله عنه عند مسلم رحمه الله تعالى: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصّص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه»[3].

---

(١) مجالس الأبرار ص١٢١.

(٢) المجالس: المجلس السابع عشر فى بيان عدم جواز الصلاة عند القبور ص١١٧.

(٣) وعند الحاكم عنه: «نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر أو يجصص أو يقعد عليه ونهى أن يكتب عليه»، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وقد خرج بإسناده غير الكتابة، وإنها لفظة صحيحة

قال فى "الأزهار": والنهى عن تجصيص القبور للكراهة، وهو يتناول البناء بذلك، وتجصيص وجهه، والنهى فى البناء للكراهة إن كان فى ملكه، وللحرمة فى المقبرة المسبلة، ويجب الهدم ولو كان مسجداً[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن كل ما عظم بالباطل من مكان، أو زمان، أو حجر، أو شجر، أو بنية يجب قصد إهانته، كما تهان الأوثان المعبودة وإن كانت لولا عبادتها لكانت كسائر الأحجار[2]، ويقول: كل ما ينذر له، أو يعظم من الأحجار، أو القبور، أو الأشجار، أو نحوها يجب أن يزال[3].

وقال بدر الدين أبو عبد الله رحمه الله: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهى أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة.

وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التى تقصد للتعظيم والتبرّك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركًا عندها وبها -والله المستعان-.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق، وترزق وتميت وتحيى، وإنما كانوا يفعلون عندها، وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعًا بذراع، وغلب الشرك على أكثر

غريبة، وكذلك رواه أبو معاوية عن ابن جريج (المستدرك: ج١ ص٣٧٠ الجنائز).

(١) المرقاة: باب دفن الميت، الفصل الأول (ج٤ ص٦٩).

(٢) الفتاوى الكبرى: ج٢ ص٩٧.

النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ فى ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمّدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله سبحانه الأرض، و من عليها وهو خير الوارثين(١).

ويقول: وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففى هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادًا منه كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض، وهو أولى بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التى على القبور يجب هدمها كلها؛ لأنها أسّست على معصية الرسول عليه السلام؛ لأنه قد نهى عن البناء على القبور، كما تقدم.

فبناء أسس على معصية الرسول، ومخالفته بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعًا، وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة، كما تقدم، فهدم القباب والمساجد التى بنيت عليها أولى وأحرى؛ لأنه لعن متّخذى المساجد عليها، ونهى عن البناء عليها، ويجب المبادرة والمساعدة على هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله، ونهى عنه، والله تعالى يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما، و يذبّ عنهما، فهو أشدّ غيرة، وأسرع تغييرًا، وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج وطفيه، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ(٢).

فهذه نصوص الأئمة أهل العلم فى وجوب هدم الأبنية المبنية على القبور

---

(١) زاد المعاد: الكلام على غزوة الفتح (ج٢ ص٢٠٠).

(٢) إغاثة اللهفان: فصل مكائد الشيطان بالأنصاب (ج١ ص٢١٠).

على كل من قدر عليها من غير مفسدة زائدة على تركها، وهى من فرائض الدولة الإسلامية، فهل فى باكستان نصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم حاشا وكلا! وهل فى باكستان عمل بكتاب الله عزّ وجلّ وبحديث رسول الله ﷺ؟ وهل فيه عمل بمذهب إمام من الأئمة فى هدم القباب حاشا وكلا، فلا دينَ، ولا كتابَ، ولا سنة، ولا عبادة (لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا يبقى من القرآن إلا رسمه).

مَلحُوظة -١:

يقول الملا القارئ رحمه الله بعد ما نقل من "الأزهار": وجوب هدم القباب ولو كان مسجداً عن التورپشتى رحمه الله، وعن بعض الشراح: وقد أباح السلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم الناس، ويستريحوا بالجلوس فيه -انتهى-.

ولم ينكر القارئ على قائل هذا القول المنكر، وقد رأيت الأحاديث الصحيحة عن خاتم النبيّين ﷺ، وأقوال أهل العلم الأئمة.

فمَن السلف؟ حتى أباحوا ما حظره رسول الله ﷺ بأمر الله عزّ وجلّ، ولعن فاعله، وجعله من شرار الناس.

مَلحُوظة -٢:

وفى "المستدرك" للحاكم بعد ذكر حديث جابر رضى الله عنه: هذه الأسانيد صحيحة، وليس العمل عليها، فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم، وهو عمل أخذ به الخلف من السلف.

يقول الذهبى رحمه الله فى الردّ عليه فى تلخيصه: ما قلت: طائلا، ولا نعلم صحابيّا فعل ذلك، وإنما هو شىء أحدثه بعض التابعين، فمن بعدهم،

ولم يبلغهم النهى[1].

ويقول الآلوسى فى الردّ على الحاكم بعد نقل قوله: ويرد بمنع هذه الكلية وبفرضها: فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها فى المقابر المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوها، وقد علموا بالنهى عنه، فكذا هى، فإن قلت: فهو إجماع فعلى، فهو حجة كما صرحوا به.

قلت: ممنوع، بل هو أكثرى فقط، إذ لم يُحفظ ذلك عن العلماء الذين يرون منعه، وبفرض كونه إجماعًا فعليًا، فمحل حجيته كما هو ظاهر إنما هو عند صلاح الأزمنة، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة[2].

وهل شاع الشرك فى العالم إلا بذلك «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا»، فسبحان من لا يضلّ ولا ينسى.

كلية أصولية:

وههنا كلية ذكرها الفقهاء رحمهم الله: يكره عند القبر كل ما لم يعهد من السنة، ذكرها القارئ أيضًا فى نفس الصفحة.

وضابطة أخرى أيضًا:

إن القياس وعمل أحد من الناس فى مقابلة النص شرع الدين من عند أنفسهم، ولم يأذن به الله ﴿أم لهم شركاءُ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ لا إله إلا الله.

(١) تلخيص الذهبى للمستدرك (ج ١ ص ٣٧٠)

(٢) روح المعانى: ج١٥ ص٢٣٨.

له دعوة الحق :

وأما الدعاء فهو مخ العبادة ، بل هو العبادة ، فترى الضرائح والقبور والمشاهد فيها ضجيج الداعين وعويل المضطرين ، وبكاء السائلين ، وتتريب الجباه على القبور ، والتمرّغ عليها ، والصلاة إليها ، والركوع والسجود إليها ، ونذر الأموال لهم ، بل نذر البنات والأبناء من غير أىّ ما حياء ﴿لأتخذنّ من عبادك نصيبًا مّفروضًا﴾ (النساء : ١١٨) .

﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾ (الإسراء : ٦٤) .

وما يفعلونه فى المشاهد من المنكرات والفواحش سدنتها والواردون إليها لا يستطيع مسلم رؤيتها ، بل سماعها من أحد ، فما من بلدة إلا ولها آلهة تعبد ، ولا أرى أحدًا إلا وفيه الإشراك[1] .

للحميدى :

فثق بالله يكفك واستعنه ... يعنك وذر بنيّات الطريق

ابن القرطبى :

إن ربا كفاك بالأمس ما كا ... ن سيكفيك فى غد ما يكون[2]

تساهل أهل العلم فى أداء فرضهم :

وأما علماءهم وأحبارهم فقنعوا بمدارسهم وتعليمهم الرسمى ، وأما رهبانهم ومشايخهم فاكتفوا بتلقينهم الرسمى ومواعظهم وإرشادهم الأذكار والمراقبات الرسمية فى دور إرشادهم ومساجدهم وبيوتهم ، وأما دعاتهم فقد

(١) يقول إمام الهند الإمام ولى الله الدهلوى رحمه الله فى " البدور البازغة " : ولست أرى أحدًا إلا وفيه الإشراك كما قال الله : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (ص ١٦٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ : (ج ٤ ص ١٣٩٧) .

اكتفوا بدعوتهم بكلمات رسمية فى العالم كله، وتركوا الجهاد على منهاج الرسول الأكرم ﷺ كأنه نسخ (والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة) ﴿لا تَبدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾، بل جعلوا الجهاد كله هو ما يفعلونه، وأما جهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وجهاد الصحابة رضى الله عنهم وجهاد المسلمين فى القرون الأولى، فكأنه لم يطرق العالم شىء منه، ولم يتطرّق العالم، ولا يتطرق إلى قيام الساعة ناموس أعظم من ناموس محمد ﷺ[1].

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ولما تركوا الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر على منهاج الرحمة المهداة ﷺ، وعلى منهاج السلف رضى الله عنهم، ذهب الدين والدنيا، وشاع الكفر والظلم، وخربت البلاد، وضاعت الثغور، وظهرت الزندقة والغلو والمذاهب الباطلة، حتى التنبؤ فى قاديان وربوه، وتوارثوها بينهم، وظهرت فرق أعداء الإســـــلام: من الذكرية، والبهائية، والإسماعيلية، والرافضة، والثنوية، والوثنية وغيرها من الفرق، والذى جلب ذلك كله عليهم ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإنكار على السلطان الجائر ﴿يَا حَسرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأتِيهِم من رَسُولٍ إلا كَانُوا بِهِ يَستَهزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠).

﴿إِنَّهُم أَلفَوا آبَاءهُم ضَالِّينَ فَهُم عَلَى آثَارِهِم يُهرَعُونَ﴾ (الصافات: ٦٩-٧٠).

وكأنه صدق قول النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء

(١) يقول ابن سينا: ما تطرق العالم ناموس أعظم من ناموس محمد ﷺ (منهاج السنة النبوية ج ١ ص٨٦).

دوس حول ذى الخلصة»[1] وقوله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تدافع نساء بنى عامر على ذى الخلصة»[2].

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود ليس ذلك من ود
وكم هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطرّ بالصمد الفرد
وكم نحروا فى سوحها من نحيرة ... أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف عند القبور مقبلا ... ويلتمس الأركان منهنّ باليد

---

(١) أخرجه البخارى فى الفتن : باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ، عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج٢ ص١٠٥٤)، وأخرجه مسلم عنه فى الفتن وأشراط الساعة. وأخرج عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزّى (ج٢ ص٣٩٤)، وأخرجه عنه عبد الرزاق فى أشراط الساعة (ج١١ ص٣٧٩)، وأخرجه عنه أحمد (ج٢ ص٥٣٢).

(٢) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" : كتاب الفتن (ج٤ ص٥٥٠).

الدعاء هو العبادة :

روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿إِنَّ الذينَ يَستكبِرُونَ عَن عِبَادتِى سَيَدخُلُون جهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[1] .

فهل من له قلب يتأسّف على ذلك ويحزن؟ وفى الحديث : «أوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها قال يارب إن فيهم عبدك فلانًا لم يعصِك طرفة عين قال اقلبها به وبهم فإن وجهه لم يتمعّر فىّ ساعة قط» ، رواه البيهقى رحمه الله .

فهل فى باكستان نصيحة لله عزّ وجلّ عند أحد من الولاة والعلماء وغيرهم إلا ما شذّ وندر ، والدين النصيحة ، قيل : لمن؟ قال : لله (عزّ وجلّ) : ﴿قُل فللّه الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾ (الأنعام : ١٤٩) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : "وما لى لا أبكى وما أعرف لكم شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا القبلة" .

وعن مالك عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه قال : "ما أعرف شيئًا مما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٥ ص٣٤٧) ، ورواه أبو داود فى باب الدعاء عنه بلفظ : «الدعاء هى العبادة» (ج١ ص٢١٥) ، والترمذى عنه فى التفسير ، وقال : هذا حديث حسن صحيح (ج٢ ص٣٩٩) ، وابن ماجة فى الدعوات عنه (ص ٢٨٠) ، ورواه ابن كثير (ج ٤ ص٨٥) وابن جرير (ج٢٤ ص٥١) ، ورواه الترمذى فى الدعوات ، عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا قال : «الدعاء مخّ العبادة» هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا فى حديث ابن لهيعة (ج٢ ص٤١٧) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا عند الحاكم : "ليس شىء أكرم على الله من الدعاء" (ج١ ص٤٩٠) ، و أخرجه أحمد (ج٣ ص٤٩) ، ورواه عنه الحاكم أيضًا ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : "أفضل العبادة هو الدعاء ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ (المستدرك وكتاب الدعاء : ج١ ص٤٩١) .
وأخرجه الترمذى فى الدعوات : باب فضل الدعاء ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمرو بن القطان (ص٤١٧) .

أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة"، كأنهما رحمهما الله تعالى حكوا حال زماننا، لا يعرف الناس إلا النداء والقبلة، والذى نفسى بيده لم يعرفوا النداء بالصلاة، ما معناه؟ وما ذا يطلب منا؟ وما ذا لنا به إن أجبناه؟ وما ذا علينا إن لم نجبه؟ ولم يعرفوا القبلة أيضًا، لا أقول: عن عوامّهم، بل علماءهم وقراءهم لم يعرفوا معنى القبلة، حتى إنهم يقولون: ويفتون فى كل من يتوجه إلى القبلة، ويخفض ويرفع رأسه، وإن كان مشركًا يدعو فى حاجاته غير الله سبحانه، ويستغيث به فى الشدائد، وينذر له ويعتقد فيه علم الغيب إلى غير ذلك من الشرك والكفر: إنا لا نكفّره؛ لأنه من أهل القبلة، وقد أخبرنى ثقة من عالم معلم فى جامعة أنه قال: لا أكفّر القاديانية؛ لأنهم من أهل القبلة، فيا لهم ضلّوا وأضلّوا.

أهل القبلة:

ولنبين أهل القبلة من هم بحول الله وقوته، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ (البقرة: ١٤٥).

أقوال أهل العلم

١- يقول ابن عباس رضى الله عنهما -كما يروى عنه المجد الفيروزآبادى رحمه الله-: فى قوله سبحانه: ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ما صلوا إلى قبلتك، وما دخلوا فى دينك[١].

٢- وقال التفتازانى رحمه الله: "فلا نزاع فى كفر أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم، ونفى الحشر ونفى العلم بالجزئيات،

(١) تنوير المقباس مع الدر المنثور: ج١ ص٦٤.

ونحو ذلك، وكذا بصدور شيء من موجبات الكفر عنه[1].

٣- ويقول ابن حيان في تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ ذلك إشارة إلى أن اليهود لا تتنصّر، وإلى أن النصارى لا تتهوّد[2].

٤- وقال عبد العزيز البرهاروي رحمه الله: أهل القبلة في اصطلاح المتكلّمين من يصدق بضروريات الدين أي الأمور التي علم ثبوتها في الشرع واشتهر، فمن أنكر شيئًا من الضروريات كحدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الله سبحانه بالجزئيات وفريضة الصلاة والصوم، لم يكن من أهل القبلة، ولو كان مجاهدًا في الطاعات، وكذلك من باشر شيئًا من أمارات التكذيب كسجود الصنم والإهانة بأمر شرعيّ، والاستهزاء عليه، فليس من أهل القبلة.

ومعنى عدم تكفير أهل القبلة أن لا يكفر بارتكاب المعاصي، ولا بإنكار الأمور الخفية غير المشهورة، هذا ما حقّقه المحقّقون فاحفظه[3].

٥- وقال عليّ القارئ رحمه الله: ثم اعلم أن المراد بأهل القبلة الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الله بالكليات والجزئيات، وما أشبه ذلك من المسائل، فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدم العالم، ونفي الحشر ونفي علمه سبحانه بالجزئيات، لا يكون من أهل القبلة، وأن المراد بعدم تكفير أهل القبلة عند أهل السنة أنه لا يكفر ما لم يوجد شيء من أمارات الكفر وعلاماته، ولم يصدر عنه شيء من موجباته[4].

٦- وقال عبد العزيز البخاري رحمه الله: بحث من لا تختل الإجماع بخلافه، وكذلك إن غلا فيه -أي الهوى- حتى وجب إكفاره به لا يعتبر خلافه

(١) شرح المقاصد: ج٢ ص٢٦٩.

(٢) البحر المحيط: ج١ ص٤٣٢.

(٣) النبراس (ص٥٧٢).

(٤) شرح الفقه الأكبر (ص١٨٩).

ووفاقه أيضًا لعدم دخوله في مسمّى الأمة المشهود لها بالعصمة، وإن صلى إلى القبلة، واعتقد نفسه مسلمًا؛ لأن الأمة ليست عبارة من المصلّين إلى القبلة، بل عن المؤمنين، وهو كافر، وإن كان لا يدرى أنه كافر[١].

٧- ويقول ابن أبى العزّ رحمه الله تعالى: نسمى أهل قبلتنا مسلمين ما داموا بما جاء به النبى ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبره مصدقين، والمراد بقوله: "أهل قبلتنا" من يدعى الإسلام، ويستقبل القبلة، وإن كان من أهل الهوى ما لم يكذب شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ[٢].

٨- وقال الطحاوى رحمه الله: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله (عقيدة الطحاوى) الشرح: لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإنه تاب، وإلا قتل كافرًا مرتدًا[٣].

٩- ويقول أبو الشكور السالمى رحمه الله: فمن تكلّم فى الله، أو فى كلام الله، أو فى قدر الله بغير حق، فهو كافر بلا خلاف، ومن تكلّم فى أفعال عبيد الله، أو فى أصحاب رسول الله ﷺ، إن كان مخالفًا للنصّ الصريح، أو الخبر المتفق عليه، أو الإجماع، فإنه يوجب الكفر بلا خلاف[٤].

ويقول: الأصل فى ذلك أن من تكلّم، أو اعتقد بشىء، يكون إنكار النصّ، أو ما يقوم مقام النصّ كالسنة الظاهرة الثابتة، وإجماع الأمة، فإنه يوجب الكفر[٥]، وكذلك المسلم لو سجد للأصنام، أو تابع الكفار بفعل من أفعالهم الذى يكون دينًا عندهم، فإنه يصير كافرًا، وكذلك لو أظهر عن نفسه علامة الكفار كلبس قلنسوة

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوى: ج٣ ص٢٣٨.

(٢) شرح عقيدة الطحاوى: ص٣٥١.

(٣) شرح عقيدة الطحاوى: ص٣٥٥.

(٤) التمهيد: ص١٩٢.

(٥) التمهيد: ص١٩٨.

المجوس، والعسلى، والزنار، فإنه يصير كافراً، سواء فعل ذلك من غير اعتقاد، أو من اعتقاد، أو من سخرية، ولو فعل تقية، أو مكرهًا لا يصير كافراً.

وكذلك لو لبس لباس الكفار مما لا يكون علامة الكفر، واقتدى بسيرتهم التى لا يكون دينًا عندهم، وإنما يكون لهواً، أو اختراعًا، فإنه لا يحكم بكفره.

ضابطة فى صحة الاعتقاد وفى زواله :

وهذا كله بمعنى، وهو أن الاعتقاد بشيء شرط لصحة ذلك على الحقيقة، وكل عمل يدل على الاعتقاد، فإنه يعمل عمل الاعتقاد، وكل عمل يحتمل الشبهة، فإنه لا يدل على الاعتقاد[١].

فهذه أقوال أساطين علم الكلام فى أهل القبلة أنهم هم أهل الدين الحق الحنيف، إذا لم يُظهروا فعلا أو قولا يدل على الكفر بدون إكراه بالقتل أو القطع، لا الذين يتوجهون إلى الكعبة فى عباداتهم فقط.

نكتة فى تسميتهم أهل الدين بأهل القبلة

كان النبى ﷺ وأصحابه قبل الهجرة يتوجهون فى الصلاة إلى الكعبة المعظمة من جهة مقام إبراهيم عليه السلام من جهة يكون المسجد الأقصى أيضًا فى قبلتهم، وبعد الهجرة افترقت عليهم الجهتان كانت الكعبة المعظمة غربية، والأقصى شرقيًا، ولم يوحَ إلى النبى ﷺ فى ذلك شيء، فتوجه إلى الأقصى دون الكعبة مقتديًا بالأنبياء قبله -عليه وعليهم الصلاة والسلام- ﴿أولئكَ الذينَ هَدى الله فبِهُدَاهم اقتَدِه﴾ (الأنعام: ٩٠).

﴿ومَن يرغَبُ عَن ملّة إبراهِيمَ إلا مَن سَفِه نَفسَه﴾ (البقرة: ١٣٠).

(١) التمهيد: ص١٠٨.

فلم تتميز جماعة المسلمين عن غيرهم تمييزاً شعارياً ظاهراً، وكان لا بد أن يميزوا عن جميع من عداهم من أهل الأديان ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُم عليه حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

وكان أكثر العبادات يشترك فيها أهل الأديان كلها، والمشركون أيضاً مع المسلمين فى ظاهر الصورة، فلم يحصل بها التمييز كليًا، ولا يحصل إلا بتجديد ملة إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- وهو بالتوجه إلى الكعبة الشريفة، إذ هو عنوان التجديد، وكان المشركون يتوجهون إليها أيضًا، فلم تحول القبلة إلى الكعبة قبل الهجرة لعدم حصول التمايز حينئذ من المشركين فى ذلك، وكذلك بعد الهجرة إلى رأس ستة عشر شهراً من مقدمه ﷺ؛ لأن أهل المدينة الأوس والخزرج أيضًا كان فيهم مشركون، فلما دخل الإسلام فى كل دور الأنصار، حولت القبلة فى رجب على رأس ستة عشر شهراً فى صلاة الظهر، أو العصر على ما قاله ابن هشام عن ابن إسحاق فى "سيرته"[1]، والسيوطى رحمه الله فى "الإتقان"[2] وغيرهما.

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه: "أن النبى ﷺ أول ما قدم المدينة نزل على أجداده -أو قال- أخواله من الأنصار، وإنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشرة شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت"[3].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ثم صرف إلى الكعبة"[4]، فحصل التمييز الكلى بذلك، ولذا ساء أهل الكتاب بذلك

(١) سيرة ابن هشام: ج٢ ص٣٧، والتفصيل فى ابن جرير ج٢ ص٣، والطبقات ج١ ص٢٤١-٢٤٢، وزاد المعاد: ج٢ ص٥٩ باختلاف وزيادة.

(٢) الإتقان: ج٢ ص٢٠-٢١ / النوع الثالث معرفة الليلى والنهارى.

(٣) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب الصلاة من الإيمان (ج١ ص١٠).

(٤) أخرجه أحمد: ج١ ص٣٤٢ و٣٢٦.

حتى قالوا ما قالوا: ﴿سَيقُول السّفهاءُ من النّاس ما ولاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الّتى كانُوا علَيهَا﴾ إشارة إلى ذلك، فلما كان شعار التمائز بين المؤمنين وغيرهم التوجّه إلى الكعبة قبلتهم، وقبلة أبيهم إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- كما يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الّتى كُنتَ علَيهَا إلا لِنَعلَم مَن يتّبعُ الرسُولَ ممّن يَنقَلِبُ على عقبَيهِ وَإن كانت لكَبِيرة إلا عَلى الذينَ هَدى الله﴾ (البقرة: ١٤٣)، ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وإنّ الذينَ أوتُوا الكتَابَ لَيَعلَمُونَ أنّه الحقّ من ربّهم﴾ (١٤٤)، ويقول عزّ وجلّ: ﴿لِئَلا يكونَ للنّاسِ عَليكُم حُجّة إلا الذينَ ظَلمُوا منهُم﴾ (البقرة: ١٥٠).

بيّن الله سبحانه حكمة التحويل: تميز من يتّبع الرسول -عليه السلام- ممن ينقلب على عقبيه[1]، وجعل اتّباعه فى ذلك ثقيلة شاقّة، وجعل التحويل مما يعرفه أهل الكتاب لهذه الأمة، فلو لم تحول لكانت حجة لأهل الكتاب أنه ليس النبى المعهود الموعود به ﴿لِئَلا يكُونَ للنّاس عَليكُم حُجّة﴾ (البقرة: ١٥٠).

أهل السنة والجماعة

لهذه الوجوه وغيرها سميت الجماعة الحقة المتبعة للرسول ﷺ أهل القبلة وأهل السنة والجماعة.

١- السنة: أى طريق النبى -عليه السلام-، والجماعة: أى طريق الصحابة -رضى الله عنهم-[2].

٢- السنة: ما سنّه النبى ﷺ، والجماعة: ما اتفق عليه أصحاب النبى ﷺ فى

(١) لما حُولت ارتدّ من المسلمين قوم ونافق قوم (القرطبى: ج٢ ص١٥٧)، القاسمى: ج٢ ص٢٩٥)، قال ابن جريج: بلغنى أن ناساً ممن أسلم رجعوا، فقالوا: مرة ههنا، ومرة ههنا (ابن جرير: ج٢ ص٩)، النيسابورى: ج ٢ ص١٧، الكبير: ج٢ ص١١، الجلالين وجامع البيان: ج١ ص٢١.

(٢) شرح المقاصد: ج٢ ص٢٧١.

خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديّين -رضى الله عنهم أجمعين-(١)

فأهل القبلة هم أهل الدين الحق، لا المصلون فقط وإن كانوا مشركين أو كفاراً، ولا الذين يتحاكمون إلى الطاغوت طوعًا واختياراً، ولا الذين يحكمون بغير ما أنزل الله عزّ وجلّ طوعًا واختياراً، ولا الذين يستهينون المعاصى حتى الكبائر -أعاذنا الله سبحانه وجميع المسلمين من جميع هذه المعاصى- فحرفوا المراد بأهل القبلة كما حرفوا المراد بأهل السنة والجماعة، فكل مشرك معتمد على غير الله سبحانه، و كل مبتدع مخالف لرسول الله ﷺ فى العبادات يسمّى فرقته أهل السنة والجماعة ﴿يُحرّفُون الكَلِمَ عَن موَاضعِهِ﴾ قاتلهم الله أىّ علم أفسدوا، وأىّ دين أضاعوا.

سبب خطأ بعض المتأخرين:

وما أتى عليهم ذلك إلا لوضعهم الأسماء على غير مسمياتها(٢)، وما أتى على بعض المتأخرين إلا أنهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم وزمانهم، وليس الأمر كذلك، بل كل زمان يختصّ بعرفه وعادته(٣)، فكل مسلم قال أو فعل ما يدل على التكذيب، فقد أبطل لا إله إلا الله، فإذاً ليس فى باكستان النصيحة لله عزّ وجلّ ﴿أإله مع الله﴾ لا إله إلا الله.

إيراد وجواب

وأما ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا تكفره بذنب ولا تُخرجه من الإسلام

---

(١) الغنية للشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى: ج١ ص٨٠.

(٢) المدخل: ج٣ ص٩٥.

(٣) المدخل: ج٢ ص١٧٨.

بعمل والجهاد ماضي منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار»[١].

وكذا ما روى عن أبى سعيد رضى الله عنه: لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه[٢]، وكذا ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه: كفوا عن أهل "لا إله إلا الله" ولا تكفروهم بذنب، فمن أكفر أهل "لا إله إلا الله" فهو إلى الكفر أقرب[٣]، وكذا ما روى عن أنس رضى الله عنه: لا يخرج المؤمن من إيمانه ذنب كما لا يخرج الكافر من كفره إحسان (الديلمى)[٤].

فالمراد من الذنب والعمل فى رواية أنس رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنهما ما لا يدلان على تكذيب الشرع، وما لا يدلان على الكفر، والمراد من قوله: لا إله إلا الله هو القول عن القلب والعقيدة الراسخة بجميع ما تحت الكلمة الطيبة لا قولها باللسان فقط بدون العلم والعقد بما تتضمنه الكلمة، أو مع فعل ما ينافيها، فإن وجود الشرائط، وارتفاع الموانع الأصلية أو الطارئة شرط لوجود الشيء ولبقاءه، وكذا الجحود فى رواية أبى سعيد رضى الله عنه عام للجحود قولا، وللجحود فعلا.

قال أبو الشكور السالمى رحمه الله: وقالت الكرامية: من قال: لا إله إلا الله، ولم يعرف الله ولم يعلم الصانع من المصنوع، ولم يعتقد ذلك، فإنه يكون مؤمناً، وهذا هو التقليد المحض، ثم ردّ السالمى رحمه الله قول الكرامية، وقال: ولهذا المعنى قال فقهاءنا من أهل السنة والجماعة: إن القول الفرد ليس بإيمان[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود فى الجهاد: باب الغزو مع أئمة الجور: ج١ ص٣٥٠.

(٢) أخرجه على المتقى فى "الكنز" عن أبى سعيد رضى الله عنه، ورمز له "طس" (كنز العمال: ج١ ص٩١.

(٣) كنز العمال: ج٣ ص٦٣٥) (طب)

(٤) كنز العمال: ج١ ص٢٦٥.

(٥) التمهيد: ص١٠١.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فاعلَم أنّه لا إلهَ إلا الله﴾ (محمد: ١٩)، فالعلم قبل القول والعمل[(١)]، ويجب على العبد قبل اشتغاله بذكر الكلمة الطيبة علم ما يصح به اعتقاده[(٢)]، وسيأتي في المسألة تفصيل -إن شاء الله تعالى-.

النصيحة لكتابه:

وأما النصيحة لكتاب الله عزّ وجلّ فهو الإيمان به، والحياة في ظلاله، والعمل بأوامره، والاجتناب عن زواجره في جميع شؤون الحياة؛ لأنه النور الذي جاء من عند الله عزّ وجلّ، فيه يستضاء في جميع ظلمات الحياة الفردية والاجتماعية بكل أنحاءها، وإذا لم يستضئ به فرد، أو جماعة، أو دولة في جميع ما ينوبهم، ويحدث أمامهم، بقوا حيارى في ظلمات لا يبصرون الكفر من الإسلام، ولا البدع من السنن، ولا الضلال من الهدى.

يقول الطحاوي رحمه الله في حديث النصيحة لكتاب الله: "وإن ذلك عندنا على تعليم كتابه، وعلى النصح لمن يعلّمونه إياه في تعليمهم مما يحتاجون إلى علمه من محكمه ومتشابهه، ومما يعملون به منه، ومما يفقهون عنده منه؛ لأن الناس كانوا كذلك في أول الإسلام يتعلّمون القرآن"[(٣)].

مكانة كتاب الله في الدين في الحديث:

عن عليّ رضي الله عنه قال: "أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، وليس بالهزل من تركه من

---

(١) أخرجه البخاري: باب العلم قبل القول والعمل لقوله عزّ وجلّ: ﴿فاعلَم...﴾ (ج١ ص١٦).

(٢) هو معنى قول صاحب "المجالس" (ص٩).

(٣) مشكل الآثار: ج٢ ص١٩٢.

جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنّا سَمِعنَا قُرآنًا عَجبًا يهدِى إلى الرشدِ فآمَنّا به﴾ من قال به، صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور»[(١)].

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»[(٢)].

ومن النصيحة لكتاب اللّه إقامة حدوده:

ومن النصيحة لكتاب الله إقامة حدوده ليأمن الناس على دماءهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم وأنسابهم ودينهم، يقول الله سبحانه: ١ - ﴿وَلا تأخُذكم بِهمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ الله إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخِرِ﴾ (النور: ٢).

٢- ﴿وَلَكُم فِى القِصَاصِ حَياةٌ يا أولى الألبَابِ لَعَلّكُم تَتقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).

٣- ﴿وَاللاتِى يَأتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِسَاءِكُم فَاستَشهِدُوا عَلَيهِنّ أربَعَة منكُم فإن شَهِدُوا فأمسِكُوهُنّ فِى البُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنّ المَوتُ أو يَجعلَ اللهُ لَهُنّ سَبِيلا واللذان يأتِيَانِها مِنكُم فَآذُوهُما فإن تَابَا وأصلَحَا فأعرضُوا عَنهُما إنّ اللهَ كَانَ تَوّابًا رحِيمًا﴾ (النساء: ١٥-١٦).

---

(١) أخرجه الترمذى فى باب ما جاء فى فضل القرآن، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفى حديث حارث: مقال (ج٢ ص٣٤٩)، وأخرجه الدارمى فى باب فضل من قرأ القرآن (ج٢ ص٣١٢) وفيه: فتن -بالجمع-

(٢) أخرجه مسلم فى باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ج١ ص٢٧٢)، وأخرجه الدارمى: باب «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» (ج٢ ص٣١٩).

٤- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة : ٣٣).

٥- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة : ٣٨) وغيرها من الآيات البينات، وستأتى بعد النقطة الآتية.

أهمية إقامة الحدود فى إصلاح المجتمع

أبو يوسف رحمه الله ناصحًا لكبير ملوك الأرض: إن الأجر فى إقامة الحدود عظيم، والصلاح لأهل الأرض كثير.

أبو يوسف رحمه الله: حدثنى الحسن بن عمارة عن جرير بن يزيد قال: سمعت أبا زرعة بن عمرو بن حريث أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «حد يُعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا ثلاثين صباحًا»[(١)] ١- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

٢- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (النور : ٦ إلى نهاية : ٩).

وذكر الله سبحانه الحكمة فى إقامة الحدود تزكية المجتمع وتطهيره عن سوء الظن والفواحش ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢١)، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٤).

---

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف (ص ١٦٤).

٣- ويقول الله تعالى شأنه: ﴿مِن أجل ذلِكَ كَتَبنا على بَني إسرائيلَ أنه مَن قَتَل نَفساً بِغَير نَفسٍ أو فَسادٍ في الأرض فكأنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً ومَن أحياها فكأنَّما أحيا النَّاسَ جَميعاً ولَقَد جاءَتهم رُسُلُنا بِالبَيِّنات ثُمَّ إن كَثيراً منهم بَعدَ ذلكَ في الأرض لَمُسرِفُونَ﴾ (المائدة: ٣٢).

٤- ﴿وكَتَبنا عَليهم فيها أنَّ النفسَ بِالنَّفسِ والعَينَ بالعَينِ والأنفَ بالأنفِ والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسنَّ بالسنِّ والجُرُوحَ قِصاص﴾ (المائدة: ٤٥).

٥- ﴿لا تَقتُلُوا النَّفسَ التي حَرَّمَ الله بِالحَقّ ومَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَليِّه سُلطاناً فَلا يُسرف في القَتلِ إنّه كَانَ مَنصُوراً﴾ (الإسراء: ٣٣).

٦- ﴿ومَا كَان لِمُؤمنٍ أن يقتُلَ مُؤمِنًا إلا خَطأً ومَن قَتَلَ مُؤمِنًا خَطأً فتَحرِيرُ رَقَبَة مُؤمِنَة ودِيةٌ مسلَّمَةٌ إلى أهلِه إلا أن يصَّدَّقُوا وإن كَانَ مِن قَوم عدُوٍّ لكُم وهُو مُؤمِنٌ فتَحرِيرُ رَقَبَة مؤمِنَة وإن كَانَ مِن قَوم بَينكُم وبينَهم ميثَاقٌ فَدِيَة مسلَّمَة إلى أهلِه وتَحرِيرُ رَقَبَة مُؤمنَة فَمن لم يَجِد فَصِيامُ شَهرَين مُتَتَابِعَين تَوبَةً منَ الله وكَانَ الله عَزيزاً حكِيماً. ومَن يقتُل مُؤمِنًا متَعمّداً فجَزَاءه جَهَنّم خَالداً فِيهَا وغَضِبَ الله عَليه ولَعَنه وأعَدّ له عذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٢-٩٣).

٧- ﴿ومَن يرتَدِد مِنكُم عَن دِينِه فَيمُت وهُو كَافِرٌ فَأولئِكَ حَبِطَت أعمَالُهُم فِي الدنيا والآخرَةِ وأولئكَ أصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا الحدود في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم»[١].

وقال الله عز وجلّ: ﴿كِتَابٌ أنزَلنَاه إلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّور بإذنِ رَبِّهِم إلى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيد﴾ (إبراهيم: ١).

وقال: ﴿ولَقَد أرسَلنَا مُوسى بِآيَاتِنَا أن أخرج قَومَكَ منَ الظُّلُمَاتِ إلَى النّور﴾ (إبراهيم: ٥).

(١) أخرجه ابن ماجة في الحدود: باب إقامة الحدود (ص١٨٥)، وأخرجه البيهقي عنه أيضًا في السير، باب أصل فرض الجهاد (في حديث) السنن الكبرى (ج٩ ص٢١).

فالخروج من الظلمات من أى نوع كانت لا يمكن بدون نور كتاب الله عزّوجلّ، ولذا سمّى الله كتبه كلها نوراً، وقد جمع الأنوار كلها مع نور خاتم الأديان القرآن العظيم، وأكمل الأنوار الزمانية والمكانية والقومية كما كانت فى الكتب السابقة بنور عالمىّ ﴿لا شَرقِيَّةٍ وَلا غَربِيَّةٍ يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نَارٌ نُور عَلَى نُورٍ يَهدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشاءُ وَيَضرِبُ اللهُ الأَمثَالَ لِلنَّاسِ﴾ (النور: ٣٥).

لا يختصّ بزمان، ولا بقوم، ولا يحد بمكان، ولذا أعلن فى الاجتماع العالمى، وفى أعظم يوم فى السنة ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وهذا هو معنى النسخ عندى كما تنسخ الشمس نور القمر والكواكب والسرج ﴿لا تَبدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ وإنما هو الترقى من الكامل إلى الأكمل، والقرآن مهيمن على جميع الكتب ﴿وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ﴾ (المائدة: ٤٨).

وهو لباب الكل ونور الأنوار، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَآتَينَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦).

مكانة كتاب الله فى كتاب الله سبحانه:

يقول الله سبحانه فى القرآن: ١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهَانٌ مِن رَبِّكُم وَأَنزَلنَا إِلَيكُم نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤).

٢- ﴿قَد جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذنِهِ وَيَهدِيهِم إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

٣- ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

٤- ﴿ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ (الشورى: ٥٢).

٥- ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (التغابن: ٨).

فهذه خمسة أنوار بمجموعها نور واحد في جميع ظلمات الحياة، ومن لم يستنر به ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ (البقرة: ١٧).

وقد نبذه الباكستانيون بل المسلمون في العالم الإسلامي جميعًا إلا من رحم الله وراء ظهورهم علمًا وعملا كما فعل من قبلهم بكتبهم ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ (الانشقاق: ١٩).

﴿تشابهت قلوبهم﴾ (البقرة: ١١٨).

﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ (الذاريات: ٥٣).

﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ (الصافات: ٦٩-٧٠).

نبذوا كتاب الله عزّ وجلّ وراء ظهورهم، وبه كان عزّهم وشرفهم، فذلّوا وضلّوا ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤) «من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضلّه الله» «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين».

تفسير بعض آيات، وأقوال أهل العلم

يقول الله سبحانه: ﴿ولقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء: ١٠)، ذكركم: شرفكم وصيتكم [١]، شرفكم إن عملتم به [٢].

---

(١) النيسابوري: ج١٧ ص٧، الطبري: ج١٧ ص٦، الفراء: ج٢ ص٢٠٠، الكشاف: ج٢ ص٥٦٣، البيضاوي: ج٢ ص٣٢٣، الدر المنثور: ج٤ ص٣١٤.

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّه لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ٤٤) لذكرك: أي شرف لك[١]، وسوف تسألون: عن هذا القرآن كيف كنتم تعملون به والاستجابة له[٢]، وسوف تسألون: عن ذكر هذا الشرف[٣]، وسوف تسألون: عن قيامكم بحقه[٤]، وسوف تسألون: عنه يوم القيامة، وعن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وشكركم على أن رُزقتموه، وخصصتم به من بين العالمين[٥]، وسوف تسألون: عما عملتم فيه[٦]، تسألون عن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وعن شكركم هذه النعمة[٧]، تسألون عن القيام بحقه[٨]، تسألون عن الشكر عليه[٩]، تسألون عن أوامر القرآن ونواهيه (ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وقال الحسن رحمه الله: عن شكر النعمة فيه)[١٠].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

---

(٢) النسفي: ج٣ ص٧٣.

(١) البيضاوي: ج٢ ص٤٩٢، الكشاف: ج٣ ص٤٩٠، الجواهر الحسان: ج٤ ص١٢٩، النسفي: ج٤ ص١١٩، الدر المنثور: ج٦ ص١٨، ابن كثير: ج٤ ص١٢٨، تنوير المقباس: ج٥ ص١٣٢.

(٢) ابن كثير: ج٤ ص١٢٩.

(٣) تنوير المقباس مع الدر المنثور: ج٥ ص١٣٢.

(٤) البيضاوي: ج٢ ص٤٩٣، ابن كثير: ج٤ ص١٢٩.

(٥) الكشاف: ج٣ ص٤٩٠.

(٦) القاسمي: ج١٤ ص٣٤٣.

(٧) النسفي: ج٤ ص١١٩، ونحوه في المظهري: [illegible]

(٨) الجلالين وجامع البيان: ج٢ ص٤٠٨)

(٩) غريب القرآن (ص٣٩٨).

(١٠) الجواهر الحسان: ج٤ ص١٢٨.

(البقرة: ١٠١) نبذ فريق: وهو كثير منهم كما قال: ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ (البقرة: ١٠٠).

﴿وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد: ٢٧).

﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة: ٦٦).

﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (آل عمران: ١١٠)[١] كتاب الله: التوارة أو القرآن[٢].

عن سفيان رحمه الله: أدرجوه فى الديباج وحلّوه بالذهب، ولم يحلّوا حلاله ولم يحرموا حرامه[٣]، كأنهم لا يعلمون: أى يعلمونه، وإنما تركوا العمل به[٤]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وقال الرسول يا ربّ إنّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ (الفرقان: ٣٠)، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به، وامتثال أوامره، واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول منها إلى غيره من شعر، أو قول، أو غناء، أو لهو، أو كلام، أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه[٥]، وقال الله سبحانه: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّروا أولو الألباب﴾ (ص: ٢٩) فمن حفظ حروفه وضيّع حدوده كان مثله كمثل معلّق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير[٦].

وقال الحسن البصرى رحمه الله: والله ما تدبّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم يقول: قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل[٧].

(١) أضواء البيان: ج١ ص١٤٥.

(٢) تأويلات أهل السنة: ج١ ص٢٣١.

(٣) النيسابورى: ج١ ص٣٤٦.

(٤) تأويلات أهل السنة: ج١ ص٢٣١.

(٥) ابن كثير: ج٣ ص٣١٧.

(٦) النيسابورى: ج٢٣ ص٩٧.

(٧) ابن كثير: ج٤ ص٣٣.

مطلب فى قوله عليه السلام : «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق» :

قال على القارئ رحمه الله فى تحقيق حديث : «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتّل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأها»(١) ، فإن التحقيق كما يستفاد من الحديث : أن من عمل بالقرآن ، فكأنه يقرأه دائمًا وإن لم يقرأه ، ومن لم يعمل بالقرآن ، فكأنه لم يقرأه وإن قرأه دائمًا ، وقد قال الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاه إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياته ولِيَتَذَكَّرُوا أولو الأَلْبَابِ﴾ فمجرد التلاوة والحفظ لا يعتبر اعتبارًا يترتّب عليه المراتب العلية فى الجنة العالية(٢) .

ويقول القرطبى رحمه الله : قال علماءنا رحمهم الله : حملة القرآن وقراءهم هم العالمون بأحكامه وبحلاله وبحرامه ، والعاملون بما فيه .

وقال مالك رحمه الله : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من تعلّم القرآن وعلّم ولم يأخذ بما فيه وحرّفه كان عليه شهيدًا ودليلا إلى جهنم ومن تعلّم القرآن وأخذ بما فيه كان له شهيدًا ودليلا إلى الجنة»(٣) .

ويقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ، ولكن بإقامة حدوده ، ذكره ابن المبارك ، وذكر فى التفسير : قال أبو عمرو رضى الله عنه : وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه ، والعاملون بما فيه(٤) .

---

(١) هو حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أخرجه أبو داود فى الصلاة : باب استحباب الترتيل (ج١ ص٢١٣) ، وأخرجه الترمذى عنه فى أبواب فضائل القرآن ، وقال : حديث حسن صحيح (ج٢ ص٣٥٠) ، وأخرجه النسائى وأحمد وغيرهم .

(٢) مرقاة المفاتيح ، فضائل القرآن : الفصل الثانى (ج٤ ص٣٥٤) .

(٣) التذكرة : ص٥٣٨-٥٣٩ .

(٤) التذكرة : ص٧٢٤-٧٣٧ ، تفسير القرطبى : ج١ ص٢٦ ، الطبرى : حوادث سنة ١١ أبو حذيفة رضى الله عنه يقول فى حرب اليمامة : فى داخل الحديقة لأصحابه : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال (ج٢ ص٥١٢) .

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿الّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَه حَقّ تِلاوَتِه﴾ (البقرة: ١٢١) من التدبّر والعمل به وتتبع أوامره واجتناب نواهيه[1]، وقد ذكرت قول ابن مسعود رضى الله عنه فتذكر.

ذلة المسلمين وسببها:

فلما نبذ المسلمون كتاب الله وراء ظهورهم فى عقائدهم وأعمالهم، ضلّوا وأضلّوا، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن أعرضَ عَن ذِكرى فَإنّ لَه مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُه يَومَ القِيامَة أعمى﴾ (طه: ١٢٤).

﴿ومَن يعشُ عَن ذكر الرحمن نُقَيّض له شَيطَانًا فَهُو لَه قَرين﴾ (الزخرف: ٢٦).

صار المسلمون فى العالم جميعًا، وهم فى زهاء خمسين دولة فصاعداً لا دستور لهم فى جميع شؤون حياتهم إلا ما وضع لهم أعداءهم، وسموه لهم النظام العالمى الجديد، وهى قوانين كفرية إلحادية، والمسلمون أذلة، والكفار أعزة، لا دولة للمسلمين إلا رسمية فقط، وصدق النبأ العظيم من رسول الله ﷺ «يوشك أن تداعى بكم الأمم كما تداعى الأكلة على القصعة» لا من القلة بل هم «غثاء كغثاء السيل لا يباليهم الله بآلة» «كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس»[2].

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

---

(١) التسهيل: ج١ ص٥٩، ابن كثير: ج١ ص١٦٣، النسفى: ج١ ص٧٢، ابن جرير: ج١ ص٤١١، النيسابورى: ج١ ص٣٨٦.

(٢) هو حديث ثوبان مرفوعًا أخرجه أبو داود فى الملاحم: باب تداعى الأمم على الإسلام «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قال قائل: ما الوهن: قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت (ج٢ ص٢٤٢).
وأخرجه على المتقى عن ثوبان بألفاظ متقاربة (هق) كنز العمال (ج٣ ص٢٣٥)، وعنده: وكراهية القتال.

فإذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت أندادًا تحبّهم كحب الله كنت مجانب الإيمان

(النونية)[1]

حال الناس مع الدّعاة إلى الحق :

أويس القرنى رحمه الله مع رجل من مراد فى كلام طويل : "يا أخا مراد إن قيام المؤمن بأمر الله لم يُبقِ له صديقًا ، والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر ، فيتخذوننا أعداء ، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعوانًا ، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظائم ، والله ما يمنعنى ذلك أن أقول : بالحق[2] .

وعن حذيفة رضى الله عنه : لتأتينّ عليكم زمان خيركم فيه من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر[3] .

وكذا عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : يأتى على الناس زمان خيرهم من لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ليأتينّ على العلماء زمان يكون الموت أحبّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر[5] .

يقول ابن القيّم رحمه الله :

والله لو خالفت نصّ رسوله نصًا صريحًا واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان

---

(١) القصيدة النونية ص١٥٨ .

(٢) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" فى "معرفة الصحابة" (ج٣ ص٤٠٦) .

(٣) كنز العمال (ج٣ ص٦٨٦) .

(٤) كنز العمال (ج٣ ص٦٨٩) ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٥) المستدرك : كتاب الفتن (ج٤ ص٥١٨) .

حتى إذا خالفت أقوال الرجال ... لسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة ... قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر العـ ... ـلماء بل جاهرت بالبهتان
والله ما شموا روائح دينه ... يا زكمة أعيت طبيب زمان[1]

يقول الله سبحانه: ﴿جَاءَتهُم رُسُلُهُم بالبَيِّنات فردّوا أيديهم فِي أفوَاهِهِم وقَالُوا إنّا كَفَرنَا بِمَا أرسلتُم به وإنا لَفِي شَكٍّ مّما تدعُونا إلَيه مُرِيب﴾ (إبراهيم: ٩)، ويقول عزّ وجلّ: مَثَلُهم كَمَثَل الذِي استَوقَدَ نَاراً فَلَمّا أضَاءَت مَا حَولَه ذَهبَ الله بنُورهِم وتَركَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبصِرُون﴾ (البقرة: ١٧).

ومن النصيحة لكتاب الله سبحانه الحكم به

فى جميع ما شجر بينهم:

قال الله سبحانه: ﴿إنّا أنزَلنَا إلَيكَ الكتَابَ بِالحقّ لِتَحكُمَ بَينَ النّاس بِما أرَاكَ الله وَلا تَكُن للخَائِنين خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥)، ويقول الله جلّت قدرته: ﴿يا داودُ إنّا جعَلنَاكَ خَليفَةً فى الأرض فَاحكُم بينَ النّاس بِالحقّ ولا تَتّبِع الهَوى فَيُضِلّك عَن سَبيلِ الله﴾ (ص: ٢٦).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه وصية من الله عزّ وجلّ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله[2].

قال الحسن رحمه الله: أخذ الله على الحكام أن لا يتّبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياته ثمنًا[3]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأنِ احكُم

---

(١) النونية: ص١٥٨-١٦٩.

(٢) ابن كثير: ج٤ ص٣٢.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام: باب متى يستوجب الرجل القضاء (ج٢ ص١٠٦١).

بَيْنَهُم بِما أنزَلَ اللهُ وَلا تتّبِع أهوَاءَهُم﴾ (المائدة: ٤٩).

ومن النصيحة لكتاب الله عزّ وجل:

أن نعتقد فيه أنه كلام الله أوحاه إلى خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام برسالة الروح الأمين جبريل عليه السلام، وهو الذى عند المسلمين اليوم فى كل العالم لم يتغيّر منه حرف، ولا يمكن أبدًا، وهو المنقول متواترًا من أول يوم إلى يومنا هذا، ومكتوب فى المصاحف ليس منه شىء سوى هذا عند غائب، ولا غائب أصلا، ولا ميت كما زعمت الرافضة -لعنهم الله سبحانه- ﴿إنّا نَحنُ نُزّلنَا الذكرَ وإنّا له لَحافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

﴿وَإنّه لكتَابٌ عزِيزٌ لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيه ولا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ من حَكِيم حَميد﴾ (فصّلت: ٤١-٤٢).

﴿وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ﴾ (المائدة: ٤٨) فمن اعتقد فيه تبديلا، أو نقصًا، فهو كافر بالقرآن العظيم بإجماع الأمة، وعليه لعائن الله سبحانه.

يقرأ القرآن البرّ والفاجر

وأما قراءة القرآن وحفظه فيقرأه البرّ والفاجر والمخلص والمنافق، كما فى حديث الصادق المصدوق ﷺ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (فى حديث طويل): «مثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ»[1].

(١) أخرجه مسلم فى فضائل القرآن: باب فضيلة حافظ القرآن، وفى حديث همام بدل "المنافق
الفاجر (ج١ ص٢٦٩)، وأخرجه البخارى عنه أيضًا فى فضائل القرآن: باب من راءى بقراءة
القرآن، أو تأكّل به، أو فجر به (ج٢ ص٧٥٧).
وأخرجه البخارى أيضًا عنه فى الردّ على ال...

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم»[١]، بل قال عليه الصلاة والسلام فى أشراط الساعة: «يكثر القراء ويقلّ الفقهاء»، وقال ﷺ: «أكثر منافقى هذه الأمة قراءها».

وعن عبد الله رضى الله عنه فى حديث: "أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع"[٢].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: "يكون فى آخر الزمان عباد جهّال وقرّاء فسقة"[٣].

وقال ابن مسعود رضى الله عنه لإنسان: "إنك فى زمان كثير فقهاءه وقليل قراءه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه، وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاءه وكثير قراءه تحفظ حروف القرآن، وتضيع حدوده"[٤].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: "سيأتى على أمتى زمان يكثر فيه القراء، ويقل الفقهاء، و يقبض العلم، ويكثر الهرج، ثم يأتى من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتى لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتى من بعده زمان يجادل المشرك بالله المؤمن فى مثل ما يقول"[٥].

عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصارى رضى الله عنه: "من اقتراب الساعة كثرة القطر وقلة النبات، وكثرة القراء وقلّة الفقهاء، وكثرة الأمراء وقلّة

وأخرجه البخارى أيضًا عنه فى الردّ على الجهمية: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم لا تجاوز حناجرهم (ج٢ ص١١٢٨).

(١) أخرجه البخارى فى نفس المرجع (ج٢ ص٧٥٦).

(٢) أخرجه مسلم فى فضائل القرآن: باب ترتيل القرآن (ج١ ص٢٧٤).

(٣) كنز العمال: ج١٤ ص٢٢٢ (حل، ك).

(٤) الموطأ: جامع الصلاة (ص١٦٠-١٦١).

(٥) كنز العمال: ج١٤ ص٢١٧ (طب، ك).

الأمناء»(١).

عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر منافقى أمتى قراءها»(٣).

قال ابن مسعود رضى الله عنه: "نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخفّ علينا العمل به، وسيجىء قوم يخفّ عليهم قراءة القرآن، ويثقل عليهم العمل به"(٤).

الحسن البصرى رحمه الله: "أنزل القرآن ليعمل به فاتّخذ الناس تلاوته عملا يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة، وتركوا العمل به"(٥).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى حديث: «ومن قرأ القرآن فدخل النار فهو ممن اتّخذ آيات الله هزواً»(٦).

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله قال: «أكثر منافقى أمتى قراءها»(٧).

---

(١) أخرجه السيوطى فى "الجامع الصغير" عن الطبرانى، ورمز له بالضعف (ج٢ ص١٥٧).

(٢) أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن (ج٢ ص٣٥٠)، وقال: هذا حديث ليس إسناده بذاك.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (ج٢ ص٣٦٧)، وأخرجه ابن أبى شيبة عن عبد الله رضى الله عنهما فى الزهد (ج٨ ص١٣٠)، وأخرجه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه (ج٤ ص١٣٨ و١٥٥)، و ذكره فى "الإحياء": وقال العراقى: رواه أحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه (ج١ ص١٢٣).

(٤) المدخل: ج٣ ص١١٢.

(٥) تلبيس إبليس: ص١١٣.

(٦) (الخطيب) كنز العمال (ج٢ ص٢٢٦).

(٧) تذكرة الحفاظ: (ج٢ ص٤٦٨)

سبب ضياع العلم :

وقد كثرت مدارس ابتدائية وثانوية لحفظ القرآن وتجويد الألفاظ فى عصرنا هذا حتى قلما تجد قرية إلا وفيها مدرسة أو أكثر، وأما الأمصار فلا تعدّ المدارس فيها، ولا شىء فيها سوى تجويد الألفاظ العربية وتحسينها وحفظها، ويظنون عامتهم أنهم أدّوا فرض تعلّم القرآن، وهم لا يعلمون منه شيئًا.

يقول أبو حذيفة رضى الله عنه فى حرب اليمامة : يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال[1]، بل القرآن العظيم يلعنه، والتبس على الناس الحفظ بالعلم، فيظنّون أنهما شىء واحد، وشتان ما بينهما «فربّ مبلّغ أوعى من سامع وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

﴿فَاعلَم أنّه لا إله إلا الله﴾ ﴿ومَا يَعقِلُهَا إلا العَالِمُونَ﴾ وغيرها نصوص على ذلك، وأفسد من هذا أن الناس يقتدون به، ويسألونه فى الأحكام، ويزعمون أنه أعلم من كل عالم؛ لأنه حفظ القرآن كله، فضلّوا وأضلّوا.

فيا لله لغربة الإسلام والعلم، قلّ الفقهاء وكثر القراء والتبس على الناس العلم بالحفظ -حفظ الحروف وتجويدها وتحسينها- وتلك المدارس أكبر سبب لضياع العلم، وإنما أكثرها حوانيت فتحوها باسم المدارس والقرآن «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا حرفه».

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

قد يفتح المرء حانوتًا لمتجره   وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق   تبتاع بالدين أموال المساكين

(١) الطبرى : حوادث سنة١١ (ج٢ ص٥١٢).

ملحوظة :

إنما ذكرت ما ذكرت عن المدارس أكثريّا لا كليًا ، فإن منها مدارس يؤدّى فيها حق الكتاب العزيز ، وفيهم من اصطبغوا بصبغة الله سبحانه كثر الله فينا أمثالهم ، وأكبر من ذلك فى ضياع العلم المكاتب الدولية التى يسمّونها مدارس العلم ، وكثيرًا ما يكتبون على أبوابها الخارجية «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» و «اطلبوا العلم ولو بالصين» وقوله سبحانه : ﴿رَبِّ زِدنِى عِلمًا﴾ فسبحان الله ولا حولا ولا قوّة إلا بالله يحرّفون الكلم عن مواضعه ، قاتلهم الله أىّ عصابة بيضاء سودوا ، وأىّ حديث من حديث رسول الله ﷺ أفسدوا[1] .

فليس فى باكستان النصحية لكتاب الله عزّ وجلّ ، وإنما الدين النصيحة ، قيل : لمن قال : لله ولكتابه ، فليس فى باكستان الدين ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

النصيحة لرسول الله ﷺ :

وأما النصيحة لرسوله ﷺ فهو الإيمان به ، وبجميع ما جاء به من عند الله سبحانه ، والعمل به عقدًا وقولا وفعلا ، ومن الإيمان به أنه خير خلق الله كلهم ، وأنه بشر ، وأنه ابن عبد الله ، هاشمى قريشى عربى ، ولد بمكة ، ونبأ بها بعد أربعين عامًا ، وبقى بها ثلاث عشرة سنةً ينزل عليه الوحى ، يدعو الناس إلى الله عزّ وجلّ ، ويقاسى عنهم الشدائد فى ذلك ، هو وكذا من آمن به عليه السلام ، وأمه آمنة بنت وهب يلتقى نسبها بعبد الله أبيه عليه السلام فى الجد الأعلى .

وهاجر إلى المدينة الطيبة بأمر الله سبحانه ، وبقى بها عشر سنوات يدعو الناس إلى الهدى ، فمنهم آمن به ، ومنهم من صدّ عنه ، وجاهد فى سبيل الله

(١) قول علىّ رضى الله عنه بصفّين (تذكرة الحفاظ : ج١ ص١٢) .

الأعلى.

وهاجر إلى المدينة الطيبة بأمر الله سبحانه، وبقى بها عشر سنوات يدعو الناس إلى الهدى، فمنهم آمن به، ومنهم من صدّ عنه، وجاهد فى سبيل الله سبحانه بعد مهاجره، ولم يزل مجاهداً ومتمنيًا الشهادة فى الله إلى أن أجاب داعى الله سبحانه، واختار الرفيق الأعلى اللهمّ صلّ عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم، وجزى الله سبحانه عنا محمداً ما هو أهله، آمين.

يقول قيس بن الصرمة فى قصيدة له:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة　　يذكّر لو ألفى صديقًا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه　　فلم يرَ من يؤوى ولم يرَ داعيا[1]

ودفن فى بيته حيث توفى وهو بيت عائشة الصديقة رضى الله عنها، وبلغ صلوات الله عليه جميع ما أمر به من الله عزّ وجلّ، وشهد له بذلك جميع الصحابة رضى الله عنهم، فقال النبى ﷺ: «اللهمّ اشهد. . . » وهو الصادق فى جميع ما بلغ، وأوحى إليه كتاب من الله عزّ وجلّ، وهو القرآن العظيم، وهو الآن فى العالم كله كما كان أوحى إليه لم يغير، ولم يبدل منه حرف، ولا يغير منه شىء أبداً، إلا أن يكون فيه تحريف معنوى ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذكرَ وَإنَّا لَه لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

مسألة اعتقادية

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرُسُلا قَد قَصَصنَاهُم عَلَيكَ مِن قبلُ ورُسُلا لم نَقصُصهُم عَلَيكَ وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) يجب الإيمان تفصيلا بما فصّله الله تعالى، وإجمالا بما أجمله الله ورسوله، فيجب العلم

(١) المستدرك: كتاب التاريخ (ج٢ ص٣٢٧)، ومروج الذهب: ج١ ص٨٨.

تفصيلا بما فصّل فى الإيمانيات .

١ - يقول على القارى رحمه الله شارحًا حديث جبريل عليه السلام : "وملائكته" : والمعنى نعتقد بوجودهم تفصيلا فيما علم اسمه منهم ضرورة كجبريل ، وميكال ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، وإجمالا فى غيرهم .

"وكتبه" : تفصيلا فيما علم يقينًا كالقرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وإجمالا فيما عداه ، "ورسله" : أن تعرف أنهم بلغوا ما أنزل الله إليهم ، وأنهم معصومون ، وتؤمن بوجودهم فيمن علم بنص ، أو تواتر تفصيلا ، وفى غيرهم إجمالا -انتهى-[(١)] .

٢- حسين بن محمد الجسر الطرابلسى رحمه الله : ثم ليعلم أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل إجمالا بأن يؤمن المكلف بكل نبى ورسول لله تعالى ، وبما يجب لهم ، وما يستحيل وما يجوز ، لكن يجب الإيمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت أسماءهم فى القرآن الكريم -انتهى-[(٢)] .

٣- وقال النيسابورى رحمه الله : والثانية فى فوائد ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهم وَلا الضَّالّينَ﴾ الآية تدل على أن أحدًا من الملائكة والأنبياء ما أقدم على عمل أو اعتقاد يخالف الحق ، وإلا لكان ضالا لقوله تعالى : ﴿فَماذَا بَعدَ الحَقّ إلا الضلالُ﴾[(٣)] .

٤- الشيخ أحمد الرومى رحمه الله يقول فى تفصيل الإيمان بالملائكة عليهم السلام : فمن ثبت تعيينه باسمه كجبريل وميكال وإسرافيل وعزرائيل يجب الإيمان به تفصيلا ، ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالا ، ويقول فى الإيمان بالرسل عليهم السلام : فمن ثبت تعيينه باسمه يجب الإيمان به

---

(١) المرقاة : ج١ ص٥٦-٥٧ .

(٢) الحصون الحميدية : ص٤١ .

(٣) النيسابورى : ج١ ص١٠٢ .

تفصيلا ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالا[١].

٥- ويقول التفتازانى رحمه الله : ويكفى الإجمال فيما يلاحظ إجمالا، ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلا حتى لو لم يصدق بوجوب الصلاة عند السؤال، وبحرمة الخمر عند السؤال عنه يكون كافراً، وهذا هو المشهور، وعليه الجمهور[٢].

٦- ويقول ابن خلدون رحمه الله : والعلم بنسب النبى ﷺ وهو أنه القرشى الهاشمى الذى كان بمكة، وهاجر إلى المدينة، فإن هذا من فروض الإيمان، ولا يعذر الجاهل به[٣].

ومن النصيحة له التحاكم إليه فيما شجر بين المسلمين فى أيّة شعبة من شعب حياتهم، وفى أيّة دولة - كفرية كانت أو إسلامية اسمًا أو دعوى.

ومن النصيحة له الإيمان، بأنه خاتم النبيّين لا نبى بعده، وأنه أكرم الرسل على الله عزّ وجلّ ﴿وَلَكِن رَسُولَ الله وخَاتَم النبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠) و «أنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى».

ومن النصيحة له محبته وعدم التقدم عليه، واتّباعه فى جميع الشؤون إلا ما خصّ الشرع الشريف به.

ومن النصيحة له تعظيم أهل بيته، وفيهم أزواجه المطهرات أولا، وأصحابه وأتباعه رضى الله عنهم وعنّا ثانيًا.

ومن النصيحة له إكرام أمهات المؤمنين سيما عائشة الصديقة أحبّ الناس إليه وزوجته فى الدنيا والآخرة، هذا . . . ولم أرد الإحصاء فى النصيحة، وإنما ذكرت نماذج منها فى كل واحد.

---

(١) مجالس الأبرار: المجلس السابع فى بيان المؤمن به (٥١-٥٢).

(٢) شرح المقاصد: ج٢ ص٢٤٧.

(٣) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: ج٢ ص٥.

الأدلة

الأدلة على ما ذكرت من النصيحة للرسول ﷺ :

الإيمان بالرسل بأجمعهم من أصول الإيمانيات ، وأما محمد ﷺ فهو أكرمهم وخاتمهم وخطيبهم ، وأخذ عليهم العهد بختم النبوة عليه ، والإيمان به ونصره ١ - ﴿قُل يَا أيُّهَا النَّاسُ إنّي رَسُولُ الله إلَيكُم جَميعًا﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

٢ - ﴿وَمَن يكفُر به مِنَ الأحزَاب فَالنّارُ مَوعِدُه﴾ (هود : ١٧) .

٣- ﴿تَبارَكَ الذِي نَزّلَ الفُرقَانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكُونَ للعَالَمينَ نَذيرًا﴾ (الفرقان : ١) .

٤ - ﴿وَأوحِيَ إلىّ هذَا القُرآن لأنذركُم به ومَن بَلغَ﴾ (الأنعام : ١٩) .

٥- ﴿وَقُل للّذينَ أوتُوا الكِتَابَ والأمّيّينَ أأسلَمتُم فَإن أسلَمُوا فقَد اهتَدَوا وإن تَولّوا فَإنّما عَليكَ البَلاغ وَالله بَصيرٌ بالعِبَاد﴾ (آل عمران : ٢٠) .

٦- ﴿وَمَا أرسَلنَاك إلا كَافّةً للنّاسِ بَشيرًا ونَذيرًا﴾ (سبأ : ٢٨) .

٧- ﴿فَآمِنُوا بِالله ورَسُولِه والنّورِ الذِي أنزَلنَا﴾ (التغابن : ٨) وغيرها من الآيات التي تدل على عموم دعوته عليه السلام ، ووجوب الإيمان به .

---

١ - ﴿مَا كَانَ مُحمّد أبَا أحَد من رِجَالكُم ولكن رسولَ الله وخاتَم النبيّين وكَانَ الله بِكُلّ شَيء عَليمًا﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

٢ - ﴿وإذ أخَذَ الله مِيثَاقَ النّبِيّينَ لمَا آتيتُكُم من كِتاب وحِكمَة ثُمّ جاءكُم

رَسُولٌ مُصَدِّق لما مَعَكُم لَتُومِنُنّ بِه ولَتَنصرُنّه قَالَ أأقررتُم وأخذتُم على ذلكُم إصرى قَالُوا أقرَرنَا قالَ فاشهَدُوا وأنَا مَعَكُم منَ الشاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١)

تدل الآيتان أصرح دلالة على ختم النبوة عليه -عليه السلام-.

١- ﴿وَالذينَ يُؤمِنُونَ بِما أنزلَ إليكَ وَمَا أنزِلَ مِن قَبلِكَ﴾ (البقرة: ٤).

٢- ﴿قُولُوا آمَنّا بِالله وَمَا أنزِلَ إلَينا﴾ (البقرة: ١٣٦).

٣- ﴿فَآمِنُوا بِالله ورَسُولِه والنّورِ الذِى أنزَلنَا﴾ (التغابن: ٨).

١- ﴿قُل إنّمَا أنَا بَشَرٌ مِثلُكُم﴾ (الكهف: ١٠١، فصّلت: ٦).

٢- ﴿قُل سُبحَانَ رَبّى هَل كُنتُ إلا بَشَراً رسُولا﴾ (الإسراء: ٩٣).

٣- ﴿قَالَت لهُم رُسُلُهُم إن نحنُ إلا بَشَرٌ مِثلُكُم﴾ (إبراهيم: ١١).

وأما كونه ﷺ نوراً فهو بمعنى أنه يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ومن لم يهتد بهديه بقى فى الظلمات.

﴿إذا أخرَجَ يَده لَم يَكَد يَرَاهَا وَمَن لَم يَجعَل اللهُ لَه نُوراً فَما لَه نُور﴾ (النور: ٤٠).

١- ﴿مَن يطع الرسُولَ فَقَد أطَاعَ الله﴾ (النساء: ٨٠).

٢- ﴿وَإن تُطيعُوهُ تَهتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

٣- ﴿مَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنه فَانتَهوا﴾ (الحشر: ٧).

وأما الآيات فى التولى عنه وسوء عاقبته، فأكثر وأكثر ﴿وما أرسلنَا من رسُول إلا لِيُطَاعَ بإذنِ الله﴾ (النساء: ٦٤).

١ - ﴿قُل إن كُنتُم تُحِبّونَ الله فَاتّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَالله غَفُورٌ رحِيم﴾ (آل عمران : ٣١).

٢ - ﴿فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِه النّبِيّ الأمّيّ الّذِي يُؤمِنُ بِالله وكَلِمَاتِه وَاتّبِعُوهُ لَعَلّكُم تَهتَدُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٨).

٣- ﴿فَلا وَربّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء : ٦٥).

٤ - ﴿لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ الله أسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرجُوا الله وَاليَومَ وَالآخِرَ﴾ (الأحزاب : ٢١).

---

١ - ﴿النّبِيّ أولى بِالمُؤمِنِينَ مِن أنفُسِهِم وَأزوَاجُه أمّهَاتُهم﴾ (الأحزاب : ٦).

٢ - ﴿إنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطَهّرَكُم تَطهِيرًا﴾ (الأحزاب : ٣٣).

وأما عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما، فإنها طيبة ﴿وَالطيّبَاتُ للطّيّبِينَ والطّيّبُونَ للطيّبات﴾ (النور : ٢٦) وهى زوجته فى الدنيا والآخرة[1].

وقد برأها الله فى عشر آيات[2] من سورة النور تتلى إلى الأبد ﴿أولئك

---

(١) أخرج البخارى عن عمار رضى الله عنه فى الفتن قال : إن عائشة رضى الله عنها قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هى؟ (ج٢ ص١٠٥٢)، وأخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الجمل فى سيرة عائشة رضى الله عنها عن عمار أيضًا (ج٨ ص٧١٠).

(٢) أخرج البخارى فى الإيمان والنذور : باب اليمين فيما لا يملك، عن عائشة رضى الله عنها زوجة

مبرّؤون مما يقولون﴾ (النور: ٢٦)، فمن سبّها فهو خارج عن الإسلام مرتدّ يجب قتله.

ومن توقيره ﷺ ومحبته توقير أصحابه وأهل بيته ومحبتهم

أقوال أهل العلم:

١- يقول القاضى عياض رحمه الله: ومن توقيره ﷺ وبره توقير أصحابه، وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة وضلال الشيعة، والمبتدعين القادحة فى أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء، ولا يغمض عليه أمر[1].

٢- وقال الطحاوى رحمه الله فى عقيدته: ونحبّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حبّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان[2].

٣- وقال رحمه الله تعالى: ومن أحسن فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق[3].

النبى ﷺ، فأنزل الله ﴿إنّ الذين جاءُوا بالإفك﴾ الآيات العشر كلها فى براءتى (ج٢ ص٩٨٨).

(١) الشفاء: ج٢ ص٤١.

(٢) العقيدة الطحاوية مع الشرح: ص٥٢٨.

(٣) العقيدة الطحاوية مع الشرح: ص٥٥٣.

٤- ويقول السرخسي رحمه الله في باب القياس: فأما من طعن في السلف من نُفاة القياس لاحتجاجهم بالرأى في الأحكام، فكلامه كما قال الله تعالى: ﴿كَبُرَت كَلِمَةً تَخرُجُ من أفواهِهِم إن يقُولُونَ إلا كَذِبًا﴾ لأن الله تعالى أثنى عليهم في غير موضع من كتابه كما قال: ﴿مُحمَّدٌ رسُولُ الله والذِينَ مَعَه﴾ الآية، ورسول الله ﷺ وصفهم، فقال: «خير الناس قرني الذي أنا فيهم»، والشريعة إنما بلغتنا بنقلهم، فمن طعن فيهم، فهو ملحد منابذ للإسلام دواءه السيف إن لم يتب[١].

٥- وقال القرطبي رحمه الله تعالى: لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم خطأ مقطوع به إذ كانوا كلهم اجتهدوا في ما فعلوه، وأرادوا الله عزّوجلّ، وهم كلهم لنا أئمة، وتعبدنا بالكف فيما شجر بينهم، ولا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة، ونهى النبي ﷺ عن سبّهم، وإن الله غفر لهم، وأخبرنا بالرضاء عنهم[٢].

٦- ويقول الأشعري رحمه الله: وكل الصحابة رضي الله عنهم أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبرّئ من كل من ينقص أحداً منهم -رضي الله عنهم-[٣].

٧- وقال المسعودي بعد ذكر مشاجرات الصحابة رضي الله عنهم: ولكل منهم فضائل ممن تقدم وتأخر، وقبض النبي ﷺ وهو راضٍ عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالإيمان، وبذلك نزل التنزيل، وتولى بعضهم بعضاً، فلما قبض رسول الله ﷺ، وارتفع الوحي حدث أمور تنازع الناس في صحتها منهم، وذلك غير يقين ولا يقطع عليهم بها، واليقين من أمورهم ما تقدم، وما روى مما كان في إحداثهم بعد نبيهم ﷺ، فغير متيقن وهو ممكن، ونحن نعتقد فيهم ما تقدم،

---

(١) أصول السرخسي: ج٢ ص١٣٣-١٣٤.

(٢) تفسير القرطبي: ج١٦ ص٣٢١.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة آخر كتاب للأشعري: ص٦٨.

والله أعلم بما حدث[1].

كتاب الله سبحانه وصحابة رسول الله ﷺ

يقول عزّ من قائل فى شأن صحابة النبى ﷺ: ١- ﴿مُحمّدٌ رسُولُ الله والذِينَ مَعَه أشِدّاءُ علَى الكُفّار رُحَماء بَينَهُم تراهُم رُكّعًا سُجّدًا يبتَغُونَ فَضلًا منَ الله ورضوَانًا سيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم من أثَر السجُود ذلكَ مَثَلُهُم فى التورَاةِ ومَثَلُهُم فِي الإنجِيل كزَرعٍ أخرَجَ شَطأه فآزَرَه فَاستَغلَظَ فَاستَوى عَلى سُوقِه يُعجِبُ الزرّاعَ لِيَغيظَ بِهِم الكُفّار وعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَات مِنهُم مغفِرةً وأجرًا عظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

تنبيه:

كلمة "من" فى الآية ليست مبعضة لقوم من الصحابة دون قوم، ولكنها عامة مجنسة أى من جنسهم، أو مؤكدة أى كلهم كما يقال: "قطعت من الثوب القميص" أى قطعت الثوب كله قميصًا[2] ٢- ﴿لَقَد رضِيَ الله عَنِ المؤمِنينَ إذ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِم فأنزَلَ السكِينَةَ عَليهِم﴾ (الفتح: ١٨).

٣- ﴿لا يَستَوِى مِنكُم من أنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَقَاتَلَ أولئِكَ أعظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذينَ أنفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وعَدَ الله الحُسنَى والله بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٢ ص٤٢٦.

(٢) القرطبى: ج١٦ ص٢٩٥-٢٩٦، البيضاوى: ج٢ ص٤٢٤، الكشاف: ج٣ ص٥٥١، ابن كثير: ج٤ ص٢٠٥، النيسابورى: ج٢٦ ص٦٩، الجلالين وجامع البيان: ج٢ ص٤٢٦.

(الحديد: ١٠).

٤- ﴿لِلفُقَراء المهَاجرِينَ الَّذِينَ أخرجُوا مِن دِيارِهِم وأموالِهِم يَبتَغُونَ فَضلاً مِن الله ورضوانًا وينصرُونَ الله ورَسُولَه أولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبوَّؤُ الدار والإيمانَ مِن قَبلِهِم يحبّونَ مَن هَاجرَ إليهِم وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورهِم حَاجَةً مِمَّا أوتُوا ويُؤثِرُونَ عَلى أنفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَة ومَن يوقَ شُحّ نفسِه فأولئِكَ هُم المفلِحُونَ. وَالذِينَ جَاءوا مِن بَعدِهِم يَقُولُون ربّنَا اغفِر لنا ولإخوانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بالإيمانِ وَلا تَجعَل فِي قُلُوبِنَا غِلاً للذِينَ آمَنُوا ربّنَا إنّكَ رَءوفٌ رحِيم﴾ (الحشر: ٨ و٩ و١٠).

٥- ﴿إنّ الذينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم فِي سَبِيل الله وَالَّذِينَ آوَوا ونَصَرُوا أولئِكَ بَعضُهُم أولِياءُ بَعض﴾ (الأنفال: ٧٢).

٦- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيل الله وَالَّذِينَ آوَوا ونَصَرُوا أولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًا لهُم مغفِرَةٌ ورِزقٌ كَرِيم﴾ (الأنفال: ٧٤).

٧- ﴿وَالسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المهَاجرِينَ وَالأنصَارِ وَالذينَ اتّبَعُوهُم بإحسانٍ رضِيَ الله عَنهُم ورَضُوا عَنهُ وَأعَدّ لَهُم جَنّاتٍ تَجرِي تَحتَهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبدًا ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

٨- ﴿ولكِنّ الله حَبّبَ إلَيكُمُ الإيمانَ وَزَيّنَه فِي قُلُوبِكُم وَكَرّهَ إلَيكُمُ الكُفرَ والفُسُوقَ وَالعِصيَانَ أولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضلاً مِنَ الله ونِعمَةً والله عَلِيمٌ حَكِيم﴾ (الحجرات: ٧-٨).

فهؤلاء صحابة الرسول ﷺ ورضي الله عنهم، كتاب الله يشهد بفضائلهم وينوه بشأنهم، وكذا الرسول ﷺ يذكر فضائلهم، وهي أكثر من أن تذكر.

أولئك آباءى فجئنى بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

النصوص على ما ذكرت من النصيحة لرسول الله:

أقوال أهل العلم فى تفسير الآية الآتية :

يقول الله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات : ١-٢) .

"لا تقدموا" : أى لا تتقدموا بقول ولا فعل(١) .

قال النسفى رحمه الله : وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع فى النفس مما يقدم من القول والفعل(٢) .

وقال القرطبى رحمه الله : أى لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدى الله وقول رسول الله ﷺ وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدينار ، ومن قدم قوله أو فعله على رسول الله ﷺ ، فقد قدمه على الله ؛ لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله(٣) .

وقال ابن كثير رحمه الله : وهذه آداب أدّب الله تعالى عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام .

"لا تقدموا" : أى لا تسرعوا فى الأشياء بين يديه أى قبله ، بل كونوا تبعًا له فى جميع الأمور .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لا تقولوا : خلاف الكتاب والسنة .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشىء حتى يقضى الله على لسانه ، وقال الضحاك رحمه الله : لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم(٤) .

---

(١) الجلالين : ج٢ ص٤٢٦ .

(٢) النسفى : ج٤ ص١٦٥ .

(٣) القرطبى : ج١٦ ص٣٠٠ .

(٤) ابن كثير : ج٤ ص٢٠٥ ، ابن جرير : ج٢٦ ص٧٤ ، جامع البيان : ج ٢ ص٤٢٦ ، القرطبى : ج١٦ ص٣٠١ .

فإذا عرفت هذا علمت أنه ليس فى باكستان النصيحة للرسول صلوات الله عليه وتسليماته، إذا الدين النصيحة، قيل: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، فإذًا لا دين فى باكستان ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم منَ الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إله إلا الله.

النصيحة لأئمة المسلمين:

وأما النصيحة لولاة المسلمين فهو إرشادهم إلى الحق فى أنفسهم، وفى رعيتهم المسلمين والذمّيين، والنصح لهم وطاعتهم فى المعروف، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، والدعاء لهم، ولا طاعة لهم فى معصية الله عزّ وجلّ.

باب
وجوب طاعة أولى الأمر

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أطِيعُوا الله وأطيعُوا الرسُولَ وَأولى الأمرِ مِنكُم﴾ (النساء: ٥٩).

١- وقال أبو هريرة رضى الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى»[١].

٢- عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عبد حبشىّ كان رأسه زبيبة»[٢].

---

(١) أخرجه البخارى فى الأحكام: باب قول الله جل جلاله: ﴿أطيعُوا الله...﴾ (ج٢ ص١٠٥٧)، وأخرجه مسلم فى الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وتحريمها فى المعصية (ج٢ ص١٢٤).

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة: إمامة العبد (ج١ ص٩٦)، وأخرج نحوه فى الأحكام: باب السمع والطاعة (ج٢ ص١٠٥٧)، وأخرجه مسلم فى الإمارة: باب وجوب طاعة الأمير (ج٢

٣- وعند مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال: أوصانى خليلى ﷺ أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشيّا مجدع الأطراف.

٤- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[(١)].

٥- وعن أم الحصين رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمّر عليكم عبد مجدع حسبتها قالت أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»[(٢)].

ويقول الإمام يحيى النووى رحمه الله فى حديث أبى هريرة السابق: قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما تشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت معصية، فلا سمع ولا طاعة كما صرح به فى الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة بوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة، بأنه لا سمع ولا طاعة فى المعصية[(٣)].

باب
لا طاعة لأحد ولا سمع فى معصية الله عزّ وجل

١- حديث أم الحصين عند مسلم: «يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا» كما مر.

٢- وعن علىّ رضى الله عنه فى حديث عبد الله بن حذافة: (لما أمر جنده

ص١٢٤).

(١) أخرجه مسلم فى نفس المرجع (ج٢ ص١٢٤).

(٢) أخرجه مسلم المرجع السابق (ج١ ص١٢٥).

(٣) المنهاج للنوى: ج٢ ص١٢٤.

بدخول النار)، قال ﷺ: «لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف».

٣- وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه مرفوعًا فى الطاعة فى المنشط والمكره والعسر واليسر وأثرة عليهم «ولا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بوحًا عندكم من الله فيه برهان»(١).

٤- وعن عبد الله بن عمران رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا كلّكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهى مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»(٢).

٥- وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٣).

يقول ابن حجر رحمه الله: (لا سمع ولا طاعة) أى لا يجب ذلك، بل يحرم على من كان قادرًا على الامتناع، وفى حديث معاذ عند أحمد: «لا طاعة لمن لم يطع الله»(٤).

ويقول ابن القيم رحمه الله: وسئل عن رسول الله ﷺ عن طاعة الأمير الذى أمر أصحابه، فجمعوا حطبًا فأضرموه نارًا وأمرهم بالدخول فيها، فقال ﷺ: «لو

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة: وجوب طاعة الأمير (ج٢ ص١٢٥).

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة: باب الجمعة فى القرى (ج١ ص١٢٢)، وأخرجه عنه فى الأحكام: باب قول الله: ﴿وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (ج٢ ص١٠٥٧)، وأخرجه مسلم فى الإمارة: باب فضيلة الأمير العادل (ج٢ ص١٢٢).
وعند البخارى عنه فى الاستقراض: باب العبد راع فى مال سيده (ج١ ص٣٢٤)، وأخرجه عبد الرزاق فى "المصنف": باب الإمام راع (ج١١ ص٣١٩).

(٣) البخارى فى الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (ج٢ ص١٠٥٧) مسلم فى الإمارة: وجوب طاعة الأمير (ج٢ ص١٢٥).

(٤) فتح البارى فى شرح الحديث (ج١٣ ص١٥٤).

دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة فى المعروف»[(١)].

وفى لفظ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الله» وفى لفظ: «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه»، فهذه فتوى عامة لكل من أمره أميره بمعصية الله، ولا تخصيص فيها البتة[(٢)].

١- وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أرضى سلطانًا بسخط ربه عزّ وجلّ خرج من دين الله تبارك وتعالى»[(٣)].

٢- وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجور وأعوانهم فى النار»[(٤)].

٣- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "من أعان باطلا ليدحض بباطله حقًا، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ"[(٥)].

٤- وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على خصومة بغير حق كان فى سخط الله حتى ينزع»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخارى عن على رضى الله فى الأحكام: باب السمع والطاعة ما لم تكن معصية (ج٢ ص١٠٥٨).

(٢) إعلام الموقعين: طاعة الأمراء (ج٤ ص٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم فى الأحكام: وقال: تفرد به علاق بن أبى مسلم، والرواة إليه كلهم ثقات، وأقره الذهبى (المستدرك: ج٤ ص١٠٤).

(٤) أخرجه الحاكم فى الأحكام: وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، قال الذهبى منكر (المستدرك: ج٤ ص٨٩).

(٥) أخرجه الحاكم فى الأحكام: وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، قال الذهبى قلت: حنش الرحبى ضعيف (المستدرك: ج٤ ص١٠٠).

(٦) أخرجه الحاكم فى الأحكام: وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى (المستدرك: ج٤ ص٩٩).

٥- وعند ابن حجر والبزار فى حديث عمران بن الحصين والحكم بن عمرو الغفارى: «لا طاعة فى معصية الله"»، وسنده قوىّ، وحديث عبادة بن الصامت عند أحمد والطبرانى: «لا طاعة لمن عصى الله» وملخّصه أنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام فى ذلك، فمن قوى على ذلك، فله الثواب، ومن داهن، فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض(١).

قال سيدنا الصديق رضى الله عنه فى أول خطبة الخلافة: "فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم"(٢)، ويقول رضى الله عنه: "وإن أطعت الله فأطيعونى وإن عصيت فاعصونى"(٣).

وعن علىّ رضى الله عنه: "وما أمرتكم به من معصية الله أو غيرى، فلا طاعة لأحد فى المعصية الطاعة فى المعروف"(٤).

وعن عمر رضى الله عنه: "وإن أراد أن ينقص من دينك فقل: دمى دون دينى، ولا تفارق الجماعة"(٥).

فالأحاديث الخمسة الأولى فى حق الوالى، وفيها الوصية بالسمع والطاعة لهم، وإن جاروا وآثروا، والخمسة الأخرى فى حرمة طاعتهم إذا أمروا بالمعصية، فلا سمع ولا طاعة.

أخرج ابن أبى شيبة فى "الزهد": عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ (العنكبوت: ٥٦).

---

(١) فتح البارى فى شرح الحديث (ج١٣ ص١٥٤).

(٢) البداية: ج٦ ص٣٠٦.

(٣) (طس) كنز العمال: الإمارة (ج٥ ص٦٣١).

(٤) الكنز عن ابن جرير (ج٥ ص٧٨٠).

(٥) ش ز هـ وغيرهم (الكنز: ج٥ ص٧٧٨).

قال: من أمر بمعصية فليهرب[1]، وفيها أيضًا الطاعة والسمع، وإن أمّر عبد حبشى مجدع الأطراف كان رأسه زبيبة، إذا قاد الناس بكتاب الله سبحانه، وأما بغيره فلا.

باب
ما يجب على ولاة الأمور الرفق برعاياهم ونصيحتهم

١- حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عند البخارى ومسلم وغيرهما: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته» الحديث، وقد مرّ منا قبل.

٢- وعن معقل بن يسار المزنى رضى الله عنه: (لما عاده عبيد الله بن زياد) سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيّته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»، وفى رواية: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة»[2]، وفى رواية: «ما من عبد يستر عبد الله رعيةً فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة»، وفى رواية عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»[3].

يقول الإمام النووى رحمه الله: وفى هذه الأحاديث وجوب النصيحة على الوالى لرعيته والاجتهاد فى مصالحهم، والنصيحة لهم فى دينهم ودنياهم[4].

٣- عن عائشة رضى الله عنها فى حديث سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى

(١) ابن أبى شيبة: ج٨ ص٢٧٣.

(٢) البخارى الأحكام: باب من استرعى رعيته فلم ينصح (ج٢ ص١٠٥٨).

(٣) مسلم الإمارة: باب فضيلة الأمير العادل (ج٢ ص١٢٢).

(٤) شرح النووى على مسلم: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر (ج٢ ص١٢٢).

هذا: «اللهمّ من ولى من امر أمتى شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به»[١].

٤- وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه: وكان من أصحاب النبى ﷺ أنه دخل على عبيد الله بن زياد، فقال له: أى بنىّ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شرّ الرعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم»[٢].

ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إنّ الله يأمُرُ بالعَدل والإحسَان وَإيتَاء ذِى القُربى وَيَنهى عَن الفَحشَاء وَالمُنكَر وَالبَغى يَعِظُكُم لَعَلّكُم تَذكّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، ويقول عزّ من قائل: ﴿وَاخفِض جنَاحَكَ لمَن اتّبعَكَ من المؤمنينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥)، وفى الأبواب أحاديث كثيرة فى الصحاح والسنن.

فهل فى باكستان من تجب طاعتهم، وهم يدعون إلى الباطل والمعصية بأقوالهم وأفعالهم وسيرهم -إلا من رحم الله وقليل ما هم- ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله سبحانه، وهل فى ولاة باكستان من يرفق برعيته، وينصح لهم، وهل فيهم من لا يغشّ الرعية، لا وكلا، وهل فيهم من ﴿مَن كَانَ لَه قَلبٌ أو ألقَى السّمعَ وهُو شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧)، فيخشى الله أو يتذكّر ﴿أوَ لَم نُعمّركُم مَا يَتَذكّر فِيه مَن تَذكّرَ وَجَاءَكُم النّذِير﴾ (الفاطر: ٣٧).

اللهمّ اهدِ قومى، فإنهم لا يعلمون، اللهمّ اهدِ ولاة أمورنا لما تحبّه وترضاه، وما نصح ولاة باكستان أحد ما نصحها أعضاء نهضة تطبيق الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام منذ سنوات سراً وجهراً وليلا ونهاراً، فلم تزدهم النصيحة إلا فراراً، وجعلوا من ينصحهم أعداءهم وأعداء الدولة -دولتنا باكستان- وسموهم مفسدين وبغاة كأن الدولة دولتهم، ونحن غرباء فيها، فيا لله للظلم العظيم، ويا لله لغربة الإسلام والمسلمين، فطوبى للغرباء.

---

(١) المرجع السابق من مسلم.

(٢) مسلم: المرجع السابق.

باب
من النصح لولاة الأمر قول الحق لهم :
والأمر لهم بالمعروف ، والنهى عن المنكر ،
وترك موالاتهم إذا لم يأتمروا بالمعروف ، ولم ينتهوا عن المنكر

قال الله عزّ وجلّ : ١- ﴿لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخِرِ يُوَادّون مَن حَادّ الله وَرَسُولَه وَلَو كَانُوا آباءَهُم أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عَشِيرَتَهُم أولئكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهمُ الإيمانَ وأيّدَهُم بِرُوحٍ منهُ وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ الله عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ أولئِكَ حِزبُ اللهِ ألا إنّ حِزبَ الله هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

٢- ﴿يا أيّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولِيَاءَ إنِ استَحَبّوا الكُفرَ عَلى الإيمانِ ومَن يتَوَلّهُم منكُم فَأولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾ (التوبة : ٢٣) .

٣- ﴿اتّبعُوا مَا أنزلَ إلَيكُم من ربّكُم وَلا تَتّبِعُوا مِن دُونِه أولِيَاءَ قَلِيلا ما تَذَكّرُونَ﴾ (الأعراف : ٣) .

١- ﴿خُذِ العَفوَ وأمُر بالعُرفِ وأعرض عَن الجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف : ١٩٩) .

٢- ﴿وأمُر بالمعرُوفِ وَانهَ عَن المنكَرِ واصبِر عَلى مَا أصَابَكَ إنّ ذلكَ مِن عَزمِ الأمُورِ﴾ (لقمان : ١٧) .

٣- ﴿وَلتَكُن منكُم أمّة يدعُونَ إلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بالمعرُوفِ وَيَنهَونَ عَن المنكَرِ

وَأولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٤- ﴿كُنتُم خَيرَ أمّة أخرجَت للنّاس تَأمُرُونَ بالمعرُوف وَتنهَونَ عَنِ المنكَر وَتُؤمِنُونَ بِالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

قال قتادة رحمه الله: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حجة حجّها ورأى فى الناس دعة، فقرأ هذه الآية ثم قال: من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤدّ شرط الله فيها[1].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ومن لم يتّصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمّهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَونَ عَن منكَرٍ فَعَلُوه﴾[2].

٥- ﴿وَإذ أخَذَ الله مِيثَاقَ الّذينَ أوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّه للنّاس وَلا تَكتُمُونَه فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهم واشتَرَوا بِه ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئسَ مَا يشتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

٦- ﴿وأنزَلنَا إلَيكَ الذكرَ لتُبَيّنَ للنّاسِ مَا نزلَ إليهِم ولَعَلّهُم يَتفَكّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

٧- ﴿وَمَا أنزَلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ إلا لتُبَيّن لهُمُ الذى اختَلَفُوا فِيه وهُدًى ورَحمَةً لقَوم يؤمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤).

ومن الأحاديث فى الباب:

١- عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه فى حديث البيعة على السمع والطاعة: وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ولا نخاف فى الله لومة لائم[3].

٢- وعن أبى هريرة مرفوعًا: «وما أتى الله عالمًا علمًا إلا أخذ عليه الميثاق أن

(١) ابن جرير: ج٤ ص٢٩.

(٢) ابن كثير أيضًا: ج١ ص٣٩٦.

(٣) أخرجه مسلم فى الإمارة (ج٢ ص١٢٥)، وأخرجه البخارى فى الأحكام. باب كيف يبايع الإمام الناس (ج٢ ص١٠٦٩).

لا يكتمه»(١).

يقول محمد بن وضاح: باب الولى من يذب عن الدين: ١- عن ابن مسعود رضى الله عنه: إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًا من أولياءه يذب عنها وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله.

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾(٢).

٢- وأخرج ابن ماجة فى اتباع سنة رسول الله ﷺ عن أبى عنبة الخولانى رضى الله عنه: وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسًا يستعملهم فى طاعته»(٣).

فإذا عرفت هذا علمت أنه لا نصيحة فى باكستان لولاة الأمر، والدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين، فلا دين فى باكستان ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

النصيحة للعامّة:

وأما النصيحة للعامة فهو تعليم جاهلهم فرائض دينه، وإرشاد ضالّهم معالم إسلامه، وتأديبهم بآداب الشرع، والأخذ على يدى الظالم، و نصر المظلوم، وأخذ الحق للضعيف، والاحتساب عليهم فى جميع أحوالهم الظاهرة، وعدم تجسّس

---

(١) أخرجه السيوطى فى "الجامع الصغير" عن ابن النظيف وابن الجوزى فى "العلل" (ج٢ ص١٤١) عن أبى هريرة رضى الله عنه (صح).
أقول: قال ابن الجوزى بعد ذكر الحديث: لا يصح فيه البلغاوى، قال أبو زرعة: كان يكذب، وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات (العلل المتناهية: ج١ ص٩٩).
ونقله فى مقدمة "التاتارخانية" عن "الإحياء" بزيادة: كما أخذ عن النبيّين أن يبينوه ولا يكتموه (التاتارخانية: ج١ ص٧٥).

(٢) كتاب البدع والنهى عنها (ص٤).

(٣) ابن ماجة: ص٣.

عوراتهم، وإعطاء حقّهم من بيت المال، وإنكاح أياماهم، وكفالة يتاماهم إلى غير ذلك، وأكثر هذه الأمور من النصح للأمراء أيضًا، كما هى لعامّتهم.

١- يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُم أمّة وسَطًا لتَكُونُوا شُهَدَاء عَلى النّاس ويَكُون الرسُول عَلَيكُم شَهيدًا﴾ (البقرة: ٤٣).

٢- ﴿ملّة أبِيكُم إبرَاهِيمَ هُو سَمّاكُم المُسلِمِينَ مِن قَبل وفى هذَا لِيَكُونَ الرسُولُ شَهيدًا عَلَيكُم وتَكُونُوا شُهَدَاء عَلى النّاس﴾ (الحج: ٧٨)، تذكّر الآيات فى الباب السابق، والأحاديث فى الأبواب السابقة.

الصّدر الأول والنصح:

١- قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا يقدس قومًا لا يُعطى الضعيف منهم حقه»[1].

٢- «إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف حقه من القوىّ غير متعتع»[2].

٣- وقال أبو سفيان فى حديث قال عليه السلام: «إن الله لا يترحّم على أمة لا يأخذ الضعيف منهم حقّه من القوىّ غير متعتع»[3].

٤- وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم»[4].

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطبة له: "ولست أدع أحدًا

(١) الطبقات الكبرى: ذكر ابن مسعود رضى الله عنه (ج٣ ص١٥٢).

(٢) أخرجه البيهقى فى "السنن الكبرى" (ج١٠ ص٩٣) فى آداب القاضى عن أبى سفيان بن الحارث عن النبى ﷺ.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٣ ص١٨٣.

(٤) كتاب البدع والنهى عنها: باب هلاك الشيخ الذى لم يتمعّر وجهه (ص ٩٤)، وعند ابن عساكر عن أبى سفيان بن الحارث (كنز العمال: ج٣ ص٨٣).

أن يظلم أحداً ولا يعتدى عليه حتى أضع خده على الأرض واضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق "(١)

نماذج النصيحة لولاة المسلمين وعامتهم

يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه : " إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق "(٢) .

وسيدنا الصديق رضى الله عنه يوصى عمر رضى الله عنه المترشّح للخلافة بعده : " إن لله عليك حقّاً فى الليل لا يقبله فى النهار وحقّاً فى النهار لا يقبله فى الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة "(٣) .

ويقول سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه فى خطبته : " لست معلمكم إلا بالعمل والله ما أنا بملك فاستعبدكم إنما أنا عبد الله "(٤) ، و قال أيضاً فى كلام له : الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإذا رتع رتعوا(٥) .

ويقول سيدنا على رضى الله عنه لسيدنا عمر رضى الله عنه : عففت فعفّت

---

(١) أخرجه الحاكم فى " مستدركه " فى معرفة الصحابة ، وقال : لم يقم إسناده سوى غندر وغيره يقول عن سماك : حدثنى شيخ عن أبى سفيان ، وقوله : غير متعتع أى بغير يصيبه أذى يقلقه (ج٣ ص٢٥٦) .

(٢) الطبقات الكبرى (ج٣ ص١٨٣) .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى " الزهد " مفصّلا (ج٨ ص١٤٥) ، مناقب عمر رضى الله عنه (٥٦-٥٧) ، الكامل (ج٣ ص٨٠) كتاب الخراج (ص ١٢) وغيرهم .

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ج٣ ص٨٥ ، ابن كثير فى " البداية " (ج٧ ص٤٧) .

(٥) ابن أبى شيبة فى " الزهد " : كلام عمر رضى الله عنه (ج٨ ص١٤٧) .

رعيتك ولو رتعت لرتعت رعيتك[١]، ٥- وكتب إلى أبى موسى رضى الله عنه عامله فيما كتب: أن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك[٢].

٦- وقال رضى الله عنه: ليس لهالك هلك معذرة فى تعمد ضلالة حسبه هدى، ولا فى ترك حقه حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعهد الراعى من رعيته تعهدهم بالذى لله عليهم فى وظائف دينهم الذى هداهم الله له، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيم أمر الله فى قريب الناس وبعيدهم، ولا نبالى على من كان الحق[٣].

٧- وقال رضى الله عنه فى أمراءه: اللهمّ إنى أشهدك على أمراء الأمصار، فإنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ[٤].

وفى المناقب والطبرى زيادة قوله: "ويرفعوا إلى ما عمى عليهم"[٥].

٨- ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه فى خطبته فى الأعوص عند توديعه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه إلى العراق سنة ١٤هـ: والزهد خذ الحق من كل من قبله حق، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف[٦].

٩- وقال رضى الله عنه: لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع، ولا يصانع، ولا يتبع المطامع، ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينتقض غربه، ولا يكظم فى الحق على

---

(١) البداية: ج٧ ص٦٩.

(٢) أخرج كلام عمر رضى الله عنه مفصّلا ابن أبى شيبة فى "الزهد" (ج٨ ص١٤٧)، وأخرجه أبو يوسف رحمه الله فى "الخراج": وإياك أن تزيغ فيزيغ عمالك. (الخراج: ١٦).

(٣) الخراج: ص١٤.

(٤) الخراج: ص١٥ و١٢٥.

(٥) مناقب عمر رضى الله عنه: ص٢١٤، تاريخ الأمم والملوك: ج٣ ص٢٧٣.

(٦) البداية: ج٧ ص٣٧.

حزبه(١).

١٠ - عمر رضى الله عنه فى كتابه إلى أبى عبيدة رضى الله عنه أما بعد: فإنه لم يقم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة، ولا يحنق فى الحق على جرته، ولا يخاف فى الله لومة لائم(٢).

١١ - وقال رضى الله عنه: لقد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية، ولم يكن له قدم فى الإسلام(٣).

١٢ - أبو يوسف رحمه الله تعالى ناصحًا لكبير ملوك الأرض فى وقته: إن الأجر فى إقامة الحدود عظيم، والصلاح لأهل الأرض كثير(٤).

١٣ - وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: حدثنى الحسن بن عمارة عن جرير ابن زيد قال: سمعت أبا زرعة يقول: إنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحًا»(٥)، وقد مرّ التفصيل فى أهمية الحدود.

١٤ - ويقول ربعى بن عامر رضى الله عنه مجيبًا لرستم -كبير قواد عسكر فارس لما سأله رستم- بقوله: ما جاء بكم؟ الله ابعتثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى

---

(١) الخراج (ص١٦): قول عمر رضى الله عنه لا يقيم أمر الله ... وهو عند على المتقى بلفظ: لا يطيق هذا الأمر، وفى الفقرة الثانية: لا يطيق أمر الله إلا رجل لا يتكلّم بلسانه، ولا ينقض عزمه ويحكم بالحق على حزبه (كر كنز العمال: ج٥ ص٧٤١ الإمارة) وقريب منه باختلاف بعض الألفاظ عند (عب) ووكيع الصغير فى "الغرر" (ك الكنز: ج٥ ص٧٦٦).

(٢) ابن أبى الدنيا فى "كتاب الأشراف" (الكنز: (ج٥ ص٧٧٦).

(٣) البداية: ج٨ ص٢٣٥.

(٤) الخراج: ص١٦٤.

(٥) الخراج: المرجع السابق.

عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه[١].

١٥ - ويقول زهرة رحمه الله -أحد قواد المسلمين فى القادسية لرستم لما سأله رستم-: ما هو؟ أى دينكم الذى تقاتلون الناس عليه، فأجابه زهرة رحمه الله: أما عموده الذى لا يصلح منه شىء إلا به، فشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى، قال: ما أحسن! وأىّ شىء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، قال: حسن وأىّ شىء أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم وحواء -إخوة لأب وأم- قال: ما أحسن هذا![٢].

١٦ - يقول نعمان بن مقرن -أحد قواد المسلمين وشجعانهم-: الإسلام دين حسّن الحسن، وقبّح القبيح كله[٣]، ما قاله الصحابى المكزم وزهرة: هو النصيحة لعامتهم، وهو من فرائض الولاة أيضاً كما هو من فرائض القواد والنقباء والعرفاء والعلماء والخطباء والساسة والربانيين.

١٧ - يقول أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم رحمه الله ناصحاً هارون -كبير ملوك الأرض فى عصره-: لا تضيّعنّ ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدى الراعى إلى ربه، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك، ولو ساعة من نهار، ولا تزغ فيزيغ رعيتك، وإياك والأمر بالهوى، والأخذ بالغضب، واجعل الناس عندك فى أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف فى الله لومة لائم، فلا تلق الله غداً، وأنت سالك سبيل المعتدين، فإن ديان يوم الدين إنما يدين الناس بأعمالهم، ولا يدينهم بمنازلهم، فإن الراعى المضيع يضمن ما هلك

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ج٣ ص٣٤، وقريب منه فى "الكامل": ج٢ ص١٠٦ ومثله قول مغيره بن شعبة رضى الله عنه عند الطبرى وابن الأثير وفى "البداية" أيضاً (ج٧ ص٤٠).

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ج٣ ص٣٢، الكامل: ج٢ ص١٠٥ وغيرهما.

(٣) البداية: ج٧ ص٤٢.

على يديه مما لو شاء ردّه عن أماكن المهلكة بإذن الله، وإضاءة نور الولاء إقامة الحدود وردّ الحقوق إلى أهلها بالتثبّت، والأمر البيّن، وإحياء السنن التى سنّها القوم الصالحون أعظم موقعًا، وجور الراعى هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة، وليس شىء أحبّ إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الإفساد، والعمل بالمعاصى كفر النعم، فإن صلاحهم -الرعية- بإقامة الحدود عليهم، ورفع الظلم عنهم، والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم(١).

١٨- وقال عمر رضى الله عنه: من ولى من أمر المسلمين، فهو عبد المسلمين، ويجب عليه ما يجب على العبد لسيده فى النصيحة، وأداء الأمانة(٢).

١٩- وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: قال عمر رضى الله عنه: أيما عامل ظلم أحدًا، وبلغنى مظلمته ولم أغيرها، فأنا ظلمته(٣).

٢٠- وقال: يا أيتها الرعية! إن لنا عليكم حقًّا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة! إن للرعية عليكم حقًّا، اعلموا أنه لا حلم إلى الله أحبّ ولا أعمّ نفعًا من حلم إمام ورفقه، وإنه ليس جهل أبغض إلى الله، ولا أعمّ من جهل إمام وخرقه(٤).

٢١- ويقول عمر رضى الله عنه فى أول خطبته: أعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم(٥).

---

(١) كتاب الخراج من ٣ إلى ٦.

(٢) كنز العمال (من المداراة) (جـ٥ ص٧٦١).

(٣) مناقب عمر رضى الله عنه: ص١١٦، الطبقات الكبرى: جـ٢ ص٣٠٥.

(٤) المناقب: ص١١٧، ونحوه فى "الكنز" (جـ ٥ ص٧٦٩).

(٥) اللالكائى (ك)، الكنز فى الإمارة (جـ٥ ص٦٨٣).

٢٢- زيد بن على عن أبيه (فى حديث) قال له على رضى الله عنه: يا أبا سفيان! إن المؤمنين وإن بعدت ديارهم وأبدانهم قوم نَصَحة بعضهم لبعض، وإن المنافقين وإن قربت ديارهم وأبدانهم قوم غشَشة بعضهم لبعض[1].

(١) أبو أحمد الدهقان فى حديث (الكنز: ج٥ ص٦٥٣ وج٥ ص٦٥٧.

باب

لا يزال الناس مستقيمين ما استقامت أئمتهم وهُداتهم

١- عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها عن أبى بكر رضى الله عنه فى وصيته لعمر رضى الله عنه : اعلم أنهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله لك مستقيمين ما استقامت طريقتك[١].

٢- قيس بن أبى حازم رضى الله عنه عن أبى بكر فى جواب امرأة من أحمس لما سألته : ما بقاءنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ، قال : بقاءكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم ، قالت : وما الأئمة؟ قال : أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ، قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس[٢].

قال إمام الهند رحمه الله : الاستقامة هذه تشمل العلم والعدالة والكفاية فى المهمات والشجاعة وغيرها[٣].

٣- وقال عمر رضى الله عنه موصيًا عثمان وعليًّا رضى الله عنهما : إنى لا أخاف عليكم الناس إن استقمتم[٤]، وأيضًا قال : إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم[٥].

(١) الخراج : ص١٢ ، قرة العينين : ص ٨٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى باب أيام الجاهلية (ج١ ص٥٤١)، و أخرجه الدارمى عن حية بنت أبى حية : فى باب كراهة أخذ الرأى ، وكذا أخرج حديث الأحمسية فى نفس الباب (ج١ ص٦٢)، أخرجه فى "الكنز" الإمارة عن (ش خ) الدارمى (ك ق) : ج٥ ص٥٨٩ ، وعن (ابن سعد) (الكنز : ج٥ ص٧٥٣)، وأخرج حديث حية عن مسدد بن منيع والدارمى وحسّنه ابن كثير (الكنز : ج٥ ص٧٥٤).

(٣) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء : ج١ ص٥٦-٥٧ .

(٤) الطبرى فى التاريخ : حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى : ج٣ ص٢٩٣ .

(٥) الطبقات : ج٣ ص٢٩٢ ، مناقب عمر رضى الله عنه بلفظ : لن يزالوا (ص٢٠٢)، وأخرجه فى

٤- وقال لأهل الشورى: "إنى نظرت لكم فى أمر الناس، فلم أجد عند الناس شقاقًا إلا أن يكون فيكم، فإن كان شقاق فهو منكم"(١).

٥- وعنه: "الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإذا رتع الإمام رتعوا"(٢).

٦- أبو بكر رضى الله عنه يوصى عمرو بن العاص رضى الله عنه: "أصلح نفسك تصلح لك رعيتك"(٣).

٧- أبو بكر رضى الله عنه فى وصيته لعمر رضى الله عنه: "فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما خفت الله وفرقته(٤)".

٨- وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى عامله رضى الله عنه: واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته(٥).

"الكنز" عن (ابن سعد هق) كنز العمال: ج٥ ص٧٦٥ الإمارة).

(١) (كر) كنز العمال: ج٥ ص٧٤٥ الإمارة، وعبد الرزاق فى حديث الشورى: ج٥ ص٤٨٠.

(٢) (ابن سعد: ش ق ك)، الكنز: ج٥ ص٧٦٥ الإمارة.

(٣) (ابن سعد) (الكنز: ج٥ ص٦٢٢ اكتاب القضاء.

(٤) (سيف كر) (الكنز فى الإمارة: ج٥ ص٦٨٠).

(٥) (الدينورى): (الكنز: ج٥ ص٦٩٦).

باب
نماذج النصيحة لعامة الناس من رسول الله ﷺ

١- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: كل معروف صدقة[١].

٢- وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: "قال النبى ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيفعل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل، قال: فيأمر بالخير، أو قال: بالمعروف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة"[٢].

يقول بدر الدين العينى رحمه الله: المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرّب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات العالية[٣].

٣- أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»[٤].

٤- وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا ثم شبك بين أصابعه»[٥].

---

(١) أخرجه البخارى (ج٢ ص٨٩٠) فى الأدب: باب كل معروف صدقة، وأخرجه مسلم (ج١ ص٣٢٤) عن حذيفة رضى الله عنه فى البر: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٢) أخرجه البخارى فى نفس المرجع، وكذا مسلم: ج١ ص٣٢٥).

(٣) عمدة القارى: ج٢٢ ص١١٢.

(٤) أخرجه البخارى (ج٢ ص٨٩٠) فى الأدب: باب طيب الكلام.

(٥) البخارى (ج١ ص٣٣١) فى القصاص والمظالم: باب نصر المظلوم، وفى الأدب، باب تعاون

٥- عدى بن حاتم رضى الله عنه (فى حديث)، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[١].

٦- أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»[٢].

٧- أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٣].

٨- أبو هريرة رضى الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[٤]، وعنه فى حديث: "إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[٥]، وفى المسند: "إذا توسّد الأمر"[٦].

الكرمانى رحمه الله: والمراد من الأمر جنس الأمور التى تتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والإفتاء ونحوه[٧].

المؤمنين بعضهم بعضًا (ج٢ ص٨٩٠)، مسلم فى البر، باب تراحم المؤمنين بعضهم بعضًا (ج٢ ص٣٢١).

(١) مسلم فى البر: باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (ج١ ص٣٢٦).

(٢) البخارى فى الأدب، باب النهى عن التحاسد والتدابر (ج٢ ص٨٩٦، مسلم فى البر: باب تحريم الظنّ (ج٢ ص٣١٦).

(٣) البخارى فى باب الأدب (ج٢ ص٨٩٦)، مسلم فى البر: باب تحريم التحاسد (ج٢ ص٣١٥).

(٤) البخارى فى الرقاق: باب رفع الأمانة (ج٢ ص٩٦١).

(٥) البخارى باب العلم: من سئل عن علم (ج١ ص١٤.

(٦) مسند الإمام أحمد: ج٣ ص٤٦.

(٧) الكرمانى: (ج٢ ص٥) وقال: أى فوض المناصب إلى غير مستحقها كتفويض القضاء إلى غير العالم بالأحكام كما هو فى زماننا هذا -نعوذ بالله عنه- (ج٢٣ ص١٧).

٩- أنس رضى الله عنه : قال النبى ﷺ : لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبّه إلا لله وحتى أن يقذف فى النار أحبّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما[1] ، ١٠- وعنه : عن النبى ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»[2] .

١١- أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون إليه أحبّ من والده وولده» ، وفى رواية قتادة رحمه الله عنه زيادة : «والناس أجمعين»[3] .

١٢- أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «انصُر أخاك ظالـمًا أومظلومًا قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالـمًا قال تأخذ فوق يديه»[4] .

بدر الدين العينى رحمه الله فى شرح حديث «إذا أسند الأمر . . . » والمراد من الأمرجنس الأمورالتى تتعلق بالدين كالخلافة والسلطنة والإمارة والقضاء والإفتاء .

وقال الكرمانى رحمه الله : "أسند الأمر" : أى فوض المناصب إلى غير مستحقيها كتفويض القضاء إلى غير العالم بالأحكام ، كما هو فى زماننا ، قلتُ :

---

(١) البخارى فى الإيمان : باب حلاوة الإيمان (ج١ ص٧) ، وفى الأدب : باب المقت فى الله (ج٢ ص٨٩٣) ، ومسلم فى الإيمان : باب بيان خصال من اتّصفَ بهنّ وجد حلاوة الإيمان (ج١ ص٤٩) .

(٢) البخارى فى الإيمان : باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه (ج١ ص٦) ومسلم فى الإيمان من خصال الإيمان أن يحبّ لأخيه . . . إلخ (ج١ ص٥٠) .

(٣) البخارى فى الإيمان : باب حبّ الرسول من الإيمان (ج١ ص٧ ، ومسلم فى الإيمان : باب وجوب المحبّة لرسول الله ﷺ (ج١ ص٤٩) .

(٤) البخارى المظالم والقصاص ، باب أعن أخاك ظالـمًا أو مظلومًا (ج١ ص٣٣١) ، وعند مسلم عن جابر رضى الله عنه فى البرّ والصلة ، باب نصر الأخ ظالـمًا أو مظلومًا(ج٢ ص٣٢٠) ، وعند البيهقى فى "السنن" : أدب القاضى : باب ما يستدل . . . إلخ (ج١٠ ص٩٠) .

يا ليت أن يتولى الجاهل بلا رشوة؛ لأنه يحتمل أن يكون ديّنًا يستفتى فيما يجهله، فالمصيبة العظمى أن يتولّى الجاهل بالرشوة[(١)].

الساعات

قوله: "فانتظر الساعة" يقول الراغب رحمه الله: والساعات التى هى القيامة، ثلاثة: الساعة الكبرى: وهى بعث الناس للمحاسبة، والساعة الوسطى: وهى موت أهل القرن الواحد، والساعة الصغرى: وهى موت الإنسان[(٢)].

أقول: وهنا ساعة أخرى، وهى هلاك القوم كما فى حديث الباب، والهلاك قسمان: صورىّ، كما كان فى الأمم السابقة، وروحانىّ: لا يبقى لهم تشخص قومى، ولا امتياز دينىّ، ولا شعار إسلامى لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا (إذا تركت بدعة قالوا: ترك سنة).

«علماءهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود».

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

يفتخرون بمحاكاة الكفرة، ويعتزّون بتقليد أعداء الدين فى جميع شعب حياتهم حتى فى الأحكام بقوانين الكفرة، ويسمونها بالنظام العالمى الجديد وازدهارًا قوميًا ودوليًا، كان المسلم فى العصور الأولى يعرف بين آلاف من الناس بصورته وبكلامه وبعاراته وسيره، وبعباداته وغير ذلك.

وأما فى عصرنا هذا فيجتهدون فى إفناء وإعدام الامتياز حتى فنى المسلمون وعدموا فى العالم كله، إلا من رحم الله عزّ وجلّ.

---

(١) عمدة القارى: ج١٣ ص٨٣، وقريب منه عنده (ج٢ ص٧).

(٢) المفردات للراغب: مادة الساعة (ص٢٤٨-٢٤٩) باختصار.

مهما طلبنا العزّة بغير الإسلام أذلّنا اللّه

طارق بن شهاب قال : خرج عمر رضى الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه ، فأتوا على مخاضة ، وعمر رضى الله عنه على ناقة له ، فنزل عنها ، وخلع خفّيه ، فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ! أأنت تفعل هذا؟ وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ، ما يسرّنى ، إن أهل البلد استشرفوك ، فقال عمر رضى الله عنه : أوّه ، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ «إنّا كنّا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله»(١) .

١٣- عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده أنه سمع النبى ﷺ يقول : «لا يأخذنّ أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًا» ، وقال سليمان : "لعبًا ولا جدًا" ، ومن أخذ عصا أخيه فليردّها .

١٤- عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، فأخذه ففزع ، فقال النبى ﷺ : «لا يحلّ لمسلم أن يروع مسلمًا»(٢) .

---

(١) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" فى قصة خروج عمر رضى الله عنه إلى الشام ، و قال فيه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقال الذهبى : على شرطهما (ج١ ص٦٢) ، ونحوه فى "البداية" (ج٧ ص٦١) .

وعند الحاكم أيضًا فى رواية لما قدم عمر رضى الله عنه الشام لقيه الجنود ، وعليه إزار وخفّان وعمامة ، وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء ، فقال له : يعنى قائل يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام ، وأنت على حالك هذه؟ فقال عمر رضى الله عنه (ج١ ص٦٢) .

وعنده فى "معرفة الصحابة" : باب مهما تطلبوا العزّة بغير الإسلام يذلّكم الله ، فصك عمر رضى الله عنه بيده فى صدر أبى عبيدة ، وقال : لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة أنتم كنتم أقلّ الناس وأذلّ الناس فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى (ج٣ ص٨٢) .

(٢) أخرجهما أبو داود فى الأدب : من يأخذ الشىء من المزاح (ج٢ ص٣٣٥) ، و أخرجه الحاكم فى

١٥ - أبو هريرة رضى الله عنه (فى حديث) قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشّ فليس منّا»، قال الترمذى: والعمل على هذا عند أهل العلم كرهوا الغشّ، وقالوا: الغشّ حرام(١). وعند مسلم رحمه الله مرفوعًا: «من غشّ فليس منّى»، وعنده بلفظ الترمذى أيضًا(٢).

يقول ابن الأثير رحمه الله: الغشّ ضد النصح من الغشّ، وهو المشرب الكدر(٣).

١٦ - أبو هريرة رضى الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا: يا رسول الله! وما بوائقه؟ قال: شره"(٤).

وإذا عرفت هذا، علمت أنه ليس فى باكستان النصيحة لله، ولا لكتابه، ولا لرسوله، ولا لأئمة المسلمين، ولا لعامتهم، فلا دين فى باكستان، ولا إسلام إلا اسمه ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ لا إلهَ إلا الله، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم.

تفصيل فى مفهوم الإسلام:

وأما الإسلام فقد مر منا معناه الشرعى واللغوى، فالتزام ما أتى به النبى ﷺ،

"معرفة الصحابة" عن زيد بن ثابت بألفاظ متقاربة (ج٣ ص٤٢١).

(١) أخرجه الترمذى فى البيوع: باب ما جاء فى كراهية الغشّ فى البيوع، وقال: فى الباب عن ابن عمر وأبى الحمراء وابن عباس وبريدة وأبى بردة بن دينار وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم، حديث أبى هريرة صحيح (ج١ ص١٦٧).

(٢) أخرجه فى الإيمان: باب قوله ﷺ: «من غشّ فليس منّا» (ج١ ص٧٠)، وعند الإمام أحمد عنه ليس منا من غشّ (مسند أبى هريرة رضى الله عنه (ج٢ ص٤٧٩).

(٣) النهاية: باب الغين مع الشين من غشّنا فليس منّا (ج٣ ص٣٦٩).

(٤) مسند أحمد (ج٢ ص٥٦١) وعنده بزيادة كلمة "لا-لا" والله لا يؤمن ثلاثًا (ج٢ ص٦٤٢).

والتزام الأعمال الشرعية : له أنحاء وشعب فى الحياة البشرية ، اذكر بعض شعبها ليتميز الخبيث من الطيّب ، إذ ﴿مَا كَانَ الله لِيَذَرَ الْمُؤمنِينَ على مَا أنتُم علَيه حتّى يمِيزَ الخَبِيثَ منَ الطيّب﴾ (آل عمران : ١٧٩) .

دعائم الإسلام :

١- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فى حديث جبريل عليه السلام الطويل) : "قال : يا محمد ﷺ! أخبرنى عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت"(١) .

٢- وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «بُنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجّ وصوم رمضان»(٢) .

تعظيم شعائر الله وحرمات المسلمين فى السنة

٣- عن عبد الله بنِ عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «المسلم من سلم

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان (ج١ ص٢٧) ، وأخرجه الترمذى فى أبواب الإيمان : باب ما وصف جبريل للنبى ﷺ الإيمان والإسلام (ج٢ ص٣١٥) باختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان : باب قول النبى ﷺ : بنى الإسلام على خمس» (ج١ ص٦) ، وأخرجه مسلم فى الإيمان : باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (ج١ ص٣٢) ، الحميدى فى "مسنده" (ج٢ ص٣٠٨) .
وأخرجه الترمذى فى الإيمان : باب ما جاء «بنى الإسلام على خمس» قال : وفى الباب عن جرير ابن عبد الله : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ نحوه (ج٣ ص٣١٥) .

المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله»[١].

٤- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: "أن رجلا سئل النبى ﷺ أىّ الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٢].

٥- وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! أى الإسلام أفضل؟ قال: «من سلِم المسلمون من لسانه ويده»[٣].

٦- وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله فى ذمته»[٤].

٧- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان (ج١ ص٦)، ومسند الحميدى (ج٢ ص٢٧١)، وأخرجه الترمذى فى الإيمان: باب ما جاء «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، عن أبى هريرة رضى الله عنه القطعة الأولى فقط (ج٢ ص٣١٨).

وأخرج النسائى أيضًا عنه القطعة الأولى فى الإيمان والشرائع (ج٢ ص٢٦٦)، وأخرجه بتمامه عن عبد الله بن عمرو أيضًا فى نفس المرجع.

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب إطعام الطعام من الإسلام (ج١ ص٩)، وأخرجه مسلم فى الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام (ج١ ص٤٨)، وأخرجه النسائى فى الإيمان والشرائع (ج٢ ص٢٦٧).

(٣) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب بيان أمور الإيمان (ج١ ص٦)، مسلم: المرجع السابق (ج١ ص٤٨)، والنسائى فى الإيمان والشرائع: أى الإسلام أفضل (ج١ ص٢٦٧)، وعند مسلم بلفظة أى المسلمين خير (ج١ ص٤٨).

(٤) البخارى فى الصلاة: باب فضل استقبال القبلة (ج١ ص٥٦)، وأخرجه النسائى فى الإيمان والشرائع: باب على ما يقاتل الناس مطولا (ج٢ ص٢٦٨)، وأخرج عنه فى صفة المسلم باختصار (ج٢ ص٢٦٦).

ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر [illegible] المسـ (١).

٨- وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كربته فرّج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(٢).

٩- وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٣).

١٠- وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة رضى الله عنه عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ (فى حديث طويل) «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا فليبلّغ الشاهد الغائب»(٤).

(١) أخرجه الترمذى فى البرّ والصلة: باب ما جاء فى الشفقة على المسلم (ج٢ ص٢٣٩)، وأخرجه مسلم فى البر: باب تحريم ظلم المسلم بزيادة واختلاف فى بعض الكلمات (ج٢ ص٣١٧).

(٢) أخرجه البخارى فى المظالم والقصاص: باب لا يظلم المسلم المسلم (ج١ ص٣٣٠)، وأخرجه مسلم فى البر والصلة: باب تحريم الظلم بزيادة لفظ "بها" (ج٢ ص٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم بالمعنى فى الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية (ج٢ ص١٢٥)، واللفظ للبخارى فى الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (ج٢ ص١٠٥٧).

(٤) أخرجه البخارى فى العلم: باب يبلّغ العلم الشاهد الغائب (ج١ ص٢١، وفى المناسك: باب الخطبة أيام منى عنه، وعن ابن عباس رضى الله عنه بزيادة وتفصيل (ج١ ص٢٣٤)، وعن ابن عمر رضى الله عنه فى نفس الباب (ج١ ص٢٣٥).
وأخرجه فى العلم: باب قول النبى ﷺ رب مبلّغ أوعى من سامع عن أبى بكرة رضى الله عنه (ج١ ص١٦، وأخرجه فى الأدب عن ابن عمر رضى الله عنه: باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الذين آمَنُوا لا يَسخَر قَوم﴾ (ج٢ ص٨٩٢).
وأخرجه عنه أيضًا فى الفرائض: باب ظهر المؤمن حمى إلا فى حد أو فى حق (ج٣ ص١٠٠٣)، وأخرجه عن أبى بكرة فى الفتن: باب قول النبى ﷺ: لا ترجعوا بعْدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض (ج٢ ص١٠٤٨)
وأخرجه عنه فى الردّ على الجهميّة: باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوه يومَئذٍ ناضِرَة﴾ (ج٢

١١ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ : حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هنّ يا رسول الله؟ قال : إذا لقيته فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتّبعه "(١) .

١٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «لا يستر عبد عبداً إلا ستره الله يوم القيامة»(٢) .

١٣ - وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «إلا أن تروا كفراً بوّاحًا عندكم فيه من الله برهان»(٣) .

تعظيم شعائر اللّه وحرمات المسلمين فى القرآن :

١- قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَن يُعظّم حُرُمات الله فهو خير له عند ربّه﴾ (الحج : ٣٠) .

٢- ﴿وَمَن يُعظّم شَعَائِرِ الله فَإنّهَا مِن تَقوى القُلُوب﴾ (الحج : ٣٢) .

٣- ﴿وَاخفِض جِناحَكَ لِلمُؤمِنِينَ﴾ (الحجر : ٨٨) .

٤- ﴿وَمَن قَتَلَ نَفسًا بِغَير نَفسٍ أو فَسَاد فى الأرض فَكَأنّمَا قَتلَ النّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة : ٣٢) .

حقيقة الإسلام الاتّصاف بأعمال الإسلام :

ص١١٠٩)، وأخرجه مسلم فى القسامة : باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض عن أبى بكرة (ج٢ ص٦١)، وأخرجه الدارمى فى المناسك : باب خطبة يوم النحر (ج١ ص٣٩٣) .

(١) أخرجه مسلم فى السلام : باب حق المسلم على المسلم ردّ السلام (ج٢ ص٢١٣)، وأخرجه البخارى فى الجنائز : باب الأمر باتّباع الجنائز بلفظة " حق المسلم على المسلم خمس " بدون " وإذا استنصحك فانصحه " (ج٢ ص١٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم فى البر والصلة : باب بشارة من ستره الله فى الدنيا بأن يستر عليه فى الآخرة (ج٢ ص٣٢٢) .

فالمسلم من اتّصف بالإسلام، والإسلام هو دستور وبرنامج إلهيّ أكمله الله عزّ وجلّ، ثم أذاق نبيه الأكرم الموت ﴿كُلّ نَفس ذَائِقَةُ المَوت﴾ (آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧)، «لا إله إلا الله أن للموت سكرات» قول الرسول ﷺ[١].

الدين كامل:

قال الله عزّ وجلّ: «اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم﴾ (المائدة: ٣) فلا يحتاج فى تكميله إلى أمر خارج من الكتاب والسنة[٢] وقال: ﴿هذَا بَلاغٌ للنّاس وَليُنذَروا به وليعلمُوا أنّما هُو إله واحِد﴾ (إبراهيم: ٥٢) وقال تعالى: ﴿أوَ لم يَكفِهِم أنّا أنزَلنَا عَليكَ الكِتَابَ يُتلى عَلَيهم﴾ (العنكبوت: ٥١)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُم عَنه فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

وقال رسول الله ﷺ لعمر الخليفة الراشد -رضى الله عنه-: «والذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى (عليه السلام) فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ولو كان موسى حيّا وأدرك نبوتى لاتّبعنى» وقال عليه الصلاة والسلام: «أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب فو الذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية والذى نفسى بيده لو كان موسى (عليه السلام) حيّا ما وسعه إلا أن يتبعنى»[٣].

وقال لحفصة رضى الله عنها -أم المؤمنين-: «والذى نفسى بيده لو أتاكم

(٣) أخرجه مسلم مطولا فى الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء، وعنده فى الباب عن ابن عمر رضى الله عنه (ج٢ ص١٢٥).

(١) أخرجه البخارى فى المغازى فى مرض النبى ﷺ، ووفاته عن عائشة رضى الله عنها (ج٢ ص٦٤٠، وأخرجه عنها فى الرقاق: باب سكرات الموت (ج٢ ص٩٦٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٣)، ونقل عنه الملا على القارى فى "شرح الفقه الأكبر" (ص١١).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى الأدب: باب من كره النظر فى كتب أهل الكتاب (ج٦ ص٢٢٨)، وأخرجه أحمد فى "المسند" (ج٤ ص٣٧٦)، وأخرجه الدارمى فى باب ما يتّقى من تفسير حديث النبى ﷺ (ج١ ص٩٥)، والكل بألفاظ متقاربة، واللفظ لابن أبى شيبة.

يوسف (عليه السلام) وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت فاتحًا وخاتمًا وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه فلا يهلكنّكم المشركون»[٢].

الأئمة كلهم يوصون باتّباع الكتاب والسنة

هؤلاء الأئمة رحمهم الله كلهم يوصون باتباع القرآن والحديث، وينهون عن تقليدهم من كان أهلا للرجوع إلى الأدلة، نقل العلماء عن الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وعن باقى الأئمة أن كل واحد منهم قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبى"[٣].

إسماعيل بن يحيى المزنى رحمه الله فى "مختصره": اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله، ومن معنى قوله: لأقرّ به على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره"[٤].

ابن القيم رحمه الله تعالى: "نهى الأئمة عن تقليدهم".

الإمام أحمد رحمه الله: "لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء"، وقال: "لا تقلدنى ولا تقلد مالكًا رحمه الله ولا الثورى ولا الأوزاعى رحمه الله، وخذ من حيث أخذوا، وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال.

وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف رحمه الله تعالى: لا يحل لأحد أن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى: باب حديث أهل الكتاب (ج١١ ص١١٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن أبى قلابة عن عمر فى نفس المرجع (ج١١ ص١١١).

(٣) مجموعة الرسائل لابن عابدين (ج١ ص١٢٧، ردّ المحتار: ج١ ص٦٣.

(٤) مختصر المزنى ص١، وإعلام الموقعين: ج٢ ص٢٠٠.

يقول: مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا[١].

محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله تعالى: لولا جاء من الآثار لكان القياس على ما قال أهل المدينة، ولكن لا قياس مع الأثر، وليس ينبغى إلا أن ينقاد للآثار (فى ردّ قول أهل المدينة: إن القهقهة فى الصلاة تنقض الصلاة فقط دون الوضوء)[٢].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: لولا ما جاء فى هذا (إنه لاقضاء على الناسى فى الواجب وغيره، وقال أهل المدينة: عليه القضاء فى الواجب)، لأمرت بالقضاء فى الواجب إنما يتبع فى هذا الآثار[٣].

وقال الشافعى رحمه الله: إذا صح الحديث وقلت: قولا فأنا راجع عن قولى، وقائل بذلك[٤].

تكفل الكتاب والسنة ببيان الإسلام

إنما قالوا: ما قالوا: لإكمال الله سبحانه دينه، والكمال ضد النقص، وإنما يقع ما يقع لجهلنا بكتاب الله عزّ وجلّ، وبحديث رسول الله ﷺ ١- ﴿وَمَا أُوتِيتُم منَ العِلمِ إلا قَليلا﴾ (الإسراء: ٨٥).

٢- ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذكرَ لِتُبَيّنَ لِلنّاسِ مَا نَزّلَ إِلَيهِم﴾ (النحل: ٤٤).

٣- ﴿وَمَا أَنزَلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ إلا لِتُبَيّنَ لَهُمُ الذِي اختَلَفُوا فِيهِ﴾

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٢ ص٢٠٠-٢٠١) ونقل قول أبى يوسف فى نفس المرجع (ص٢٥٩)، ونقل ابن عبد البر فى "الانتقاء" عين ذلك القول عن أبى حنيفة (الانتقاء: ص١٤٥).

(٢) كتاب الحجة على أهل المدينة: ج١ ص٢٠٤.

(٣) الحجة على أهل المدينة: ج١ ص٣٩٢-٣٩٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره (ج١ ص٢٩٤.

(النحل : ٦٤) .

٤- ﴿مِن بَعدِ مَا بيّناهُ للنّاس فِي الكِتَابِ﴾ (البقرة : ١٥٩) .

٥- ﴿مَا كَانَ الله لِيُضِلّ قومًا بَعد إذ هَداهُم حتّى يُبيّنَ لهُم ما يتّقُون﴾ (التوبة : ١١٥) .

٦- ﴿وَمَا أرسَلنَا مِن رسُول إلا بِلِسَان قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لهُم﴾ (إبراهيم : ٤) .

٧- ﴿وَنَزّلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبيَانًا لكُلّ شَيء﴾ (النحل : ٨٩) .

وفى حديث معاذ رضى الله عنه قال : «فإن لم تجد مرّتين»[1] إشارة إلى أن

---

(١) أبو داود : كتاب القضاء : باب اجتهاد الرأى فى القضاء (ج٢ ص١٤٩) ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى أقضية رسولَ الله ﷺ (ج٧ ص١٣) بلفظة : فإن لم يكن كتاب الله ، فإن لم تكن سنة ، مكان : "لم تجد" ، وهو المراد بقوله : فإن لم تكن وإلا فلا كمال ، وقد أعلن الله بالكمال ، وذكره السرخسى فى أدب القاضى من "مبسوطه" (ج١٦ ص٦٩) ، وذكره فى الأصول : باب تقليد الصحابى (ج٢ ص١٠٧ ، وكذا فى القياس (ج٢ ص١٣٠) .

وأخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (ج٦ ص٣٠٣) ، وأخرجه ابن كثير عن "المسند" (ج١ ص٣) ، وأخرجه الإمام الشافعى ، واستدل به فى "الأم" ، وهو أعلم أهل عصره بالحديث فى باب الإقرار والاجتهاد والحكم بالظاهر (كتاب الأم : ج٦ ص٢٠٠) .

وأخرجه الدارمى بألفاظ متقاربة فى باب الفتيا ، وما فيه من الشدة بلفظة ابن أبى شيبة (ج١ ص٥٥) وأخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" بلفظة ابن أبى شيبة (ج٦ ص٣١٣ و٣٢١) ، وأخرجه الترمذى فى الأحكام باختلاف : باب ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندى بمتّصل ، وأبو عون الثقفى اسمه محمد بن عبيد الله (ج١ ص١٦٨) .

وأخرجه البيهقى فى "السنن" فى آداب القضاء : باب ما يقضى به القاضى ، ويفتى به المفتى (ج١٠ ص١١٤) ، وأخرج له شواهد موقوفة عن أبى بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت رضى الله عنهما وابن عباس رضى الله عنه (ج١٠ ص١١٥) .

يقول مؤلف "عون المعبود" : هذا الحديث أورده الجوزقانى فى الموضوعات ، وقال : هذا حديث باطل ، رواه جماعة عن شعبة ، والحارث بن عمرو ، هذا مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه فى أصل من أصول الشريعة .

وقال جمال الدين المزى رحمه الله : الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وقال البخارى : لا يصح حديثه ، ولا يعرف ، وقال الذهبى فى "الميزان" : تفرد أبو عون محمد بن عبد الله الثقفى عن

أصول الدين والشرع كلها فى كتاب الله سبحانه علمها من علمها، وجهلها من جهلها ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ تصريح بذلك.

وقال ابن القيّم رحمه الله: ومنها أن قوله: فإن تنازعتم فى شىء نكرة فى سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليّه وخفيّه، ولو لم يكن فى كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافيًا لم يأمر بالردّ عليه[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فليبلّغ الشاهد الغائب فربّ مبلّغ أوعى من سامع»[2].

الحارث، وما روى عن الحارث غير أبى العون، فهو مجهول.

قلت: لكن الحديث له شواهد موقوفة على عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضى الله عنهم، وقد أخرجه البيهقى فى "سننه" عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له حاشية أبى داود (ج٢ ص١٤٩).

يقول ابن القيم فى "الإعلام": فصل حديث معاذ فى القياس: ذكر الحديث، ثم قال: فهذا حديث وإن كان عن غير مسمّين، فهم أصحاب معاذ، فلا يضره ذلك؛ لأنه يدل على شهرة الحديث، وإن الذى حدث به حارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا من واحد، وهذا أبلغ فى الشهرة من أن يكون عن واحد منهم، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذى لا يخفى، ولا يعرف فى أصحابه متّهم، ولا كذاب، ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، ولا يشكّ أهل العلم بالنقد فى ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة فى إسناد، فاشدد يديك به.

قال أبو بكر الخطيب: وقد قيل: إن عبادة بن نسّى رواه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وهذا إسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة على أن أهل العلم قد نقلوه، واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم إلى آخر ما ذكر عن الخطيب مفصّلا (إعلام الموقعين: ج١ ص٢٠٢).

وذكر السرخسى كلام عمر مع قاضٍ حديث السن، قال له عمر رضى الله عنه: أن عرض عليك القضاء كيف تقضى؟ قال: بكتاب الله... قال: فبسنة رسول الله، ... قال: فأجتهد برأى، فأقره عمر رضى الله عنه قاضيًا. (المبسوط: ج١ ص٦٧-٦٨)

(١) إعلام الموقعين: ج١ ص٤٩.

(٢) أخرجه مسلم فى القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء والأموال والأعراض عن أبى بكرة، ولفظته: «ألا ليبلّغ الشاهد الغائب فلعلّ بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض سمعه» (ج٢ ص٦٠). وأخرجه البخارى فى العلم: باب قول النبى ﷺ: «ربّ مبلّغ أوعى من سامع» ثم ذكر حديث أبى بكرة فى خطبة يوم النحر، وفيه «ليبلّغ الشاهد الغائب عسى أن يبلّغ من هو أوعى له منه» (ج١

أعمال الشرع :

وأعمال الإسلام على ما بينه القرآن العظيم ، والنبى الكريم عليه السلام ما ذكرت فى تعظيم شعائر الله وحرمات المسلمين فى السنة ، وأذكر بعضها الآن -إن شاء الله تعالى- .

شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه عليه وعلى آله وأصحابه التسليمات :

وهى رأس الطاعات ، وهى عموده الذى لا يقبل منه شىء إلا بها «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» .

الشهادة لغةً :

الإخبار بما شاهده وشهده[(١)] ، أن يخبر بما رأى[(٢)] ، خبر قاطع[(٣)] ، والحق أن الشهادة أعمّ من ذلك ، تكون بالقول كما قالوا ، وبالحال والفعل ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿شَاهِدِينَ عَلى أنفُسِهِم بالكُفر﴾ (التوبة : ١٧) أى بإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان ، والعبادة لها وجعلها آلهة ، فإن هذا شهادة منهم على أنفسهم بالكفر ، وإن أبوا ذلك بألسنتهم[(٤)] .

ابن كثير : أى بحالهم وقالهم[(٥)] ، قال ابن عباس رضى الله عنه : شهادتهم

ص١٦) ، وأخرجه فى مواضع من كتابه ، وأخرجه غيرهما بألفاظ متقاربة .

(١) النهاية : مادة : ش هـ د (ج٢ ص٥١٤) .

(٢) المعجم الوسيط نفس المادة (ج١ ص٤٩٧) .

(٣) لسان العرب : نفس المادة (ج٧ ص٢٢٣) .

(٤) فتح القدير للشوكانى (ج٢ ص٣٤٤) .

(٥) ابن كثير (ج٢ ص٣٤٠) .

على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وإقرارهم بأنها مخلوقة[١]، ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر: ظهور كفرهم، وإنهم نصبوا أصنامهم حول البيت، وكانوا يطوفون عراة[٢].

﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ بإظهار الشرك وتكذيب الرسل[٣]، بإظهارهم ما يدل عليه[٤] أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حوْل البيت والعبادة لها، فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر، وإن أبوا أن يقولوا: "نحن كفار" كما نقل عن الحسن رحمه الله[٥]، أي بحالهم وقالهم[٦]، إن فيما يقولونه ويفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم[٧].

ابن القيم رحمه الله: وكذلك شهادة الرب جل جلاله وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارةً، وبفعله تارةً أخرى. . . بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ. . . كما في قوله تعالى: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ (التوبة: ١٢) فهذه شهادة عنهم على أنفسهم مما كانوا يفعلون من أعمال الكفر وأقواله (مدارج السالكين: ج٣ ص٤٥٣).

الشهادة شرعًا أعمّ من الشهادة لغةً

ابن كثير رحمه الله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢) ﴿قَالُوا

(١) القرطبي (ج٨ ص٨٩).

(٢) الكشاف: ج٢ ص١٧٩، الكبير: ج٤ ص٤٠٩، البحر المحيط: ج٥ ص١٩.

(٣) البيضاوي: ج١ ص١٩٤، وقريب منه في الكمالين نقلا عن الجمل (ج١ ص١٥٦).

(٤) روح المعاني: ج١٠ ص٦٤.

(٥) أبو السعود: ج٥ ص٩١، وقريب منه في "المظهري" (ج٤ ص١٤٧)، والخازن: ج٣ ص٥٥، والمعالم: ج٣ ص٥٥، والنسفي: ج٢ ص١٢٠، ونظم الدرر: ج٣ ص٢٨٢.

(٦) محاسن التأويل: ج٨ ص١٤٥.

(٧) النكت: ج٢ ص٣٤٦.

بَلى﴾ قائلين له حالا وقالا، والشهادة تارة تكون بالقول كقوله: ﴿شَهِدنَا عَلى أنفُسِنَا﴾ (الآية)، وتارةً تكون حالا كقوله: ﴿مَا كَانَ للمُشركِينَ أن يعمُرُوا مَساجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلى أنفُسِهِم بِالكُفر﴾ أى حالهم شاهد بذلك، لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وإنّه عَلى ذلِكَ لَشَهِيد﴾ كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال[1].

فهذه نصوص فحول العلماء على أن الشهادة تكون بالحال والفعل، كما تكون بالقول، بل الفعل قد يكون أدلّ وأصرح وأقوى فى المراد كالمعجزات، فإنها أدلّ عند البعض من الأقوال، ولذا كانوا يقترحون الآيات ﴿وَقَالُوا لَولا نُزّلَ عَليه آيَة من ربّه﴾ (الأنعام: ٣٧).

فإذا رأوها آمن من لم يكن معانداً، وهى شهادات على صدق النبى ﷺ، ويشترط فى الشهادة للنجاة فى الآخرة تواطؤها للقلب، وإلا لم تكن معتبرة عند الله، وإن اعتبرت فى الظاهر "إنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وحسابهم على الله"[2].

وإذا لم تكن موافقة للقلب، وظاهر القائل ظاهر المسلمين، فهو منافق قلباً ﴿إنّ المنافِقِينَ فِى الدركِ الأسفَلِ من النّار ولَن تَجدَ لَهُم نصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥) إلا أنا لا نحكم بكفره ما لم يظهر منه قول أو فعل يرفع الإسلام، ولعله يسمّى منافقاً عمليّا وفاسقًا.

يجب العلم والعمل بمقتضى الشهادتين

ولا يمكن موافقتها للقلب إلا بعد العلم بمرادها، فاعلم أنه لا إله إلا الله،

---

(١) ابن كثير (ج٢ ص٢٦٤).

(٢) أخرجه مسلم فى الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقول: لا إله إلا الله، وفى بعض رواياتها: وحسابه (ج١ ص٣٧).

فالعلم قبل القول والعمل[(١)]، فإذا ظهر منه قول أو عمل ينافى الإسلام، فهو كافر حتمًا، وهكذا -أى كافر- كل من كان يقول أو يفعل، ما يدل دلالة ظاهرة على كفره، وإن كان يصرح بالإيمان[(٢)]، ومن أنكر شيئًا من شرائع الإسلام، فقد أبطل لا إله إلا الله، ومعناه يصير مرتدًا، فيقتل إن لم يسلم[(٣)].

ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلمًا، بل هو حجة على ابن آدم خلافًا لمن زعم أن الإيمان مجرد الإقرار كالكرامية، ومجرد التصديق كالجهمية[(٤)].

وقالت الكرامية: من قال: لا إله إلا الله، ولم يعرف الله، ولم يعلم الصانع من المصنوع، ولم يعتقد ذلكفإنه يكون مؤمنًا[(٥)] (وكل شك خطر فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة يجب تعلم ما يتوصّل به إلى إزالة الشك)[(٦)]، (يجب على العبد قبل اشتغاله بذكر الكلمة الطيبة أن يحصل من علم الكلام ما يصحّ به اعتقاده)[(٧)].

(ولهذا كان المحقّقون على أن الشهادتين أول واجبات الدين كما عليه خلص أهل السنة، وذكره منصور السمعانى والشيخ عبد القادر وغيرهما)[(٨)]، (وقد لا يشترط شىء منهما -المعرفة والتصديق- وإليه ذهب الكرامية حتى إن من أضمر

---

(١) البخارى: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله عزّ وجلّ، فبدأ بالعلم (ج١ ص١٦).

(٢) نظم الدرر: ج٢ ص٤٨٠.

(٣) السير الكبير مع الشرح: ج٥ ص٢٢٦٢.

(٤) غاية الأمانى ناقلا من "منهاج التأسيس فى الرد على ابن جرجيس" (ج١ ص٩٧).

(٥) التمهيد لأبى الشكور (ص١٠١).

(٦) مقدمة التاتارخانية: ج١ ص٧٧.

(٧) مجالس الأبرار: ص٩.

(٨) مجموع الفتاوى: ج١ ص٧٦.

الكفر، وأظهر الإيمان يكون مؤمنًا إلا أنه يستحق الخلود فى النار)[١].

المنافق

أما النفاق فهى كلمة إسلامية لم تعرفها العرب بمعناها المخصوص بها قبل الإسلام، بل قبل الهجرة، بل قبل غزوة بدر الكبرى، وإن كان أصلها فى اللغة معروفًا، وهو مأخوذ من "النافقاء" أحد جحرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه، سمّى المنافق منافقًا لستره كفره[٢].

ضابطة لغوية:

يعلم من تتبع اللغة العربية أن كل كلمة ابتدأت بالنون ثم الفاء، أو الفاء ثم النون يكون فى معناها الخروج، والنقل من مكان إلى مكان، أو من حال إلى حال، كما فى الآتية من الكلمات: نَفَثَ نَفَجَ: وثب وخرج)، نَفَحَ، نَفَخَ، نَفِدَ، نَفَشَ، نَفَسَ، نَفَرَ، نَفَصَ: (أخرج البول دفعةً دفعةً للمرض)، نَفَضَ، نَفَعَ، نَفَى، فَنَدَ، الفَنَعُ (طيب الرائحة) الفَنَقُ (النعمة فى العيش) فنكٌ (العجب، الكذب، التعدى، اللجاج) فَنَنٌ وفَنِيَ وغيرها من الكلمات والتصاريف.

وسمّى المنافق منافقًا لخروجه من الإسلام ظاهرًا عند إخوانه، ولخروجه من الكفر ظاهرًا عند المسلمين، ولستره كفره بالأيمان الفاجرة، وبلحن القول

١- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (البقرة: ١٤).

---

(١) شرح المقاصد: الفصل الثالث فى الأسماء والمسمّيات (ج٢ ص٢٤٨).

(٢) النهاية: مادة: ن ف ق (ج٥ ص٩٨، لسان العرب: ج ١٤ ص٢٤٤.

٢- ﴿وَإِذَا جَاءُوكُم قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَخَلُوا بِالكُفر وهُم قَد خَرَجُوا بِهِ وَالله أَعلَمُ بِمَا يَكتُمُونَ﴾ (المائدة: ٦١).

٣- ﴿هُم لِلكُفرِ يَومَئِذٍ أَقرَبُ مِنهُم للإِيمان﴾ (آل عمران: ١٦٧) هم للكفر -فى الظاهر- يومئذٍ -قبل هذه المصيبة- أقرب منهم للإيمان -فى الظاهر- مع أنه لا إيمان لهم فى الباطن أصلا [1].

فذلك إيمانهم فى الظاهر، وهذا كفرهم فى الباطن ﴿قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤).

٤- ﴿اتَّخَذُوا أَيمَانَهُم جُنَّة﴾ (المجادلة: ١٦، المنافقون: ٢).

٥- ﴿يَومَ يَبعَثُهُمُ الله جَمِيعًا فَيَحلِفُونَ لَه كَمَا يَحلِفُونَ لَكُم﴾ (المجادلة: ١٨).

٦- ﴿ولَتَعرِفَنَّهُم فِي لَحنِ القَول﴾ (محمد: ٣٠).

المنافق في الشرع

وأما المنافق فى الشرع: فهو الذى يستر كفره، ويظهر إيمانه [2]، النفاق: أن يسرّ خلاف ما يبدى [3]، النفاق: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر [4]، الدخول فى الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر [5].

وسئل حذيفة رضى الله عنه -صاحب رسول الله ﷺ- عن المنافق، فقال: "الذى يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ

(١) تبصير الرحمن للمهائمى: ج١ ص١٣٢.

(٢) النهاية: ج٥ ص٩٨.

(٣) الكامل للمبرد (ج١ ص١٥٨).

(٤) فتح البارى: الفتن (ج١٣ ص٩٣).

(٥) لسان العرب: ج١٤ ص٢٤٤.

"الذى يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرون"(١).

وعنه فى البخارى قال: "إن المنافق اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا يومئذٍ يسرّون واليوم يجهرون"(٢).

وقال حذيفة رضى الله عنه: إنما كان النفاق على عهد رسول الله ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر أو الإيمان(٣).

وليس على الأديان أضرّ من هذا الضرب من الناس(٤)، ولذلك كذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموا من الشهادة، وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات، يقول الله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١)، فأكدوا بلفظ الشهادة.

وقال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ (المنافقون: ٢) فيه دليل على أن "أشهد" يمين(٥)، وأكدوا بـ"أن" المؤكدة واللام وبالجملة الاسمية، فكذبهم الله وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا شهادتهم سواء بسواء، وزاد التصريح باللقب البشع والعلم الشنيع الفظيع.

وبهذا تعلم أن الشهادة المنجية لا بد فيها من التصديق والعمل، فمن شهد: أن

(١) القرطبى: ج١٨ ص١٢٢.

(٢) البخارى فى الفتن: باب إذا قال: عند قوم شيئًا، ثم خرج، فقال: بخلافه (ج٢ ص١٠٥٤)، وفى رواية الإسماعيلى: فإنما هو اليوم الكفر بعد الإيمان (فتح البارى المرجع السابق، وعمدة القارى: ج٢٤ ص٢١١، القرطبى: ج٨ ص٣١٤).

(٣) أخرجه الإمام البخارى فى الفتن: باب إذا قال: عند قوم شيئًا، ثم خرج (ج٢ ص١٠٥٤)، وأخرجه ابن أبى شيبة فى الفتن: من كره الخروج فى الفتنة، أخرج الجزء الثانى فى (ج٨ ص٦٣٧)، والجزء الأول (ج٨ ص٦٤٠).

(٤) طريق الهجرتين: ص٧٠٧.

(٥) النسفى: ج٤ ص٢٥٧.

لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله من غير علم بمعناهما ، ولا عمل بمقتضاهما ، فلا يكون مسلمًا ، فضلا عن أن يكون مؤمنًا ﴿قُل يَا أهلَ الكتَابِ لَستُم عَلى شَيء حتّى تُقِيمُوا التوراةَ والإنجِيلَ وَما أنزِلَ إلَيكُم من ربّكُم﴾ (المائدة : ٦٨) "على شيء" : على دين يعتد به ، يسمّى شيئًا (التسهيل) .

"حتى تقيموا التوراة والإنجيل" : تعملوا بما فيه ، قال ابن زيد : فقد صرنا أهل الكتاب ، الطبرى : أى توفون حقوقها بالعلم والعمل (الراغب رحمه الله) .

﴿وَما أنزلَ إلَيكُم من ربّكُم﴾ أى القرآن ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما (التسهيل) . ﴿أفَتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكفُرُونَ بِبَعض﴾ (البقرة : ٨٥) بل نقول عقدًا من قلوبنا : ﴿قُولُوا آمَنّا بِالله وَما أنزِلَ إلَينا وَمَا أنزِلَ إلى إبرَاهِيمَ وَإسمَاعِيلَ وَإسحَاقَ ويَعقُوبَ وَالأسبَاطِ وَمَا أوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَمَا أوتِيَ النّبِيّونَ مِن ربّهِم لا نفرّقُ بَين أحَد منهُم ونَحنُ لَه مُسلِمُون﴾ (البقرة : ١٣٦) .

مطلب فى شهادة أن لا إله إلا اللّه :

أثبت الله عزّ وجلّ الإلهية من كل وجه لنفسه العلية المقدسة ، ونفاها عن غيره من كل وجه ، وإنما سمّى غيره إلهًا لمعتقدهم ، ولمعناها اللغوية ، فقال الله عزّ وجلّ :

١- ﴿وَإذَا قِيلَ لَهُم لا إلهَ إلا الله يَستَكبِرُونَ﴾ (الصافّات : ٣٥) .

٢- ﴿فَاعلَم أنّه لا إلـهَ إلا الله﴾ (محمد : ١٩) وقال : ٣- ﴿وَمَا مِن إلهٍ إلا الله﴾ (آل عمران : ٦٢ ص٦٥) ، ٤- وقال : ﴿لا إلهَ إلا أنتَ سُبحَانَكَ إنّى كُنتُ مِنَ الظّالِمينَ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ، وقال : ﴿لا إلهَ إلا أنَا فَاتّقُون﴾ (النحل : ٢) .

﴿لا إلهَ إلا أنا فَاعبُدنى﴾ (طه : ١٤) .

﴿لا إلهَ إلا أنا فَاعبُدونِ﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

﴿لا إلهَ إلا هُوَ﴾ (البقرة : ١٦٣ و٢٥٥) فى ثلاثين موضعًا من كتابه العظيم .

ملحوظة :

قال الإمام الرازى رحمه الله فى تفسير سورة الأنبياء (الآية : ٢٥) : وثالثها: أن الله صرح بكلمة "لا إله إلا الله" فى سبعة وثلاثين موضعًا فى كتابه، وصرح بالوحدانية فى مواضع[1].

أقول: لعل الإمام رحمه الله تعالى لم يحص المواضع إحصاء تامًا، إذ هذه الكلمة بهذا العنوان لم ترد فى القرآن إلا ثلاثين مرة فى تسع وعشرين سورة، وأما جميع عناوينها التى وردت بها فى القرآن، فلعلها أزيد من خمسين مرةً، بل لعلها وردت ضعف ذلك -فسبحان الله الذى لا ينسى-.

التوحيد رأس الطاعات وملاك الأمر :

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم : ٢٤-٢٥).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ. يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم : ٢٦-٢٧).

الكلمة الطيبة

تسمّى كلمة "لا إله إلا الله" كلمة طيبة؛ لأنها تطيب قائلها عند الله عزّ وجلّ إذا قالها: مخلصًا عن قلبه، وعند الناس فقط إن قالها: بلسانه دون إخلاص عن قلب، ويقال لها: الطيب من القول أيضًا لذلك ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ

(١) الكبير مع أبى السعود: ج٥ ص٩٤.

وَهُدُوا إلى صِرَاط الْحَمِيد﴾ (الحج: ٢٤)، وقال الله عزّ وجلّ ﴿الذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبِينَ يَقُولُون سَلام عَلَيكُم ادخُلُوا الجنّة بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

وقال: ﴿وَسِيقَ الّذِينَ اتّقَوا رَبّهُم إلَى الجَنّة زُمَرًا حَتّى إذا جاءُوهَا وَفُتِحَت أبوابُهَا وَقالَ لَهُم خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيكُم طِبتُم فَادخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، ويقال لها الكلم الطيب أيضًا؛ لأنها أصل الكلم الطيب ﴿إلَيه يَصعَدُ الكَلِمُ الطيّبُ﴾ (الفاطر: ١٠).

«أفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلى لا إله إلا اللّه»:

﴿ومَا أرسلنَا مِن قَبلِكَ من رَسُول إلا نُوحِي إلَيه أنه لا إله إلا أنا فَاعبُدُون﴾ (الأنبياء: ٢٥).

﴿ولَقَد بَعثنَا فِي كُل أمّة رَسُولا أنِ اعبُدُوا الله واجتَنبُوا الطّاغُوت﴾ (النحل: ٣٦).

﴿واسأل مَن أرسَلنَا مِن قَبلِكَ من رسُلِنَا أجعَلنَا مِن دُون الرحمن آلهة يعبَدُون﴾ (الزخرف: ٤٥) ١- والحياة فى ظلال هذه الكلمة الطيبة ورياضها حياة طيبة ﴿وَمن عَمِلَ صَالِحًا من ذكر أو أنثى وهُوَ مؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنّه حَياةً طَيّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

٢- وجزاء العامل بها فى الآخرة مساكن طيبة ورضوان من الله ﴿وَمَسَاكن طَيّبَة فِي جَنّات عَدن ورِضوان منَ الله أكبَر﴾ (التوبة: ٧٢).

﴿وَمَسَاكِن طَيّبة فِي جَنّات عَدن ذلِكَ الفَوزُ العَظيم﴾ (الصفّ: ١٢).

﴿الطيّبات للطّيّبينَ والطّيّبُونَ للطّيّباتِ﴾ (النور: ٢٦).

٣- وله الطوبى فى الدنيا والآخرة.

﴿الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ طُوبى لَهُم وحُسن مَآب﴾ (الرعد: ٢٩).

٤ - وقائلها أصد قائل ومن المتقين ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر : ٣٣) .

٥ - والداعى إليها أحسن قولا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (حم السجدة : ٣٣) .

الكلمة الخبيثة

وتسمى كلمة الشرك كلمة خبيثة ؛ لأنها خبيثة فى نفسها وخبيث قائلها، وخبيث معتقدها، وخبيث العامل بها، وخبيث مأواه، و خبيث الداعى إليها ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ (النور : ٢٦) .

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران : ١٧٩) .

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال : ٣٧) .

والحياة فى فيافى وقفار هذه الكلمة الخبيثة حياة خبيثة ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة : ١٠٠) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (التوبة : ٢٨) .

نجاسة المشرك حقيقية أم حكمية

ذهب بعض أهل الظاهر إلى نجاسة أبدانهم، وقال الأشعث عن الحسن: "لا تصافحوهم فمن صافحهم فليتوضأ"[(١)].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: "إن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير"[(٢)]، وهو قول الهادى من أئمة الزيدية[(٣)].

والجمهور على أنه ليس نجس البدن والذات؛ لأن الله أحلّ طعام أهل الكتاب، ولأنه عليه السلام شرب من أوانيهم، ولأنهم لو كانوا أنجاس الأبدان والذوات لما تبدلت النجاسة بالإسلام[(٤)]، وذكر الأقوال كلها الإمام الرازى والزمخشرى وغيرهما من المفسّرين[(٥)].

حقيقة التوحيد:

التوحيد اعتقاد عدم الشريك فى الألوهية وخواصّها[(٦)]، والواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده[(٧)].

---

(١) الطبرى: ج١٠ ص٧٤، النيسابورى: ج١٠ ص٦١، ابن كثير: ج٢ ص٢٤٦.

(٢) الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما: وهو قول روى عنه من وجه غير حميد فكرهنا ذكره (ج١٠ ص٧٤)، النيسابورى: ج ١٠ ص٦١.

(٣) النيسابورى: ج١٠ ص٦١.

(٤) ابن كثير: ج٢ ص٣٤٦، النيسابورى: ج١٠ ص٦١.

(٥) الكشاف: ج٢ ص١٨٢، الكبير: ج٤ ص٤١٨.

(٦) شرح المقاصد: ج٢ ص٦٤.

(٧) النهاية: ج٥ ص١٥٩.

التوحيد هو لغةً: جعل الشيء واحداً، وفى عبارة العلماء: اعتقاد وحدانيته تعالى، أو إفراد القدم عن الحدوث[(١)].

التوحيد: إيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وفى اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوّر فى الأفهام، ويتخيّل فى الأوهام والأذهان[(٢)].

التوحيد: إيمان بالله تعالى وحده لا شريك له -الأحد- لا يوصف شيء بالأحدية غيره تعالى، قال الأزهرى رحمه الله: فأما أحد فلا ينعت به غير الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناءه[(٣)].

الشرك:

أشرك بالله فهو مشرك إذا جعل له شريكًا[(٤)]، أشرك بالله: جعل له شريكًا فى ملكه، والشرك أن يجعل لله شريكًا فى ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد[(٥)].

الشرك شركان:

فالشرك بالله عزّ وجلّ شركان: خاصّ وعامّ، العامّ منه يرادف الكفر ١- ﴿إنّ الشركَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

٢- ﴿إنّ الله لا يَغفِرُ أن يشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَن يشاءُ﴾

(١) كشاف الاصطلاحات: ج٢ ص١٤٦٨-١٤٦٩.

(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص١٠١٦.

(٣) لسان العرب: ج١٥ ص٢٣٣.

(٤) النهاية: ج٢ ص٤٦٦.

(٥) لسان العرب: ج٧ ص١٠٠.

(النساء: ٤٨ و١١٦).

٣- ﴿ومَن يشركْ بِالله فَكأَنّمَا خَرّ مِنَ السّمَاءِ فَتخطَفُه الطيرُ أو تَهوِى بِهِ الريحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

فالشرك فى الآيات عام لجميع أنواع الكفر لا يغفر إذا مات العبد عليه ﴿فَيَمُت وهُو كَافِرٌ فَأولئِكَ حَبِطَت أعمالُهُم﴾ (البقرة: ٢٠٧).

يقول القاسمى رحمه الله: قال الشهاب: "الشرك يكون بمعنى اعتقاد أن لله شريكًا وبمعنى الكفر مطلقًا وهو المراد فى الآية هنا أى آية النساء: ٤٨"[١].

ويقول أبو الشكور رحمه الله: الكفر والشرك واحد بدليل أن الكل من أهل النار، وفيها مؤبّدون[٢].

وأما الخاص منه فهو اعتقاد الشريك لله سبحانه فى الألوهية، وخواصها من الربوبية والحكم والملك والطاعة وغير ذلك، فكل شرك كفر، ولا عكس، وفى الذاهبين إلى ذلك كثرة ﴿يعرِفُونَ نِعمَةَ الله ثم يُنكِرُونَها وأَكثَرُهُم الكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣).

ثم ينكرونها بعباده غير من أنعم بها، وبقولهم: هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا[٣]، (يَعرفُون نِعمةَ الله) يعلمون بأن ذلك كله من الله، وينكرون ذلك بأن يقولوا: بأنها شفاعة آلهتنا[٤]، وفى الحديث: «الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا»[٥].

---

(١) محاسن التأويل: ج٥ ص١٩٩.

(٢) التمهيد: ٢٠٧.

(٣) النيسابورى: ج١٤ ص١٠٣.

(٤) معانى القرآن: ج٢ ص١١٢، غريب القرآن: ص٢٤٨، ابن جرير: ج١٤ ص١٠٦، محاسن التأويل: ج١٠ ص١٤٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" عن أبى موسى رضى الله عنه دون قوله: على الصفا (ج٥ ص٥٤٩)، وأخرجه ابن الأثير فى "النهاية" (ج٢ ص٤٦٦)، وذكره الغزالى فى "الإحياء" باللفظ

(يَعرفُون نِعمةَ الله) أى يعرفون بأن الله هو المسدى إليهم فى ذلك، وهو المتفضّل عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره"[١].

﴿أفَبِالبَاطِلِ يُؤمِنُونَ وبِنِعمَةِ الله هُم يكفرونَ﴾ (النحل: ٧٢) "أفبالباطل" أى -غير الله- وهم الأصنام والأنداد ﴿يَكفُرُونَ﴾ يسترون نِعَم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره"[٢] ﴿وَمَا يُؤمِنُ أكثَرُهُم بِالله إلا وهُم مُشرِكُون﴾ (يوسف: ١٠٦) وما يؤمن أكثرهم أى إذا سئلوا من خلقهم؟ قالوا: الله، ثم يشركون بعد ذلك"[٣].

مجاهد رحمه الله: يسألهم من خلقهم، ومَن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيرهم"[٤]، كانوا مقرّين بالإله، لكنهم كانوا يثبتون له شريكًا فى المعبودية، وهو الأصنام،

المذكور.

قال العراقى: أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى "الضعفاء" من حديث أبى بكر رضى الله عنه، ولأحمد والطبرانى نحوه، عن أبى موسى رضى الله عنه (الإحياء: ج١ ص١٦٣).

وأخرجه على المتقى فى "الكنز" عن الصديق رضى الله عنه (عن ابن راهويه)، وسنده ضعيف، وأخرجه عنه بلفظ المتن، و (الحسن بن سفيان والبغوى)، وأخرجه عن أبى موسى رضى الله عنه (ش) وعن عائشة رضى الله عنها (ابن النجار) (كنز العمال: الشرك الخفى: ج٣ ص٦١٦)، وأخرجه المناوى فى "كنوز السنة عن البغوى (ج١ ص١٥٠)، وأخرجه عن (ع) ج١ ص١٥١).

وأخرجه السيوطى عن ابن عباس رضى الله عنهما (الحكيم) وقال: فيه ضعيف وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه (الحكيم) وعن عائشة رضى الله عنها (الحكيم) "حل ك" الجامع الصغير (ج٢ ص٤٣) وأخرجه ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة" بسنده فى باب الشرك عن حذيفة عن الصديق رضى الله عنه فى حديث ١٠٥.

(١) ابن كثير: ج٢ ص٥٨٠.

(٢) ابن كثير: ج٢ ص٥٧٨.

(٣) ابن كثير: ج٢ ص٤٩٤، غريب القرآن: ص٢٢٣، معانى القرآن: ج٢ ص٥٥.

(٤) أخرجه البخارى فى الرد على الجهمية وغيرهم: باب قوله تعالى: ﴿فَلا تَجعَلُوا لله أندَادًا﴾ (ج٢ ص١١٢١).

ويقولون: هم الشفعاء لا غير[١].

الثالث: أن يشبه الله بخلقه، الرابع: أن يشرك فى طاعته[٢]، غير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه[٣]، المشرك من عبد مع الله غيره[٤]، والمشرك من سوّى بين الله وبين أحد من خلقه فى شىء من الأشياء[٥] ﴿فَلا تَضرِبُوا لله الأمثَالَ إنّ اللهَ يَعلَمُ وَأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٤) لا تشبهوه بخلقه[٦].

وبالجملة فنفى الشرك فى الألوهية ثابت عقلا وشرعًا، وفى استحقاق العبادة شرعًا ﴿وَما أمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا اللهَ مُخلِصِينَ لَه الدينَ حُنَفاء﴾[٧] (البينة: ٥).

﴿وَمَا أمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا إلهًا واحِدًا لا إله إلا هُوَ سُبحَانَه عَمّا يُشرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١).

الأنبياء كلهم بعثوا بالدعوة إلى عبادة الله سبحانه وحده، والنهى عن عبادة غيره سبحانه ملكًا كان أو نبيًّا، أو جنًّا، أو شجرًا أو حجرًا، أو بحرًا أو نارًا أو أى حيوان أو عبدًا صالحًا، بل أىّ مخلوق كان علويًّا أو جويًّا، أو سفليًّا، نوريًّا أو ناريًا أو ترابيًا ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَىءٌ وهُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

﴿قُل هُوَ الله أحَدٌ اللهُ الصّمدُ لَم يَلِد ولَم يُولَد ولَم يَكُن له كُفُوًا أحَد﴾.

---

(١) معنى ما فى النيسابورى: ج١٣ ص٦٠ والطبرى: ج١٣ ص٥٠.

(٢) النكت والعيون: ج٣ ص٨٧.

(٣) ابن جرير: ج١ ص٤٥.

(٤) الشامى: ج٢ ص٣٩٨.

(٥) الكبير لشيخ الإسلام: ج١ ص٢٧٤.

(٦) النيسابورى: ج١٤ ص٩٨، الكبير: ج٥ ص٣٣٦.

(٧) شرح المقاصد "ج٢ ص٦٥.

﴿فَلا تَضرِبُوا لله الأمثَالَ﴾ .

العبادة

العبادة غاية التذلّل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى[١]، العبادة: نهاية التعظيم سواء اعتقد فى المعبود أنه إله، أو اعتقد أنه مقرّب إلى الله[٢].

وحقيقة العبادة: الطاعة بغاية الخضوع، ولا يستحقها أحد سوى المالك المعبود[٣]، العبادة: أصل معناه: الذلّ، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذلّ، ومعنى الحب، فهى تتضمن غاية الذلّ لله تعالى بغاية المحبة له[٤].

العبادة: جعل العبد كليته لله قولا وعملا وعقداً، وكذلك التوحيد والإسلام والطاعة ترجع إلى الائتمار؛ لأنه يجوز أن يطاع غير الله، ولا يجوز أن يعبد غير الله[٥].

وقال ابن القيّم رحمه الله: العبادة تجمع أصلين غاية الحبّ بغاية الذلّ والخضوع[٦]، يقول محشّيه: العبادة تتضمن غاية الحبّ والخضوع كما قال، ولكن ليس هذا كل معناها، فإن العاشق قد يجمع هذين المعنيين، ولا يكون عابداً لمعشوقه، وإنما العبادة: عبارة عن الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة

---

(١) المفردات: ص٣٢١ .

(٢) النيسابورى: ج٩ ص٣٣ .

(٣) تفسير القرطبى: ج١١ ص١٣٠ .

(٤) العبودية: ص٤٤-١٢٢ .

(٥) تأويلات أهل السنة: ج١ ص٦٨ .

(٦) مدارج السالكين: ج١ ص٧٤ .

غيبية فوق الأسباب يقدر بها على النفع والضرر، فكل دعاء، أو ثناء، أو تعظيم بصاحبه هذا الاعتقاد والشعور، فهو عبادة.

ملحوظة:

عبارة المحشّى ليست فى الطبعات المحقّقة، وإنما كانت فى الطبعة الأولى، ونقلتها من "إمداد الأحكام" (ج١ ص١٢٢) نقلها هو عن "المدارج" (ج١ ص٤٠).

قد حضّ الله سبحانه عباده بعبادته وحده بأنواع الكلام والخطابات خبرًا وأمرًا ونهيًا، وببيان ما يترتّب عليه ثوابًا وعقابًا وفلاحًا وخسرانًا ورضًا وغضبًا.

فقال آمرًا: ١- ﴿لا إله إلا أنَا فَاعبُدنِى﴾ (طه: ١٤).

٢- ﴿وَإنِ اعبُدُونِى هذَا صِرَاط مستَقِيم﴾ (يس: ٦١).

٣- ﴿فَاعبُدهُ وتَوَكّل عَلَيه﴾ (هود: ١٢٣).

٤- ﴿فَاعبُدهُ وَاصطَبِر لعِبَادَتِه﴾ (مريم: ٦٥).

٥- ﴿إنّ الله رَبِّى وربّكُم فَاعبُدُوهُ هذَا صِرَاطٌ مستَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥١ مريم: ٣٦).

٦- ﴿فَاعبُدُوهُ﴾ (الأنعام: ١٠٢، يونس: ٣، العنكبوت: ١٧، الزخرف: ٦٤).

٢- ﴿اعبُدُوا رَبّكُم﴾ (البقرة: ٢١) بالجمع والاسم الظاهر فى أحد وعشرين موضعًا فى اثنتى عشرة سورة من القرآن العظيم.

٣- ﴿اعبُد ربّكَ﴾ بالإفراد والاسم الظاهر فى ثلاثة مواضع من سورتين الحجر: ٩٩، والزمر: ٢ و٦٦.

٤ - وقال مخبرًا عن نبيه ﷺ، وعن المؤمنين: ﴿ولكن اعبُد الله الذى يَتَوَفّاكُم﴾ (يونس: ١٠٤)، وفى مواضع من القرآن ٢ - ﴿إيّاكَ نَعبُدُ وَإيّاكَ نَستَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٤). "نعبد" للمتكلم مع الغير فى آيات.

---

٥ - وقال ناهيًا عن عبادة غيره عزّ وجلّ: ﴿وَقَضى رَبّكَ ألا تَعبُدُوا إلا إيّاه﴾ (الإسراء: ٢٣).

٢ - ﴿ألا تَعبُدُوا إلا الله﴾ (هود: ٢ و٢٦).

٣ - ﴿إن الحُكمُ إلا لله أمرَ ألا تَعبُدُوا إلا إيّاه﴾ الآيات، يوسف: ٢٠)، وكذا فى آيات أخر.

---

٦ - وقال نافيًا العبادة عن غيره ﴿لا تَعبُدُونَ إلا الله﴾ (البقرة: ٨٣).

١ - ﴿فَلا أعبُدُ الذينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ الله﴾ (يونس: ١٠٤)، ولم أرد الإحصاء بل التنبيه على بعض أنواع الكلام فى العبادة أنها حق لله وحده لا شريك له.

بعض خواصّ الألوهية

١ - ومن خواص الألوهية الإطاعة فى الحكم ١ - ﴿إن الحُكمُ إلا لله﴾ (الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠ و٦٧).

٢ - ﴿ألا لَه الحُكمُ وَهُو أسرعُ الحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦٢).

٣ - ﴿أفَغَيرَ الله أبتَغِي حكَمًا﴾ (الأنعام: ١١٤).

٤ - ﴿لَهُ الحُكمُ وَإلَيه تُرجَعُونَ﴾ (القصص: ٧٠ و٨٨).

٥ - ﴿إنّ الله يَحكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١).

٦- ﴿وَاللهُ يَحكُمُ لا مُعَقّبَ لِحُكمِهِ﴾ (الرعد: ٤١).

٧- ﴿وَمَا اختَلَفتُم فِيهِ مِن شَيءٍ فَحُكمُهُ إِلَى اللهِ﴾ (الشورى: ١٠).

٨- ﴿وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكمًا لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

٩- ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

١٠- ﴿وَلا يُشرِكُ فِي حُكمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٦).

١١- ﴿وَمَن لَم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

١٢- ﴿. . . هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

١٣- ﴿. . . هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

١٤- ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

١٥- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

١٦- ﴿أَلَيسَ اللهُ بِأَحكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ (التين: ٨).

١٧- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَولَ المُؤمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا وَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (النور: ٥١).

١٨- ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ. وَإِن يَكُن لَهُمُ الحَقُّ يَأتُوا إِلَيهِ مُذعِنِينَ﴾ (النور: ٤٨-٤٩).

١٩- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١).

٢٠- ﴿ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ تَبَارَكَ الله ربّ العَالمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

(٢) ١ - ﴿قُل أطِيعُوا الله وَالرّسُولَ فَإن تَوَلّوا فَإنّ الله لا يُحِبّ الكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢).

٢ - ﴿يا أيّهَا الذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأطيعُوا الرّسُولَ وَأولِى الأمرِ مِنكُم فإن تَنَازَعتُم فِى شَىء فَرُدّوهُ إلَى الله وَالرّسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخرِ ذلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تَأوِيلا . ألَم تَرَ إلى الذين يَزعُمُونَ أنهُم آمَنُوا بِما أنزِلَ إلَيكَ وَما أنزِلَ من قبلِكَ يُرِيدُونَ أن يتحَاكَمُوا إلى الطاغُوتِ وقَد أمِرُوا أن يكفرُوا به ويُرِيدُ الشيطانُ أن يُضلّهُم ضَلالا بعيدًا﴾ (النساء: ٥٩-٦٠).

٣- ﴿وَأطِيعُوا الله وَالرّسُولَ لَعَلّكُم تُرحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢).

٤ - ﴿وَأطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرسُولَ وَاحذَرُوا فَإن تَوَلّيتُم فَاعلَمُوا أنّما عَلى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢).

٥ - ﴿وَأطِيعُوا الله وَرَسُولَه إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١).

٦ - ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وَرَسُولَه وَلا تَوَلّوا عَنهُ وَأنتُم تَسمَعُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠).

٧- ﴿وَأطِيعُوا الله وَرَسُولَه وَلا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم واصبِرُوا إنّ الله مَعَ الصّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

٨- ﴿قُل أطِيعُوا الله وَالرّسُولَ فَإن تَوَلّوا فَإنّما عَلَيه مَا حُمّلَ وَعَلِيكُم ما حُمّلتُم وإن تُطِيعُوه تَهتَدُوا وَما عَلَى الرسُولِ إلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ (النور: ٥٤).

٩- ﴿اتّقُوا الله حَقّ تُقَاتِه﴾ (آل عمران: ١٠٢).

١٠- ﴿وَأطِيعُوا الرسُولَ لَعَلّكُم تُرحَمُونَ﴾ (النور: ٥٦).

١١ - ﴿يا أيّهَا الذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرسُولَ وَلا تبطِلُوا أعمالَكُم﴾ (محمد: ٣٣).

١٢- ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَه وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٣).

١٣- ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرسُولَ فَإِن تَوَلَّيتُم فَإِنَّمَا عَلى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِين﴾ (التغابن: ١٢).

١٤- ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا استَطَعتُم وَاسمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (التغابن: ١٦)

---

(٣)١- ﴿مَن يطعِ الرسُولَ فَقَد أَطَاعَ الله﴾ (النساء: ٨٠).

٢- ﴿وَإِن تُطِيعُوه تَهتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

(٤) ١- ﴿وإِن تُطع أَكثَرَ مَن فِي الأَرض يُضِلّوك عَن سَبِيلِ الله إِن يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِن هُم إِلاّ يَخرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦).

٤- ﴿وَإِن أَطَعتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

٥- ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا منَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إِيمَانِكُم كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠).

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلى أَعقَابِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٩).

---

(٦) ١- ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤتِكُم الله أجرًا حَسَنًا﴾ (الفتح: ١٦).

٢- ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَه لا يَلِتكُم مِنْ أَعمَالِكُم شَيئًا﴾ (الحجرات: ١٤).

٣- ﴿وَمَن يطعِ اللهَ وَرَسُولَه يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣).

٤- ﴿وَمَن يُطع اللهَ والرسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنعَمَ الله عَلَيهِم منَ النَّبِيِّينَ

وَالصدّيقِينَ وَالشهدَاءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أولئكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

٥- ﴿وَمَن يطعِ اللهَ وَرَسُولَه وَيَخشَ اللهَ وَيَتّقهُ فَأولئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥٢).

٦- ﴿وَمَن يطعِ اللهَ وَرَسُولَه فَقَد فَازَ فوزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

٧- ﴿وَمَن يطعِ اللهَ وَرَسُولَه يدخِلهُ جَنّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهَارُ وَمَن يتَوَلّ يُعذّبه عذَابًا أليمًا﴾ (الفتح: ١٧).

٨- ﴿قُل إن كُنتُم تُحِبّونَ الله فَاتّبعُونِى يُحبِبكُمُ اللهُ ويَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَالله غَفُورٌ رحِيم﴾ (آل عمران: ٣١).

---

(٧)- ﴿وَإن جَاهَدَاكَ عَلى أن تُشرِكَ بِى مَا لَيسَ لكَ بِه عِلمٌ فَلا تُطِعهُمَا﴾ (العنكبوت: ٨، لقمان: ١٥).

---

(٨) ١- ﴿يَومَ تُقَلّبُ وُجُوهُهُم فِى النّار يَقُولُونَ يَا لَيتَنَا أطَعنَا اللهَ وَأطَعنا الرسُولا وَقَالُوا رَبّنَا إنّا أطَعنَا سَادَتَنَا وَكُبَراءَنَا فَأضَلّونَا السبِيلا﴾ (الأحزاب: ٦٦-٦٧).

أقوال أهل العلم فى تفسير الآيات

١- قوله سبحانه وتعالى: ﴿أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرّسُولَ فَإن تَوَلّوا فَإنّ اللهَ لا يُحِبّ الكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢)، ابن كثير رحمه الله: فدل على أن مخالفته فى الطريقة كفر، والله لا يحبّ من اتّصف بذلك[١].

---

(١) تفسير القرآن: ج١ ص٣٥٨.

البيضاوى رحمه الله : ولم يقل : لا يحبّهم لقصد العموم، والدلالة على أن التولى كفر، و إنه من هذه الحيثية ينفى محبة الله(١).

أبو السعود رحمه الله : نفى المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم، أى لا يرضى عنهم، ولا يثنى عليهم، وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الكفر لكل الكفرة، والإشعار بعلته، فإن سخط الله عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولّى عن الطاعة كفر، وبأن محبته تعالى مخصوصة بالمؤمنين(٢).

البقاعى رحمه الله : لكنه أظهر الوصف المعلم بأن لتولى كفر(٣).

أبو حيان رحمه الله : فإن تولّوا -عما أمروا به- من اتباعه وطاعته، فإن الله لا يحبّ من كان كافراً، وجعل من لم يتبْعه، ولم يطعه كافراً، وتقييد انتفاء محبة الله بهذا الوصف الذى هو الكفر مشعر بالعلية، فالمؤمن العاصى لا يندرج فى ذلك(٤).

٢- قول الله سبحانه : ﴿مَا كَانَ لِبَشَر أن يؤتِيَه الله الكِتَابَ والحُكمَ والنَبوّة ثُمّ يَقُولَ للنّاس كُونُوا عِبَادًا لى مِن دُونِ الله﴾ (آل عمران : ٧٩) أى مع الله، فإذا كان هذا لا يصح لنبى ولا لمرسل فلأن لا يصح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، وفى "المسند" و "الترمذى" كما سيأتى : أن عدي بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! ما عبدوهم؟ قال : بلى! إنهم أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، فذلك عبادتهم إياهم، فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون فى هذا الذم والتوبيخ(٥).

٣- وقال الله تعالى : ﴿يا أهلَ الكتابِ تَعَالَوا إلى كَلمَة سَواء بَينَنَا وبَينَكُم

(١) تفسير البيضاوى : ج١ ص٦٥ .

(٢) تفسير أبى السعود : ج٢ ص٢٣٦) بهامش "الكبير" .

(٣) نظم الدرر : ج٢ ص٦٥ .

(٤) البحر المحيط : ج٢ ص٤٣٢ .

(٥) ابن كثير : ج١ ص٣٧٧ .

﴿ألا نَعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ بِه شَيئًا ولا يَتَّخِذ بَعضُنا بَعضًا أربَابًا مِن دُونِ الله﴾ (آل عمران: ٦٥).

ابن كثير رحمه الله: هذا الخطاب يعمّ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿لا نُشرِكَ بِه شَيئًا﴾ لا وثنًا، ولا صنمًا، ولا صليبًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا دعوة جميع الرسل، ﴿ولا يَتَّخِذ بَعضُنا بَعضًا﴾. قال ابن جريج رحمه الله: يعنى يطيع بعضنا بعضًا فى معصية الله[١].

قال الماوردى رحمه الله: "أربَابًا" فيه تأويلان: أحدهما: هو طاعة الاتّباع لرؤساءهم فى أوامرهم بمعاصى الله، وهذا قول ابن جريج رحمه الله، والثانى: سجود بعضهم لبعض، وهذا قول عكرمة رحمه الله[٢].

النسفى رحمه الله: "سواء بيننا وبينكم" أى لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، "ولا يتخذ بعضنا أربابًا من دون الله" ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوه من التحليل والتحريم من غير رجوع إلى ما شرع الله.

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه: ما كنا نعبدهم يا رسول الله! قال: أليس كانوا يحلون لكم، ويحرمون، فتأخذون بقولهم، قال: نعم، قال: هو ذاك[٣].

النيسابورى رحمه الله: "ألا نعبد إلا الله" هو خبر بمعنى الأمر أى اعبدوا... أربابًا: لأنهم أطاعوهم فى التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شريعة وبيان، ولأنهم يسجدون لهم، ويطيعونهم فى المعاصى، وهوى النفس ورؤية الأمور من الوسائط، وإذا لم يكن الحكم إلا لله وجب أن لا يرجع فى التحليل والتحريم، والانقياد والائتمار إلا إليه، ثم ذكر قول عدى

(١) ابن كثير: ج١ ص٣٧١، زاد المسير: ج١ ص٤٠٢، النكت والعيون: ج١ ص٣٩٩.

(٢) النكت والعيون: ج١ ص٣٩٩، زاد المسير: ج١ ص٤٠٢.

(٣) النسفى: ج١ ص١٦٢.

رضى الله عنه، وجواب رسول الله ﷺ إياه.

وعن الفضيل رحمه الله: لا أبالى أطعت مخلوقًا فى معصية الخالق، أو صليت إلى غير القبلة.

وقال قبيل هذا: فهم وإن لم يطلقوا عليهم اسم الرب، إلا أنهم أثبتوا فى حقهم معنى الربوبية[1]، ٤ - وقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولى الأمرِ مِنكُم فإن تَنَازَعتُم فِي شَىء فرُدّوهُ إلَى الله وَالرَّسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله والـيَومِ الآخرِ ذلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تَأوِيلا﴾ (النساء: ٥٩).

ابن كثير رحمه الله: هذا أمر من الله عزّ وجلّ بأن كل شىء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يردّ التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة ﴿إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله والـيَومِ الآخرِ﴾ أى ردّوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدلّ على أن من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما فى ذلك، فليس مؤمنًا بالله، ولا باليوم الآخر[2].

الشوكانى رحمه الله: "وَأولى الأمرِ مِنكُم" هم الأئمة والسلاطين والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية[3].

(١) غرائب القرآن: ج٣ ص٢١٦.

(٢) ابن كثير: ج١ ص٥١٨.

(٣) فتح القدير: ج١ ص٤٨١.

الطاغوت

٥ - قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَم تَرَ إلى الذينَ يَزعُمُونَ أنهُم آمَنُوا بِما أنزلَ إلَيكَ وَما أنزِلَ من قبلِكَ يُريدُونَ أن يتحَاكَمُوا إلى الطاغُوتِ وقَد أمِرُوا أن يكفرُوا به ويُريدُ الشيطانُ أن يُضلّهُم ضَلالا بعيدًا﴾ (النساء : ٦٠).

قال جابر رضى الله عنه : كانت الطواغيت التى يتحاكمون إليها فى جهينة واحد، وفى أسلم واحد، وفى كل حىّ واحد، كُهّان ينزل عليهم الشياطين[١]، كان أهل الجاهلية يتحاكون إلى الأوثان، ورجل قائم يترجم الأباطيل، فالمراد بـ"الطاغُوت" هو ذلك الرجل[٢].

قال أهل اللغة : كل معبود من دون الله، فهو جبت وطاغوت، فكل من دعا إلى المعاصى الكبار لزمه هذا الاسم - الطاغوت تراجمة الأصنام يترجمون للناس عنها الأكاذيب فيضلونهم بها، وهو منقول عن ابن عباس رضى الله عنه[٣].

ابن كثير فى تفسير الآية : هذا إنكار من الله عزّ وجلّ على من يدّعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، ثم ذكر أقوالا فى سبب النزول، ثم قال : والآية أعمّ من ذلك كله، فإنها ذامّة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد

(١) أخرجه البخارى فى تفسير سورة النساء : باب قوله : ﴿إن كُنتُم مرضى﴾ (ج٢ ص٦٥٩).

(٢) الكبير للرازى : ج٣ ص٢٤٩، روح المعانى : ج٥ ص٥٦.

(٣) الكبير : ج٣ ص٢٣٥.

بالطاغوت هنا[(١)].

البيضاوى رحمه الله: الطاغوت يطلق بكل باطل من معبود أو وغيره[(٢)].

ابن القيّم رحمه الله بعد ذكر معنى الطاغوت: فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة، وهم الصحابة، ومن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم فى الطريق والقصد معًا[(٣)].

ابن كثير رحمه الله: سئل جابر رضى الله عنه عن الطواغيت؟ فقال: هم كهّان تنزل عليهم الشياطين.

وقال مجاهد رحمه الله: الطاغوت: الشيطان فى صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم.

وقال الإمام مالك رحمه الله: وهو كل ما يُعبد من دون الله عزّ وجل[(٤)].

البقاعى رحمه الله: "إِلَى الطَّاغُوت" أى إلى الباطل المغرق فى البطلان[(٥)].

الزمخشرى رحمه الله: أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ

---

(١) ابن كثير: ج١ ص٥١٩.

(٢) البيضاوى: ج١ ص٩٢.

(٣) إعلام الموقعين: ج١ ص٥٠: الرد إلى كتاب الله وسنة النبى ﷺ وقت التنازع.

(٤) ابن كثير: ج١ ص٥١٢، وذكر فى "الروح" قول مجاهد رحمه الله دون قول مالك (ج٥ ص٥٥..

(٥) نظم الدرر: ج٢ ص٢٧٣.

على التحاكم إليه تحاكمًا إلى الشيطان[(١)].

معين الدين رحمه الله: الطاغوت ههنا سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل[(٢)].

الثعالبى رحمه الله فى تفسير آية المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ من ذٰلِكَ﴾ (المائدة: ٦٠).

قيل: الطاغوت أحبارهم، وكل من أطاع أحدًا فى معصية الله، فقد عبده[(٣)].

وقال ابن جرير فى تفسير آية الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أى اجتنبوا عبادة كل ما عبدوا من دون الله من شىء[(٤)].

نظام الدين النيسابورى رحمه الله فى تفسير آية سورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (الزمر: ١٧) وهو كل ما عبد من دون الله[(٥)].

الإمام الرازى رحمه الله فى تفسير الآية: المسألة الثالثة مقصود الكلام أن بعض الناس أراد أن يتحاكم إلى بعض أهل الطغيان، ولم يُرد التحاكم إلى محمد ﷺ.

قال القاضى رحمه الله: ويجب أن يكون التحاكم إلى هذا الطاغوت كالكفر، وعدم الرضا بحكم محمد ﷺ كفر، ويدل عليه وجوه:

الأول: أن الله تعالى قال: ﴿يُرِيدُونَ أن يتحَاكَمُوا إلى الطاغُوتِ وقَد أمرُوا أن يكفرُوا به﴾ فجعل التحاكم إلى الطاغوت يكون إيمانًا به، ولا شك

(١) الكشاف: ج١ ص٥٣٦، أبو السعود: ج٣ ص١٨٦، النسفى: ج١ ص٢٣٣.

(٢) جامع البيان: ج١ ص٧٩.

(٣) الجواهر الحسان: ج١ ص٤٧٢.

(٤) ابن جرير (ج٢٣ ص١٣١).

(٥) النيسابورى: ج٢٣ ص١٣٢، البيضاوى: ج١ ص٩٢.

أن الإيمان بالطاغوت كفر بالله كما أن الكفر بالطاغوت إيمان بالله .

الثاني : قوله تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم﴾ (النساء : ٦٥) إلى قوله : ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾ وهذا نصٌّ فى تكفير من لم يرض بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام .

الثالث : قوله تعالى : ﴿فَليحذر الذينَ يُخالِفُونَ عَن أمره أن تُصيبَهُم فِتنَة أو يُصيبَهُم عذابٌ أليمٌ﴾ (النور : ٦٣) وهذا يدل على أن مخالفته ﷺ معصية عظيمة ، وفى هذه الآيات دلائل على أن من ردّ شيئًا من أوامر الله أو أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو خارج عن الإسلام ، سواء رده من جهة الشك ، أو من جهة التمرّد ، وذلك يوجب ما ذهبت الصحابة إليه من الحكم بارتداد مانعى الزكاة ، وقتلهم وسبى ذراريهم[(١)] .

البيضاوى رحمه الله : الطاغوت على هذا : كعب بن الأشرف ، وفى معناه من يحكم بالباطل ، ويؤثر لأجله ، سمى بذلك لفرط طغيانه ، أو لتشبّهه بالشيطان ، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه[(٢)] .

٦- قال الله تبارك وتعالى : ﴿إن الحُكمُ إلا للهِ﴾ (الأنعام : ٥٧ ، يوسف : ٤٠ و٦٧) الشوكانى رحمه الله : أى ما الحكم فى كل شىء إلا الله سبحانه[(٣)] .

٧- قال الله عزّ وجلّ : ﴿ثُمّ الذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ﴾ (الأنعام : ١) قال الشاطبى رحمه الله فى "الموافقات" : أى يسوّون به غيره فى العبادة[(٤)] .

---

(١) الكبير : ج٣ ص٢٤٩ .

(٢) البيضاوى : ج١ ص٩٣ .

(٣) فتح القدير : ج٢ ص١٢٢ .

(٤) الموافقات : المقدمة السابعة : ج١ ص٦١ .

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١)، الإمام الرازى رحمه الله: قال الزجاج: وفيه دليل على أن كل من أحل شيئًا، مما حرمه الله تعالى، أو حرم شيئًا مما أحل الله تعالى، فهو مشرك، وإنما سمى مشركًا؛ لأنه أثبت حاكمًا سوى الله جل شأنه، وهذا هو الشرك[1].

أبو السعود رحمه الله: ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره، واتّبعه فى دينه، فقد أشركه به تعالى، بل آثره عليه سبحانه[2].

معين الدين رحمه الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فى استحلال ما حرم ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فإن اتباع غير الله فى الدين إشراك وكفر[3].

البقاعى رحمه الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أى المشركين تدينًا بما يقولون، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أى فأنتم وهم فى الإشراك سواء، كما إذا سميتم غير الله على ذبائحكم على وجه العبادة؛ لأن من اتبع غير الله، فقد أشرك بالله، كما قال النبى ﷺ فى حديث عدى ابن حاتم رضى الله عنه[4].

الآلوسى رحمه الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فى استحلال الحرام ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره، واتّبعه فى دينه، فقد أشرك به تعالى، بل آثره عليه سبحانه، واستحل الحرام[5].

ابن كثير رحمه الله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أى حيث عدلتم عن أمر الله لكم، وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك كقوله

---

(١) تفسير كبير: ج٤ ص١٣٩، النيسابورى: ج٨ ص١١.

(٢) إرشاد العقل السليم: ج٤ ص٢٨٠.

(٣) جامع البيان: ج١ ص١٢٤.

(٤) نظم الدرر: ج٢ ص٧٠٥.

(٥) روح المعانى: ج٨ ص١٧.

تعالى: ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم﴾ وحديث عدى رضى الله عنه[1].

النسفى رحمه الله: ﴿إنّكُم لـمُشرِكُونَ﴾ لأن من اتبع غير الله فى دينه، فقد أشرك بالله[2].

ابن العربى رحمه الله: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه فى اعتقاده الذى هو محل الكفر والإيمان، فإذا أطاعه فى الفعل، وعقده سليم مستمرّ على التوحيد والتصديق، فهو عاصٍ[3].

٩- قال الله سبحانه: ﴿ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ تَبارَكَ الله ربّ العَالِمينَ﴾ (الأعراف: ٥٤) ابن كثير رحمه الله وابن جرير رحمه الله عن عبد العزيز الشامى رحمه الله عن أبيه -وكانت له صحبة-: قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئًا فقد كفر بما أنزل الله على أنبياءه لقوله ﴿ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ﴾»[4].

١٠- وقال عزّ من قائل: ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم ورهبانهم أربابًا من دُون الله﴾ (التوبة: ٣١) روى عن حذيفة رضى الله عنه وغيرهم قال: لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم.

وقال عدى بن حاتم رضى الله عنه: "أتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب، فقال: يا عدى! ألقِ هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه، وهو يقرأ سورة البراءة حتى أتى على هذه الآية ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم﴾ - قال: فقلت: يا رسول الله! إنا لم نتخذهم أربابًا، قال: بلى! أليس يحلون لكم ما حرم الله

---

(١) ابن كثير: ج٢ ص١٧١.

(٢) المدارك: ج٢ ص٣١.

(٣) أحكام القرآن: ج٢ ص٧٥٢.

(٤) أخرجه ابن جرير، وعنه ابن كثير، أوله من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح، وحمد نفسه، فقد كفر وحبط عمله، ومن زعم أن الله.. (ابن جرير: ج٨ ص١٤٧، ابن كثير: ج٢ ص٢٢١).

عليكم، فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحلّ لكم، فتحرمونه، قلت: بلى!
قال: فتلك عبادتهم" والحديث فى "المسند" و "الترمذى" مفصّلا.

وقال أبو البحترى رحمه الله فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم وَرُهبانَهُم﴾ - أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم، فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية، وعنه قال: قيل لحذيفة رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم وَرُهبانَهُم﴾ - أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا، ولكن كانوا يحلّون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه[١].

١١ - وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاودُ إنّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحكُم بَينَ النّاس بالحَقّ وَلا تَتّبع الهَوى فَيُضِلّكَ عَن سَبِيلِ الله﴾ (ص: ٢٦)، ابن كثير رحمه الله: هذه وصية من الله عزّ وجلّ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزّل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلّوا عن سبيل الله[٢].

قال الإمام الشافعى رحمه الله: قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا دَاودُ إنّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرضِ فَاحكُم بَينَ الناسِ بالحَقّ ولا تَتّبع الهَوَى فَيُضِلّكَ عَن سَبِيلِ الله إنّ الّذِينَ يَضِلّونَ عَن سَبِيل الله لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَومَ الحِسَابِ﴾ وقال لنبيه ﷺ فى أهل الكتاب: ﴿فَإن جَاءُوكَ فَاحكُم بَينَهُم أو أعرِض عَنهُم﴾ إلى ﴿وَإن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسط إنّ الله يُحِبّ المقسِطِينَ﴾، وقال: ﴿وَأن احكُم بَينَهُم بِمَا أنزلَ الله وَلا تَتّبِع أهوَاءَهُم وَاحذَرهُم أن يفتِنُوكَ عَن بَعض مَا أنزَلَ الله إلَيكَ﴾ وقال: ﴿وَإذا حَكَمتُم بَينَ النّاس أن تَحكُمُوا بِالعَدل﴾ فأعلم الله نبيه عليه السلام أن فرضًا عليه وعلى من قبله، والناس إذا حكموا أن يحكموا بالعدل، والعدل اتباع حكمه المنزل،

(١) إعلام الموقعين: الفرق بين التقليد والاتباع (ج٢ ص١٩٠).

(٢) ابن كثير: ج٤ ص٣٢.

قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ حين أمره بالحكم بين أهل الكتاب: ﴿وأن احكُم بينهم بما أنزلَ الله﴾ ووضع الله نبيه ﷺ من دينه وأهل دينه موضع الإبانة عن كتاب الله عزّ وجل معنى ما أراد الله، وفرض طاعته.

فقال: ﴿مَن يطع الرسُولَ فَقَد أطَاعَ الله﴾ وقال: ﴿فلا ورَبّك لا يُؤمنُونَ حَتّى يُحكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بينَهُم﴾ (الآية) وقال: ﴿وَليحذر الذينَ يُخالِفُونَ عَن أمره﴾ (الآية).

فعلم أن الحق كتاب الله، ثم سنة نبيه ﷺ، فليس لمفتٍ، ولا حاكم أن يفتي، أو يحكم حتى يكون عالمًا بهما، ولا أن يخالفهما، ولا واحدًا منهما بحال، فإذا خالفهما، فهو عاصٍ لله عزّ وجلّ، وحكمه مردود[1].

١٢- وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاسجُدُوا لله الّذِى خَلَقَهُنّ إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُون﴾ (حم سجدة: ٣٧) قال النسفى رحمه الله: فإن من عبد مع الله غيره لا يكون عابدًا لله[2].

١٣- وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلا وَرَبّك لا يُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِى أنفُسِهِم حَرَجًا مّمّا قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥) قال ابن كثير رحمه الله: أى إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم، فلا يجدون فى أنفسهم حرجًا لما حكمت به، وينقادون لك فى الظاهر والباطن، فيسلمون لك تسليمًا كليًا من غير ممانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة كما ورد فى الحديث «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[3].

النسفى رحمه الله: والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك

(١) كتاب الأم: باب فى الأقضية: ج٧ ص٩٣.

(٢) المدارك: ج٤ ص٩٥.

(٣) ابن كثير: ج١ ص٥٢٠.

وقضائك[١].

الإمام الرازى رحمه الله : هذا يدل على أن من لم يرضَ بحكم الرسول، فلا يكون مؤمنًا[٢].

أبو حيان رحمه الله : حتى هنا غاية أى ينتفى عنهم الإيمان إلى هذه الغاية، فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين[٣].

البيضاوى رحمه الله : حرجًا مما : أى ضيقًا مما حكمت به، أو من حكمك أو شكًا من أجله، ويسلموا : وينقادوا لك انقيادًا بظاهرهم وباطنهم[٤].

السيوطى رحمه الله : "حَرَجًا" ضيقًا أو شكًّا، ويسلموا : ينقادوا لحكمك تسليمًا من غير معارضة[٥].

ابن القيّم رحمه الله : ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسولهم فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتفِ فى إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده، حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضاءه وحكمه، ولم يكتفِ منهم أيضًا بذلك، حتى يسلّموا تسليمًا وينقادوا انقيادًا[٦].

١٤- وقال الله سبحانه : ﴿وَمَن لَم يَحكُم مِمَّا أنزَلَ الله فَأولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ (المائدة : ٤٤).

(١) المدارك : ج١ ص٢٣٤.

(٢) الكبير : ج٣ ص٢٥٤.

(٣) البحر المحيط : ج٣ ص٢٨٤.

(٤) البيضاوى : ج١ ص٩٤.

(٥) الجلالين : ج١ ص٨٠.

(٦) إعلام الموقعين : الرد إلى كتاب الله و سنة النبى ﷺ وقت التنازع (ج١ ص٥١).

﴿... فَأولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ (المائدة : ٤٥).

﴿... هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (المائدة : ٤٧).

قال ابن كثير : عن كثير من أهل العلم من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين أن الآية نزلت فى أهل الكتاب ، وزاد الحسن البصرى رحمه الله : وهى علينا واجبة ، وعن إبراهيم رحمه الله قال : نزلت هذه الآيات فى بنى إسرائيل ، ورضى لهذه الأمة بها .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : ومن جحد بما أنزل الله ، فقد كفر ، ومن أقر به ، فهو ظالم ، فاسق .

قال الشعبى رحمه الله : ﴿فَأولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ هذا فى المسلمين ﴿فَأولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ هذا فى اليهود ﴿فَأولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ هذا فى النصارى[١] .

ابن جرير رحمه الله : ابن مسعود رضى الله عنه والحسن رحمه الله : هى عامّة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين ، واليهود والكفار ، أى معتقداً ذلك ومستحلا له[٢] .

معين الدين رحمه الله : أنزلت فى أهل الكتاب دون من أساء من هذه الأمة ، أو من تركه عمداً ، وهو يعلم ، فهو من الكافرين ، فيكون فى المسلمين[٣] .

البقاعى : قال ابن عباس رضى الله عنه " من جحد حكم الله كفر ، ومن لم يحكم به وهو مقرّ ، فهو ظالم فاسق[٤] ، وقال : إن كان تديناً بالكفر كان

---

(١) ابن كثير : ج٢ ص٦١ ، البحر المحيط : ج٣ ص٤٩٢ .

(٢) ابن جرير : ج٦ ص١٦٥-١٦٦ ، القرطبى : ج٦ ص١٩٠ .

(٣) جامع البيان : ج١ ص١٠١ .

(٤) نظم الدرر : ج٢ ص٤٦٠ .

نهاية الظلم، وهو الكفر وإلا كان عصياناً[١]، وقال: فإن كان تديناً كان كفراً، وإن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية[٢].

الماوردى رحمه الله: فى اختلاف هذه الآى الثلاث أربعة أقاويل: أحدها: أنها واردة فى اليهود دون المسلمين، وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والبراء رضى الله عنهم وعكرمة رحمه الله.

الثانى: أنها نزلت فى أهل الكتاب وحكمها عام فى جميع الناس، وهذا قول الحسن رحمه الله وإبراهيم رحمه الله.

والثالث: أنه أراد بالكافرين أهل الإسلام، وبالظالمين اليهود، وبالفاسقين النصارى، وهذا قول الشعبى رحمه الله.

والرابع: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، فهو كافر، ومن لم يحكم مقرّاً به، فهو ظالم وفاسق، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما[٣].

السيوطى رحمه الله: إن الأولى نزلت فى أحكام المسلمين، والثانية فى اليهود، والثالثة فى النصارى، وقيل: الأولى فيمن جحد ما أنزل إليه، والثانية فيمن خالف مع علمه ولم ينكره، والثالثة فيمن خالفه جاهلا، وقيل: الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى، وهو الكفر، وعبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة، واجتناب صورة التكرار[٤].

ابن أبى العز رحمه الله: وهنا أمر يجب أن يتفطّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة، أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازيّا، وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين،

---

(١) نظم الدرر: ج٢ ص٤٦٥.

(٢) نظم الدرر: ج٢ ص٢٧٤.

(٣) النكت والعيون: ج٢ ص٤٣.

(٤) الإتقان: النوع التاسع والخمسون فى فواصل الآى (ج٢ ص١٠٣).

وذلك بحسب حال الحاكم، فإن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخيّر فيه، أو استهان به مع تيقّنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه فى هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويسمّى كافرًا كفرًا مجازيًا، وكفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع جهده، و استفراغ وسعه فى معرفة الحكم، وأخطأ فيه، فهذا مخطئ له أجر فى اجتهاده، وخطأه مغفور[١].

ابن الهمام رحمه الله: الحاكم لا خلاف فيه فى أنه الله رب العالمين[٢].

باب
طاعة غير اللّه فى الدين أصلا وطوعًا
من غير إكراه شرك وكفر باللّه عزّ وجلّ وضلال

١٥- قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِم وَجهَكَ لِلدّين حَنِيفًا ولا تَكُونَنّ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ (يونس: ١٠٥، الروم: ٣٠ النصف الأول) ١٦- وقال سبحانه عن أهل النار: ﴿تَاللهِ إن كُنّا لَفِي ضَلال مبِين إذ نُسَوّيكُم بِربّ العَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨).

ابن كثير رحمه الله: أى نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين[٣]، ١٧- وقال سبحانه: ﴿وَمَن يشَاقِقِ الرسُولَ مِن بَعد مَا تَبَيّنَ لَهُ الهُدى وَيَتّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلّه مَا تَوَلّى ونُصلِهِ جَهَنّم وسَاءَت مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) التحرير: الباب الأول فى الأحكام، الفصل الثانى (ص٢٢٤).

(٣) ابن كثير: ج٣ ص٣٤٠.

ابن كثير رحمه الله : أى من سلك غير طريقة الشريعة التى جاء به الرسول ﷺ نولّه ما تولّى"[١].

١٨- وقال عزّ وجلّ : ﴿وَمَن يبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخرةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران : ٨٥) .

ابن كثير رحمه الله : أى من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه[٢].

المحلى رحمه الله : "وهو فى الآخرة من الخاسِرين" لمصيره إلى النار المؤبدة عليه[٣].

١٩- وقال الله تعالى : ﴿يَا أيّهَا الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرّسُولَ وَأولى الأمرِ مِنكُم فإن تَنَازَعتُم فِي شَيء فَرُدّوهُ إلَى الله وَالرّسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخرِ ذلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تَأوِيلا﴾ (النساء : ٥٩) .

ابن القيّم رحمه الله : ومنها أنه جعل هذا الردّ من موجبات الإيمان ولوازمه ، فإذا انتفى هذا الردّ انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين ، فإنه من الطرفين ، وكل منهما ينتفى بانتفاء الآخر ، ثم أخبرهم أن هذا الردّ خير لهم ، وأن عاقبته أحسن عاقبة ، ثم أخبر سبحانه أنه من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ، فقد حكّم الطاغوت ، وتحاكم إليه[٤].

٢٠- وقال الله تبارك وتعالى : ﴿فَكَيفَ إذَا أصَابَتهُم مصِيبَة بِما قَدّمَت أيدِيهِم ثُمّ جَاءُوكَ يَحلِفُونَ بِالله إن أرَدنَا إلا إحسَانًا وتَوفِيقًا . أولئِكَ الّذِينَ يَعلمُ

(١) ابن كثير : ج١ ص٥٥٥ .

(٢) ابن كثير : ج١ ص٣٧٩ .

(٣) الجلالين : ج١ ص٥٦ .

(٤) إعلام الموقعين : انتفاء الإيمان بانتفاء الردّ (ج١ ص٥٠) .

الله مَا فِي قُلُوبِهِم فَأعرضَ عَنهُم وَعِظهُم وَقُل لهُم فِي أنفُسِهِم قَولا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٢-٦٣).

ابن القيّم رحمه الله: ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأيديهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول ﷺ، وتحكيم غيره والتحاكم إليه، كما قال الله تعالى: ﴿فَإن تَوَلّوا فَاعلَم أنّما يُرِيدُ اللهُ أن يُصيبَهُم بِبَعض ذُنُوبِهِم﴾ اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق أي بفعل ما يرضى الفريقين ويوفق بينهما كما يفعله من يروم التوفيق بين ما جاء به الرسول، وبين ما خالفه، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق والإيمان إنما يقتضى الحرب بين ما جاء به الرسول، وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة، وعقيدة وسياسة ورأى، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق[1] -وبالله التوفيق-.

باب
في معنى الإكراه وأحكامه

١- قال الله سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعدِ إيمَانِه إلا مَن أكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌ بِالإيمَانِ وَلكِنّ من شَرَحَ بِالكُفر صَدراً فَعَلَيهِم غَضَب منَ الله وَلَهُم عَذابٌ أليمٌ. ذلِكَ بِأنّهُم استَحبّوا الحَيَاةَ الدنيَا عَلى الآخرَة وَأنّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ. أولَئِكَ الذينَ طَبَعَ الله عَلى قُلُوبِهِم وَسَمعِهِم وَأبصَارِهِم وأولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ. لا جَرَمَ أنّهُم فِي الآخرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ (النحل: ١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩).

٢- وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لا يُحِبّ الله الجَهرَ بِالسّوء مِنَ القَولِ إلا مَن

(١) إعلام الموقعين: انتفاء الإيمان بانتفاء الردّ (ج٢ ص٥٠).

ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨).

٣- وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كَيفَ يَهدِي الله قَومًا كَفَرُوا بَعدَ إِيمانِهِم وَشَهِدُوا أنّ الرسُولَ حقّ وَجَاءَهُمُ البَيِّنات والله لا يَهدِي القَومَ الظّالمِينَ. أولئكَ جَزَاءُهُم أن عَلَيهِم لعنَةَ الله والملائِكَةِ والنّاسِ أجمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفّفُ عَنهُم العَذاب ولا هُم يَنظُرُونَ. إلا الذينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذلكَ وأصلَحُوا فَإنّ الله غَفُورٌ رّحِيم﴾ (آل عمران: ٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩).

٤- وقال سبحانه وتعالى: ﴿لا يَتّخذِ المُؤمِنُونَ الكَافِرِينَ أولِيَاء مِن دُونِ المُؤمنِينَ وَمَن يفعَل ذلِكَ فَلَيسَ مِنَ الله فِي شَيء إلا أن تَتّقُوا مِنهُم تُقاة وَيُحذّرُكُم الله نَفسَه وَإلَى الله المَصير﴾ (آل عمران: ٢٨).

٥- وقال سبحانه: ﴿إنّ الذِينَ تَوَفّاهُمُ الملائكةُ ظَالِمِي أنفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنتُم قَالُوا كُنّا مُستَضعَفِينَ فِي الأرض قَالُوا أَلَم تَكُن أرضُ الله وَاسِعَة فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فأولَئِكَ مَأوَاهُم جَهَنّم وَسَاءَت مَصِيراً. إلا المُستَضعَفِينَ مِنَ الرجَالِ وَالنِسَاءِ وَالوِلدانِ الذينَ لا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً ولا يَهتَدُونَ سَبِيلا﴾ (النساء: ٩٧ و٩٨).

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تُكرِهُوا فَتَيَاتِكُم عَلَى البِغَاء إن أردنَ تَحَصّنًا لِتَبتَغُوا عَرضَ الحَيَاةِ الدنيَا وَمَن يكرِههُنّ فَإنّ الله مِن بَعدِ إكرَاهِهِنّ غَفُورٌ رحِيم﴾ (النور: ٣٣).

الإكراه

الإكراه لغةً: عبارة عن حمل الإنسان على أمر يكرهه، وقيل: على أمر لا يريده طبعًا أو شرعًا، وفي الشريعة: فعل يوقعه بغيره فيفوت رضاه، أو يفسد اختياره مع بقاء أهليته، وعرفه بعضهم بتعريفات أُخر.

وفي "التلويح": الإكراه حمل الغير على أن يفعل ما لا يرضاه، ولا

يختار مباشرته لو خُلى ونفسه، فيكون معدمًا للرضا والاختيار[١].

وقال على بن محمد البزدوى رحمه الله: الإكراه ثلاثة أنواع: نوع يعدم الرضا ويفسد الاختيار وهو الملجئ، ونوع يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار، وهو الذى لا يلجئ، ونوع آخر لا يعدم الرضا، وهو أن يهتمّ بحبس أبيه أو ولده، وما يجرى مجراه[٢].

النيسابورى رحمه الله: الإكراه إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرًا يحمله عليه[٣].

ولما كان التحاكم إلى الطاغوت كفرًا، أو معصيةً كبيرةً -على سبيل التنزّل-، ولا يعدها المرتكب لها معصية رأسًا، ويرتكبها حياته كلها، ويعامل بها، كأنه حكم إلهىّ وشعار مذهبىّ فى الإسلام، ويتهاون بها كأنه لم يرتكب صغيرة فضلا عن كبيرة، بل فضلا عن ارتكاب كفر، فيصير بذلك كافرًا، فكيف يرتكبها مدعى الإسلام، وليس بمكره بها ملجأ إليها، وكيف يبقى مسلمًا، ولم يكفر بالطاغوت، وهو أول شىء يعترف به المكلف فى الكلمة الطيبة بقوله: "لا إله".

﴿فَمَن يكفُر بِالطاغُوتِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهو الذى بعث به الرسل عليهم السلام ﴿وَاجتَنِبُوا الطّاغُوت﴾ (النحل: ٣٦).

ثم بعد ذلك يقول المكلف فى الكلمة الطيبة: "إلا الله" ﴿وَيُؤمِن بِالله﴾ (البقرة: ٢٥٦) وكل نبى دعا قومه إلى الكفر بالطاغوت أولا، ثم إلى الإيمان بالله ﴿وَمَا أرسَلنَا مِن قبلِكَ مِن رسُول إلا نُوحِى إلَيه أنّه لا إله إلا أنَا فاعبُدُون﴾ (الأنبياء: ٢٥) انظر معنى الطاغوت، وأقوال العلماء فيما مر من كتابنا هذا.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: ج٢ ص١٢٨١، المنار مع شرحه "نور الأنوار" (ص٣١١).

(٢) أصول البزدوى: ص٣٥٧، نور الأنوار: ص٣١١.

(٣) غرائب القرآن: ج٣ ص٢١.

مسألة اعتقادية فى أسباب الكفر :

التفتازانى رحمه الله : وأما استحلال المعصية قطعيًا بمعنى اعتقاد حلها، -صغيرة كانت أو كبيرة- وكذا الاستهانة بها بمعنى عدها هينة، ترتكب من غير مبالاة، وتجرى مجرى المباحات، فكفر[١].

الملا على رحمه الله : وقال بعضهم : من استحل حرامًا، وقد علم فى دين النبى ﷺ تحريمه من غير ضرورة فكافر[٢].

النسفى والتفتازانى وعلى القارى رحمهم الله : واستحلال المعصية -صغيرة كانت أو كبيرة- كفر، إذا ثبت كونها معصية بدليل قطعى، وقد عُلم ذلك مما سبق، والاستهانة بها كفر، والاستهزاء على الشريعة كفر؛ لأن ذلك من أمارات التكذيب[٣].

السرخسى رحمه الله : فإن استخفاف أمر الشارع كفر[٤].

أحكام الإكراه

وفى الملجئ يسوغ للإنسان أن يفعل محرمًا فى الشرع لإبقاء نفسه كُلا أو بعضًا، يقول صاحب "المنار" رحمه الله : والمحرمات أنواع : حرمة لا تنكشف ولا تدخلها رخصة كالزنا بالمرأة، فإنه لا يحل بعذر الإكراه قط، وقتل المسلم أى لا يحل بحال، وحرمة تحتمل السقوط أصلا بعذر الإكراه وغيره، أو تصير حلال الاستعمال، فهو داخل فى الإكراه الفرض أى فى العمل بالإكراه الذى كان فرضًا

---

(١) شرح المقاصد : ج٢ ص٢٧٠، شرح الفقه الأكبر للقارى : ص١٨٦

(٢) شرح الفقه الأكبر : ص١٨٦ .

(٣) شرح العقائد : ص١٢٠، شرح الفقه الأكبر : ص١٨٦ .

(٤) أصول السرخسى : فصل فى بيان المشروعات من العبادات : ج١ ص١١١ .

كحرمة الميتة والخمر ولحم الخنزير، فإن حرمة هذه الأشياء إنما تثبت بالنصّ في حالة الاختيار، لا في حالة الاضطرار، وحرمة لا تحتمل السقوط، لكنها تحتمل الرخصة كإجراء كلمة الكفر، وحرمة تحتمل السقوط، لكنها لا تسقط بعذر الإكراه، وإن احتملت الرخصة أيضًا كتناول مال الغير، ولهذا إذا صبر في هذين القسمين حتى قتل صار شهيدًا؛ لأنه يكون باذلا نفسه لإعزاز دين الله تعالى، ولإقامة الشرع[١].

نماذج الإكراه

أهل بيت أكرهوا على الكفر، فضعيفهم أخذ بالرخصة وقويّهم أخذ بالعزيمة.

يقول ابن هشام رحمه الله في ذكر عُدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة.

قال ابن إسحاق رحمه الله: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر رضي الله عنه وبأبيه وأمه رضي الله عنهما، وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ، فيقول فيما بلغني: صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة، فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام.

قال السهيلي رحمه الله: هي أول شهيد في الإسلام[٢].

مجاهد رحمه الله: أول شهيد استشهد في الإسلام أم عمار رضي الله عنها طعنها أبو جهل بحربته في قبلها[٣].

قال النسفي رحمه الله: وكان منهم من أجرى كلمة الكفر على لسانه، وهو

(١) المنار مع نور الأنوار باختصار: ص٣١٣-٣١٤، أصول البزدوي: ص٣٥٧، التوضيح مع التلويح: ص٦٨٣.

(٢) سيرة ابن هشام مع "الروض": ج١ ص٢٠٣، الطبقات الكبرى: ج٣ ص٢٣٣.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الأوائل: باب أول ما فعل ومن فعله (ج٨ ص٣٢٩).

معتقد الإيمان، منهم عمار بن يسار رضى الله عنهما وأما أبواه ياسر رضى الله عنه وسميّة رضى الله عنها فقد قُتلا، وهما أول قتيلين فى الإسلام[١].

ابن سعد رضى الله عنه: إن النبى ﷺ لقى عماراً وهو يبكى، فجعل يمسح عن عينيه، وهو يقول: آخذك الكفار، فغطوك فى الماء، فقلت: كذا وكذا، فإن عادوا فقل: ذاك لهم[٢].

النيسابورى رحمه الله: قال ابن عباس رضى الله عنه: أنزلت آية النحل فى عمار بن ياسر رضى الله عنه، وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية وصهيباً وبلالا وخباباً وسالـماً رضى الله عنهم، فأما سمية رضى الله عنها فإنها ربطت بين بعيرين، ووُجِئَ قبلها بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها يا سر رضى الله عنه، وهما أول قتيلين فى الإسلام، وأما عمار رضى الله عنه فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً[٣].

ابن جرير رحمه الله وابن كثير رحمه الله عن قتادة رحمه الله تعالى قال: أنزلت فى عمار بن ياسر رضى الله عنه أخذه بنو المغيرة، فغطوه فى بئر ميمون، وقالوا: أكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك، وقلبه كاره، وعنده عن الشعبى رحمه الله قال: لما عذب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خباب بن ا لأرت رضى الله عنه كانوا يضجعونه على الرضف، فلم يستقلوا منه شيئًا[٤].

ابن كثير رحمه الله: ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالى إبقاءً لمهجته، و يجوز له يأبى كما كان بلالا رضى الله عنه يأبى عليهم، وهم

(١) المدارك: ج١ ص٣٠١.

(٢) الطبقات: ج٣ ص٢٤٩).

(٣) النيسابورى: ج١٤ ص١٢٢.

(٤) ابن جرير: ج١٤ ص١٢٢، ابن كثير: ج٢ ص٥٨٨، وذكر الحاكم واقعة عمار رضى الله عنه فى "المستدرك" فى التفسير (ج٢ ص٣٥٧) بألفاظ متقاربة.

يفعلون به الأفاعيل، . . . ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها[١].

ابن جرير رحمه الله وابن كثير رحمه الله: وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدًا رسول الله، قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله، فيقول: لا أسمع، فلم يزل يقطعه إربًا إربًا، وهو ثابت على ذلك[٢].

ابن كثير رحمه الله: والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله، كما ذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه -أحد الصحابة- أنه أسرته الروم، فجاؤوا به إلى ملكهم، فقال له: تنصّر وأنا أشركك في ملكي، وأزوّجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمّد ﷺ طرفة عين ما فعلت، قال: إذًا أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبًا بين يديه ورجليه، وهو يعرض دين النصرانية عليه فيأبى، ثم أمر به فأنزل إلى آخر القصة[٣].

فهذه نماذج الإكراه، وعليها تبنى الأحكام، لما كان الإكراه تامّا أخذ بعضهم بالرخصة، وبعضهم بالعزيمة، ولما لم يكن تامّا ما أخذوا بالرخصة، إذا لم تكن رخصةً حقيقيةً.

فإذا لم يكن الإكراه تامّا، ومع ذلك أقدم مسلم على الكفر والمعصية، ولم يعدها معصية، بل استهان بها، فكيف يبقى مسلمًا.

والله سبحانه يقول: ﴿وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدراً فَعَلَيهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦)، ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلا مَن ظُلِمَ﴾ (النساء: ١٤٨)، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كَيفَ يَهدِي اللهُ قَومًا كَفَرُوا بَعدَ إيمانِهِم وَشَهِدُوا أنّ الرَسُولَ حَقّ وَجَاءَهُم

(١) ابن كثير: ج٢ ص٥٨٨.

(٢) ابن جرير: ج٢٢ ص١٠٣، ابن كثير: ج٢ ص٥٨٨ وج٣ ص٥٦٩.

(٣) ابن كثير: ج٢ ص٥٨٨، والقاسمي: ج١٠ ص١٦٥.

البَيّنات﴾ (آل عمران : ٨٦ وغيرها من الآيات التى تلوتها عليك أول الباب ﴿فما ذا بَعد الحقّ إلا الضلال﴾ (يونس : ٣٢).

أخى المسلم! قرأت كتاب الله عزّ وجلّ وأقوال أهل العلم، فهل ترى مساغًا لمن يدّعى الإسلام فى أن يتحاكم إلى الطاغوت طوعًا من غير إكراه، وهو كفر، ﴿وَقَد أمِرُوا أن يكفرُوا بِهِ﴾ (النساء : ٦٠).

﴿فَلا وَرَبّكِ لا يُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِى أنفُسِهِم حَرَجًا مّمّا قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء : ٦٥).

استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون فإن لم تجد لك مساغًا، فما ذا عليك لو قلت: ﴿إنّى بَرِىء مما تَعمَلُونَ﴾.

﴿لكُم دِينُكُم وَلِىَ دِين﴾.

﴿لا أعبُدُ مَا تَعبُدُونَ﴾.

وما ذا عليك لو طالبت الحكومة تطبيق الدستور المنزل من الله سبحانه على جميع شعب الحياة البشرية، كما طالبتها "نهضة تنفيذ الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام" فى مقاطعة "مالا كند" بباكستان فإن لم تبرأ ولم تطالب، فما جوابك غداً فى البرزخ، ومنكر ونكير يسألانك: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ وقد عرفت معنى الرب والدين فيما مضى من كتابنا هذا.

النتائج من الأبواب السابقة

نتائج الباب الأول بحث خواصّ الألوهية :

١- لا حكم فى الكون تكوينيًا، ولا تشريعيًا إلا لله تعالى وحده، لا لملك، ولا لنبىّ مرسل، ولا لولىّ، ولا لخليفة، و لا لسلطان، ولا لأمير إلا أنْ يكون بخلافة عن الله عزّ سلطانه، وهذه النتيجة صريح مفهوم الآيات الستّ: آيتى الأنعام (٥٧ و٦٢)، وآيتى القصص (٧٠ و٨٨)، وآيتى يوسف (٤٠ و٤٩) أإله مع الله؟ -لا إله إلا الله- .

وستأتى الأدلّة على أن الحكم إذا كان للغير، فإنما يكون خلافة عن الله سبحانه لا أصالة، إذ ﴿ألا لَهُ الخَلْقُ﴾ فله الأمر.

٢- يحكُمُ الله ما يُريد لا معقّب لحُكمِهِ ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

وهذه نتيجة الآيتين: آية المائدة: ١، وآية الرعد: ٤١، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٣- لا مرجع فيما اختلف الناس إلا الله إذ لا حكم إلا لله ﴿أَلَيسَ اللهُ بأحكَمِ الحَاكِمِينَ﴾؟ سبحانك فبلى ﴿وَمَن أحسنُ من الله حُكمًا لقوم يُوقِنُونَ﴾ وهذه هى مدلول الآيات: آية الشورى: ١٠، وآية التين: ٨، وآية الأنعام: ١١٤، وآية المائدة: ٥٠، وآيتى النساء: ٥٩-٦٠، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٤- الكتاب المنزّل هو دستور الله وبرنامجه للحياة البشرية، ورسوله هو القاضى بكتابه أولا، والمعلم لغيره ثانيًا ﴿لِتَحكُمَ بَينَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ (النساء: ١٠٥).

﴿وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ﴾ (المائدة: ٤٢).

﴿فَاحكُم بَينَهُم بِمَا أنزَلَ الله وَلا تَتّبِع أهوَاءَهُم عَمّا جَاءَكَ مِنَ الحَقّ﴾ (المائدة: ٤٨).

﴿يَا دَاودُ إنّا جَعَلنَاكَ خَلِيفةً فِي الأرض فَاحكُم بَينَ النّاس بالحَقّ وَلا تَتّبِع الهَوى فَيُضِلّكَ عَن سَبِيلِ الله﴾ (ص: ٢٦).

فلا دستور للقضاء إلا كتاب الله، ولا شارح له -أصلاً وأولاً- إلا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وهذه نتيجة الآيات: آية سورة البقرة: ٢١٣، آية الشورى: ١٠، آية النساء: ٦٥، آية الأحزاب: ٢٦، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٥- ﴿ولا يُشركُ فِي حُكمِه أحَداً﴾ ولذا ﴿مَن لم يَحكُم ممّا أنزلَ الله فَأولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾.

﴿... هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿... هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٤ و٤٥ و٤٧).

وهذه ظاهرة من آية الكهف: ٢٦، وآيات المائدة، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٦- «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

ولا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول عليه السلام في جميع ما شجر بينه وبين أحد من الناس ثم يطمئن به ولا يجد في نفسه حرجًا من قضاءه، فلا يقول: «أن كان ابن عمتك»، ثم ينقاد لحكمه، وينفذه على نفسه، ويسلم تسليمًا، فلا يرفع قضيته إلى حاكم آخر، ثم يقول: ﴿إن أرَدنَا إلا إحسَانًا وتَوفِيقًا﴾ (النساء: ٦٢)، أإله مع الله؟ -لا إله إلا الله-.

٧- إذ لا خيرة لمؤمن ولا مؤمنة بعد قضاء الله ورسوله، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٨- ولو اختار لنفسه أمراً بعد قضاء الله ورسوله لضلّ ضلالا مبينًا، وعصى و﴿اللهَ يَعلَمُ وَأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

والنتائج الثلاث ظاهرة من الآيتين: آية النساء: ٦٥ وآية الأحزاب: ٣٦، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٩- المؤمن إذا دُعى إلى كتاب الله والسنة ليحكم بينه وبين أحد من الناس، انقاد وأطاع عملا وقولا ﴿سَمِعنَا وَأطَعنَا﴾ سواء أكان الحق له أو عليه، أإله مع الله لا إله إلا الله.

١٠- وهذا الانقياد هو الذى يترتب عليه الفلاح ﴿أولَئِكَ المُفلِحُونَ﴾ لا على ادّعاء الإسلام فقط ﴿ولا تَكُونُوا كَالذِينَ قَالُوا سَمِعنَا وَهم لا يَسمَعُونَ﴾ (آية الأنفال: ٢١).

﴿قَالُوا سَمِعنَا وَعَصَينَا﴾ (آية البقرة: ٩٣) وهاتان النتيجتان مأخوذتان من آيات: آية النور: ٥١، وكذا آيتى النور: ٤٨-٤٩، وآية النساء: ٦١، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١١- لا حكم ولا أمر أصلا إلا لمن له الخلق، وإذ لا خالق إلا الله، فلا شارع إلا الله عزّ وجلّ، وهذا صريح مراد آية الأعراف: ٥٤، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٢- التولّى عن طاعة الله وطاعة رسوله دون الإكراه التامّ كفر ﴿فَإنّ اللهَ لا يُحِبّ الكَافِرِينَ﴾ هى عين مدلول آية آل عمران: ٣٢، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٣- طاعة الله ورسوله تجلب الرحمة، وتدفع العذاب، هذه صريح مدلول آية آل عمران: ١٣٢ وآية النور: ٥٦، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٤- طاعة أولى الأمر إنما هو فى المعروف، وطاعة أولى الأمر ليس إلا تبعًا، وثانيًا لا أصلا وأولا، و هذا مراد الآيات: آية النساء: ٥٩، وآية الأنعام: ١١٦، وآية العنكبوت: ٨، وآية لقمان: ١٥، وآيتى الأحزاب: ٦٦-٦٧، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٥- من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما فى ذلك، فليس بمؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، وهذا صريح فى آيتى النساء: ٥٩ و٦١، وآية الأنفال: ١، وآية النور: ٤٨، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٦- الطاغوت: الأحبار والرهبان السوء، والكفر بالطاغوت من شرائط الإيمان، بل أركانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ...﴾ (آية البقرة: ٢٥٦).

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

فإذا تحاكم أحد اختياراً وطوعًا بدون إكراه إلى الطاغوت، فقد أبطل لا إله إلا الله، وليس بمؤمن، وهذا ظاهر من آية النساء: ٦٠، وآية البقرة: ٢٥٦، وآية النحل: ٣٦، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٧- يريد الشيطان بالتحاكم إلى الطاغوت أن يضلّهم ضلالا بعيداً، ودعوى الإيمان مع التحاكم إلى الطاغوت طوعًا زعم باطل وكذب، هذا فى نفس آية النساء: ٦٠، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٨- التحاكم فيما شجر بين الناس إلى الله والرسول خير وأحسن تأويلا، كان الحكم له، أو عليه، وهذا صريح مراد الآية: ٦٠، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

١٩- ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣) وإلى هذا أشار فى آية المائدة: ٩٢ بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٢٠- طاعة الرسول ﷺ اهتداء والتولّى عنه ضلال، وهو فى آية النور: ٥٤ عبارةً ودلالةً، بل ضلال بعيد كما فى آية النساء: ٦٠، وطاعة الرسول ﷺ رحمة، وعصيانه عقدًا عن القلب، أو عملاً غضب، وهذا

صريح فى آية النور : ٥٦ وآية آل عمران : ١٣٢ ، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢١- التولى عن طاعة الله والرسول ﷺ تبطل الأعمال فى الدنيا والآخرة ، وهذا مراد آية محمد : ٣٣ ، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢٢- تجب فى أعمال القلب التقوى حق التقاة ، وفى أعمال الجوارح ما استطاع المرء بعد أن يكون على السمع والطاعة ﴿لا يُكلّف الله نفسًا إلا وُسعَها﴾ (البقرة : ٢٨٦) .

﴿لا تُكلّف نَفسٌ إلا وُسعَها﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

﴿لا نُكلّف نَفسًا إلا وُسعَها﴾ (الأنعام : ١٥٢ ، الأعراف : ٤٢ ، المؤمنون : ٦٢) .

﴿لا يُكلّف الله نَفسًا إلا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق : ٧) .

هذه النتيجة مأخوذة من آيتى آل عمران : ١٠٢ ، والتغابن : ١٦ ، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢٣- طاعة الرسول ﷺ عين طاعة الله عزّ وجلّ ، وهذا صريح فى آية النساء : ٨٠ ، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢٤- طاعة الجمهور على المتعارف إذا لم يكن عن دليل سوى الأكثرية ضلال وإضلال ، بل شرك ، وهذا عين مراد آيتى الأنعام : ١١٦ و١٢١ . أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢٥- طاعة أهل الكتاب والكفار عامة أكبر داع إلى الكفر والارتداد ، كما فى آيتى آل عمران : ١٠٠ و١٤٩ ، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله .

٢٦- طاعة الله ورسوله سبب الفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وسبب تنمية الأعمال عند الله عزّ وجلّ تدل على ذلك الآيات : (آية الفتح : ٦ و١٧ وآية النساء : ١٣ وآية النور : ٥٢ ، وآية الأحزاب : ٧١) ﴿أإلهٌ معَ الله؟ لا إلهَ إلا الله﴾ .

٢٧- طاعة الرسول ﷺ سبب المرافقة الذين أنعم الله عليهم، كما فى آية النساء: ٦٩، وسبب لمرافقة النبى ﷺ كما فى حديث أنس رضى الله عنه عند الترمذى «من أحبّ سنتى فقد أحبنى ومن أحبّنى كان معى فى الجنة»[1]، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٢٨- طاعة الرسول ﷺ سبب لمغفرة الذنوب ولمحبة الله عزّ وجلْ -اللهمّ ارزقناهما- كما فى آية آل عمران: ٣١، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

٢٩- التولّى عن طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ سبب العذاب فى الدنيا والآخرة، وما مر من قبل هو فى الدنيا، كما فى آية الفتح: ١٧، وآيَتى الأحزاب: ٦٦-٦٧، أإله مع الله؟ لا إله إلا الله.

هذه النتائج الصريحة من الآيات العظام، وإذا ضممت بعضها إلى بعض، أفادت أكثر وأكثر، والعلم عند الله سبحانه.

النتائج المأخوذة من الباب الثانى
من أقوال أساطين العلم والدين

١- مخالفة الرسول ﷺ فى الطريقة طوعًا، وجعل المخالفة دستوراً كفر، وهذا هو المذكور فى النتيجة الثانية عشر فيما مضى، قاله ابن كثير والبيضاوى وأبو السعود والبقاعى وأبو حيان رحمهم الله تعالى.

وإذا لم يجعله دستوراً، ولم يظهره كإظهار الطاعات، أو لم يعلم بأنه عصيان فهو عصيان لا كفر، وهذا الفرق فى الفروع دون الأصول، وإشاعة المنكر، بل محبة إشاعتها فى المؤمنين سبب العذاب فى الدنيا والآخرة

(١) أخرجه الخطيب التبريزى فى "المشكاة": باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثانى (ج١ ص٣٠) عن الترمذى.

﴿إِنَّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدنيا وَالآخرَةِ واللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله.

٢- لم يخير الله عزّ وجلّ الأنبياء عليهم السلام، (وهم صفوة الله سبحانه)، ومعصومون من الذنوب) في الحكم بين الناس من عند أنفسهم.

وإذا حدثت حادثة، هل يسوغ لهم الاجتهاد أم لا؟ قولان مصحّحان لأهل العلم: أصحهما القول بالاجتهاد، وإما في فور وقوع الحادثة، أو بعد انتظار ما[1].

---

(١) اختلف في هذا الفصل -أي الاجتهاد- فأبى بعضهم أن يكون هذا من حظّ النبي ﷺ، وإنما له الوحي الخالص لا غير، وإنما الرأي والاجتهاد لأمته، وقال بعضهم: كان له العمل في أحكام الشرع بالوحي والرأي جميعًا، والقول الأصح عندنا، هو القول الثالث، وهو أن الرسول ﷺ مأمور بالانتظار الوحي فيما لم يوحَ إليه من حكم الواقعة، ثم العمل بالرأي بعد مدة الانتظار (أصول البزدوي (ص٢٣٠) والسرخسي (ج٢ ص٩١).

المختار عند الحنفية أن النبي مأمور بانتظار الوحي أولا ما كان راجيه إلى خوف فوت الحادثة، ثم بالاجتهاد، والأكثر بالاجتهاد مطلقًا، وقيل: لا، وقيل: في الحرب فقط (التحرير: ص٥٢٥، والتوضيح: ص٤٩١، وإرشاد الفحول: ص٢٣٨ والمستصفى للغزالي (ج٢ ص٣٥٦، مسلم الثبوت وشرحه (ج٢ ص٢٦٦).

عبد العزيز البخاري: اختلف في هذا الفصل أي جواز الاجتهاد للنبي ﷺ. قال بعضهم: وهم عامة أهل الأصول، كان له العمل في أحكام الشرع بالوحي والرأي جميعًا، أي بالوحي الظاهر والباطن، وهو منقول عن أبي يوسف رحمه الله من أصحابنا، وهو مذهب مالك رحمه الله والشافعي رحمه الله، وعامة أهل الحديث، ثم ذكر أن عليه الانتظار (كشف الأسرار (ج٣ ص٢٠٥).

وقال ابن كثير في تفسير آية ﴿بِمَا أراكَ الله﴾ (النساء: ١٠٥)، احتجّ به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان له ﷺ أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في "الصحيحين" (ج١ ص٥٥٠).

على القارئ رحمه الله تعالى: ثم اعلم أن للأنبياء عليهم السلام أن يجتهدوا مطلقًا، وعليه الأكثر، أو بعد الانتظار للوحي، وعليه الحنفية، واختاره ابن الهمام في "التحرير" (شرح الفقه الأكبر: ١٦٣-١٦٤).

بل أمروا عن آخرهم بالحكم بالحق المنزل من عند الله سبحانه إما جليًا وإما خفيًا، وله شواهد ستأتى فى محلها -إن شاء الله تعالى- .

تلوت عليك الآيات فى النتيجة الرابعة، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥)، ولم يقل الله عزّ وجلّ: "لتحكم بين الناس بما رأيت"، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ (النساء: ٥٨)، ومن أداء الأمانة الحكم بالعدل كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير آية ص: ٢٦، وهذه وصية من الله لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده سبحانه وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيل الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾ لا إلهَ إلا الله.

٣- الإحلال والتحريم إنما هما من الله عزّ وجلّ، وهما من أصول التشريع لا حق لأحد فيه إلا خلافة عن الله سبحانه وبإذنه، كما يكون للأنبياء عليهم السلام، لا لغيره.

وأما المجتهدون: فاجتهادهم على أصول الاجتهاد هو لإظهار الحكم فى حادثة شخصية لا نصّ فيها، وهو ظنّى يفيد الظنّ، وإنما هو فى الفروع دون الأصول نعم اجتهاد الأنبياء عليهم السلام، إذا أقرّوا عليه، فهو قطعىّ وتشريع من الله عزّ وجلّ.

وكل من أحلّ شيئًا، أو حرّم من غير حجة، فقد جعل نفسه ربًا

السرخسى: الصحيح عندنا أن النبى كان يجتهد، وما كان يقر على الخطأ (المبسوط: ج١٦ ص٧٠)، والوحى الباطن هو تأييد القلب على وجه لا يبقى فيه شبهة، ولا معارض، ولا مزاحم، وذلك بأن يظهر له الحق بنور فى قلبه من ربه، ويتّضح له حكم الحادثة به، وإليه أشار الله تعالى ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ (أصول السرخسى: ج ٢ ص٦٠، بيان طريقة رسول الله ﷺ فى إظهار أحكام الشرع).
أصول البزدوى: ٢٢٨، وتوضيح: ٤٩١ بتغيّر ما.

١- ﴿وَمَن يقُل منِهُم إنّى إلهٌ من دُونه فَذلِكَ نَجزيه جَهَنّمَ﴾ (الأنبياء : ٢٩) .

٢- ﴿قُل إن كَان للرّحمن وَلدٌ فأنَا أوّلُ العَابِدِين﴾ (الزخرف : ٨١) .

٣- ﴿وَلا يَتّخذ بَعضنَا بَعضًا أربَابًا من دُون الله﴾ (آل عمران : ٦٤) .

٤- ﴿و لا يَـأمُـرَكُـم أن تَـتّـخِـذُوا المـلائِكَـةَ والـنّـبِـيّـينَ أربَـابًـا﴾ (آل عمران : ٨٠) .

٥- ﴿ومَا أمرُوا إلا لِيَعبُدُوا إلهًا واحِدًا لا إله إلا هُوَ﴾ (التوبة : ٣١) .

٦- ﴿إيّاكَ نَعبُدُ وَإيّاكَ نَستَعِينُ﴾ (الفاتحة : ٤) .

٧- ﴿فَلا تَجعَلُوا لله أندَادًا وأنتُم تَعلَمُونَ﴾ (البقرة : ٢٢) .

٨- ﴿وَمِنَ النّاس مَن يتّخِذُ من دُون الله أندَادًا يُحِبّونَهُم كَحُبّ الله﴾ (البقرة : ١٦٥) .

٩- ﴿اتّخَذُوا أحبَارَهُم ورُهبَانَهُم أربَابًا من دُونِ الله﴾ (التوبة : ٣١) .

ومر منا حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه حيث أجابه رسول الله ﷺ بقوله الكريم : «فذلك عبادتهم إياهم» ، ويقول الرسول الأمين ﷺ لصحابى رضى الله عنه : قال له : «ما شاء الله وشئت - أجعلتنى لله ندًا»[1] .

قاله ابن كثير والماوردى والنسفى والشوكانى وابن جرير والمعين والرازى

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى الأدب : باب فى الرجل يقول : ما شاء الله وشاء فلان ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فحدثه ببعض الكلام ، فقال ما شاء الله وشئت ، فقال النبى ﷺ : جعلتنى لله عديلا ، بل ما شاء الله وحده (ج٦ ص٢٦٤) .
وأخرجه الطحاوى فى "مشكل الآثار" : باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله ﷺ من نهيه أمته أن يقول : ما شاء محمد ﷺ عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظة ابن أبى شيبة (ج١ ص٩٠) .
وأخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (ج١ ص٣٥٤ و٤٦٧) بلفظ «أجعلتنى لله عدلا» ، وأخرجه عنه صاحب "الكنز" (ش ، حم ، ق) كنز العمال : الباب الثانى فى الأخلاق المذمومة محظورات متفرقة (ج٣ ص٨٨٨) ، وأخرجه المناوى بلفظة «أجعلتنى لله عدلا بل ما شاء الله وحده» (كنوز الحقائق : ج١ ص١٠) .

وأبو السعود والآلوسى وغيرهم رحمهم الله سبحانه : ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٤ – الطاغوت : كل ما عظم ، أو عظم نفسه بغير حق له من الأحبار والرهبان والقواد والرؤساء إذا جاوزوا حدودهم وسدنة القبور والمجاورون لها .

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله كما قال مالك رحمه الله ، سواء كان من البشر ، أو الحجر ، أو الشجر ، أو الحيوان ، أو الأضرحة ، أو العتبات[1] .

هو كل ذى طغيان على الله فعبد من دون الله ، إما بقهر منه لمن عبده ، أو بطاعة ممن عبده ، إنسانًا كان ذلك المعبود أو شيطانًا ، أو وثنًا ، أو صنمًا ، أو كائنًا ما كان من شىء[2] ، هو الطاغى المعتدى ، أو كثير الطغيان ، وكل رأس فى الضلالة يصرف عن طريق الخير ، والشيطان ، والكاهن ، والساحر ، وكل ما عبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام ، وبيت الصنم[3] .

الطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه من غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله ، فهذه طواغيت العالم[4] .

نظام الدين رحمه الله تعالى : قوله تعالى : ﴿وَعَبَدَ الطاغُوتَ﴾ قيل : هو العجل ، وقيل : هو الأحبار ، والظاهر أن كل ما عبد من دون الله ، وكل من

(١) شرح كتاب التوحيد من البخارى لعبد الله بن محمد الغنيمان (ج١ ص٣٧) .

(٢) ابن جرير : ج٣ ص١٣ .

(٣) المعجم الوسيط : ج٢ ص٥٥٨-٥٥٩ وقريب منه فى "النهاية" (ج ٣ ص١٢٨) ولسان العرب : ج٨ ص١٧٠ .

(٤) إعلام الموقعين : ج١ ص٥٠ .

أطاع أحداً فى معصية الله ، فقد عبده[١] .

فالطاغوت : كل من جاوز حده ، سواء كان شخصًا ، أو دولة ، أو دستوراً ، أو كائنًا ما كان ، ولذا فسر بكعب بن الأشرف وحيى بن الأخطب ، والكاهن والساحر ، والشيطان والصنم ، وبيت الصنم والسادن وغيره ، واذكر ما ذكرت لك فى الطاغوت سابقًا ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٥- اتباع غير الله فى الدين تدينًا ، أو كالتديّن كفر وشرك ، قاله الزجاج وأبو السعود والمعين والبقاعى والآلوسى والنيسابورى وابن كثير والنسفى وابن العربى رحمهم الله ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٦- ومن لم يتحاكم فى محل النزاع ، سواء كان فى أصول الدين ، أو فروعه إلى الكتاب والسنة ، ولم يرجع إليهما فى ذلك ، فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر ، قاله ابن كثير رحمه الله والإمام الرازى رحمه الله وابن القيم رحمه الله ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٧- ردّ أمر الرسول ﷺ ، شكًا أو تمرّدًا خروج عن الإسلام ، وكذا عدم الرضا بحكمه عليه الصلاة والسلام ، قاله الإمام الرازى رحمه الله وابن كثير رحمه الله والنسفى رحمه الله سبحانه ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٨- الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ وتحكيم غيره ، والتحاكم إليه سبب لإصابة المصيبة ، وهى أعمّ من أن تكون فى العقل ، أو الدين ، أو البصيرة ، أو البدن ، أو المال ، أو العرض ، أو فى الكل ، وكلها اليوم فى

---

(١) النيسابورى : ج١ ص١٨١ وج٢٣ ص١٣٢ ، ابن جرير : ج٢٣ ص١٣١ .

المسلمين سيما فى باكستان قاله ابن القيّم ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

٩- من يروم التوفيق بين ما جاء به الرسول ﷺ وبين ما خالفه من طريقة، أو حقيقة، أو عقيدة، أو سياسة، أو رأى، أو غيرها بمعنى جعل الحكم المنزل موافقًا لما يخالفه بحيث يرضى به الفريقان خالص عمل النفاق والكفر، كما قاله ابن القيّم رحمه الله، وهذا العمل اليوم فى العالم الإسلامى كله، يوفقون بين قوانين الإسلام ودساتير الكفر بترميم قوانين الإسلام، أو ردها بالروايات الضعيفة وأقوال الفقهاء الغريبة الغير المشهورة، فهم كما قال الأول: فم يسبح وقلب يذبح ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

١٠- الإيمان إنما يقتضى إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول ﷺ، وبين ما خالفه من طريقة، أو حقيقة، أو عقيدة، أو سياسة، أو رأى، أو جمهور، أو أكثر، فمحض الإيمان فى هذه الحرب، لا فى التوفيق "لا يستقيم الظل والعود أعوج" ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعوا لَهُم من الدّين مَا لم يَأذَن بِهِ الله﴾ لا إلهَ إلا الله .

العود إلى أول الكلام:

ولنرجع إلى ما بدأنا به، وهو مطلب فى شهادة أن لا إله إلا الله، وادرجنا فيه مطلب شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، وهو الطاعة، والتأسّى به فى جميع الشؤون حتى العادات. إلا أن يقوم دليل لاختصاص أمر به ﷺ.

مفتاح السعادة التأسّى:

يقول الإمام أبو حامد رحمه الله فى كتابه "الأربعين": اعلم أن مفتاح السعادة فى اتباع السنة، والاقتداء برسول الله ﷺ فى جميع مصادره

وموارده، وحركاته وسكناته حتى فى هيئة أكله وقيامه، ونومه وكلامه، لست أقول: ذلك فى آدابه فقط؛ لأنه لا وجه لإهمال السنن الواردة فيها، بل ذلك فى جميع أمور العادات، فبه يحصل الاتباع المطلق[1].

التأسّى كما يكون فى الفعلِ، يكون فى الصفة:

لكن التأسّى لا يكون إلا أن يفعل الفعل بصفتها من الفرضيّة، والوجوب فى حقنا، أو الندب، وكذا الترك بصفته من الحرمة، أو الكراهة، إذ التأسّى، كما يكون فى الفعل يكون فى صفة الفعل وكيفيته.

الآيات فى التأسّى فى الفعل وفى كيفيتها

١- ﴿تِلكَ حُدودُ الله فَلا تَعتَدُوهَا ومَن يتَعَدّ حُدُودَ الله فأولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٢- ﴿ولآمُرَنّهُم فَليُغَيرنّ خلق الله﴾ (النساء: ١١٩).

٣- ﴿ومَن يتَعَدّ حُدُودَ الله فَقَد ظَلمَ نَفسَه﴾ (الطلاق: ١).

٤- ﴿لا تَبدِيلَ لِخَلق الله﴾ (الروم: ٣٠).

٥- ﴿وٱلحافِظُونَ لِحُدُود الله﴾ (التوبة: ١١٢).

٦- ﴿فَبَدّل الّذينَ ظَلَمُوا قَولا غَيرَ الّذِى قِيلَ لَهُم فَأنزَلنَا عَلى الذِينَ ظَلَمُوا رِجزاً فى السمَاءِ بمَا كَانُوا يَفسقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

٧- ﴿فبدّلَ الذينَ ظَلموا مِنهُم قَولا غَير الّذِى قِيلَ لَهُم فأرسلنَا عَلَيهم رجزاً منَ السّماء بِما كَانُوا يَظلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٢).

(١) المدخل: ج١ ص١٤٣.

٨- ﴿فَمَن بَدَّلَه بَعدَ مَا سَمِعَه فَإنَّمَا إثمُه عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَه إنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١).

٩- ﴿وَمَن يُبَدِّل نِعمَةَ الله مِن بَعد مَا جَاءَتهُ فَإنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (البقرة: ٢١١).

١٠- ﴿ألَم تَرَ إلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعمَةَ الله كُفرًا وَأحَلُّوا قَومَهُم دَارَ البَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصلَونَهَا وَبِئسَ القَرَار﴾ (إبراهيم: ٢٨-٢٩).

كليّة أصوليّة:

العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص المورد.

شأن النزول، أقوال أهل العلم:

محمد بن كعب القرظى رحمه الله: الآية تنزل فى رجل، ثم تكون عامة بعد، ابن جرير رحمه الله: وهذا الذى قاله القرظى رحمه الله: "حسن صحيح" (ابن كثير رحمه الله)[١].

نظام الدين رحمه الله: واختيار المحقّقين من المفسّرين أنه لا يمتنع أن تكون الآية نازلة فى رجل، ثم تكون عامة فى أمثاله[٢].

القرطبى رحمه الله: قد تنزل الآية بسبب خاص، ثم تتناول جميع من فعل ذلك، أو أكثر منه[٣].

جمال الدين القاسمى رحمه الله: الاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص

(١) ابن كثير تفسير آية ﴿ومِنَ الناسِ من يُعجِبُكَ قَولُه﴾ (ج١ ص٢٤٦ و٥١٦)، ابن جرير: ج٢ ص١٨٢.

(٢) غرائب القرآن: ج٢ ص٢٨٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج٤ ص٢٠٩.

السبب[١] .

الجصاص رحمه الله : فإن نزولها (إنما جزاء الذين يحاربون الله) فى شأنهم لا يوجب الاقتصار بهم ؛ لأنه لا حكم للسبب عندنا ، وإنما الحكم عندنا لعموم اللفظ إلا أن تقوم الدلالة على الاقتصار به على السبب[٢] ، فصّل السيوطى رحمه الله : أن العبرة لعموم اللفظ ، لا لخصوص السبب ، فى النوع التاسع من "الإتقان"[٣] .

أقوال أهل العلم فى التأسّى :

السرخسى رحمه الله : لما أشكل صفة فعله ﷺ فقد تعذر اتّباعه فى ذلك على وجه الموافقة ؛ لأن ذلك لا يكون بالموافقة فى أصل الفعل دون الصفة ، فإنه إذا كان فعل فعلا نفلا ، ونحن نفعله فرضًا يكون ذلك منازعة لا موافقة[٤] .

ابن الهمام رحمه الله : التأسّى فعل مثله على وجهه لأجله[٥] .

علىّ القارى رحمه الله : المتابعة كما تكون فى الفعل تكون فى الترك أيضًا ، فمن واظب على فعل لم يفعله الشارع ، فهو مبتدع[٦] .

البزدوى رحمه الله : الاقتداء فى المتابعة فى أصله ووصفه ، فإذا خالفه فى الوصف لم يكن مقتديًا .

---

(١) محاسن التأويل : ج٦ ص٢١٥ ، روح المعانى آية النحل : ٩٠ (ج١٤ ص٢٢٠) .

(٢) أحكام القرآن : ج٢ ص٤٠٨ .

(٣) (ج٢ ، ص٢٩ .

(٤) أصول السرخسى : ج٢ ص٨٧ .

(٥) التحرير : ص٣٥٥ .

(٦) المرقاة (ج١ ص٤١) : مبحث النية .

عبد العزيز البخارى رحمه الله : لأن المتابعة فى الفعل عبارة عن إتيان مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله من أجل أنه فعله[١] .

الآلوسى رحمه الله : والمتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير[٢] .

الشوكانى رحمه الله : المتابعة فعل مثل ما فعله ، التأسّى هو الإتيان بمثل فعل الغير ، التأسّى هو إيقاع الفعل على الوجه الذى أوقعه عليه[٣] .

صدر الشريعة رحمه الله : ولا يحصل المتابعة إلا بإتيانه على تلك الصفة[٤] .

الغزالى رحمه الله : فمن فعل ما لا يدرى على أىّ وجه فعله لم يكن متأسّيًا[٥] .

وقال البهارى رحمه الله : التأسّى بالمثل صورةً وصفةً .

المدارسى رحمه الله : الإتيان على صفة الندب ، أو الإباحة واجب يعنى مراعاة الصفة واجبة[٦] .

الشاطبى رحمه الله : وإن قصد غير ما قصده الشارع فقد جعل ما قصده الشارع مهمل الاعتبار ، وما أهمل الشارع مقصودًا معتبرًا ، وذلك مضادّة للشريعة ظاهرًا[٧] .

فمن ادّعى الإيمان ولم يتبعه فى شؤون حياته كلها بصفاتها وهيئاتها ، لا

(١) أصول البزدوى : ص٢٢٨ وكشف الأسرار للبزدوى : ج٣ ص٢٠٢ .

(٢) روح المعانى : تفسير آية النساء : ١١٥ (ج٥ ص١٤٧) .

(٣) إرشاد الفحول : ص٣٤-٣٥ .

(٤) التنقيح والتوضيح : ص٤٩١ .

(٥) المستصفى : ج٢ ص٢١٧ .

(٦) مسلم الثبوت مع الشرح فواتح الرحموت : ج٢ ص١٨٠ .

(٧) الموافقات : ج٢ ص٣٣٤ .

يكون مؤمنًا، وهو كذاب فى دعواه، وكتاب الله يكذبه ﴿قَالَتِ الأعرَابُ آمَنّا قُل لَم تُؤمِنُوا وَلكِن قُولُوا أسلَمنَا﴾ (الحجرات: ١٤) «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[١].

فالطاعة لا تكون فى نفس الفعل فقط، بل به وبصفته، «ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ»[٢]، «ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة»[٣].

فشهادة "أن لا إله إلا الله" خبر صادق مواطئ للقلب بلسان صدوق، و قلب عقول بأن الألوهية، وخواصّها لله وحده فقط، ولا يشركه فيها أحد لا ملك مقرب، ولا نبى مرسل، ولا حبر، ولا راهب، ولا دولة، ولا مجلس من المجالس الدولية أو القومية.

أخرج الإمام مسلم رحمه الله فى الإيمان: باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع فى النزع، عن عثمان رضى الله عنه مرفوعًا: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[٤]، وفى رواية عن معاذ رضى الله عنه مرفوعًا: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[٥].

---

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام: باب الاقتداء بسنن النبى ﷺ عن أبى هريرة رضى الله عنه ج٢ ص١٠٨١.

(٢) حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند البخارى: باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (ج١ ص١٠٤)، وعند مسلم أيضًا فى الصلاة: وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، ولفظه: «إن الرجل صلى ثم سلّم على رسول الله ﷺ -ثلاث مرات- وهو يقول ارجع فصل فإنك لم تصل» ج١ ص١٧٠.

(٣) أخرجه الترمذى: عن أنس رضى الله عنه فى العلم، باب الأخذ بالسنة ج٢ ص٣٢٤، وفى نسخة: «من أحبّ سنتى فقد أحبّنى ومن أحبّنى كان معى فى الجنة».

(٤) مسلم: ج١ ص٤١.

(٥) متفق عليه، المشكاة: ج١ ص١٤.

وبان الرسول بذلك بعد تمام الأنبياء هو محمّد بن عبد الله العبد الكامل العربى القرشى الهاشمى الأبطحى المدنى خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين، وسيد من وطئ الحصى، وكان من ربه فى القرب، والتدانى مع التنزيه والتقديس كقاب قوسَين أو أدنى، وهو القائل: «ولقد جئتكم بالذبح وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة»(١)، وهو القائل: «أنا نبى الرحمة ونبى الملحمة»، وهو القائل: «وإن الله أمرنى أن أحرّق قريشًا»(٢)، وهو القائل: «بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبّه بقوم فهو منهم»(٣).

ابن العربى رحمه الله: "نبى الملحمة" لأنه مبعوث بحرب الأعداء، والنصر عليهم حتى يعودوا جزرًا على إضم، ولحمًا على وضم(٤).

النووى رحمه الله: وفى حديث آخر: "نبى الملحمة؛ لأنه ﷺ بعث بالقتال"(٥).

---

(١) القرطبى: ج١٠ ص٥٤، وابن جرير: ج١٤ ص٣٥ ولفظه: «أنا نبى الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة»، وعنده فى التاريخ: «أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح» (ج٢ ص٧١)، عن عبد الله، ومثله فى "الكامل" عن ابن عمرو رضى الله عنهما (ج١ ص٤٩٨)، وفى "المسند" عنه بهذا اللفظ (ج٢ ص٤٣٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى "المصنف": باب القدر (ج١١ ص١٢٠).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى الجهاد، عن ابن عمر رضى الله عنهما (ج٤ ص٥٧٥ وج٤ ص٥٨١) موقوفًا، وفى السرخسى نحوه (ج١٠ ص٣).

(٤) أحكام القرآن: ج٣ ص١٥٥١.

(٥) المنهاج فى الفضائل: باب فى أسماءه ﷺ (ج٢ ص٢٦١).

ابن الأثير رحمه الله : " ومن أسماءه ﷺ نبى الملحمة أى نبى القتال ، وهو كقوله الآخر : «بعثت بالسيف»[(١)] ، وفى صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال . وعنده أيضًا : وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «أنا الضحوك القتال»[(٢)] .

فإذا شهد أحد هذه الشهادة العظمى مخلصًا عن قلبه ، فهو المؤمن الذى له ذمة الله وذمة رسوله ، إذا مات عليه وهو الذى يدخله الله الجنة ، ولو بعد حين ، «لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وما ذا عمل فيما علم»[(٣)] .

وهو الذى يقول سبحانه فيه : ﴿لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ الله وَرَسُولَه ولَو كَانُوا آبَاءَهُم أو أبنَاءَهُم أو إخوَانَهُم أو عَشِيرَتَهُم أولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيّدَهُم بِرُوحٍ منهُ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

فهذه الشهادة إجمال ، وفذلكة كل الإسلام ، فيفرض على المرء بعد هذا الإقرار العلم بما يفرض عليه عمله ، إذ العلم قبل العمل ﴿فَاعلَمْ أنّه لا إلهَ إلا الله﴾ (محمد : ١٩) «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ، ومر منا التفصيل فى المسألة .

---

(١) ابن الأثير فى "النهاية" (ج٤ ص٢٤٠) .

(٢) ابن كثير (ج٢ ص٧٠-٤٠٢) .

(٣) أخرجه الترمذى فى الزهد : باب ما جاء فى شأن الحساب والقصاص ، عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، وقال فيه : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ إلا من حديث حسين بن قيس ، وحسين يُضعّف فى الحديث ، وفى الباب عن أبى برزة وأبى سعيد (ج٢ ص٢٩٢) .
وأخرجه الحافظ أبو خيثمة فى "العلم" له عن معاذ موقوفًا لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وعن علمه ، ما عمل فيه (ص٢٢) ، وأخرجه الدارمى وغيره .

ومن العلم: العلم بما يضادّ الشهادتين قولا كان أو عملا، فلو عمل، أو قال: ما يضادّ الشهادتين، أو يكذبهما، فقد أبطل الشهادتين -والعياذ بالله العظيم- لقول الله العظيم: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ (التوبة: ١٧).

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٤)، ولأنه لم يذق حلاوة الإيمان؛ لأن من ذاقها كره أن يعود فى الكفر، قولا كان أو فعلا بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى فى النار[1]، ولأنه لو أتى بالمفتاح، ولكن لا أسنان له، فلا يفتح له باب الجنة[2]، فلو مات على ذلك -والعياذ بالله- فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١).

ولو عمل ما لا يناقضهما إلا أنه ليس طاعة، أو هو معصية، فهو فى المشيئة: إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ولا معقب لحكمه، إلا أن المعاصى بريد الكفر، وما من سيئة إلا ولها أخيّات وبُنيّات، وقد تقرر فى أصل الشرع والطبع والعادة والتجربة أن النفس فى غالب الأمر غالبة مكابرة خداعة متكبرة منازعة للربوبية، والشيطان على ما جبل عليه من الشيطنة والتمرّد والكفر والطغيان والمخالفة والعصيان يسهّل لها طرق العصيان.

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب من كره أن يعود فى الكفر، كما يكره أن يلقى فى النار، عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا: «ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان» ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى فى النار (ج١ ص٨٧).
ورواه عنه مسلم فى الإيمان: بيان خصال من اتّصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان بهذا المتن، وبآخر بألفاظ متقاربة (ج١ ص٤٩).

(٢) إشارة إلى رواية وهب بن منبه قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة، قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك، رواه البخارى فى ترجمة باب "المشكاة" (ص١٦).

التمرين والتكرار سبب الألف والاعتياد

التمرين بالشيء والتكرار سبب الألف والاعتياد، فرب مر وحامض يصير بالألف كالحلو حتى لا يحلو شيء إلا بذلك، وكذلك المعاصي أول ما يرتكبها العبد المسلم العالم بالمعصية تبدو له مرة مضرة قبيحة، ولذا يجتهد أن يسرها ولا تظهر لأحد "أول ما رأيت البدعة بلتُ الدم"[١]، ومع ذلك تنكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب، أو عمل حسنة أقوى من معصيته، تاب الله عليه، وانمحت النكتة ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤) وإلا استقرت وتمكنت[٢]، وسهلت على العبد ارتكابها، أو ارتكاب مثلها ثانية وثالثة[٣]، فيصير قلبه أسود مرباداً لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً[٤]، فلا

(١) عن بعض السلف أنه قال: أول بدعة رأيت بلتُ الدم، ثم بعد ذلك بلتُه أصفر، ثم تغير الأ... العادة (المدخل: ج١ ص٤٩) هذا في الرائي، فكيف تكون حال الفاعل؟

(٢) هو معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه ابن ماجة في الزهد: باب ذكر الذنوب قال ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» (ص٣٢٣). وفي الباب عن عبد الله موقوفًا نحوه عند ابن أبي شيبة ما قالوا في صفة الإيمان (ج٧ ص٢١١).

(٣) هشام بن عروة عن أبيه قال: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإذا رأيته يعمل السيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن السيئة تدل على أختها (ابن أبي شيبة في "الزهد" كلام الحسن: ج٨ ص٢٧١).

(٤) إشارة إلى حديث حذيفة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في الإيمان: باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأيّ قلب أشربها نكت نكتة سوداء وأيّ قلب أنكرها نكت فيها نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» (ج١ ص٨٢).
وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى منها عجاج لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون

يبالى ما فعل سيئة أو حسنة، فيزول أضعف الإيمان إذ هو «فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفى رواية: «وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان»، ومر منا تخريج الحديث، إذ التغيير قد عدم لاستئناس النفس بما يشاهد ويفعل المعاصى، فذهب أضعف الإيمان، وإذا عدم أضعفه، فما ذا يرجى أن يبقى بعد عدم الأضعف -عياذاً بالله- ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا هو المراد من قولهم: "إن المعاصى بريد الكفر".

قال ابن حجر المكى رحمه الله فى شرح "الأربعين": "أظنّه من قول السلف، وقيل: إنه حديث، وهو معنى ما قيل: "الصغيرة تجر الكبيرة وهى تجر الكفر" وهو معنى بريد الكفر"[1]، ومن قولهم: المعاصى تزيل النعم، ولا نعمة أفضل من الإيمان، قال القارئ بعد ما نقل عن السخاوى رحمه الله قوله: لا أصل له أى فى المرفوع، وإلا فهو كلام كثير من السلف، و له شواهد[2].

وإنما يعمل والحالة هذه الحسنات التى تسهل على النفس فعلها، وقد سمع لها فضائل، فتطمع نفسه، وتقنع بأنها هى الإسلام، وأنها كافية لحصول الجنة، ورضا الله سبحانه، ولا يعد ترك السيئة حسنة، وإنه لمن أكبر الحسنات «وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا»[3].

ترك المعاصى احتماء وتخلية، وفعل الحسنات دواء وتحلية، ولا ينفع الدواء والتحلية بغير الاحتماء والتخلية، وأما الاحتماء فينفع وإن لم تستعمل الأدوية.

منكراً» (ج٢ ص٤٢٥)، وأخرجه السيوطى فى "الدر المنثور" عن أحمد والحاكم، وصححه الحاكم (الدر المنثور: ج٦ ص٥٥).

(١) كشف الخفاء: ج٢ ص٢١٣.

(٢) الأسرار المرفوعة: ص٢١٢.

(٣) هو حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «فإذا أمرتكم بشىء فخذوه ما استطعتم وإذا نهيتكم

قال السيوطى رحمه الله : عن ابن أبى الدنيا عن وهب بن منبه قال : اجتمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية[١] .

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذلّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها

القلب والروح لهما أمراض، ولها أسباب، وهى المعاصى وهو فى أول الأمر أبيض صحيح من الأسقام والأمراض، وإنما يسود ويسقم بارتكاب السيئات، ويبقى صحيحًا ومنورًا مبيضًا بترك المعاصى، ويصح ويتنوّر بالتوبة، وفعل الطاعات «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢] ﴿إن الحسنَاتِ يُذهبنَ السيّئاتِ﴾ .

«ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[٣] .

﴿فِطرة الله الّتى فَطَر النّاسَ علَيها لاَ تَبديلَ لخلقِ الله ذلكَ الدينُ القيّم﴾ (الروم : ٣٠) .

عن شىء فانتهوا» ولم يقل فيه : ما استطعتم (ابن ماجة ص٢ : باب اتباع السنة) .

(١) الأسرار المرفوعة : ص٢١٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجة فى الزهد : باب ذكر التوبة عن عبد الله رضى الله عنه مرفوعًا (ص٣٢٣) .

(٣) من رواية أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا عند البخارى، وفى آخره كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء، ثم يقول (أى أبو هريرة رضى الله عنه) : فطرة الله، أخرجه فى الجنائز : باب إذا أسلم الصبى فمات (ج١ ص١٨١) .
وفى التفسير تفسير سورة الروم (ج٢ ص٧٠٤)، وفى كتاب القدر : باب الله أعلم بما كانوا عاملين (ج٢ ص٩٧٦)، وأخرجه عبّد الرزاق فى "المصنف" : باب القدر (ج ١١ ص١١٩)، وأخرجه الحميدى وفيه : وزاد أبو الزناد ويمجسانه ويشرّكانه (مسند حميدى : ج١ ص٤٧٣)، وأخرجه مسلم : باب كل مولود يولد على الفطرة (ج٢ ص٢٣٦)، وأخرجه الترمذى (ج ٢ ص ٢٦٠) فى أبواب القدر : باب كل مولود .
وأخرجه الحاكم فى الجهاد بلفظة : والذى نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها (ج٢ ص١٢٣)، وأخرجه غيرهم .

فإذا ألِف العبد المعاصى، فربما نسى مضرتها، بل قد تسولها النفس إليه، وتحسنها إليه، فيحسبها طاعة ﴿وَهُم يَحسَبُونَ أنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)، بل قد يستدل لها بنصوص ليس لها بالباب نسبة ما ﴿وَعَسى أن تُحِبّوا شَيئًا وَهُو شرٌ لكُم﴾ (البقرة: ٢١٦).

﴿وَأمّا الذينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتّبِعُونَ مَا تَشَابَه مِنه ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وابتِغَاء تَأوِيلِه﴾ (آل عمران: ٧) وكلما لاحت لهم شاردة اقتنصوها، ولكل ساقطة لاقطة.

فإذا بلغ العبد إلى هذه الغاية سلب دينه وإيمانه، وانخلع من ربقة الإسلام، كما قالت أم عبد الله الجرشية: "سلبوا دينهم"، وهو يصلى الخمس، ويصوم، ويحجّ، ويتصدّق إلى غيرها من الخيرات ﴿وَيَحسَبُونَ أنّهُم مهتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٧، الأعراف: ٣٠) فصار بلعام وبرصيصا وأمية ابن أبى الصلت وأبا جهل، واستنابه الشيطان على غيره من أمثاله وأشكاله، وصيّره من جنده، فصار من دعاة إبليس ونوابه بفعله وقوله ﴿وَهُم يَحسَبُونَ أنّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)، فيضلّ الخلق كما ضلّ -أعاذنا الله من ذلك بفضله ومنّه.

١- ﴿وَأغوَينَاهُم كَما غَوينَا﴾ (القصص: ٦٣).

٢- ﴿ءَأنتُم أضلَلتُم عِبَادى هؤلاءِ أم هُم ضَلّوا السبيل﴾ (الفرقان: ١٧)
«ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» ﴿تِلكَ حُدُودُ الله فَلا تَعتَدُوها﴾ (البقرة: ٢٢٩) «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس فمن اتّقى الشبهات فقد استبرئ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام»[1].

---

(١) إشارة إلى حديث نعمان بن بشير عند الشيخين مرفوعًا: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان له أترَكَ ومن اجترأ على ما يشك عليه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصى حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»

﴿بَلى مَن كَسبَ سَيّئةً وأحَاطَتْ به خطيئته فَأولئِكَ أصحابُ النّارِ هُم فِيهَا خَالدُونَ﴾ (البقرة : ٨١) .

«قل آمنتُ بالله ثمّ استَقِم»[١] .

﴿إنّ الذينَ قَالُوا ربّنَا الله ثُمّ استَقَامُوا﴾ (فصّلت : ٣٠) .

﴿فَاستَقيمَا ولا تَتّبِعَانّ سَبِيلَ الّذينَ لا يَعلَمُون﴾ (يونس : ٨٩) .

﴿فَاستَقِيمُوا إليه﴾ (فصلت : ٦) .

﴿وَاستَقِم كَمَا أمرتَ﴾ (الشورى : ١٥) .

أعوذ بالله من سوء الخاتمة والعاقبة ، وأسأل الله لى ولجميع المسلمين البصيرة فى الدين والثبات على الحق ، ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الظالمين ، واعفُ عنا ، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم آمين .

أقوال أهل العلم فى أسباب سلب الإيمان
-أعاذنا اللّه سبحانه-

محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله تعالى : ومن أنكر شيئًا من شرائع الإسلام ، فقد أبطل "لا إله إلا الله" ، وقال شمس الأئمة السرخسى رحمه الله : معناه أنه يصير مرتدًّا ، فيقتل إن لم يسلم[٢] .

(البخارى فى البيوع : باب الحلال بين الحرام بين (ج١ ص٢٧٥) .
مسلم فى البيوع : باب أخذ الحلال وترك الشبهات (ج٢ ص٢٨) ، وعند أبى داود بألفاظ متقاربة ، باب اجتناب الشبهات (ج٢ ص١١٧) ، وأخرجه غيرهم أيضًا .

(١) إشارة إلى رواية سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت : يا رسول الله قل لى فى الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك . وفى حديث أبى أسامة : غيرك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم ، أخرجه مسلم فى الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام (ج١ ص٤٨) .

(٢) السير الكبير بشرح شمس الأئمة (ج٥ ص٢٢٦٢) .

شمس الأئمة : فإن صحة التصديق والإقرار بالتوحيد لا يكون مع إنكار شيء من الشرائع ، قال محمد فى "السير الكبير" : من أنكر شيئًا من الشرائع ، فقد أبطل "لا إله إلا الله "[١] .

نظام الدين النيسابورى رحمه الله : اعلم أن الردّة أغلظ أنواع الكفر حكمًا ، وأنها تارةً بالقول الذى هو كفر ، كجحود مجمع عليه ، وكسبّ نبى من الأنبياء عليهم السلام ، وأخرى بالفعل الذى يوجب استهزاء صريحًا بالدين كالسجود للشمس والصنم ، وإلقاء المصحف فى القاذورات[٢] .

النيسابورى رحمه الله : ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة : ٩٩) ، والكفر إما جحودها مع العلم بصحتها ، وإما جحود مع الجهل ، وترك النظر فيها ، والإعراض عن دلائلها ، وليس فى الظاهر تخصيص ، فيدخل الكل فيه[٣] .

القرطبى وابن العربى رحمهما الله تعالى : ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ (التوبة : ٧٤) دلت الآية أيضًا على أن الكفر يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة ، وإن كان الإيمان لا يكون إلا بـ "لا إله إلا الله" دون غيره من الأقوال والأفعال إلا فى الصلاة[٤] .

الإمام يحيى النووى رحمه الله : وكذلك الأمر (أى يكفر) فى كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنا والخمر ، ونكاح ذوات المحارم إلا أن يكون رجلا حديث عهد بالإسلام ، ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا

(١) أصول السرخسى : ج١ ص٧٣ .

(٢) غرائب القرآن : ج٢ ص٣١٨ .

(٣) النيسابورى : ج١ ص٣٤٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ج٨ ص٢٠٧ ، وأحكام القرآن لابن العربى : ج٣ ص٩٧٩ .

أنكر منها شيئًا جهلا به لم يكفر[١] .

ابن الحجر رحمه الله : فمن أقرّ أجريت عليه الأحكام في الدنيا ، ولم يحكم عليه بالكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم[٢] .

ابن أبي العز رحمه الله : لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك ، فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل كافرًا مرتدًا[٣] .

الملا علي القاري رحمه الله : قال ابن الهمام : وبالجملة فقد ضمّ إلى تحقيق الإيمان إثبات أمور الإخلال بها ، إخلال بالإيمان اتفاقًا كترك السجود لصنم ، وقتل نبي ، أو الاستخفاف به ، أو بالمصحف ، أو الكعبة ، وكذا خلاف ما أجمع عليه ، وإنكاره بعد العلم به ، أي من أمور الدين[٤] .

مُلخص ما سبق :

فالشهادتان المنجيتان هما اللتان كانتا عن علم بمرادهما ، وعن صميم قلب ، ثم يشترط لها البقاء عليهما إلى الموت ، فإن طرأ عليهما ما يضادّهما بأيّ وجه كان -العياذ بالله- ﴿فقَد حَبِطَ عَمَلِه وهُو فِي الآخرَةِ مِنَ الخَاسرِينَ﴾ فإن كان ممن سبقت له الحسنى ، فرجع وتاب وحسن إسلامه قلبًا وقالبًا ، فهو مؤمن عند الله ، وعند الذين آمنوا .

١ - ﴿فإن تَابُوا وأقَامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزكَاةَ فخَلّوا سَبِيلَهُم﴾ (التوبة : ٥) .

---

(١) المنهاج للنووي : ج١ ص٣٩ .

(٢) فتح الباري : كتاب الإيمان الحديث الأول : ج١ ص٦٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص٣٥٥ .

(٤) شرح الفقه الأكبر : ص١٨٦ .

٢ - ﴿إلا الّذينَ تَابُوا وأصلَحُوا واعتَصَمُوا بِالله وأخلصُوا دِينَهُم لله فأولئِكَ مَعَ المؤمنِينَ وَسَوفَ يُؤتِي اللهُ المؤمنِينَ أجرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٤٦).

﴿وَالّذِينَ عَمِلُوا السيّئَاتِ ثُمّ تَابُوا من بَعدِهَا وَآمَنُوا إنّ ربّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُورٌ رحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٥٣).

وإن بقى واستقرّ على حاله، وعمل، أو أبطن ما يضادّ الإسلام، وهو يقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فهو كافر، ومنافق خبيث وملحد زنديق، وحسابه على الله عزّ وجلّ، وإن أُخذ على كفره يستتاب فإن تاب، وإلا قتل كفرًا، وإن أُخذ بالكفر ثانيًا، هل يستتاب أم لا؟ قولان للعلماء، بل ذكر النووى رحمه الله فى المسألة خمسة أقوال، وقول أكثر العلماء "إن من أظهر الإسلام وأسر الكفر يقبل إسلامه فى الظاهر"(١).

ومعنى إبطان الكفر ليس هو الكتمان من الناس، بل المراد أن يعتقد بعض ما يخالف عقائد الإسلام مع ادعاءه إياه، وتأويل النصوص إلى باطله، وليس له مذهب يَتدين به، وهذا هو الإلحاد والزندقة، وأما إن كان يستر كفره ويعتقده، فهو منافق اعتقادى ﴿إنّ المنَافِقِينَ فِي الدركِ الأسفَلِ مِنَ النّارِ﴾ (النساء: ١٤٥).

وإن لم يعتقد الكفر ولم يعمله، وإن عمل تاب إلا أن فيه علامات عدت من النفاق، فهو منافق عملى وفاسق، ومؤمن عاصٍ، قال الله عزّ وجلّ:

١ - ﴿تُوبُوا إلَى الله جَمِيعًا أيّهَا المُؤمِنُونَ لَعَلّكُم تُفلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

٢ - ﴿يَا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلَى الله تَوبَةً نصُوحًا عَسى رَبّكُم أن يكفّر عَنكُم سيّئَاتِكُم ويُدخلكُم جَنّات تَجرى من تَحتِهَا الأنهَار﴾ (التحريم: ٨).

٣ - ﴿قُل يَا عِبَادِيَ الّذِينَ أسرفُوا على أنفُسِهِم لا تَقنطُوا مِن رَحمةِ الله إنّ الله يَغفِرُ الذنُوبَ جَمِيعًا إنّه هُو الغَفُورُ الرحِيم. وَأنيبُوا إلى ربّكُم مِن قَبل أن

(١) المنهاج كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (ج١ ص٣٩).

يأتِيكُم العَذَابُ ثُمّ لا تُنصَرُونَ . وَاتّبعوا أحسنَ ما أنزلَ إليكُم من ربكُم من قَبل أن يأتِيكُم العَذابُ وَأنتُم لا تَشعُرُون﴾ (الزمر: ٥٣ و٥٤ و٥٥).

١- عن عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

٢- وعن أنس رضى الله عنه مرفوعًا: «كل بنى آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون».

٣- وعن عبد الله رضى الله عنه مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة».

٤- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه مرفوعًا: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[١].

اللهمّ إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا، وأنا أعلم به، وأستغفرك لما لا أعلم به، اللّهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما ستطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ولنختم الجزء الأول من الكتاب بأبواب تتعلق بالكتاب، بل هى كأنها فذلكة للأبحاث السابقة بحمد الله وتوفيقه سبحانه.

(١) أخرج الأحاديث كلها ابن ماجة فى الزهد: باب ذكر التوبة (ص٢٢٣-٢٢٤).

باب-١

لا يقبل اللّه من أحد دينًا غير الإسلام

بل ابتغاء برنامج للحياة غير الإسلام خسار وهلاك

يقول الله عزّ وجلّ: ١- ﴿وَمَن يبتَغِ غَيرَ الإسلامَ دينًا فَلَن يقبَلَ منهُ وهُو فِي الآخرةِ منَ الخاسرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٢- ﴿إنّ الدينَ عِندَ الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩).

٣- ﴿فَلا وَربّكَ لا يُؤمِنُونَ حتّى يُحَكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أنفُسِهِم حَرَجًا مّمّا قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٤- ﴿ألا لله الدينُ الخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣).

إذ هو دين الأنبياء كلهم -عليهم السلام- وهو الذى بعثوا به لا غير، ودين الله فى الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، تذكر ما ذكرت سابقًا فى الكتاب مفصّلا بعنوان الإسلام دين الأنبياء كلهم، ولا خلاف بين المسلمين عقيدةً وعملا دون المسلمين اسمًا، أو نسبًا، أو شعبًا، أو دولةً فى أن مصدر جميع الأحكام التشريعية فى جميع شؤون الحياة من أوامر ونواهٍ هو الله سبحانه وحده لا يشاركه فيه أحد من الخلق فيما وضع من مبادئ وأصول، وتشريعات مفصّلة محدودة، وطريق التعرّف عليها ما أنزل الله فى قرآنه، أو أوحى إلى نبيه ﷺ، وفى ذلك ضمان وثيق لحرية الإنسان والحفاظ على الكرامة، وعدم استبداد أحد.

أما إعطاء سلطة التشريع والأمر، لأحد من الناس: فهو إشراك فى ربوبية الله سبحانه، وطريق يؤدى إلى الاستبداد والطغيان والظلم والتعسّف، وإهدار حرية الإنسان، والإضرار بمصالحه الخاصّة التى لا تصدم مع المصالح

العامة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨) لأن من اتبع غير الله فى دينه، فقد أشرك به (المدارك: ج٢ ص ٣١) أى بجعل أمركم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين[1].

وأما السلطة التشريعية فى الدول الحاضرة: فإن لها إصدار ما تشاء من التشريع من دون أى قيد، وتأخذ فى ذلك بمبدأ الأغلبية، وهذا هو الإلحاد والشرك بالله عزّ وجلّ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)[2].

ابن الهمام رحمه الله: الحاكم لا خلاف فى أنه الله رب العالمين[3]، وقد أشبعنا القول فى ذلك فيما سبق من الأبحاث.

---

(١) ابن كثير (ج٣ ص٠ ٣٤).

(٢) من "الفقه الإسلامي وأدلته" بزيادة وتغيير ما، من أول الصفحة (ج٦ ص ١٥٤ إلى ص ١٦٦).

(٣) التحرير: الباب الأول فى الأحكام، الفصل الثانى (ص ٢٢٤).

باب-٢

التحاكم إلى الطاغوت تشريع
ما لم يأذن به الله عزّ وجلّ وإشراك به

يقول الله سبحانه: ١- ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم منَ الدِّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ (الشورى: ٢١).

٢- ﴿وَأَقِم وَجهَكَ للدِّين حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ من المُشرِكِينَ﴾ (يونس: ١٠٥، وفى الروم النصف الأول ٣٠ و٤٣).

٣- ﴿قُل يَا أهلَ الكِتاب تَعَالَوا إلى كَلِمة سَواء بيننَا وبَينكُم ألا نَعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ به شيئًا ولا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بعضًا أربَابًا مِن دُونِ الله﴾ (آل عمران: ٦٤).

٤- ﴿وإن أطَعتُمُوهُم إنكُم لمُشرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

باب-٣

من تحاكم إلى غير الرسول ﷺ فى حياته ، وإلى غير شريعته بعد وفاته طوعًا ، لا يكون مؤمنًا

١- ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٢- ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٣- ﴿أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣).

الأحاديث :

١- أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده»، وفى رواية قتادة عنه زيادة «والناس أجمعين»[1].

٢- أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[2].

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان (ج١ ص٧)، وأخرجه مسلم أيضًا فى الإيمان: باب وجوب حبّ الرسول (ج١ ص٥٠).

(٢) أخرجه البخارى فى الاعتصام: باب الاقتداء بالسنن (ج٢ ص١٠٨).

٣- جابر بن عبد الله رضى الله عنه (فى حديث طويل) فقالوا -أى الملائكة- : "فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس"[١].

لا شك : والله محمد فرق بين الناس بين المؤمن المسلم، وبين المنافق الكافر الملحد، فمن كان عقد قلبه وعقيدته على ما جاء به محمد ﷺ، وعمله فى نفسه، وفى أهل بيته، وفى جاره، وأهل قرابته، وأهل بلدته، وفى المسلمين والذميّين، بل فى أهل الحرب والبغاة والخوارج، بل فى كل ذى نفس، وفى غيرها أيضًا على هدى النبى ﷺ، فهو المؤمن المسلم الذى له ذمة الله، وذمة رسوله، ومن كان على غير ما جاء به النبى ﷺ عقيدة وعملا، فهو الكافر الملحد، والمنافق الخبيث عقيدةً أو عملا الذى ليست له ذمة الله، ولا ذمة رسوله ﴿قُل إن كُنتُم تُحبّونَ الله فَاتّبِعُونِى يُحبِبكُمُ الله ويَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَالله غَفُور رحِيم﴾ (آل عمران : ٣٢).

فليتفكر من يزعم أنه آمن بما أنزل على محمد ﷺ، وبما أنزل من قبله، هل فارق غيره بما ذكرت بميزان محمد ﷺ، وهو الفرق ﴿وَإن تُطيعُوهُ تَهتَدُوا﴾ (النور : ٥٤) وهل أحبّ محمداً ﷺ أشدّ من محبة ولده ووالده وزوجته والناس أجمعين، ومن محبة حزبه وقائده ودستوره، كلا . . . والله بل نبذه وراء ظهره فى كل ذلك، وإنما يتفوّهون بالكلمة الطيبة، والإسلام والقرآن، ويذكرون اسم محمد ﷺ سترًا لكفرهم، وخداعًا للمسلمين، ونفاقًا . قاتلهم الله أىّ دين أفسدوا، وأية عصابة بيضاء سوّدوا ﴿قَاتَلَهُم الله أنّى يُؤفكُونَ﴾ (المنافقون : ٤).

يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿فَلا وَربّكَ لا يُؤمِنُونَ حتّى يُحَكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِى أنفُسِهِم حَرَجًا مّما قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء : ٦٥)، وذلك بعد ما قال عنهم : ﴿ألَم تَرَ إلَى الّذِينَ يَزعُمُونَ أنّهُم

(١) المرجع السابق من البخارى.

آمنُوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحاكَمُوا إِلى الطاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَن يَكفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشيطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء: ٦٠) لما ادّعوا الإيمان بجميع ما أنزل الله، ومع ذلك تحاكموا إلى غير ما أنزل الله، فصاروا ﴿شاهِدِينَ عَلى أَنفُسِهِم بِالكُفرِ﴾ (التوبة: ١٧).

﴿وإِنَّه عَلى ذلِكَ لَشَهِيد﴾ (العاديات: ٧).

فأكذب الله سبحانه زعمهم، فقال: ﴿فَلا﴾ أي ليسوا مؤمنين كما يزعمون، ثم أقسم ربنا تبارك وتعالى ﴿وَرَبِّكَ﴾ ثم قال: ﴿لا يُؤمِنُونَ حتّى﴾ وهذه الغاية لما لم يوجد، لا يوجد الإيمان، وحتمًا هو كذلك ﴿وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ (النساء: ١٢٢).

﴿وَمَن أَصدَقُ مِنَ الله حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧) فمحمد ﷺ فرق بين الناس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى.

باب-٤

لم يخيّر الله نبيًا من الأنبياء عليهم السلام في أن يحكم بما أنزل الله أو بغيرحكم الله سبحانه

١- ﴿وإن حكمتَ فاحكُم بينَهُم بالقسط﴾ (المائدة: ٤٢).

٢- ﴿ولا تتبع أهواء الذينَ كذّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأنعام: ١٥٠).

٣- ﴿ولا تتبع أهواءَهُم عمّا جاءكَ مِنَ الحقّ﴾ (المائدة: ٤٨).

٤- ﴿قُل لا أتّبعُ أهواءكُم قَد ضَلَلت إذا ومَا أنَا منَ المُهتَدِينَ﴾ (الأنعام: ٥٦).

٥- ﴿ولئن اتبعتَ أهواءهُم من بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلم إنّكَ إذًا لمنَ الظَّالمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥).

٦- ﴿ولئن اتبعتَ أهواءَهُم بَعدَ الّذِي جَاءكَ مِنَ العلمِ مَا لكَ منَ الله من وليّ ولا نصيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

٧- ﴿وأن احكُم بينَهُم بِما أنزلَ الله ولا تتبع أهواءَهُم﴾ (المائدة: ٤٩).

٨- ﴿يا داودُ إنّا جعلنَاكَ خليفَةً في الأرض فاحكُم بينَ النّاسِ بِالحقّ ولا تتبع الهَوى فيُضِلّكَ عَن سَبِيل الله﴾ (ص: ٢٦).

٩- ﴿فلِذلكَ فادعُ واستَقِم كَمَا أمرتَ ولا تتّبع أهواءَهُم﴾ (الشورى: ١٥).

١٠- ﴿ثمّ جعلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ منَ الأمر فاتّبعهَا ولا تتبع أهواءَ الذينَ لا يَعلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨).

ابن كثير رحمه الله في تفسير آية (ص٢٦): هذه وصية من الله عزّ وجلّ

لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلّوا عن سبيل الله[1].

البخارى رحمه الله : قال الحسن رحمه الله : أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياته ثمنًا قليلا، ثم قرأ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[2].

---

(١) تفسير القرآن : ج٤ ص٣٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى الأحكام : باب متى يستوجب الرجل القضاء (ج٢ ص١٠٦١) .

باب-٥

ردّ الحكم إلى الله وإلى الرسول إيمان وأحسن تأويلا ، والتحاكم إلى غيرهما كفر وشرك ، وأسوأ تأويلا

﴿يا أَيّهَا الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وأطيعُوا الرسُولَ وَأولى الأمر مِنكُمْ فإن تَنَازَعتُم فِي شَيء فرُدّوهُ إلَى الله والرسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِالله واليَومِ الآخرِ ذلِكَ خَيرٌ وأحسنُ تَأويلا﴾ (النساء: ٥٩)

باب-٦

إنما بعث الرسل لإقامة الدين وإظهاره على الدين كله

١ - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩).

٢ - ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

باب-٧
من وضع دستوراً للحياة غير ما شرعه الله فقد جعل نفسه ربًا وشارعًا وشريكًا لله

١- ﴿قُل يَا أهلَ الكِتابِ تَعالَوا إلى كَلِمة سَواء بيننَا وبينكُم ألا نَعبُدَ إلا الله ولا نُشركَ به شيئًا ولا يَتّخذَ بَعضُنَا بعضًا أربابًا مِن دُونِ الله﴾ (آل عمران: ٦٤).

٢- ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم منَ الدّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ (الشورى: ٢١).

٣- ﴿مَا كَانَ لِبَشَر أن يؤتِيه الله الكِتابَ والحُكمَ والنبُوّة ثُمّ يَقُولَ للنّاس كُونُوا عِبادًا لي من دُون الله﴾ (آل عمران: ٧٩).

٤- ﴿وَلا يأمُرَكُم أن تَتّخِذُوا الملائِكَة والنّبِيّينَ أربَابًا﴾ (آل عمران: ٨٠).

٥- ﴿اتّخذُوا أحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أربَابًا من دُون الله والمسيح ابن مَريمَ وَما أمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا إلهًا واحدًا لا إلهَ إلا هُو سُبحانَه وتَعالى عَمّا يُشركُون﴾ (التوبة: ٣١).

٦- ﴿ءأربابٌ مُتفرّقُونَ خيرٌ أم اللهُ الواحدِ القَهّار﴾ (يوسف: ٣٩).

باب-٨

لا دين إلا الإسلام ولا يرضى الله سبحانه عن أحد إلا بالإسلام

١- ﴿إنّ الدينَ عِندَ الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩).

٢- ﴿أفغَير دِين الله يَبغُونَ وله أسلَمَ مَن فِي السموات والأرض طَوعًا وكَرهًا وإلَيه يُرجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

٣- ﴿وَمَن يبتَغِ غَيرَ الإسلامَ دينًا فَلَن يقبَلَ منهُ وهُو فِي الآخرةِ مِنَ الخاسرينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٤- ﴿وَرَضِيتُ لَكُم الإسلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣٣).

باب-٩

التحاكم إلى غير الله وإلى غير الرسول جعله نداً لله عزّ وجلّ وشريكًا له

١- ﴿وَمَنَ النّاس مَن يتّخِذُ مِن دُونِ أندادًا يُحبّونَهُم كَحُبّ الله والذينَ آمَنُوا أشدّ حُبًّا لله﴾ (البقرة: ١٦٥).

٢- ﴿وَجَعلُوا لله أندَادًا ليُضِلّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ (إبراهيم: ٣٠).

٣- ﴿وَجَعلَ لله أندَادًا ليُضِلّ عَن سَبِيلِه﴾ (الزمر: ٨).

٤- ﴿قُل أإنّكُم لَتَكفُرُونَ بِالذِى خَلقَ الأرْضَ فِى يَومَينِ وَتجعَلُونَ له أندَادًا﴾ (فصّلت: ٩).

٥- ﴿إذ تأمُرُونَنا أن نكفُرَ بِالله ونَجعَل له أندَادًا﴾ (سبأ: ٣٣).

٦- ﴿فَلا تَجعَلُوا لله أندادًا وأنتُم تعلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

٧- ﴿وَلا يأمُرَكُم أن تَتّخِذُوا الملائِكَة والنّبِيّينَ أربَابًا أيَامُرُكُم بالكُفر بَعد إذ أنتُم مسلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠).

٨- ﴿وَإن أطَعتُمُوهُم إنّكُم لَمُشرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

٩- ﴿وَأن أقِم وَجهَكَ للدّين حَنِيفًا وَلا تَكُونَنّ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ (يونس: ١٠٥)، وفى الروم الجزء الأول (٣٠ و٣٣).

١٠- ﴿تَالله إن كُنّا لَفِى ضَلالٍ مبِينٍ إذ نُسَوّيكُم بِرَبّ العَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨).

ابن كثير رحمه الله: أى نجعل أمركم مطاعًا كما يُطاع أمر رب العالمين[1].

(١) ابن كثير: ج٣ ص٣٤٠.

النِّدّ:

كل شيء كان نظيراً لشيء وشبيهاً فهو نِدّ، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ "أنداداً" قال: أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله، ونحوه عن السدي رحمه الله وقتادة رحمه الله[1].

(١) تفسير ابن جرير: ج١ ص١٢٧، وج٢ ص٤٠ و٤٢ وج٢٤ ص٦١، البحر المحيط: ج٧ ص٤١٨ و٤٨٥، وغيرهما من كتب التفسير.

باب-١٠

لا دين ولا إسلام إلا بالعمل بالقرآن

وبتطبيق أحكامه على النفس، وعلى الغير بشرط القدرة

١- ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أنفُسِهِم حَرَجًا مّمّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

كلمة "ما" عامّة فى كل ما يحدث بين الناس بين الأفراد، وبين الجماعات والأحزاب، وبين الحكام داخليًا أو خارجيًا طريقةً كان الحادث، أو حقيقةً عقيدةً كان ما شجر بينهم، أو سياسةً، أو رأيًا، أو غير ذلك، المرجع فى كلها للمسلم كتاب الله فى ضوء سنة نبى الله ﷺ، وعمل الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم.

٢- ﴿وَمَن أعرَضَ عَن ذكري فَإنّ له مَعِيشَةً ضَنكًا ونَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أعمى﴾ (طه: ١٢٤).

٣- ﴿وَمَن يعشُ عَن ذكرِ الرحمنِ نُقَيّض له شَيطَانًا فَهُو له قَرين. وإنّهُم لَيَصُدّونَهُم عَنِ السّبِيلِ وَيَحسَبُونَ أنهُم مهتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦).

فالإعراض عن كتاب الله علميًا كان أو عمليًا سبب لضيق العيش فى الدنيا والبرزخ، وسبب العمى عن الحجة فى الآخرة، وسبب تسلط الشيطان على الأفراد والجماعات، والحكام والدول، وقد نرى ذلك التسلّط فى الدول الإسلامية كلها تسلّطت الشياطين عليها: أمريكا، وبريطانيا، وروسيا، وفرنسا، والصين وغيرها من أعداء الدين تسلّطوا على العالم كلها سيما الإسلامى، وسيما باكستان حتى وهم فى داخل دولهم عبيد وإماء لهم فى أفكارهم، وأجسامهم ومعاشرتهم ومعاملتهم وسياستهم إلى غير ذلك من

شعب الحياة.

يبيعونهم بيع الجلائب كيف شاؤوا، ومتى شاؤوا، وهم فى كل ذلك ﴿أموَات غَير أحياء ومَا يَشعُرُونَ أيّانَ يُبعثُون﴾ (النحل: ٢١).

فهل فى المسلمين سيما الباكستانيين ﴿مَن كَانَ له قَلب أو ألقَى السمعَ وهُو شَهِيد﴾ (ق: ٣٧)، وكل ذلك لنبذهم كتاب الله وراءهم ظهورهم.

فيـا لله لغربة الإسـلام

ويا لله لغربـة كتاب الله

ويا لله ولـدياثة المسلمين المنافقين

باب-١١

التحاكم إلى الطاغوت ضلال بعيد وضلال مبين

١ - ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ (النساء: ٦٠)

٢ - ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

باب-١٢

نماذج أقضية الأنبياء عليهم السلام

قال الله عزّ وجلّ فى قضاء داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث :

١- ﴿وَدَاود وسُلَيمان إذ يَحكُمَان فِي الحَرث إذ نَفَشَت فِيه غَنَمُ القَوم وكُنّا لحكمِهِم شَاهِدِينَ . ففَهّمنَاهَا سُلَيمان وكُلا آتينا حُكمًا وعِلمًا﴾ (الأنبياء : ٧٨ و٧٩) .

١- وقال الله تعالى لأكرم رسله وأعلم خلقه -صلوات الله وتسليماته عليه .

٢- ﴿وإن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسط﴾ (المائدة : ٤٢) .

وذلك فيما تحاكمت اليهود إليه ﷺ فى يهودى ويهودية زنيا ، وكانا محصنين ، أمره الله أن يحكم بينهم بحكم الله سبحانه ، وهو فى التوراة كما هو فى ملة الإسلام الرجم للمحصن ، فأمر بهما فرجما بالبلاط ، وقال عليه السلام ما معناه : «اللهم أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» وقد غير الحكم أحبار اليهود إلى التحميم والتجبيه وغيرهما ، وقد مرّ منا التفصيل فيما سبق ، وقال له فى ذلك : ﴿وَأن احكُم بَينَهُم بِما أنزلَ الله وَلا تَتّبِع أهواءَهُم وَاحذَرهُم أن يفتِنوكَ عَن بَعض مَا أنزلَ الله إلَيكَ﴾ (المائدة : ٤٩) .

وقال سبحانه فى الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أى إلى دستور غير الإسلام : ﴿أفَحُكم الجاهِلِيّة يَبغُونَ وَمَن أحسَنُ مِنَ الله حكمًا لقَوم يُوقِنُونَ﴾ (المائدة : ٥٠) .

٣- وقال الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ : ﴿إنّا أنزَلنَا إليكَ الكِتَابَ بِالحَقّ لتَحكُمَ بينَ النّاس بِما أراكَ الله وَلا تكُن للخَائنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء : ١٠٥)

نزلت في سرقة طعمة بن أبيرق، أو بشير بن أبيرق[١]، سلاح رفاعة بن زيد رضى الله عنه وطعامه، ولما رفعوا القضية إلى رسول الله ﷺ دعا بنى أبيرق، وكانوا قد تشاوروا فى الليل، وتحالفوا على تبرئة السارق، ولو بالأيمان الفاجرة، ولم يكن هناك شاهد، يقول الله عزّ وجلّ عنهم: ﴿يَستَخفُونَ مِنَ النّاسِ وَلا يَستَخفُونَ منَ الله وَهُوَ مَعَهُم إذ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرضى مِنَ القَولِ وَكَانَ الله بِما يَعمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء: ١٠٨).

فظنّ عليه الصلاة والسلام أنهم بُرَآء مما ادّعوا عليهم، وزكّى (لظاهر صلاحه وإسلامه، ولم يكن يعلم الغيب) من لم يكن أهلا للتزكية، فقال لقتادة بن النعمان أخى رفاعة: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير ثبت، ولا بينة، فقال الله عزّ وجلّ منبّهاً إياه ﷺ: ﴿وَاحذَرهُم أن يفتِنوكَ عَن بَعض مَا أنزلَ الله إلَيكَ﴾ (المائدة: ٤٩).

﴿وَلا تكُن للخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥).

﴿وَلا تُجادِل عَن الذينَ يَختَانُونَ أنفُسَهُم﴾ (النساء: ١٠٧).

وبين الله سبحانه لنبيه ﷺ الحق فى المسألة.

هذا مختصر مما ذكره العلماء فى تفسير الآية[٢].

٤- يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَلا وَربّكَ لا يُؤمِنُونَ حتّى يُحَكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أنفُسِهِم حَرجًا مّمّا قَضَيتَ وَيُسَلّمُوا تَسلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

عن عروة رحمه الله قال: " خاصم زبير رضى الله عنه رجلا من الأنصار

(١) يقول الحاكم فى "المستدرك"، والسهيلى فى "الروض": وكان بشير يكنى أبا طعمة. (المستدرك: ج٤ ص٣٨٥، الروض: ج٢ ص٢٨-٢٩).

(٢) الترمذى فى تفسير الآية (ج٢ ص٣٦٥)، المستدرك: ج ٤ ص٣٨٥، ابن كثير: ج١ ص٥٥١-٥٥٢، ابن جرير باختلاف (ج٥ ص١٧٢)، النيسابورى: ج ٥ ص١٦٥، الروض الأنف: (ج٢ ص٢٨-٢٩).

فى شريج من الحرة ، فقال النبى ﷺ : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصارى : يا رسول الله ! أن كان ابن عمتك ، فتلوّن وجهه ، ثم قال : اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، واستوعى النبى ﷺ للزبير حقه فى صريح الحكم حين أحفظه الأنصارى ، قال الزبير رضى الله عنه : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت فى ذلك[1] .

وفى رواية : قال عروة : قال الزبير رضى الله عنه : والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا فى ذلك[2] ، قال النووى رحمه الله : قال القاضى : وحكى الداودى "أن هذا الرجل الذى خاصم الزبير رضى الله عنه كان منافقًا ، وقوله فى الحديث : أنصارى لا يخالف هذا لأنه كان من قبيلتهم ، لا من الأنصار المسلمين[3] .

٥- واختصم إليه ﷺ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وعبد بن زمعة رضى الله عنه فى الغلام ، فقال سعد رضى الله عنه : هو ابن أخى عتبة بن أبى وقاص عهد إلى أنه ابنه ، أنظر إلى شبهه ، وقال عبد بن زمعة : هو أخى ولد على فراش أبى من وليدته ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه ، فرأى شبهًا بيّنًا بعتبة ، فقال : هو لك يا عبد! الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحتجبى منه يا سودة ، فلم ترَه سودة قط " متفق عليه[4] .

---

(١) البخارى فى التفسير تفسير آية النساء (ج٢ ص٦٦٠) ، وعنده أيضًا : باب سكر الأنهار (ج١ ص٣١٧) ، وفى باب شرب الأعلى قبل الأسفل ، باب شرب الأعلى إلى الكعبين (ج ١ ص٣١٧) ، وأخرجه مسلم فى الفضائل : باب وجوب اتباعه (ج٢ ص٢٦١) ، وأخرجه الترمذى فى تفسير آية النساء (ج٢ ص٣٦٤) .

(٢) أخرجه البخارى أيضًا فى الصلح : باب إذا أشار الإمام بالصلح ، فأبى حكم عليه بالحكم البيّن (ج١ ص٣٧٣) .

(٣) المنهاج على مسلم (ج٢ ص٢٦٢) .

(٤) إعلام الموقعين : فصل فى فتاوى النبى ﷺ فى ثبوت النسب (ج ٤ ص٣٥٦) ، والحديث أخر-

٦ – وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينما امرأتان معهما ابنان لهما، فجاء الذئب، فأخذ أحد الابنين، فتحاكما إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا فدعاهما سليمان عليه السلام، فقال: هاتوا سكّينًا أشقّه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لا تشقّه، فقضى به للصغرى[١].

٧– وذكر ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله سبحانه: ﴿وَداود وسليمان إذ يَحكمَانِ فى الحَرث﴾ (الأنبياء: ٧٨) قضاء سليمان عليه السلام فى فتاة حسناء عفيفة، أورد القصة ابن عساكر فى ترجمة سليمان عليه السلام من "تاريخه" بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، فذكر قصة مطولة، ملخّصها:

إن امرأة حسناء فى زمان بنى إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤساءهم، فامتنعت على كل منهم، فاتفقوا فيما بينهم عليها، فشهدوا عليها عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلبًا لها قد عودته ذلك منها، فأمر برجمها، فلما كان عشية ذلك اليوم، فجلس سليمان، واجتمع معه ولدان مثله، فانتصب حاكمًا، وتزيّا أربعة منهم بزىّ أولئك، وآخر بزىّ المرأة، وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبًا، فقال سليمان عليه السلام: فرقوا

البخارى فى أبواب من "صحيحه" عن عائشة رضى الله عنها: باب أم الولد (ج١ ص٣٤٤)، وأخرجه فى المغازى فى باب بعد باب مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح (ج٢ ص٦١٦). وأخرجه أيضًا فى الأحكام: باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه (ج٢ ص١٠٦٥)، وأخرجه مسلم عنها فى الرضاع: باب الولد للفراش (ج١ ص٤٧٠)، وأخرجه الإمام أحمد فى مسند عائشة رضى الله عنها (ج٧ ص٥٦).

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء: باب قول الله عزّ وجلّ ﴿ووَهبنا له داودَ سُليمان﴾ (ج١ ص٤٨٧)، وأخرجه مسلم فى الأقضية: باب اختلاف المجتهدين (ج٢ ص٧٧)، وأخرجه النسائى فى آداب القضاء: باب حكم الحاكم بعلمه، وباب السعة للحاكم أن يقول للشىء الذى لا يفعله: افعله ليستبين الحق (ج٢ ص٣٠٦)، وأخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (ج٣ ص١٠) وابن كثير (ج٣ ص١٨٧)، وكلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه بألفاظ متقاربة.

بينهم، فسأل أولهم ما كان لون الكلب؟ قال: أسود، فعزله واستدعى الآخر، فسأله عن لونه، فقال: أحمر، وقال الآخر: أغبش، وقال الآخر: أبيض، فأمر عند ذلك بقتلهم.

فحكى ذلك لداود عليه السلام، فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة، فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا فيه، فأمر بقتلهم[1].

ولما اصطفى الله عزّ وجلّ لنا الإسلام، ورضى به لنا دينًا، فرضينا بالله ربًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالإسلام دينًا.

نرجع إلى بيان حكم ما اصطفاه الناس من الجمهورية الكفرية، وبيان مضارّها، وأنها سبيل الإلحاد، والخروج عن دين الله عزّ وجلّ.

ونبيّن ما يتولد من الجمهورية العالمية هذه، وهو الانتخاب الرسمى الذى شاع فى العالم كله، وابتلى به خيرهم وشرّهم، وعالمهم وجاهلهم، وذكورهم وإناثهم، وأعرضوا بل عموا عن مضارّه، وعما يتولد منه، ومن شدة الظهور الخفاء «حبّك الشىء يُعمى ويُصمّ» وعين الرضا عن كل عيب كليلة.

ونبيّن الجمهورية الإسلامية، (وبضدها تتبيّن الأشياء) الجمهورية العالمية سبيل الكفر والجمهورية الإسلامية سبيل الإسلام، وهما مفرق الطريق إما إلى الكفر، وإما إلى الإسلام، إما إلى النار، وإما إلى الجنة، إما سبيل الشيطان، وإما سبيل الرحمن.

---

(1) تفسير ابن كثير: ج٣ ص١٨٧.

الجمهورية

فأقول -وبالله التوفيق- : الجمهورية ثلاث كلمات : ال ، جمهور ، ية.

"ال" أداة تعريف يشار بها إلى المراد بالكلمة ، و "جمهور" هى الكلمة الأصلية التى سنبحث عنها ، و "ية" كلمة ألحقت بالجمهور للتأنيث والمصدرية ، وبها عمت كلمة الجمهور فى معناها وغيرها ، حتى صارت الكلمة لعموم استعمالها كأنها لا معنى لها فى أصل وضعها .

الجمهور :

أصل كلمة الجمهور فى اللغة : يقول ابن الأثير رحمه الله : جمهرت الشىء إذا جمعته ، وفى حديث ابن الزبير رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه : إنا لا ندع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه أى جماعاتها ، واحدها جمهور ، ومنه حديث النخعى رحمه الله : أنه أهدى إليه بختج ، هو الجمهورى ، البختج : العصير المطبوخ الحلال ، وقيل له : الجمهورى؛ لأن جمهور الناس يستعملونه أى أكثرهم ، وفى حديث أبى طلحة رضى الله عنه : أنه شهد دفن رجل ، فقال : جمهروا قبره أى اجمعوا عليه التراب جمعًا ، ولا تطينوه ولا تسووه ، والجمهور أيضًا الرملة المشرفة على ما حولها(١) .

وزاد ابن منظور رحمه الله على ما ذكر ابن الأثير رحمه الله من المعانى والأحاديث : جمهر له الخبر أى أخبره بطرف له على غير وجهه ، وترك الذى يريد .

وقال الكسائى رحمه الله : إن أخبرت الرجل بطرف من الخبر ، وكتمته

---

(١) النهاية : مادة : ج ، م ، ه (جا ص٣٠٢) .

الذى تريد، قلت : جمهرت عليه الخبر، والجمهور : الأرض المشرفة على ما حولها، وجمهور كل شيء معظمه، وجمهور الناس جلّهم، وجماهير الناس أشرافهم، والجمهرة المجتمع، والجمهورى شراب محدث، والجماهر الضخم، وفلان يتجمهر علينا أى يستطيل ويحقرنا[١].

جمهر الكلام أجمله، الجمهورى منسوب إلى الجمهور، والحكم الجمهورى أن يكون الحكم بيد أشخاص تنتخبهم الأمة على نظام خاص"، ويكون للأمة رئيس ينتخب لمدة محدودة، الجمهورية دولة يرأسها حاكم منتخب من الشعب، أو من ممثّليه، وتكون رئاسته لمدة محدودة[٢].

الانتخاب :

ويسمّى الاختيار والانتقاء، وهو اليوم فى العالم نتيجة الجمهورية الغربية كأنه من الفرائض التى لا خلف لها، وكأنه دين سماوى"، بل كأنه كل الدين، فى حديث علىّ رضى الله عنه أو عمر رضى الله عنه وخرجنا فى النخبة (بالضم المنتخبون من الناس المتقون)، ومنه حديث ابن الأكوع رضى الله عنه، انتخب من القوم مائة رجل، نخبة النملة العضة والقرصة، وقلب نخيب، الجبان، وقيل : الفاسد العمل[٣].

يقول ابن المنظور رحمه الله بعد ذكره ما فى "النهاية" : نخبته، أنخبه، إذا نزعته، والنخب النزع والانتخاب الانتزاع، والاختيار والانتقاء، ونخبة المتاع المختار، ينتزع منه، وأنخب الرجل إذا جاء بولد جبان، وأنخب جاء بولد شجاع، فالأول من المنخوب، والثانى من النخبة.

---

(١) لسان العرب : نفس المادة (ج٢ ص٢٧٠).

(٢) المعجم الوسيط : ج١ ص١٣٧.

(٣) النهاية : مادة : ن، خ، ب (ج٥ ص٣١).

Scanned by CamScanner

ومنه نخب الصقر الصيد، إذا انتزع قلبه[١].

الانتخاب: الاختيار، وإجراء قانونى يحدد نظامه، ووقته، ومكانه فى دستور أو لائحة ليختار على مقتضاه شخص، أو أكثر الرئاسة مجلس، أو نقابة، أو ندوة، أو لعضويتها، أو نحو ذلك.

فى العصر المحدث:

المنتخب: من أعطى الصوت فى الانتخاب، ومن نال أكثر الأصوات، فكان هو المختار (محدثة)[٢].

فهذه معانيها اللغوية القديمة والمحدثة، وأما مصاديقها اليوم ومضاره، فأقول فيها -وبالله سبحانه أستعين، ممهدًا أولا-: إنه لا حاكم إلا الله سبحانه، أو من جعله الله حاكمًا، وخليفة فى تنفيذ أحكامه عزّ وجلّ، فلا يكون هو حاكمًا مستقلا بأمره، بل يكون تبعًا فى المنصوص، ومجتهدًا فى غيره إن كان أهلا للاجتهاد، ومقلدًا لأهل العلم إن لم يكن أهلا له.

وقد مر منا مفصّلا أنه لا حاكم يرجع إليه، ويتحاكم إليه سوى الله عزّ وجلّ وسوى رسوله الأكرم ﷺ الشارح لما أنزل الله سبحانه، قال الله سبحانه: ﴿لِتَحكُمَ بينَ النّاس بِما أراكَ الله﴾ وقال: ﴿لِتُبَيّن للنّاس ما نزل إليهِم﴾ وقد مر منا البحث مفصّلا فى الباب الأول، وفى غير ما موضع من الكتاب، فإذا التحاكم إليه إنما هو بإذن الله عزّ وجلّ، وأما أولو الأمر فطاعتهم ليست طاعة مستقلة، إنما هى فى طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، ولذا أفرد كل من الأولين بالطاعة دون الثالث.

وثانيًا: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» الحديث، وقال

(١) لسان العرب: مادة: ن، خ، ب (ج١٤ ص٧٩).

(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص٩٠٨.

سبحانه : ﴿وَإِذَا أَردنَا أَن نهلكَ قَرْيَةً أَمرنا مُترفيهَا فَفَسقُوا فِيهَا فَحقّ عَليهَا القَول فَدَمّرنَاهَا تَدميراً﴾ (الإسراء : ١٦).

أمرنا مترفيها بالطاعة لأن الله لا يأمر إلا بها ، ففسقوا فيها : أى فعصوا بالمخالفة ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، الثانى معناها بعثنا مستكبريها ، قاله هارون ، وهى فى قراءة أبىّ رضى الله عنه : بعثنا أكابر مجرميها ، وفى قراءة ثانية أمّرنا - بتشديد الميم - ومعناه جعلناهم أمراء مسلّطين ، قاله أبو عثمان النهدى رحمه الله .

وفى قراءة ثالثة : آمرنا -ممدودة- معناه أكثرنا عددهم ، وهذا قول الحسن رحمه الله وقتادة رحمه الله .

مترفيها : جبابروها ، قاله الحسن رحمه الله : رؤساءها ، قاله على بن عيسى رحمه الله : فسّاقها ، قاله مجاهد رحمه الله[1] : فيجب قبل قيام الساعة ، وقبل التدمير الفكر فى النجاة والتدبير للبقاء بأى طريق جائز أمكن .

وجمهورية عصرنا هذا فيها إعطاء سلطة التشريع غيره سبحانه ، وفيها إسناد الأمر إلى غير أهله ، وفيها تأمير الفساق فى الأكثر الغالب دون الأهل والصالحين ، فلا بد من هلاك القوم كما نرى فى باكستان فى جميع ولاياتها ، بل فى العالم الإسلامى كله ، ثم لا بد لهم من الساعة ، أى هلاكهم قوميّاً ، وفُقدان وجودهم الإسلامي الشخصى ، كما يراه أولو الألباب فى مستقبل باكستان .

الجمهورية والإسلام

جمهورية عصرنا فى العالم كله ضد الإسلام ، وكان الجمهور أخذوا جمهوريتهم من قولهم : جمهرت له الكلام ، إذا أخبرته بطرف منه وكتمته

(١) النكت والعيون : ج٣ ص٣٣٥-٣٣٦ ، وقريب منه فى ابن جرير : ج١٥ ص٤٢ ، وابن كثير : ج٣ ص٣٣ ، والثعالبى : ج٢ ص٣٣٥ ، والبحر المحيط : ج٢ ص١٩-٢٠ .

الذى تريد، فهم يظهرون للناس ما يخفون أى ضده، أو من قولهم: فلان يتجمهر علينا أى يستطيل ويحقرنا، فهم يستطيلون على الخلق، ويتكبّرون عليهم، ويحتقرون الناس، أو أخذوها من الجمهور أى الرملة المجتمعة المشرفة على ما حولها، والجمهورية بهذه المعانى ضد الإسلام.

وأما معناها المحدثة المستوردة اليوم: فهو أيضًا ضد الإسلام كما سنفصلّه -إن شاء الله تعالى- ولكنهم يعبرون عنها بتعبيرات حلوة حسنة، منها الحرية، أى حرية الشخص، وحرية الرأى، والشركة والمساهمة فى صيغ الدولة وغيرها من التعبيرات.

وفى هذا التعبير فساد من وجهين: الأول: أنه ليس فيها حرية شخص، ولا حرية رأى، ولا مساهمة فى صيغ الدولة، وإنما الأحرار والمساهمون أشخاص معدودون محصورون، وهم أرباب المناصب مناصب دولية، أو مناصب قومية، وأما غيرهم فعبيد العصا لا حرية لهم، ولا كرامة بشرية، وهذا مشاهد فى كل العالم الجمهورى إلا ما شذّ وندر، كأن الجمهورية هذه جعجعة ولا طحين، بل كأنها "أتتكم فالية الأفاعى".

الثانى: وإن سُلّم فيها الحرية، فليس فى دين من الأديان الحرية لكل أحد، وفى كل فعل، ورأى، بل حدد الحريةَ كُلّ دين، لا أقول: بتحديد الحرية فى الأديان السماوية، بل حددت الحرية الدساتير الوضعية فى العالم كله، إلا أن تحديدها منهم، فينقادون لها، وأما تحديد الشريعة الإلهية الحرية فلا ينقادون له؛ لأنه من الله سبحانه وتحديد الشريعة الحرية هو كمال الحرية لكل بنى آدم، بل لكل شىء فى العالم إذ لو لم تحدد الحرية كما زعمته الجمهورية المعاصرة لكانت حريةُ واحدٍ تعبيدًا لآلاف من البشر، بل لكل ذى نفس، مثلا تستدل الجمهورية المعاصرة بجمهوريتها لحرية الفكر والرأى والقول، فكتب واحد منهم سخافات وخرافات وترهات وأباطيل فى حق كتاب الله سبحانه، وسمّاها "الآيات الشيطانية"، وحق لها أنها آيات

شيطانية.

وأما القرآن العظيم: فآيات إلهية رحمانية أنزلها الذى يعلم السرّ فى السماوات والأرض، فهذه الحرية حرية هذا الرأى الخبيث كم آلمت وجرحت قلوب ملايين من المسلمين والمسلمات فى العالم؟ وكم عبّدت قلوبهم؟ بحيث لا يستطيعون قتله خوفًا على نفسه من القوانين الوضعية الجمهورية، وكان حقًا عليهم قتله، وكذلك القاديانية والإسماعيلية والرافضة وغيرهم كلهم، يلعبون بكتاب الله عزّ وجلّ، ويستهزئون بمحمد ﷺ، ويسخرون من دين الله سبحانه، وينتقصون أصحاب النبى ﷺ، ويكتبون رسائل وكتبًا فى كل ذلك، والقوانين الوضعية تحفظهم فى كل ذلك، وتستدل لها بالجمهورية والحرية، فحرية آحاد تعبيد ملايين وتذليلهم، فهل يُسوّغ عقل هذه الحرية، وهل يسميها ذو لب جمهورية وحرية؟

ولنضرب مثلا آخر: لو استدل أحد بحريته لشرب الخمر كما هو واقع حالا، وإن حرمتها الدساتير الوضعية القرطاسية، فشربها ثم كان منه ما يكون من السكران فى حق الناس، ألم يسلب بتلك الحرية، حرية مئات من الناس، وكذلك كلما يريده ويهواه الإنسان، يستدل له بكل سهولة بالجمهورية والحرية، فهل يبقى فى العالم حرية؟

كلا! ثم كلا! ولنضرب أمثالا لتحديد الحرية فى القوانين الوضعية البشرية، ١- حددت بعض الدول حرية المرأة فى لباسها وخروجها من بيتها، وأما أكثر الدول فلا تتعرض لها، وإن خرجت عريانة متبرّجة.

٢- حددت الدول الجمهورية هذه، وفيها باكستان أيضًا، الحرية الشخصية والمالية ضد الحكم الإلهى، حتى لا دار ولا حانوت ولا سيارة كبيرة ولا صغيرة، إلا وفيها نصيب للحكومة ومكس، وكذا فى كل ما يجلب إلى السوق، وما يجلب منه فيه مكس غير شرعىّ، بل ضربت الدول الجمهورية ضرائب على الأعمال والشركات والأراضى والفنادق، فأية جمهورية؟ وأية

حرية هذه؟ أسامٍ لا معانى لها.

٣- وحددت الدول الجمهورية بزعمهم مدة الرئاسة لأرباب المناصب، ولممثليها بخمس سنوات تنتهى بانتهاءها مناصبهم ورئاستهم، ثم تكون فى الجمهورية فتنة وفساد كبير، وأما قبل السنوات الخمس فلا يمكن عزلهم عن المناصب، وإن عم من أربابها الفساد، وهلك الناس وانقطعت السبل، واحتكرت الأشياء وادّخرت، إلا بفساد كبير عريض طويل يهلك فيه الحرث والنسل، فأية حرية هذه؟ وأية جمهورية؟

٤- حرمت دولة باكستان حرث الخشخاشة وتجارتها بيعًا وشراءً على ملايين من الباكستانيين، وقد كانت ذريعةَ معيشة أهل بعض الأقطار، فحددت الدولة، بل سلبت حرية أهلها، وذلك كله لإرضاء اليهود والنصارى، والحال أن الخشخاشة كالعنب والزبيب والتمر والحشيش، وكلها مباحة عندهم، بل يرغبون فى زرعها وحرثها، على أن الخشخاش يستخرج من ثمرتها الأفيون، وتستعمل فى الأدوية بأنواعها، وبذرها تصنع منه الأشربة المقويّة الباردة بأنواعها، وثمرتها تستعمل دواءً، وتستعمل فى الأدوية، وغير ذلك من المنافع.

وأما الضرر: ففى الخمر أزيد وأكثر، وقد حرّمها الله سبحانه تحريمًا قطعيًا، وكذا الرسول ﷺ وهى تتخذ من العنب والتمر وغيرهما، وكذا الحشيش أضرّ من الأفيون، وهذه كلها لا حرمة فيها عندهم، بل يستعملونها جهاراً من غير نكير، ولا منع ولا حرمة، بل يجلبونها من الخارج، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، ولها مصانع فى داخل الدولة، كما حدثت عن بعضها، فأية حرية هذه؟

أصحاب الأراضى يزرعون الخشخاش، وأهل الدولة يفسدونها ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، وأية جمهورية؟ الجواب بيّن أوضح بيان، والعاقل

تكفيه الإشارة، وإن العصا قرعت لذى حلم.

٥- حرمت الدولة كل كلام ومقال يخالف رأى أربابها، ويسمّون قائليه بغاة ومفسدين ومستمدين من الدول الخارجة، هم كما قال الله سبحانه عن فرعون فى موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (المؤمن: ٢٦)، وكما قال عن قومه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، فأيّة حرية؟ وأية جمهورية هذه؟

٦- كل من تمثل للانتخاب يجتهد كل الاجتهاد، ويحتال بكل حيلة أن يفوز فيه، وإن كان بقتل مسلم، أو بقتل المسلمين، أو برشوة أموال، أو بمواعيد أعمال ومناصب، أو بتهديد وتخويف، وأرباب الدولة مطلعون على ذلك ساكتون لا يتحركون كأنهم ﴿أمواتٌ غير أحياء﴾ ثم يعلنون بنجاحه، ويهنئونه به، فبحرية فرد سلبت حرية مئات من الناس، بل سلبت كرامتهم البشرية، فأية جمهورية هذه؟ وأية حرية؟

٧- كل من بدل دينه الإسلام، خير الأديان، بل الدين كله، فتنصّر، أو تهوّد، أو تهنّد، أو تمجّس، أو ترفّض، أو ارتدّ إلى غير ذلك كالقاديانية، أو الإسماعيلية، أو الذكرية، أو البهائية، أو الدهرية، أو إلى غير ذلك من الإلحاد والزندقة، فلا يسأل عما فعل، أو يفعل، بل تحفظه الدساتير الوضعية لئلا يصيبه أحد بمكروه، وتستدل بالجمهورية، وحرية الآراء.

وأما لو أسلم أحد من هؤلاء لا يتركه إخوانه ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٢) حتى يردوه كافراً مرتداً، ويعاونهم فى ارتدادهم أرباب الدولة وأرباب المناصب حتى الوزراء والولاة، فأيّة جمهورية هذه؟ وأية حرية؟

٨- كل داع إلى الباطل حرّ فى دعوته إلى الباطل من غير أيما خوف أو خطر بكل ما يمكن ويتأتى منه، لا ينكر عليه أحد، ومن أنكر عليه منكره نادوا عليه بالبغى والفساد، وسوء الأخلاق والحميّة الجاهلية والعصبيّة المذهبيّة،

وأما المسلمون إذا دعوا أهل الباطل إلى الحق، ونهوا عن المنكر حسب مراتب النهى المعروفة فى القرآن والحديث منعوا وأوذوا، وحبسوا فأنى الجمهورية والحرية؟ نعم جمهورية وحرية لكل باطل ولكل مبطل.

٩- المسلمون فى "ملاكنذ" وما يتعلق بها طالبوا الدولة تطبيق الشرع المحمدى -على صاحبها الصلاة والسلام- على شعب الحياة البشرية كلها منذ زمان، فلم تتحرك الحكومة كأنها ليست دولة إسلامية عندهم، وهم يدّعون أنها دولة إسلامية، بل هى حصن الإسلام.

وأما فى نفس الأمر فليست دولة باكستان دولة إسلامية، ولا دار إسلام؛ لأن دستورها دستور كفرى، وبالصلاة والصيام وإقامة الجمع والأعياد لا تكون إسلامية، وإلا فتكون دول أوربا وأمريكا وغيرها دولا إسلامية بعين هذا الدليل ﴿هُم للكُفر يومئذٍ أقربُ منهُم للإيمَان يَقولُونَ بِأفواهِهِم مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِم وَالله أعلمُ بِما كَانُوا يكتُمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٧) ثم لما لم تجد لها بدًا أعلنت مستسلمين ومنقادين ظاهرًا بتطبيق الشريعة فى جميع شؤون الحياة إعلانًا قرطاسيًا من دون تسليم لها بالقلب ﴿وَلَو أنَّهُم أرَادُوا الخُرُوجَ لأعَدّوا عُدّةً﴾ (التوبة: ٤٦).

﴿ذلِكَ بِأنهُم كَرِهُوا مَا أنزَلَ الله فأحبَطَ أعمالَهُم﴾ (محمد: ٩).

ولما طال الأمد ولم يوفوا بعهدهم طولبوا بذلك ثانيًا وثالثًا مرة بعد مرة فجمعوا عساكرهم من شتى النواحى، وقاتلو المسلمين وحاربوهم.

فقتلوهم وحبسوهم، وآذوهم ما أمكن منهم، ولما لم يمنع المسلمين عن ذلك، وطالبوهم وطالبوهم، أشار بعض المترفين أرباب الدولة بقتل المسلمين وحبسهم ثانيًا، ولهم فى ذلك سلف فيمن مضى ﴿وَقَالَ الملأ من قَوم فرعَونَ أتذرُ مُوسى وقَومَه لِيفسِدُوا فِي الأرض ويَذرَكَ وآلِهتَكَ قَالَ سَنُقتّلُ أبنَاءَهُم ونَستَحيِي نِسَاءَهُم وَإنّا فَوقَهُم قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧).

فجمعو العساكر وتألبوا على المسلمين، فرموهم بأسلحة نارية مختلفة

الأنواع بالقنابل والمدافع الرشاشة والدبابات المصفحة والبندقيات الرشاشة وغيرها من الأسلحة، فقتلوا المسلمين، وحرقوا أمتعتهم كأنهم حاربوا أهل موسكو أو أهل الهند، ورموا المساجد، واستشهد من المسلمين كثيرون، فرحمهم الله سبحانه وبارك فى أخلافهم وأعقابهم، وجزاهم الله فى الدنيا والآخرة، وأباد الله خضراء من قتلهم وقاتلهم، ومن أمر بذلك وشتت الله شملهم، وفرق جمعهم، ولا ترك على الأرض منهم دياراً، ودمر الله عليهم من حيث لا يحتسبون، ونصر الله من نصر دينه، وجعلنا منهم، وخذل الله من خذل دينه، ولا جعلنا منهم، وهاجر كثير من المسلمين، وتركوا بيوتهم وأهاليهم وأموالهم وبلادهم، فحرقت الجنود بيوتهم وأموالهم، ونهبوها وآذوا أهاليهم، حتى ذراريهم وصبيانهم كما صنعوا فى منطقة "باجوڑ" وحبست الحكومة أكثر قوادها وهم فى السجون منذ زمن طويل، ومن لم تقدر الحكومة على الأخذ بهم منعوهم وحبسوهم فى بلادهم، ولا يعلم إلى متى تكون هذه الذلة ظاهراً، وهو عند الله عزة إن شاء الله سبحانه، ومنعت الحكومة كل دعوة وموعظة حتى فى المساجد يوم الجمعة سوى الأذان، وأخافت الناس بكل ما أمكن منها، وإلى الحال الحالة هذه، وأخذوا كل من عليه عمامة سوداء، وكل من كانت على داره، أو حانوته راية سوداء وبيضاء، بل حبسوا فى أول الحالة أصحاب اللحى الموفرة، وأخبرنى بعض الناس أن الشرطة والجند كانوا فى أول الأمر يوقفون السيارات، فيسألون الراكبين فيها من منكم يطالب الحكومة بالإسلام، فيسكت القوم خوفًا من ظلمهم، ومن اجترأ منهم على الجواب أنزلوه من السيارة، وجرّوه وضربوه، وذهبوا به إلى الحبس، والله أعلم كيف كان الأمر، لكن نعلم مما رأينا منهم أنهم لعلهم فعلوا ما أخبرت، وليس ببعيد منهم.

ومع ذلك المسلمون كلهم فى "ملاكند" وما يتعلق بها لم يتأخروا عما طلبوا قدر شبر، بل عرفوا أن الحكومة خداعة مكارة لا تطبق الشريعة ولا تريدها فتهيأوا بكل ما يمكن منهم موافقًا للشرع منتظرين أمر العلماء القواد فى

ذلك، فأيّة جمهورية، وأيّة حرية فى باكستان؟ بل الجمهورية بمعناها المزعوم ليست فى العالم كله، بل هى مكر وخداع ﴿وَلا يَحيقُ المكرُ السَّيّئُ إلا بأهله﴾ (الفاطر: ٤٣).

﴿فَللّه المكرُ جَميعًا﴾ (الرعد: ٤٢).

﴿وَإليهِ يُرجَعُ الأمرُ كُلّه﴾ (هود: ١٢٣).

نعم! فى باكستان حرية وجمهورية لكل مبطل وكل باطل، حرية كاملة فى كل شىء فى العقائد والأعمال الإسلامية، صاروا ويصيرون أحراراً منها، إلا من رحم الله - وقليل ما هم.

فيا ليت شعرى! ألم يكن فيهم مسلم يشير الحكومة، وتمنعها من الفساد فى الأرض من ممثليها، وأعضاء الشورى سيما أعضاء الشورى والوزراء من منطقة "ملاكند"، فأين الإسلام؟ وأين الشريعة؟ ولقد صدق رسول الله ﷺ (كفى بقوم ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم) فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أو لَم يكفِهِم أنّا أنزَلنا عَليكَ الكِتَابَ يُتلى عَلَيهِم﴾ (العنكبوت: ٥١)[١]، وقال ﷺ: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفًا»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث، ومرّت منا فى الكتاب - والحمد لله -.

وأما المسلم والمطالب بالإسلام: فليس له فى الجمهورية هذه والحرية نصيب (كيف بك إذا تركت بدعة، يقولون: ترك سنة) وبقينا فى حثالة فى الناس تداعى علينا أرباب الدولة والجند والشرطة كما تداعى الأكلة على قصعتها.

فتعساً لهم يا رب تعساً وفرقـــة كما فرقوا بين الأحبة سُتّرا

(١) أخرجه الدارمى: باب من لم يرَ كتابة الحديث (ج١ ص١٠٢).

(٢) المدخل: ج٣ ص٢١٣، أخرجه عن أبى داود فى حديث.

فذ العرش اكشف ما بنا من مصيبة والف قلوبًا هتكوا بينها سترًا

أساس الجمهورية هذه

الجمهورية هذه أساسها على حاكمية الأكثرين، والانقياد لما اختاروا، ولمن اختاروا لخمس سنوات، وهذا الأساس إنما أسّس على شفا جرف هارٍ، فانهار به فى نار جهنم، إذ حاكمية الأكثرين ضد حاكمية الله عزّ وجلّ ﴿إنِ الحُكمُ إلا لله﴾ (الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠ و٤٧).

﴿لا يُشرِكُ فى حُكمِه أحَدًا﴾ (الكهف: ٢٦).

﴿وَالله يَحكُمُ لا مُعَقّبَ لحُكمِه﴾ (الرعد: ٤١).

وغيرها من النصوص، وحكم الأكثرين فى الأكثر ضد حكم الله عزّ وجلّ، يقول ربنا تبارك وتعالى فى الأكثرين: ١- ﴿وَإن تُطِع أكثَرَ مَن فِى الأرض يُضِلّوك عَن سَبِيل الله إن يتّبعُونَ إلا الظنّ وإن هُم إلا يَخرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦).

٢- ﴿وَمَا أكثَر النّاس ولو حَرَصت بِمُؤمنينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

٣- ﴿وَلَقَد ضَلّ قَبلَهُم أكثَر الأوّلِينَ﴾ (الصافّات: ٧١).

٤- ﴿وَلا تَجِدُ أكثَرهُم شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

٥- ﴿وَمَا وَجَدنَا لأكثَرهِم مِن عَهد وإن وَجَدنَا أكثَرهُم لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٢).

٦- ﴿وَمَا يُؤمِنِ أكثَرهُم بِالله إلا وَهُم مشركُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦).

٧- ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ الحَقّ فَهُم معرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٤).

٨- ﴿أم تَحسبُ أن أكثَرَهُم يَسمَعُونَ أو يَعقِلُونَ﴾ (الفرقان: ٤٤).

٩ - ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: ٧).

١٠ - ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (فصّلت: ٤).

وغيرها من نصوص القرآن العظيم، بين الله سبحانه وتعالى ضلال الأكثرين، والكثيرين ممن مضى ومن هذه الأمة فى أكثر من مائة موضع من كتابه، اللهمّ اهد أمة محمد ﷺ وارحمهم وثبّتهم على الحق.

فما معنى الجمهورية هذه فى جنب كتاب الله عزّ وجلّ؟ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢).

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦).

أقوال أهل العلم فى الآية

"فى جنب الله" أى فى أمره وحدّه الذى حده لنا[١] على ما فرطت فى جنب الله، تركت طاعة الله[٢] فى جنب الله فى أمر الله، أو فى طاعة الله، أو فى ذاته[٣]، فى جنب الله يعنى القرآن والعمل به[٤] ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ أى المستهزئين بأهله[٥] بدينه وكتابه[٦]، أى إنما كان عملى فى الدنيا عمل

(١) مفردات القرآن: ص٩٨.

(٢) تنوير المقباس مع الدر المنثور: ج٥ ص٢٧.

(٣) النسفى: ج٤ ص٦٣، الجلالين: ج٢ ص٣٨٩، جامع البيان: ج٢ ص٣٨٩، البيضاوى: ج٢ ص١٧٣.

(٤) القرطبى: ج١٥ ص٢٧٦

(٥) البيضاوى: ج٢ ص١٧٣

(٦) الجلالين: ج٢ ص٣٨٩

مستهزئ غير موقن مصدق(١)، لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين(٢).

قال قتادة رحمه الله: لم يكفهِ أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها(٣).

أساس الجمهورية الإسلامية

وأما الجمهورية الإسلامية: فأساسها على حاكمية الله سبحانه أى كتابه وسنة رسوله ﷺ أصلا وأولا، وإجماع هذه الأمة والقياس المستنبط من الثلاثة تبعًا وثانيًا، لا رأى الأكثرين، وإن كانوا ملايين، وقد ذكرت الآيات فى ذلك فتذكّر، ولا اختيار فى الانتقاء لمن لا رأى له فيما ينتقى له، ولا حدّ لانتهاء مدة منصب إلا إذا انتفى أهلية الحاكم، ولا ينفذ حكم حاكم، ولا عضو شورى ولا طبقة وحزب، ولا ممثلى جميع الطبقات فى الأمة إلا إذا كان موافقًا للأدلة الشرعية.

﴿أفَمَن أسَّسَ بُنيَانَه عَلى تَقوى منَ الله ورضوَان خَيرٌ أم من أسَّسَ بُنيَانَه عَلى شَفَا جُرُف هارٍ فَانهارَ بِه فِي نَار جَهَنَّمَ والله لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ (التوبة: ١٠٩)، فالتحديد بخمس سنوات، أو بأقل، أو بأزيد لا أصل له، وإنما هو شرع من عند غير الله سبحانه ﴿أم لَهُم شُرَكَاءُ شَرعُوا لَهُم من الدِّين مَا لم يَأذَن به الله﴾ (الشورى: ٢١).

إذ المنتخب بالصوت إن كان أهلا لما انتخب له، فلا ينعزل، وإن بقى مائة سنة إذا كان بقى أهلا، وفى عزله إذا كان أهلا ظلم فى حقه، وفساد عظيم فى

---

(١) ابن كثير: ج٤ ص٦٠.

(٢) ابن جرير: ج٢٤ ص١٣، النيسابورى: ج٢٤ ص١٤.

(٣) النسفى: ج٤ ص٦٣، القرطبى: ج١٥ ص٢٧١، البحر المحيط: ج٧ ص٤٣٥.

حق العامّة والدولة اقتصاديّا وسياسيّا، كما نرى فى كل خمس سنوات، أو قبلها هلاك الحرث والنسل ﴿والله لا يُحِبّ الفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

وأخوف من هذا كله انتقاء من ليس بأهل، وهذا مشاهد أيضًا «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» الحديث، وسيأتى مفصّلا.

وإن كان المنتخب غير أهل، فهو هلاك للأمة، لا يجوز إبقاءه على الولاية ولو ساعة، إذا قدر عليه.

١- ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا الله والرسُولَ وتَخُونُوا أمَانَاتِكُم وَأنتُم تَعلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

٢- ﴿وَلا تَكُن لِلخَائنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥).

٣- ﴿إنّ اللهَ لا يُحِبّ الخَائنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

٤- ﴿إنّ الله لا يَهدِي كَيدَ الخَائنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢).

٥- ﴿إنّ اللهَ لا يُحِبّ مَن كَانَ خَوّانًا أثِيمًا. يَستَخفُونَ مِنَ النّاسِ ولا يَستَخفُونَ مِنَ الله وهُو مَعَهُم إذ يُبَيّتُونَ مَا لا يَرضى مِنَ القَول وكَانَ الله بِما يَعمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء: ١٠٧-١٠٨).

٦- ﴿وإذَا تَوَلّى سَعَى فِي الأرض لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحرث والنسلَ والله لا يُحِبّ الفَسَادَ. وإذَا قِيلَ لَهُ اتقِ الله أخَذَتهُ العِزّةُ بِالإثم فَحسبُه جَهنّم ولَبِئسَ المِهاد﴾ (البقرة: ٢٠٥-٢٠٦).

وإنما قلت: فى إبقاءه فساد عظيم فى الجمهورية هذه أيضًا؛ لأن المنتخب هذا إنما يصل من صات له، ويصل أحبابه، وأودّاءه وأقرباءه، ويعادى من صات لغيره، وإن كان من أقرباءه، وقد نرى هذا بيّنا فى جمهورية باكستان التى تنادى قوادها بأعلى النداء، إن الدولة جمهورية تعتقد شركة العوام فى جميع صيغها، وتنادى بالمساواة والنصفة مع كل واحد، وإن كان من أىّ حزب، على أن الوالى أو عضو الشورى لا يكون هو واليًا فقط، بل

جميع أسرته حتى زوجته وأبناءه وإخوانه وأصدقاءه كلهم يكونون ولاة مختارين في كل ما يعملون، لا يُسألون عما يفعلون، ولا وازع لهم، يسوقون الناس بعصيّهم، كأنهم غنم وأنعام لا رب لها إلى خمس سنوات.

وتكون الحكومة فى الغالب للغالب من الأحزاب كلية أو أكثرية، فيكون جميع من تعلق بذلك الحزب، كأنهم دخلوا الجنة بلا حساب.

ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا كذلك، وأما غيرهم فلا حق لهم فى شىء كأنهم ليسوا من البشر فضلا عن أن يكونوا باكستانيين، فهل فى العالم فساد أعظم من هذا؟ ولهم فى ذلك سلف ﴿إِنَّ فِرعَونَ عَلا فِي الأرض وجَعَلَ أهلَهَا شِيعًا يستَضعَفُ طَائِفَةً منهُم يُذبّح أبناءَهُم ويَستَحيِي نِسَاءَهُم إنّه كَانَ مِنَ المُفسِدِينَ﴾ (القصص: ٤).

زرعت الجمهورية هذه بالانتخاب المتولد منها الفساد بالقتل وهلاك الحرث والنسل، وبذر العصبية الجاهلية الأولى، التحاسد والتباغض والتدابر والتقاطع، والسباب والطعن فى النسب والحسب والغيبة والبهتان والنميمة والفواحش وغيرها من المنكرات كالتصاوير أحسن ما يمكن للمترشّح لعضوية الشورى، بل يصورون ما تُعيّن الحكومة شعاراً له فرسًا كان أو أسداً أو غيرهما من ذوات الروح بأحسن صورة، ويعلقونها على كل ما أمكن منهم.

حتى رأيت معلقة على جدران بعض المساجد هذه الصور، الملعونون مصوروها الملعونون الراضون بها، والملعونون من هى عندهم، والملعونون أصحابها. ومنهم من يتّسِمون بالعلم والصلاح، بل يسمّون أنفسهم أكمل المسلمين، وتلك الجرائد لا يكون فيها شىء فى مدة الانتخاب سوى ما ذكرت من تلك المنكرات والتصاوير، ينفقون عليها الأموال الباهضة طمعًا، بل [illegible] أنهم [illegible] ذلك الأموال فى أول فوزهم، بل أكثر وأكثر إلى مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ونرى ذلك بعد كل انتقاء يسعرون على الناس

الأشياء كلها، ويضربون الضرائب والمكوس، فتغلوا الأسعار أزيد من وسع الناس، وهم كجهنّم ينادون هل من مزيد؟ حتى يضع الرب سبحانه عليها قدمه.

فيا رب! ضع عليهم قدمك نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تنتقم منهم، وأبدلنا خيراً منهم، فأنت المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وكل ما ذكرت أقل قليل مما يكون، بل هي واحدة من مائة قبائح تتولد من الانتقاء المتولد من الجمهورية العالمية اليوم.

وكل ما ذكرت فواحش وكبائر متوعّد عليها بالجزاء والنار والناس لا يعدونها كبائر، بل لا يعدونها معاصي ﴿تَحسَبُونَه هَيِّنًا وهُو عندَ الله عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥) إذ معاملة الحرام كالحلال الجائز كفر عند أهل الحق، وقد فصلنا المسألة فيما مرّ -والحمد لله-.

مَلحُوظة:

ركبت في بعض أسفاري سيارة، وكنت عند السائق، فرأيت أمامي صورة كبيرة ذات عمامة، مكحلة العينين ألمَى الشفتين، كأنها صورة فتاة جميلة -لو لم تكن لها لحية وعمامة- فحوقلت وسبحت واستغفرت ونزلت منها بسرعة تآمة، وقلت لرفقاءي: انزلوا من السيارة، فتعجب السائق، وقال: ما ذا حدث حتى نزلت؟ فقلت: أما ترى ما أمامك وأمامي الصنم الأكبر؟ لا أسافر في هذه السيارة، فقال: هذه صورة عالمكم لا بأس بها، فحوقلت واستغفرت، وقلت: ليس هو عالمًا وإن كان، فليس هو عالمنا، وإن كان، فحرام أيضًا، وإن كانت صورة نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فتعجب من قولي، فغيّر الصورة فسافرت معه.

باب
من استعمل على عمل غير أهله فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين وغشّهم

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه «من استعمل رجلا من عصابة وفى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[(١)]، يقول ابن حجر رحمه الله: قال العقيلى رحمه الله: إنما يعرف من كلام عمر رضى الله عنه -انتهى-.

وفى إسناده حسين بن قيس الرحبى، وهو واهٍ، وله شواهد من الضعفاء.

٢- وأخرج أبو يعلى رحمه الله من حديث حذيفة رضى الله عنه رفعه: «أيّما رجل استعمل رجلا على عشرة وعلم أن فى العشرة من هو أفضل منه فقد غشّ الله تعالى ورسوله وجماعة المسلمين»[(٢)].

٣- وعن أبى بردة بن موسى رضى الله عنه قال: حدثنى أبى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من تولى عملا وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوأ مقعده من النار»[(٣)].

٤- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قالوا كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا أسند الأمر إلى

---

(١) أخرجه الحاكم فى الأحكام (ج٤ ص٩٢).

(٢) الدراية فى تخريج أحاديث الهداية: أدب القاضى (ج٣ ص١١٦)، وأخرج قول العقيلى أيضاً.

(٣) تذكرة الحفاظ: تذكرة أبى بردة (ج١ ص٩٥).

خير أهله فانتظر الساعة»(١)، وفي رواية: «إذا وسد الأمر»(٢)، ومر منا تفسير الساعة وانطباقها على هذا العصر.

٥- وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»(٣).

٦- وعن أبي بكر رضي الله عنه في حديث قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا حتى يدخله جهنم»(٤).

٧- وعن قتادة موقوفًا قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكره على عمل أعين عليه ومن طلب عملا وكل إليه»(٥).

٨- وعن عُمر رضي الله عنه "من استعمل رجلا لمودة أو لقرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"، وقال: "من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله"(٦)، ٩- وعن عمر رضي الله عنه "إني لأتحرّج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه"(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في باب رفع الأمانة (ج٢ ص٩٦١)، وأخرجه الإمام أحمد في "المسند" (ج٣ ص٤٦).

(٢) أخرجه البخاري أيضًا في العلم: باب من سئل عن علم، وهو مشتغل (ج١ ص١٤).

(٣) أخرجه الحاكم في الفتن: باب ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي (المستدرك مع التلخيص: ج٤ ص٥١٥)، وأخرجه أحمد في "المسند" (ج٦ ص٥٨٧).

(٤) أخرجه أحمد: ج١ ص١٢، وكنز العمال (حم؛ ك) وغيرهما (ج٥ ص٦٦٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق: باب الإمام راع، (وهو موقوف) (ج١١ ص٣٢٠).

(٦) كنز العمال في الإمارة (ج٥ ص٧٦٥).

(٧) كنز العمال: الإمارة (ج٥ ص٧٦٩).

الكرامة حق بشرى :

والجمهورية هذه والانتقاء أهدر الحرية عن أصله لعامة أهل الدولة سوى أشخاص معدودين، فلهم الحرية من كل شىء كاملة تامة، كما ذكرت آنفًا، والكرامة حق فطرىّ طبعىّ لكل إنسان، بل لكل شىء رعاها الإسلام، واعتبرها مبدأ الحكم، وأساس المعاملة، فلا يجوز إهدار كرامة أحد، ولا إباحة دمه وعرضه، سواء كان محسنًا أو مسيئًا، مسلمًا أو غيرَ مسلم.

إيراد وجواب
وحكمة مشروعية الحدود

وأما الحدود: فكفارات وزواجر، وروادع عن ارتكاب ما يسخط الرب تبارك وتعالى من خلط الأنساب، وسلب الأموال، وإزالة العقل، وإذلال الناس وإخافتهم، وهتك الأمن والأعراض، وقطع الطرق إلى غير ذلك من المفاسد العامة، وفى ارتكابها إهدار للحرية وفساد للعالم، فهى إذًا رحمة وخير من أن يمطروا أربعين صباحًا، قال رسول الله ﷺ: «إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة فى بلاد الله»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى الحدود: باب إقامة الحدود عن ابن عمر رضى الله عنهما، وليس فى روايته جرير بن يزيد، ورواه أيضًا فى نفس الباب عن أبى هريرة رضى الله عنه (ص١٨٥).

يقول الشوكانى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أخرج نحوه الطبرانى فى "الأوسط" من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعًا بلفظ «وحد يقام فى الأرض بحقه أزكى من مطر أربعين صباحًا».

قال فى "مجمع الزوائد": وفى إسناده زريق بن السخت، ولم أعرفه، وفى حديث أبى هريرة المذكور فى الباب عند ابن ماجة والنسائى جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى، وهو ضعيف منكر الحديث (نيل الأوطار: ج٧ ص٦٣)، ورواية أبى هريرة رضى الله عنه عند النسائى: فى الحدود، الترغيب فى إقامة الحدود فيها "ثلاثين صباحًا"، وفيها "أربعين ليلة" (ج٢ ص٢٥٦).

وفى رواية النسائى : «ثلاثين صباحًا» و فى "المسند" : «حد يعمل فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحًا»[١]، وفى رواية عنده «حدٌّ يقام فى الأرض خير للناس من أن يمطروا ثلاثين أو أربعين صباحًا»[٢].

وما أروع وأكرم إعلان القرآن الكريم لمبدأ الإنسانية فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الإسراء : ٧٠) وقوله عزّ وجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرت : ١٣).

وما أعزّ وأغلى قول الرسول الكريم ﷺ فى مستوى البشرية أمام القانون الإلهى «كلكم بنو آدم وآدم من تراب»[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم» وقوله ﷺ فى استواء الحقوق البشرية أمام الوضع الإلهى : «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٤] -وقد أعاذها الله من ذلك- .

---

(١) المسند : ج٣ ص١١٨ .

(٢) المسند : ج٣ ص٤٨، وأخرج نحوه السرخسى فى الحدود و (المبسوط : ج١٦ ص٧٦).

(٣) روى البزار عن حذيفة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» ثم قال : لا نعرفه من حذيفة رضى الله عنه إلا من هذا الوجه (ابن كثير : ج٤ ص٢١٧) .

(٤) أخرجه البخارى فى مواضع من كتابه ، وذكر قصة المخزومية فى السرقة التى شفع فيها أسامة رضى الله عنه فى باب قبل المناقب (ج١ ص٤٩٤) .

وفى المناقب : باب ذكر أسامة رضى الله عنه (ج١ ص٥٢٨) ، وفى الباب الثانى بعد مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح (ج٢ ص٦١٦) ، وفى باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع ، وباب كراهية الشفاعة فى الحدود إذا رفع إلى السلطان (ج٢ ص١٠٠٣) وأخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٧ ص٦٣ و٢٣٣) وكلها عن عائشة رضى الله عنها .

أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه
وأهمية إقامة الحد عنده

خليفة المسلمين عمر رضى الله عنه كان يعرف أهمية الحد فى إصلاح المعاشرة، فلم يحاب جبلة بن الأيهم الغسانى بجزاء اللطمة، بل قضى عليه بالقصاص، وذلك أن جبلة آخر ملوك الغسانيين أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه مع قومه غسان، وكان يطوف بالبيت ذات يوم، فرأى رجلا جارًا رداءه، فلطمه فتظلّم الرجل إلى عمر رضى الله عنه، فقضى بالقصاص عليه، فقال: أنا أشتريها بألف، فأبى الرجل، فلم يزل يزيد فى الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف، فأبى الرجل إلا القصاص، فاستنظره فأنظره عمر رضى الله عنه، فهرب إلى الروم وتنصّر[1].

وذكر ابن كثير رحمه الله قصة إسلام جبلة فى أيام عمر رضى الله عنه، وقال: فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مزينة بدمشق، فلطمه ذلك المزنى، فدفعه أصحاب جبلة إلى أبى عبيدة رضى الله عنه، فقالوا: هذا لطمه جبلة، قال أبو عبيدة رضى الله عنه: فليطمه جبلة، فقالوا: أو ما يقتل؟ قال: لا، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله بالقود، فقال جبلة: أترون أنى جاعل وجهى بَدَلا لوجه مازنى جاء من ناحية المدينة، بئس الدين هذا، ثم ارتدّ نصرانيًا[2] -والعياذ بالله سبحانه-.

فهذا وذاك لونان من الاستواء أمام القانون الإلهى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٧٩).

وحكى الطبرى رحمه الله فى حوادث سنة ١٣هـ، وكذا ابن كثير رحمه

---

(١) النيسابورى: ج٦ ص١٦٣.

(٢) البداية والنهاية: ج٨ ص٦٥-٦٦.

الله أن هرقل لما سار إلى قسطنطينية فاراً عن المسلمين استخلف منه على أمراء الشام رجلا، يقال له: قبقلار، فأرسل رجلا عربيًا عينًا إلى عسكر المسلمين، فأقام فيهم يومًا وليلة، ثم أتاه، فقال عن المسلمين: فيما قال: "لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم"(١).

الحرية فى حدودها :

وتستجلب الكرامة الحرية، حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية العمل، وحرية القول إلا أن للحرية فى كل ذلك حدًا يقتضيه العقل والشرع ﴿عَسى أن تَكرَهُوا شَيئًا وهُو خَيرٌ لكُم وَعَسى أن تُحِبّوا شَيئًا وهُو شَرٌ لكُم والله يَعلَمُ وَأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وأما الحرية فى كل شىء، وفى كل حال بحيث لا تحد بحد ولا تنضبط بضابط، فليست حرية كرامة حرية إنسانية، بل هى حرية إهانة، وحرية عن الإنسانية، وإعدام للكرامة أصلا، وقد بحثنا عن الكرامة والحرية فيما سبق منا.

أمثلة الحرية فى الدين :

وهاك أمثلة الحرية فى دين الله عزّ وجلّ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لا إكرَاهَ فِى الدين قَد تَبيّنَ الرشدُ مِنَ الغَىّ فَمَن يكفُر بِالطّاغُوت ويُؤمن بِالله فَقَد استَمسَكَ بِالعُروَة الوُثقى لا انفِصَامَ لَهَا وَالله سَمِيعٌ عَليمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٢)، وقال سبحانه: ﴿فَمَن شَاءَ فليُؤمِن وَمَن شَاء فَليَكفُر﴾ (الكهف: ٢٩).

---

(١) تاريخ الطبرى: ج٢ ص٦١٠، ونحوه فى "البداية" (ج٤ ص٧).

أقوال أهل العلم

قال ابن جرير رحمه الله : نزلت هذه الآية فى قوم من الأنصار، أو فى رجل منهم كا ن له أولا د - قد هوّدهم، أو نصّرهم، فلما جاء الله بالإسلام، قالوا : إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، فإذا جاء الله بالإسلام فلنكرهنّهم، فنزلت ﴿لا إكرَاهَ فِي الدين﴾ ، ويقول أيضًا : وقال آخرون : بل معنى ذلك لا يكره أهل الكتاب على الدين، إذا بذلوا الجزية، ولكنهم يقرّون على دينهم(١) .

ويقول ابن كثير رحمه الله : لا تكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام، فإنه دين واضح جليّ دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، ثم ذكر القول الأول الذى ذكره ابن جرير رحمه الله أنها نزلت فى الأنصار.

"أسبق" مملوك عُمر رضى اللّه عنه :

وذكر ابن كثير رحمه الله قصة مملوك عمر رضى الله عنه قال أسبق: كنت فى دينهم مملوكًا نصرانيًا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فكان يعرض على الإسلام فأبى، فيقول : ﴿لا إكراهَ في الدين﴾ و يقول: يا أسبق! لو أسلمت لاستعنّا بك على بعض أمور المسلمين.

---

(١) ابن جرير: ج٣ ص١٠-١١، والروض الأنف ج٢ ص٢٤.

إيراد وجواب

ثم يقول ابن كثير رحمه الله : فالحديث الذى رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حميد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: أسلم، قال: إنى أجدنى كارهًا، قال: وإن كنت كارهًا، فإنه ثلاثى صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبى ﷺ على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هى كارهة، فقال له: أسلم وإن كنت كارهًا، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص[1]، فهذا رسول الله ﷺ لا يكره أحدًا على الإسلام، وكذلك عمر رضى الله عنه لا يكره عبده على الإسلام، بل يرغّبه فيه، وهو يأبى، فيقول: ﴿لا إكرَاهَ فِي الدينِ﴾، وعمر عمر رضى الله عنه أشدّهم فى أمر الله، قال النبى ﷺ: «أشدّ أمتى فى دين الله عمر -رضى الله عنه-»[2]، و "ما دار الفلك على مثل شكل عمر"[3].

ثمامة بن أثال سيد بنى حنيفة :

وسيد بنى حنيفة ثمامة بن أثال لما أسر، وجىء به إلى النبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أحسنوا إساره» وقال له: أسلم يا ثمامة، فيقول: إيهًا يا محمد! إن تقتل تقتل ذا دم، وإن ترد الفداء، فسل ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم قال النبى ﷺ يومًا: أطلقوا ثمامة، فلما أطلقوه خرج حتى

---

(١) ابن كثير: ج١ ص٣١٠-٣١١، وحديث "المسند" عند الإمام أحمد (ج٣ ص٥٤٩ وج٤ ص٢٥).

(٢) البداية: ج٤ ص١٣٨، وفى الطبقات: ج٣ ص٢٩١، ومناقب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (ص٢٨).

(٣) تذكرة الحفاظ: ج١ ص٦.

أتى البقيع، فتطهر فأحسن طهوره، ثم أقبل، فبايع النبي ﷺ على الإسلام[١]، ولم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام وهو مأسور عنده إذ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

أبو سُفيان سيّد مكة:

وقال رسول الله ﷺ لأبي سفيان ليلة الفتح -فتح مكة- فيما قال: «أتشهد أني رسول الله» فقال: إن في النفس بعد من هذا لشيئًا، فتركه النبي ﷺ مأمونًا، ولم يكرهه على الإيمان، وهو في يديه، وهو سيد أهل مكة، وعمر رضي الله عنه قائم ينتظر خروجه من عند رسول الله ﷺ ليقتله، كما قال بعض أهل التاريخ؛ لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

الهرمزان ملك أهواز وتُستر:

وهذا الهرمزان لما أتى به عمر رضي الله عنه، وقد فعل ما فعل من الغدر بعد الصلح، وقتل براء بن مالك ومجزأة بن ثور رضي الله عنهما، لم يكرهه عمر رضي الله عنه على الإسلام، بل تركه على حاله حتى أسلم طوعًا ورضًا من نفسه[٢]، وقد حسن إسلام الهرمزان، وكان لا يفارق عمر رضي الله عنه حتى قتل، فاتّهمه بعض الناس بممالأة أبي لؤلؤة هو وجفينة[٣]، ولم يكرهه عمر رضي الله عنه إذ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

---

(١) سيرة ابن هشام: ج٢ ص٣٦٥، وفي "مبسوط السرخسي بسياق قريب منه (ج١٠ ص٢٥).

(٢) الكامل: ج٢ ص١٦٥ والبداية: ج٤ ص٩٠ والطبري (ج٣ ص١٨٤) في قول بعض.

(٣) البداية: ج١ ص٩٠.

سفانة بنت الحاتم :

وهذه سفانة بنت الحاتم لما أسرت، وجيء بها إلى النبى ﷺ مع الأسارى، فقالت: "يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُن علىَّ مَنَّ الله عليك"، فمَنَّ عليها، ولم يكرهها على الإسلام [1]، إذ ﴿لا إكراهَ فِي الدِّين﴾ لأن اعتناق الإسلام ينبغي أن يكون عن اقتناع قلبى، وعن ثلج صدر، وتشفّ عن اختلاجات مضادّة للإسلام حتى يكون على بصيرة تامّة، ونور نافذ مزيل لظلمات، دين كان فيه ﴿وَلكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نهدِي بِهِ مَن نشَاءُ﴾ (الشورى: ٥٢).

﴿عَلى بَصِيرَةٍ أنا وَمَن اتّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨).

﴿أفَمَن شَرَحَ الله صَدرَه للإسلام فَهُو عَلى نُور من ربّه فَوَيل للقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم من ذِكر الله أولئِكَ فِي ضَلال مبين﴾ (الزمر: ٢٢).

﴿فَمَن يرد الله أن يهديَه يشرَح صَدرَه للإسلام ومن يرد أن يُضلّه يَجعَل صَدرَه ضَيّقًا حَرَجًا كأنّما يَصعّد فِي السمَاء كَذلكَ يَجعَل الله الرجسَ عَلَى الذينَ لا يُؤمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٦).

وحتى لا يكون فيه شبهة للإكراه، وحتى يكون عن حرية كاملة من القلب الحرّ والفكر الحرّ، والقول الحرّ والعمل الحرّ، فيكون حراً فى جميع ذلك، فيبقى له الكرامة الأصلية، إذ هو حق فطرىّ له، وشرعى لا يسلبه عنه إلا ظالم، شخصاً كان أو جماعة، أو دولة أو دستوراً، فلا بد أن يكون عن اختيار حرّ لا سلطان فيه للسيف، ولا إكراه من أحد، وذلك حين يظل العقيدة قائمة فى القلب على الدوام، وفى الحديث: «وكذلك الإيمان إذا دخل بشاشة القلب» [2]، فإن فرضت

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج١ ص٦٤١.

(٢) أخرجه البخارى فى "صحيحه" فى أبواب، فأخرجه فى باب كيف كان بدء الوحى بلفظة «وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشة القلب» (ج١ ص٤-٥).

وأخرجه فى الإيمان فى باب قبل باب فضل من استبرأ لدينه، بلفظة: «وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد» (ج١ ص١٣).

وأخرجه مسلم فى الجهاد: باب كتب النبى ﷺ إلى هرقل (ج٢ ص٩٧)، وأخرجه الإمام

بالإرغام والسطوة سهل زوالها، وضاعت الحكمة من قبولها.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩).

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾ (الإسراء: ١٠٧).

ومن مستتبعات حرية العقيدة ونتائجها حرية ممارسة الشعائر الدينية، لأنا أمرنا بترك الذميّين، وما يدينون، لا يتعدى على كنائسهم، وصوامعهم، وبيعهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وكل ذلك مشروح في دستور المسلمين المسمّى بالفقه، ومذكور في السنة المطهرة، وقضايا الصحابة رضى الله عنهم.

يقول أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا»(١).

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦) إلا أن الشريعة حددت تلك الحرية بحد يقتضيه العقل والأمن العام، وهو أن يكون لباسهم لباسًا امتيازيًا يعرفون بها، ولا يختلطون بالمسلمين خلطًا لا يميزون كما منع المسلمون عن استعمال لباس الذميين الخاصّ بهم لكى يتميّز الفريقان تميّزًا ظاهرًا، كما تميّزوا فى أديانهم.

وكذلك حددت الشريعة مراسمهم الدينية والقومية فى معابدهم، وفيما بينهم بأن لا تكون ظاهرة معلنة لئلا تتسبّب للفساد، ونقض الأمن فى الدولة،

أحمد (ج١ ص٤٣٤)، وأخرجه عبد الرزاق فى "المصنف" (ج٥ ص٣٤٥)، وكلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(١) أخرجه الترمذى فى باب من قتل نفسًا معاهدًا، وقال: فى الباب عن أبى بكرة، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه (ج١ ص١٧٨).

ولئلا تتذرّع لإلف المسلمين عوائدهم، ومراسمهم المختصّة بهم، لئلا يختلط الإسلام بغيره، ولئلا تكون المراسم والعوائد منهم دعوة للسفهاء إلى دينهم، ولئلا تكون ذريعة لإهانة شعائر الإسلام، كما نرى اليوم فى العالم كله يفتخرون، ويتعزّزون بزيّ الكفرة، ولو كانوا فيه عراةً، رجالهم ونساءهم، ويسمّون كل ذلك ازدهاراً وتوسّعًا فى الأخلاق، بل يفتخرون بمحاكاتهم فى الأكل والشرب والبول والتغوّط قائمًا ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٢) ويتشبّهون بهم فى كل أطوارهم فى مآتمهم وأعراسهم وأعيادهم، فلا يعرف مسلم عن غيره، لا فى عاداته، ولا فى لباسه، ولا فى أكله وشربه، ولا فى سيرته ﴿فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾.

وذلك كله لإلفهم لها حتى ظنّوها من الإسلام، ولا أقلّ من أن اعتقدوها غير مخالف للإسلام، والحال أنها مستوردة مستعارة من الكَفَرَة الفجرة، ومخالفة لروح الإسلام "صار المعروف منكراً، والمنكر معروفًا" "كيف بك إذا تركت بدعة قالوا: ترك سنة" "هرم فيها الكبير وشاب فيها الصغير، فاتخذوها سنة"، فيا لله لغربة الإسلام.

وكذلك حددت الشريعة أقوالهم وأفعالهم بما لا يظهر منها استخفاف أمر من أمور الدين، أو استخفاف المسلمين لئلا ينتقض الأمن، فتكن فتنة فى الأرض وفساد كبير.

يقول أبو يوسف رحمه الله فى "الخراج": فصل فى لباسهم: وأن يتقدّم إليهم -العمال- أن لا يترك أحدًا منهم يتشبّه بالمسلمين فى لباسه، ولا فى مركبه، ولا فى هيئته، ويؤخذوا بأن يجعلوا فى أوساطهم الزنارات، وبأن تكون قلانسهم مضربة، وأن يتخذوا على سُرُجهم فى موضع القرابيس مثل الرمانة من الخشب، وبأن يجعلوا شراك نعالهم مثنية، ولا يحذوا على حذو المسلمين، وتمنعوا نساءهم من ركوب الرحال ويمنعوا أن يحدثوا بناء بيعة، أو كنيسة فى المدينة إلا ما كانوا صولحوا عليه، ولا يظهرون الصلبان فى الأمصار.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كتب إلى عامل له، أما بعد: فلا تدعنّ صليبًا ظاهرًا إلا كُسّر ومُحق، ولا يركبنّ يهودى ولا نصرانى على سرج، ليركب على إكاف، ولا تركبنّ امرأة من نساءهم على رحالة، وليكن ركوبها على إكاف، وتقدم فى ذلك تقدمًا بليغًا، وامنع من قبلك، فلا يلبس نصرانى قباء، ولا ثوب خزّ ولا عصب، وقد ذكر لى أن كثيرًا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم، وتركوا المناطق على أوساطهم، واتخذوا الجمام والوفر، وتركوا التقصيص، ولعمرى لئن كان يُصنع ذلك فيما قبلك إن ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة[1].

وكل هذه التحديدات مما يقتضيه العقل السليم والأمن فى العالم ﴿وَمَن يرغَبُ عَن مِلّة إبرَاهِيمَ إلا مَن سَفِهِ نَفسَه﴾ (البقرة: ١٣٠).

وكذلك راعى الإسلام حرية الرأى والنقد والقول فى حدودها، وذلك واضح من مبدأ الإسلام فى تكوين الشخصية الذاتية، والحضّ على صراحة القول والأمر بالمعروف، وعدم إقرار المنكر، والجهر بالقول من دون خشية من أحد أو مخافة لومة لائم، فلا يكون النقد حقًا فقط، بل هو واجب دينى أحيانًا فى ضوء مفاهيم الإسلام، وضرورة الحفاظ على أحكامه؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُم خَيرَ أمّة أخرجَت للنّاسِ تَأمُرُونَ بِالمعرُوف وَتَنهَونَ عَن المنكَر وَتُؤمِنُونَ بِالله﴾ (البقرة: ١١٠) ولقوله سبحانه: ﴿وإذَا قُلتُم فَاعدلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُربى﴾ (الأنعام: ١٥٢) ولقوله عزّوجلّ: ﴿كُونُوا ربّانِيّينَ بِمَا كُنتُم تَعلّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُم تَدرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩).

ولقوله سبحانه: ﴿كُونُوا قَوّامِينَ لله شُهَدَاء بِالقِسط﴾ (المائدة: ٨) وغيرها من الآيات، وقد ذكرت أكثرها فيما سبق من الأبواب، وفى الباب من السنة كثير كالحديث المتفق عليه عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه مرفوعًا: «الدين النصيحة» قيل: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»، وغيره من الأحاديث، وقد مرت منا أكثرها -ولله الحمد-.

---

(١) كتاب الخراج: ص١٣٧-١٣٨.

١- وكقوله ﷺ: «لا تكونوا إمّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن ظلموا فلا تظلموا»(١)

٢- وكقوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر»(٢)، ٣- وكقوله عليه ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(٣)، ٤- وكقوله عليه الصلاة والسلام (فى حديث طويل عن أبى سعيد مرفوعًا): «ما من شىء أفضل من كلمة عدل عند سلطان جائر فلا يمنعن أحدكم اتّقاء الناس أن يتكلّم بالحق إذا رآه أو شهده»(٤)، وكقوله ﷺ: «إن رجلا سأل النبى ﷺ وكان قد وضع رجله فى الغرز أىّ الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر»، رواه طارق بن شهاب(٥).

وسيرة الخلفاء الراشدين فى احترام حق النقد وضرورته خير شاهد، وأصدق حجة وأعدل برهان على إبراز قيمته وأهميته فى الإسلام.

---

(١) أخرجه الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه فى باب البر والصلة: باب الإحسان والعفو، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (ج٢ ص٢٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود عن أبى سعيد رضى الله عنه فى الملاحم: باب الأمر بالمعروف (ج٢ ص٤٤٩).

(٣) أخرجه الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه: باب فضل الجهاد وكلمة عدل عند سلطان جائر، وقال: وفى الباب عن أبى أمامة، هذا حديث غريب من هذا الوجه (ج٢ ص٢٦٤، ومثله عند أحمد فى "المسند" (ج٣ ص٤٩٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى "المصنف" فى باب الأمراء (ج١١ ص٣٤٧).

(٥) رواه النسائى بإسناد صحيح (رياض الصالحين ص١٢٩: باب الأمر بالمعروف)، وأخرجه الإمام أحمد فى "المسند" عن أبى أمامة رضى الله عنه باختلاف يسير (ج٥ ص٤١١ وج٦ ص٣٣٤ و٣٤٢).

نماذج احترام الرأى وحريته

١- سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى أول خطبة من خطبه "يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقوّمونى"(١).

ويقول رضى الله عنه من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ: "إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقوّمونى"(٢).

ويروى ابن كثير رحمه الله فى خطبته هذه زيادة قوله: "إنما أنا مثلكم"(٣)، ويقول فى آخر حياته فى وصيته للمترشّح للخلافة عمر رضى الله عنه: "وإنى لعلى سبيل ما زغت"(٤).

٢- سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه: "أحبّ الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى"(٥)، يقول: "أيها الناس من رأى فىّ اعوجاجًا فليقوّمه، فأجابه أعرابى والله يا أمير المؤمنين! لو وجدنا فيك اعوجاجًا، لقومّناه بسيوفنا، فيقول أمير المؤمنين مغتبطًا: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه إذا اعوجّ".

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: دخلت على عمر رضى الله عنه وهو على جذع فى داره، وهو يحدث نفسه، فدنوت منه، فقلت: ما الذى أهمّك يا أمير

---

(١) الكامل: حوادث سنة ١١ هـ (ج٢ ص١٥، تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص٤٥٠، وروى خطبته عبد الرزاق فى "المصنف" بألفاظ متقاربة (ج١١ ص٣٣٦) والبداية: ج٦ ص٣٠٥).

(٢) الطبرى فى التاريخ: ج٣ ص٤٦٠، الطبقات: ج٣ ص٢١٢ و١٨٣.

(٣) البداية: ج٦ ص٣٠٧.

(٤) كتاب الخراج: ص١٢.

(٥) الطبقات: ج٢ ص٢٩٣، الخلفاء: ص١٣٠.

المؤمنين! فقال: هكذا بيده وأشار بها، قال: قلت: ما الذى يهمك فو الله لو رأينا منك أمرًا ننكره لقومناك، قال: ففرح فرحًا شديدًا، وقال: الحمد لله الذى جعل فيكم -أصحاب محمد ﷺ- من الذى إذا رأى منى أمرًا ينكر قومنى(١).

وقال: أيتها الرعية! إن لنا عليكم حقّ النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير(٢)، وعن الحسن البصرى رحمه الله: إن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: اتّق الله يا عمر فأكثر عليه، فقال له قائل: اسكت فقد أكثرت، فقال له عمر رضى الله عنه: دعه، لا خير فيهم إن لم يقولوا لنا: ولا خير فينا إن لم نقبل، وأوشك أن تردّ على قائلها(٣).

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخصت فى بعض الأمور ما كنتم فاعلين، فسكتوا، فقال: ذلك مرتين، أو ثلاثًا، فقال بشّر بن سعد رضى الله عنه: لو فعلت ذلك لقومناك تقويم القدح، فقال عمر رضى الله عنه: أنتم إذًا، أنتم إذًا(٤).

وعن جرير رحمه الله: أن رجلا ضربه أبو موسى رضى الله عنه عشرين سوطًا، وحلق رأسه فى قصة له، فأتى عمر رضى الله عنه، وأخبره بالقصة، وقال: يرى أبو موسى (رضى الله عنه) أنه لا يقتصّ منه، فقال عمر رضى الله عنه: لأن يكون الناس كلهم على مثل صرامة هذا أحبّ إلىّ من جميع ما أتى علىّ(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى "الزهد" فى كلام عمر رضى الله عنه (ج٨ ص١٥٤)، وذكره الإمام ولى الله الدهلوى فى "قرة العينين" (ص١٠٢).

(٢) المناقب: ص١١٧.

(٣) أخرجه أبو يوسف رحمه الله فى "الخراج" (ص١٣)، وعند الإمام الدهلوى فى "القرة" (ص٨٥).

(٤) أخرجه فى "الكنز" فى الإمارة، وأبو ذر الهروى فى "الجامع" (كر) ج٥ ص٦٨٧.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى التاريخ ما ذكر فى تستر (ج٨ ص٣٣).

والحرية لا تتجزأ فى مفهوم الإسلام، ولا ينفصل جانب الدين عن السياسة المدنية وغيرها، فإن حدث خطأ فى تطبيق أحكام الدين، أو خلل فى خط السياسة الإسلامية، أو مصادرة للحقوق المدنية فى المعاملات الحرة والتصرّفات الشخصية: كان لأى مسلم توجيه النقد فيه للحاكم، وردّه إلى الصواب.

أمثلة نقد رأى الحاكم:

١- كما كان من المرأة التى عارضت سيدنا عمر رضى الله عنه عند ما أراد تحديد المهر لما جعلوا الغلاء فيه مكرمة وفخرًا، حيث قالت له: "ليس ذلك لك يا عمر! قال: ولم؟ قالت: إن الله يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ فقال عمر رضى الله عنه: أصابت امرأة وأخطأ عمر".

وفى رواية: "كل الناس أفقه من عمر -مرتين أو ثلاثًا-"(١)، لما انتقدت عليه رأيه انقاد لها، وكان رأى عمر رضى الله عنه سياسة مبنيًا على مصلحة المعاشرة، وكان صحيحًا، ولكن المرأة هذه أرادت أن تستوعب حق بنت حواء -عليها السلام- الضعيفة المظلومة فى كل دور من أدوار التاريخ من عهد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا إلا فى بعض أدوار التاريخ النيّرة، وقلما يوجد إلا فى بعض أشخاص، وبعض أوقات، وبعض أمكنة، وسيأتى تفصيل مظلوميتها -إن شاء الله-.

فأرادت المرأة المسلمة استيعاب حقها الذى أعطاها الله سبحانه، وإن لم يكن واجبًا شرعيًا، ولم يحد له الشرع فى طرف الزيادة حدًا حتى لا ينقص منه، فسلمه لها عمر رضى الله عنه، بل قال: "كل الناس أفقه من عمر"، وأصابت المرأة وأخطأ عمر، ولم يكن أخطأ، ولكن كان مصلحة سياسية له أثر فى يسر النكاح، وإيراث المودات فى المجتمع، فـ«إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة».

---

(١) أخرجه السيوطى فى "الدرّ المنثور عن عبد الرزاق وابن المنذر (ج٢ ص١٣٣)، وأخرجه العجلونى عن البيهقى فى "كشف الخفاء" (ج١ ص٢٦٩)، وأخرجه ابن كثير فى تفسيره (ج١ ص٤٦٧).

فضائل الفاروق رضى الله عنه :

وعمر عمر فى علمه، وفى شدته فى أمر الله سبحانه، وفى رعبه وقوته، كما روى أبو وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه "لو أن علم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فى كِفّة الميزان، ووضع علم أهل الأرض فى كِفّة لرجح علم عمر رضى الله عنه، وعنه أنه قال: "إنى أحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم"، وعنه أنه قال: "إنى أحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم"، وعنه أنه قال: "أقرأكم أقرئك، كان عمر أعلمنا بكتاب الله وافقهنا فى دين الله"[1]، وكما قال فيه على رضى الله عنه لما رآه قائمًا فى الشمس فى يوم شديد الحر، عليه بُردان أسودان، اتّزر بأحدهما، ولفّ الآخر على رأسه، يعدّ إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال: "هذا هو القوىّ الأمين"[2].

ومن هذا النوع ما أخرجه على المتقى رحمه الله: أنه قدم وفد العراق على أمير المؤمنين عمر، وفيهم أحنف بن قيس، وكان عمر فى يوم صائف شديد الحر، وهو متحجّر بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة، فقال: يا أحنف! ضع ثيابك وهلمّ وأعن أمير المؤمنين على هذا البعير، فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة، فيكفيك هذا، فقال عمر رضى الله عنه: يا ابن فلانة، وأى عبد أعبد منى، ومن الأحنف بن قيس هذا، فإنه من ولى أمر المسلمين، فهو عبد للمسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة[3].

ويقول فيه ابن مسعود رضى الله عنه: إن عمر كان حصناً حصيناً للإسلام، يدخل الناس فيه، ولا يخرجونه، فلما مات عمر رضى الله عنه أسلم الحصن

---

(١) أخرج الروايات ابن الجوزى فى مناقب عمر رضى الله عنه (ص٢٤٧)، والسيوطى فى "الخلفاء" (ص١٢٠-١٢١)، وروى ابن خيثمة الروايتين الأخيرتين فى كتاب العلم (ص١٧-١٨).

(٢) الكامل: حوادث سنة٢٣ هـ(ج٢ ص٢١٣)، وتاريخ الأمم والمللوك (ج٣ ص٢٧١).

(٣) كنز العمال فى المداراة (ج٥ ص٧٦١).

والناس يخرجون منه، ولا يدخلون فيه[١].

٢- أبو وائل قال: جلست إلى شيبة فى هذا المسجد، قال: جلس إلىّ عمر فى مجلسك هذا، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء، ولا بيضاء -أى الكعبة- إلا قسمتها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعل، قال: لمَ؟ قلت: لم يفعله صاحباك، قال: هما المرءان يقتدى بهما[٢]، فهذا عمر ينتقد رأيه شيبة وهو واحد من رعيته، ويسلم له عمر من غير أيما مراء وريث لأنه حقه، وقد راجع إلى الحق فى رأيه.

٣- وعن ثور الكندى رحمه الله: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعُسّ بالمدينة بالليل، فسمع صوت رجل فى بيت يتغنّى، فتسوّر عليه، فقال: يا عدو الله! أظننت أن الله يسترك وأنت فى معصية؟ فقال: يا أمير المؤمنين! لا تعجل علىّ إن كنت عصيت الله واحدة، فقد عصيت الله فى ثلاث، قال: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾، وقد تجسّست، وقال: ﴿وَأتُوا البُيُوتَ مِن أبوَابِهَا﴾، وقد تسوّرت علىّ، وقد دخلت علىّ بغير إذن، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لا تَدخُلُوا بُيوتًا غيرَ بُيوتِكُم حتّى تَستأنِسُوا وَتُسَلّمُوا عَلى أهلِهَا﴾ قال عمر رضى الله عنه: فهل عندك خير إن عفوت عنك، قال: نعم، فعفا عنه وخرج[٣]، رأى عمر رضى الله عنه أن عمله هذا ليس تجسّسًا منهيّا عنه، بل هو من باب السياسة، وإصلاح الناس، فلما نبّهه الرجل، رجع إلى قوله: وعفا عنه.

٤- أبو بكر رضى الله عنه قال لوفد بزاخة وغطفان فى جملة ما قال لهم فى الصلح: وتدون قتلانا ولا ندى قتلاكم، فقال عمر رضى الله عنه: أما قولك: تدون قتلانا فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع أبو بكر رضى الله

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى "مصنفه": باب بيع أمهات الأولاد (ج٧ ص٢٩ وج٧ ص ٢٨٩).

(٢) أخرجه البخارى فى الاعتصام: باب الاقتداء بسنن النبى ﷺ (ج٢ ص١٠٨٠)، وأخرج نحوه فى المناسك: باب كسوة الكعبة (ج١ ص٢١٧).

(٣) أخرجه على المتقى فى "الكنز" فى التجسّس (ج٣ ص٨٠٨).

عنه، وقال عمر رضى الله عنه فى الثانى: نعم ما رأيت[١].

٥- عبيدة السلمانى رحمه الله قال: سمعت عليًا رضى الله عنه يقول: اجتمع رأيى ورأى عمر رضى الله عنه فى أمهات الأولاد أن لا يبعن، ثم رأيت بعد أن يبعن، قال: فقلت له: رأيك ورأى عمر رضى الله عنه فى الجماعة أحبّ إلىّ من رأيك وحدك فى الفرقة، قال: فضحك على رضى الله عنه[٢].

٦- يقول أبو قلابة عن أبى مسلم الخولانى -فى كلام له-: ومثل الإمام للناس كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود، ولا يقوم العمود إلا بأطناب -أو- أوتاد، فكلما نزع وتد ازداد العمود وهنًا، ولا يصلح الناس إلا بإمام، ولا يصلح الإمام إلا بالناس[٣]، فلو لم يوجّه إلى الحاكم النقد فى خطئه القولى أو الفعلى لفسد نظام الدولة، وصار ملكًا عضوضًا وفرعونية وطاغوتية على أن توجيه النقد حق بشرى، وواجب شرعى أحيانًا.

بل أوضح من هذا ما أشاروا به النبى ﷺ فيما لم ينزل فيه وحى من أمور الحرب، وفيما يتعلق بالتجربة عدى الأمور الحربية أيضًا.

١- كما قال الحباب بن المنذر له ﷺ، لما نزل على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة "ألله أنزلك بهذا المنزل أم قصدت الحرب والمكيدة، فقال عليه السلام: بل هو الرأى والحرب»، فقال: يا رسول الله! ليس هذا بمنزل، وإنما نأتى أدنى ماء من القوم، فننزله ونبنى عليه حوضًا فنملئه، ونغور القلب كلها، فنكون قد منعناهم

---

(١) رواه البخارى من حديث الثورى بسنده مختصراً (البداية: ج٦ ص٣٢٣)، وأخرجه فى "الكنز" فى الخلافة فى الباب الأول عن طارق بن شهاب (أبو بكر البرقانى، ق) قال ابن كثير: صحيح، وروى البخارى بعضه (ج٥ ص٥٩٩)، وأخرجه ابن أبى شيبة فى المغازى: خلافة أبى بكر رضى الله عنه مختصراً (ج٨ ص٥٧٤).

(٢) أخرجه عبدا لرزاق فى "المصنف": باب بيع أمهات الأولاد (ج٧ ص٢٩١)، وأخرجه البيهقى فى "السنن": باب الخلاف فى أمهات الأولاد (ج١٠ ص٣٤٨)، وأخرجه على القارى فى "شرح النقاية": فصل فى التدبير والاستيلاد (ج١ ص٧١٥).

(٣) أخرجه عبدا لرزاق فى "المصنف": باب الإمام راع (ج١١ ص٣٢٧).

الماء، فاستحسنه رسول الله ﷺ[(١)].

وفى "ابن هشام" قول رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأى»[(٢)]، وفى "البداية": يقال له -للحباب-: ذو الرأى؛ لأنه أشار يوم بدر[(٣)].

٢- ولما أراد رسول الله ﷺ إعطاء ثُلث ثمار المدينة عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فى غزوة الأحزاب، وبعث إلى السعدين، فذكر لهما ذلك، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله! أمراً تحبّه فنصنعه لك أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئًا تصنعه لنا، فقال: بل شىء أصنعه لكم، فقال له سعد بن معاذ رضى الله عنه: يا رسول الله! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان لا نعبد الله، ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرًى أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا به، وبك نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال رسول الله ﷺ: «أنت وذاك» فتناول سعد بن معاذ رضى الله عنه الصحيفة، فمحى ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا[(٤)].

وفى "ابن خلدون": ثلثا ثمار المدينة[(٥)]، وفى "مبسوط السرخسى رحمه الله

---

(١) ابن خلدون: ج٢ ص٤٢٨، الكامل: ج١ ص٥٢٩، تاريخ الأمم والملوك: ج٣ ص١٤٤، أصول السرخسى: فصل فى بيان طريقة رسول الله ﷺ فى إظهار الشرع (ج٢ ص٩١).

وقال فى "المبسوط": أشار بذلك الرأى أسيد بن حضير رضى الله عنه (ج١٦ ص٧٠) ابن العربى فى "الأحكام" (ج١ ص٢٩٩).

(٢) سيرة ابن هشام: ج٢ ص٦٤.

(٣) البداية: ج٧ ص١٤٧.

(٤) الطبرى: ج٢ ص٢٣٨، الكامل: ج١ ص٥٧٠، ابن هشام: ج١ ص١٩٠-١٩١، البداية: ج٤ ص١٠٦، المبسوط: ج١٦ ص٧٠، وفى "مصنف عبد الرزاق" باختصار (ج٥ ص٣٦٧).

(٥) ابن خلدون: ج٢ ص٤٤١.

وأصوله": نصف ثمار المدينة[١].

٣- وكذلك رأى رسول الله ﷺ فى غزوة أحد، أن يقيم بالمدينة، ويدفع العدو، وهم خارجو المدينة، وكان يكره الخروج إليهم لدواعٍ حربية، وإنما الحرب خدعة، لكن قال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاتهم بدر: يا رسول الله، أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا، فترك رسول الله ﷺ رأيه لرأيهم، ودخل بيته، ولبس لأمته، فندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك[٢].

وفى أسارى بدر يشير عمر رضى الله عنه وابن رواحة رضى الله عنه، كما فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص١٢٧-١٢٨) بغير ما يراه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه كما يذكره أهل السير[٣].

وفى "المسند": عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: استشار النبى ﷺ فى الأسارى يوم بدر، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله! اضرب أعناقهم، فأعرض عنه النبى ﷺ مرتين، وفى الثالثة قال أبو بكر رضى الله عنه: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء[٤].

فهذه نماذج حرمة الرأى وحق النقد، وسيرة أسلافنا وتاريخنا مملوء من آلاف مسألة مثل هذه، وقد كنت كتبت أمثلة لنقد الحكام غير هذه أيضًا، ثم رأيت حذفها لئلا يطول المبحث.

---

(١) المبسوط: ج١٠ ص٨٧، أصول السرخسى: ج٢ ص٩١، ونحوه فى ابن أبى شيبة: غزوة الخندق (ج٨ ص٥٠١)، وذكر القصة الجصاص فى "أحكامه" باختصار (ج٢ ص٤١).

(٢) تفسير ابن كثير: ج١ ص٤٠٠، تفسير ابن جرير: ج ٤ ص٤٦، تاريخ الملوك: ج ٢ ص١٨٩، ابن خلدون: ج٢ ص٤٣٤، البداية: ج٤ ص١٢-١٣.

(٣) مسند الإمام أحمد: ج١ ص٥١ و٥٤، تاريخ الأمم والملوك وج ٢ ص١٦٩-١٧٠، ابن كثير: ج٢ ص٣٢٥.

(٤) المستدرك فى المغازى (ج ٣ ص٢١) ابن كثير: ج٢ ص٣٣٥، الأحكام لابن العربى: ج ١ ص٢٩٨، الأحكام للجصاص: ج٢ ص٤١.

١- وأصرح من هذا فى حرية الرأى ما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه قال: توفى عبد الله بن عمرو بن حرام وعليه دين، فاستعنت النبى ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه، فطلب النبى ﷺ فلم يفعلوا، وفى بعض طرق الحديث أن الدين كان ثلاثين وسقًا من تمر وكان ليهودى فلم يقبل شفاعة النبى ﷺ[1].

٢- ومعاذ بن جبل رضى الله عنه أتى النبى ﷺ يطلب له أن يسأل له غرماءه أن يضعوا له فأبوا، فلو تركوا لأحد تركوا لمعاذ رضى الله عنه لأجل النبى ﷺ[2].

٣- قصة بريرة رضى الله عنها وفسخها نكاحها بعتقها، وكان زوجها مغيث يبكى لها وشفاعة النبى ﷺ له إليها وإباءها مشهورة، وكل ذلك لما لم يكن من النبى ﷺ أمر حتمى، وإنما كانت منه مشورة، فكان المستشار عليه حرًا مالكًا لأمره ومختارًا فى عمله ورأيه.

ابن عباس رضى الله عنهما قال: رأيته -أى زوج بريرة رضى الله عنها- عبدًا، وعنه قال: ذاك مغيث عبد بنى فلان يعنى زوج بريرة رضى الله عنها كأنى أنظر إليه يتبعها فى سكك المدينة يبكى عليها[3]، وعنه كان زوج بريرة رضى الله عنها عبدًا أسود يقال له: مغيث، كأنى أنظر إليه يطوف خلفها، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبى ﷺ: يا عباس! ألا تعجب من حب مغيث لبريرة رضى الله عنها وبغض بريرة مغيثًا، فقال النبى ﷺ: لو راجعتيه، قالت: يا رسول الله تأمرنى؟ قال ﷺ: أشفع، قالت: فلا حاجة لى[4]، وبريرة رضى الله عنها هى مولاة عائشة رضى الله عنها.

---

(١) أخرجه البخارى فى أبواب من "جامعه": باب الكيل على البائع (ج١ ص[illegible])، باب الشفاعة فى وضع الدين (ج١ ص٣٢٤)، باب إذا قاص أو جازفه فى الدين فهو جائز (ج١ ص[illegible])، وأحمد فى "المسند" (ج٤ ص٢٥٢).

(٢) كنز العمال فى الخلافة (عب وابن راهويه) (ج٥ ص[illegible]).

(٣) أخرجه البخارى فى الطلاق: باب خيار الأمة (ج٢ ص[illegible]).

(٤) البخارى: باب شفاعة النبى ﷺ فى زوج بريرة رضى الله عنها (ج٢ ص[illegible]).

٤- وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ، فقال: "إن لفلان فى حائطى عذقًا، وإنه قد آذانى وشق علىّ مكان عذقه، فأرسل إليه النبى ﷺ، فقال: بعنى عذقك الذى فى حائط فلان، قال: لا، قال: فهبه لى، قال: لا، قال: فبعنيه بعذق فى الجنة، قال: لا، فقال النبى ﷺ: ما رأيت الذى هو أبخل منك إلا الذى بخل بالسلام"(١).

لم يكن منه ﷺ أمر حتمىّ لصاحب العذق، وإنما كان الأمر مشورة، فلم توافقه فى الوقت الراهن، ولم يحكم عليه النبى ﷺ إلا أنه ذكر بخله فى إكرام أخيه المسلم صاحب البستان.

فهذه أوضح خطط لحرية الرأى، ونقده من غير إيماء خفاء، والتواء من النبى ﷺ، ومن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، وفى كتب تاريخنا وسيرتنا آلاف من الأمثلة لذلك، وهذه هى الجمهورية حقًا، والحرية الكاملة والكرامة الثمينة الغالية التى لا توجد عند أحد من مدعى الجمهورية فى العالم كله ﴿وَمَا عِندَ اللهِ خيرٌ وأبقى أَفَلا تَعقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠).

﴿وَعَسى أن تَكرَهُوا شَيئًا وهُو خيرٌ لكُم وَعَسى أن تُحِبّوا شَيئًا وهُوَ شَرٌ لكُم واللهُ يَعلَمُ وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

فهل فى العالم كله أحد ممن يدعى الجمهورية، ويصفها ويرجحها على كل شىء من النظريات أن يأتينا بمثل الجمهورية الإسلامية هذه، والحرية هذه، والكرامة هذه، كلا! وأما ما دام السعدان مستلقيًا فلا، وما دامت السماوات والأرض فلا ﴿فَمَالِ هؤلاءِ القَومِ لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ حَديثًا﴾ (النساء: ٧٨).

﴿فَمَاذَا بَعدَ الحَقِّ إلا الضّلال﴾ (يونس: ٣٢).

ولما أفضى الكلام بنا إلى هذا، فلنكتب عن كلمة الشورى، وما يتعلق بها، وعن معنى السياسة وما يلحق بها، فأقول -بحمد الله عزّ وجلّ-:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٤ ص٢٧٧).

المشورة

المشورة والاستشارة: إخراج ما عند الغير من الرأى وطلبه، يقول سيدنا على رضى الله عنه: "والاستشارة عين الهداية، وقد خاب من استغنى برأيه"(١).

الإمام السرخسى رحمه الله: المشورة تلقيح العقول - من الحزم أن تستشير ذا رأى ثم تطيعه(٢)، وهى من أهمّ أمور الدين إذ بها يتجلّى جميع جوانب ما يستشار فيه، وقد مدح الله المؤمنين بالمشاورة فى أمورهم، فقال عزّ من قائل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨).

يقول الجصاص رحمه الله فى تفسير الآية: يدل على جلالة موقع المشورة لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة، ويدلّ على أنا مأمورون بها(٣).

وقال الله تعالى فى فطام الصبى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ...﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وأمر بها النبى ﷺ فى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ٥٩).

١- ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أما إن الله ورسوله لغنيّان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتى فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غيّاً».

٢- وعن الحسن رحمه الله أنه قال: إنه ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد

---

(١) تفسير الخازن: ج١ ص٣٦٨.

(٢) أصول السرخسى: ج٢ ص٩٤.

(٣) أحكام القرآن: ج٣ ص٣٨٦.

أمرهم [1]، وعنه أنه قال: قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستنّ به من بعده [2].

٣- وقال الإمام الشافعي رحمه الله: قال الحسن رحمه الله: إن كان النبي ﷺ لغنياً عن مشاورتهم، لكنه أراد أن يستنّ بذلك الحكام بعد إذ أنزل بالحاكم الأمر يحتمل وجوهاً، أو مشكل انبغى له أن يشاور [3].

وقال السيوطي رحمه الله: وكان عمر رضي الله عنه يشاور حتى المرأة [4].

أقوال حملة العلم

١- الثعالبي رحمه الله عن ابن عطية رحمه الله: ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا خلاف فيه وصفة المستشار في الأحكام أن يكون عالماً دينيّاً، وقلّ ما يكون ذلك إلا في عاقل.

قال الحسن بن أبي الحسن رحمه الله: ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله [5].

٢- الشوكاني رحمه الله والقرطبي رحمه الله: قال ابن خويز منداد رحمه الله: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدنيا، ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بمصالح العباد وعمارتها.

---

(١) البحر المحيط: ج٧ ص٥٢٢، الدر المنثور: ج٢ ص٩٠.

(٢) روح المعاني: ج٤ ص١٠٦، وذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما (السيوطي رحمه الله في "الدرر" ج٢ ص٩٠).

(٣) كتاب الأم: ج٧ ص٩٥، مختصر المزني: ص٢٩٩، والبيهقي في "السنن" في النكاح: باب ما أمر الله تعالى من المشاورة (ج٧ ص٤٥-٤٦).

(٤) الدر المنثور: ج٢ ص٩٠.

(٥) الجواهر الحسان: ج١ ص٣٢٧.

وحكى القرطبى رحمه الله عن ابن عطية رحمه الله: أنه لا خلاف فى وجوب عزل من لا يستشير أهل العلم والدين[(١)].

٣- أبو حيان: وذكر ابن عطية أن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين، فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه، والمستشار فى الدين عالم دَيِّن، وقلّ ما يكون ذلك إلا فى عاقل.

وقال الحسن رحمه الله: ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله.

وفى الأمور الدنيوية عاقل مجرب وادّ فى المستشير -انتهى كلام ابن عطية-[(٢)].

٤- أبو حيان رحمه الله: وفى الشورى اجتماع الكلمة والتحابب والتعاضد على الخير، وقد شاور رسول الله ﷺ فيما يتعلق بمصالح الحروب والصحابة رضى الله عنهم بعده كمشاورة عمر رضى الله عنه الهرمزان، وفى الأحكام كقتال أهل الردة وميراث الحربى، وحدّ مُدمِنِى الخمر وغير ذلك[(٣)].

٥- ابن العربى رحمه الله: المسألة الثالثة: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا، والمسألة الرابعة: مدح الله المشاور فى الأمور، ومدح القوم الذين يتمثّلون بذلك، وقد كان النبى ﷺ يشاور أصحابه فى الأمور المتعلقة بالحروب، وذلك فى الآثار كثير، ولم يشاورهم فى الأحكام[(٤)].

٦- أخرج ابن جرير رحمه الله وابن المنذر رحمه الله وابن أبى حاتم رحمه الله عن قتادة رضى الله عنه فى قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ قال: أمر الله نبيه أن

---

(١) فتح القدير: ج١ ص٣٩٤، القرطبى باختلاف يسير (ج٤ ص٢٥٠).

(٢) البحر المحيط: ج٣ ص٩٩.

(٣) البحر المحيط: ج٧ ص٥٢٢.

(٤) أحكام القرآن: ج٤ ص١٦٦٨، تفسير آية الشورى (٣٨)، ومثله فى تفسير آل عمران (ج١ ص٢٩٧).

يشاور أصحابه فى الأمور، وهو يأتيه وحى السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً، وأرادوا بذلك وجه الله، عزم لهم على رشده.

٧- وأخرج ابن أبى شيبة رحمه الله وابن جرير وابن أبى حاتم عن الضحاك رحمه الله قال: "ما أمر الله نبيه بالمشاورة إلا لما علم فيه من الفضل والبركة" قال سفيان رحمه الله: "وبلغنى أنها نصف العقل".

٨- وأخرج ابن أبى شيبة رحمه الله وابن جرير رحمه الله وابن أبى حاتم رحمه الله وابن المنذر رحمه الله عن الحسن رحمه الله قال: «ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم.

١- وأخرج الطبرانى فى "الأوسط" عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خاب من استخار وما ندم من استشار»[١].

٢- وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن»[٢].

٣- وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه»[٣].

٤- وعن سمرة رضى الله عنه: «المستشار مؤتمن إن شاء أشار وإن شاء

---

(١) الدر المنثور: ج٢ ص٩٠.

(٢) أخرجه الترمذى (ج١ ص٣٣٩) فى الأدب، باب ما جاء أن المستشار مؤتمن، وقال: وفى الباب عن ابن مسعود رضى الله عنه وأبى هريرة رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنه، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه أبو داود (ج٢ ص٣٥١) فى الأدب باب فى المشورة، وأخرجه ابن ماجة (ص٢٧٤) فى الأدب، وأخرج مثله عن ابن مسعود فى نفس الباب، ورمز له السيوطى فى الجامع (ج٢ ص١٨٦ بالضعف).

(٣) أخرجه ابن ماجة فى نفس الباب: ٢٧٤.

لم يشر»(١).

٥- «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه»(٢) (طس عن على رضى الله عنه.

٦- وعن عمر رضى الله أنه قال: "استشر فى أمرك الذين يخشون الله"(٣).

النتائج:

يستفاد مما ذكرت حقيقة الشورى وأهميتها، وفيما تكون المشورة وما ذا على المشير، وما ذا على المستشير، وهاك بعض التفصيل.

١- الشورى: استخراج الرأى، واجتماع الكلمة وتعاضد أهلها، واتفاقهم على أمر فى الغالب، وإنه لم يتفقوا على أمر، فلها صور، ولها أحكام، ستأتى إن شاء الله تعالى.

٢- أهميتها: الاستشارة عين الهداية إذا كانت عن أهل، وقد خاب من استغنى برأيه، الاستشارة رحمة للأمة، فمن استشار لم يعدم رشداً، ومن لم يستشر لم يعدم عياً، ومن استشار هدى لأرشد الأمور، وذكرها الله تعالى مع الإيمان والصلاة، والاستشارة توضح جوانب المسألة، فهى استنارة، وفيها الاستنان بالنبى ﷺ وبالصحابة رضى الله عنهم، وفيها إذا أرادوا بها وجه الله العزم من الله لهم على أرشد الأمور، وفيها الفضل والبركة، وهى نصف العقل، وفيها أنه لا يندم من استشار، وغيرها من الفوائد.

٣- المستشير: هو كل من نابه أمر، ولم يكن فيه عنده علم، دينيًا كان أو دنيويًا، انفراديًا كان أو اجتماعيًا، إلى غير ذلك من الصور كما كانت فى كُلّ من

---

(١) أخرجه السيوطى فى "الجامع" (طب)، ورمز له بالصحة (ج٢ ص١٨٦).

(٢) الجامع الصغير: ج٢ ص١٨٦، الحسن عن على رضى الله ورمزله بالحسن.

(٣) ابن أبى شيبة فى "الزهد" (ج٨ ص١٤٧ و١٥٢).

تلك الصور عن النبى ﷺ، وعن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم.

٤- المشير: هو أمين، إن كان عنده فى الأمر علم وفهم فليخبره، وإلا فليقل: "لا علم لى به، واستشر غيرى" وليكتم عليه أمره إن كان المستشير يحب كتمانه، إذ هو أمين، وقال الله تعالى: ١- ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَه وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّه﴾ (البقرة: ٢٨٣).

٢- ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

٣- ﴿لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

٤- ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٢٨) وغيرها من النصوص.

٥- صفات المستشار:

فيجب أن يكون فى المشير صفات: أن يكون أمينًا، وادًا فى المستشير، عالمًا بما يستشار فيه، مخلصًا لله، أهلا، متّقيًا، عدلا، ففى الأمور الدينية العامة يكون عالمًا لا غير -رجلا- إلا فى ما يتعلق بالمرأة، فتستشار فيها لا فى غيره، وفى الأمور العسكرية الجهادية يستشار أمراء الجنود، ومجربى الأمور العسكرية، وفى الأمور الدنيوية يستشار العاقل المجرب، وكذلك فى كل ظرف من الظروف يستشار من كان أهلا لها لا غير، «استعينوا فى كل أمر بصالح أهله»، (والاستعانة بغير أهل الثقة هلاك العامة).

فى ما ذا تكون الشورى؟:

وأما ما يحتاج فيه إلى المشورة، فهو كل نائبة، لا نص فيها، ولا فيها عمل الصحابة رضى الله عنهم، ولا عمل لأهل العلم رحمهم الله.

٦- حكم الشورى

فإن اتفق أعضاء الشورى الأهلون على أمر لم يكن فيه نصّ، ولا يكون مخالفًا للنصّ، فلا يكون لأحد منهم خلافه، وكذا إذا كان مع واحد منهم نصّ، وليس مع الآخرين، فلا يجوز خلافه، إذ لا كلام لأحد مع النصّ، وليس لأحد اتباع غير سبيل المؤمنين والحالة هذه.

وإن اختلفوا وليس فيه نصّ موافق، ولا مخالف، فقد يرجح رأى المجرب، وقد يحكّم رأى الصلحاء، وقد يحكّم رأى الأكثرين، والخيرة فى الترجيح للأمير ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وهذا هو الحق -إن شاء الله-.

عن على رضى الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن العزم، فقال: مشاورة أهل الرأى، ثم اتباعهم[(١)]، وهذه الرواية تفسير للآية مرفوعًا، فهو الأولى.

ولو لم تكن الاستشارة للعمل بها، فأيّة فائدة فيها، نعم إذا كان الأمير ارتأى معهم، وخالف رأيه رأيهم، ولكل رأى محض لا مرجح مع واحد جاز للأمير أن يعزم على رأيه وحده، وأما رسول الله ﷺ فلا كلام لأحد معه.

أمثلة ترجح رأى على رأى

١- رجّح رسول الله ﷺ رأى حباب بن المنذر رضى الله عنه، وقد نزل رسول الله ﷺ منزلا أدنى من المدينة، لما كان لرأى الحباب رضى الله عنه مرجح "فإن الحرب خدعة".

٢- ورجح رأى الأكثرين فى الخروج إلى أحد مع أن رسول الله ﷺ رأى فيه

---

(١) أخرجه ابن مردويه (الدر المنثور: ج٢ ص٩٠) ابن كثير: ج١ ص٤٢٠.

رؤياه، وتأولها بما تأولها، وعلم أن المدينة حصينة، ولكن رجح رأيهم لما رأى من حبّهم الشهادة، وإظهارهم الشجاعة.

٣- ورجح رأى السعدين رضى الله عنهما فى ترك مصالحة بعض الأحزاب على شطر ثمار المدينة ليخذلوا عنهم الأحزاب؛ لأنها إنما كانت لهم إذ العرب رموهم عن قوس واحدة، ولكن لما رأى بسالتهم أعرض عنها، ورجح رأيهم على رأيه ﷺ لمرجح عنده.

٤- وأما أن يرجح رأى الصلحاء فلان فى رأيهم زيادة بركة، والغالب عليه الصحة، ولذا أوصى به عمر رضى الله عنه بقوله: "استشر فى أمرك الذين يخشون الله"، وقال فى أهل الشورى الستة عند وفاته: "فإن رضى ثلاثة رجلا منهم، وثلاثة رجلا منهم، فحكّموا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، فأى الفريقين حكم له، فليختاروا رجلا منهم، رجّح رأى عبد الله ابنه؛ لأنه لم يكن له من أمر الخلافة شىء، وكان أخشى لله عزّ وجلّ فحكّمه إن رضوا به".

وقال: وإن لم يرضوا بحكم عبد الله، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه؛ لأن عمر رضى الله عنه علم منه أنه لا يختار الخلافة، ولا يتولاها وهو صالح خير مثلهم، فرجح رأيه وقت الاختلاف بينهم.

٥- وأما الترجيح بالكثرة فكما قال عمر رضى الله عنه فى أهل الشورى: "فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد، فاشدَخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة ورضوا رجلا منهم، وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فرجح رضى الله عنه رأى الأكثرين، وهم كل واحد منهم أهل للخلافة، كما رجح رسول الله ﷺ رأى الأكثرين فى الخروج إلى أحد، ولها نظائر كثيرة فى سير الصحابة رضى الله عنهم سيأتى بعضها فى بحث الانتقاء -إن شاء الله سبحانه-.

٦- وأوصى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أمراء الجنود باستشارة خالد ابن الوليد رضى الله عنه وأبى عبيدة ونعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وسعد ابن أبى وقاص رضى الله عنهم لأنهم كانوا مجربين فيها، واستشار عمر رضى الله

عنه الهرمزان فى الحرب، و عمل بما أشار به الهرمزان، وكل هذه مشهورة واضحة فى تاريخنا.

٧- واستشار عمر رضى الله عنه أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها فى مدة صبر المرأة عن زوجها، فقالت: ستة أشهر، أو أربعة أشهر[١].

فرض المستشير بعد المشورة

ينبغى للمستشير حاكمًا أو غيره أن يختار فى الآراء أصوبها وأوفقها بالحالة الراهنة إن لم يكن له رأى، وإن كان له رأى يسوغ له أن يعمل برأيه، ويترك الآراء، إذا لم يكن لها مرجح، فإذا عزم فليتوكّل على الله سبحانه، لا على رأيه، ولا على رأى الأكثرين، إذا الأمر كله لله سبحانه، وليس للخلق من الأمر شىء.

ولنطبق أحكام الشورى الإسلامية على الشورى الغربية البرلمانية الجمهورية الشائعة فى العالم كله، فنرى الشورى هذه ضد الإسلام؛ لأنه ليس من الضرورى فى عضوية الشورى الإسلامية أن يكون العضو عضواً دائمًا إلى خمس سنوات، وفى كل مسألة ونائبة إذا كان فى عزله مصلحة، هذا إذا كان أهلا.

وأما إذا كان غير أهل وغير وادّ للدولة، وغير مخلص لها وللأمة الإسلامية، وخائنًا فى دين الله ورسوله، وخائنًا فى حقوق الأمة غير مخلص لله، وفى دين الله غير مجرب فيما يستشار فيه، غير متّقٍ، وغير عالم بالمسائل الدينية إلى غيرها من الصفات اللازم عدم وجودها فى عضو الشورى، فلا يكون عضواً لشورى المسلمين أبداً، وإن صات له ملايين من الناس إذا الأهلية شرط فى كل ولاية ومنصب، ونرى عضو الشورى فى باكستان اليوم يستقرض لنجحه أموالا فى الانتقاء، ليس له شىء، ثم نراه بعد حول له مزارع ومصانع وسيارات وفنادق

---

(١) ذكر القصة ابن كثير عن الإمام مالك رحمه الله فى "موطئه" (ج ١ ص٢٦٩)، ولها قصة ذكرها أهل التفسير والحديث والتاريخ والسير.

وقصور عالية فى بشاور وإسلام آباد، وفى الأقطار التفريحية السياحية النزهية الصيفية أو الشتوية، وعنده فى البنوك آلاف من الدولارات، وله بيوت ومنازل فى الدول الخارجية، وكل ذلك بمرأى ومسمع أهل باكستان وأرباب المناصب، فهذه حالهم فى الأمانة، وأما ودّهم المسلمين وودّهم باكستان، فهذا كتسمية الشيء بضده.

أكثرهم أوداء الدولة الخارجة الكافرة ينصرونها ما أمكن منهم جهاراً من غير أيما حياء وخفاء، وأكثرهم غاشون لأصحابهم وأحبابهم ورجال انتقاءهم، وأما الأهلون منهم فقليل ما هم، وأما الخدع والكذب فهو دينهم وسياستهم ﴿يُخادِعُونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا وَمَا يَخدَعُونَ إلا أنفُسَهُم وَمَا يَشعُرُونَ. فى قُلُوبِهِم مَرَض فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ولَهُم عَذابٌ أليمٌ بِما كَانُوا يَكذِبُونَ﴾ (البقرة: ٩-١٠).

الانتقاء

وأما الانتقاء فهو كما مرّ لغةً: الاختيار والاصطفاء بين أمرين، أو أمور لفائدة راجحة فى الوقت الراهن للمختار، أو المختار لهم.

وأما اصطلاحاً فى الجديد من العرف: فهو اختيار أحد من المترشّحين لركنية البرلمان، ووضع القوانين للمملكة، أو المترشّحين لبعض أمور إدارية فى المملكة لمدة محدودة ينعزل بانتهاءها، وإن لم يوجد داع له آخر، وهذا الانتقاء ضد الإسلام، وتشريع ما لم يأذن به الله سبحانه بوجوه، ولم تترك الشريعة أمراً من أمور المسلمين إلا بينتها إما تفصيلا وإما إجمالا.

أما أولا: فلأن القوانين الوضعية الكفرية جارية سارية ظاهرة فى العالم كله، ويكون الانتقاء وفق تلك القوانين التشريعية من عند غير الله سبحانه، فإذا انتصب أحد للانتقاء وفق تلك القوانين، فقد استسلم لها وانقاد وكذا من يصوّت له، ويستسلم وينقاد للكفر، وليس على أحد أيّ إكراه فى ذلك، بل كل ذلك يكون

رضا وطوعًا، فيخرج كل واحد منهم من ربقة الإسلام وينكر عملا قول: "لا إله إلا الله" إذ الشرط ﴿فَمَن يَكفُر بالطاغُوت وَيُؤمِنُ بالله﴾ وهو قد آمن بالطاغوت وكفر بالله، وآمن بإله غير الله، وأنكر "لا إله إلا الله" ﴿وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا فَعَلَيهِم غَضَبٌ مِنَ الله وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُم استَحَبّوا الحَيَاةَ الدنيَا عَلَى الآخرَةِ وَأَنَّ الله لا يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِم وَسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم وَأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ. لا جَرَمَ أَنَّهُم فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ (النحل: ١٠٦ إلى نهاية ١٠٩).

ومن آثار الطبع على القلوب والسمع والأبصار إنهم يسمّون الكفر إسلامًا، ويسمّون الانتقاء الكفرى انتقاء إسلاميًا، ويستدلون للانتقاء الكفرى المستورد بانتقاء عمر وعثمان رضى الله عنهما، فيا ليتهم قنعوا بكفرهم ولم يحرفوا المفاهيم الشرعية، وهذا كما استدل إنسان بجواز البيع لجواز الربا، وبجواز شرب النبيذ لجواز شرب الخمر، وغير ذلك، والله لقد فعلوا، يستحلّون الحر والحرير والخمر، ويسمونها بغير اسمها ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾ قلبوا الحقائق الشرعية، وحرفوا المفاهيم الدينية، وطمعوا فى أمر ليسوا له بأهل، فأباد الله خضراءهم، وقلع آثارهم، و لا ترك على الأرض منهم دياراً.

وأما ثانيًا: فلأن كل من انتصب للانتقاء يصف نفسه ويزكّيها، وقال رسول الله ﷺ: «إنا لا نولّى أمرها هذا من طلبه»[1]، وقال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن ابن سمرة رضى الله عنه فى حديث: «لا تسأل الإمارة»، وسيأتى مفصّلا -إن شاء الله- ، وثالثًا: لا يكون المنتصب أهلا فى الشرع، وفيه مفاسد أخرى، ستأتى مفصّلة.

(١) أخرجه البخارى فى الإمارة: باب من سأل الإمارة وكّل إليها (ج٢ ص١٠٥٨)، وأخرجه مسلم فى الإمارة: باب النهى عن طلب الإمارة (ج٢ ص١٢٠)، وأخرجه النسائى: باب النهى عن مسألة الإمارة (ج٢ ص٣٠٣).

خطط الانتقاء فى الإسلام

وللشريعة طريقة خاصّة فى اصطفاء الخليفة والوزير والوالى والقاضى والحاكم والمحتسب، وأعضاء الشورى وغيرهم، والأصل فى كل ذلك أن كل ولاية ولو بين اثنين، إنما تستحق بالأهلية لها فى أى عمل كان دون الوراثة والنسب والشهرة والغناء وغيرها ﴿إنّ اللهَ يَأمُرُكُم أن تُؤدّوا الأمَانَات إلى أهلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

﴿وَيُؤت كلُ ذِى فَضل فَضلَه﴾ (هود: ٣).

﴿وَزَادَه بَسطَةً فِى العِلمِ وَالجِسمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

«واستعينوا فى كل أمر بصالح أهله» «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

فإذا وجد الأهلَ والأصلح لأمر من أمور المسلمين، وفوض الأمر إلى من ليس له أهلا ولا أصلح، فقد خان المفوض والمفوض إليه الله سبحانه وخان رسوله، وخان الناس عامة.

﴿إنّ اللهَ لا يُحِبّ الخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

﴿إنّ اللهَ لا يَهدِى كَيدَ الخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢).

﴿يَا أيّهَا الّذِيْنَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرّسُولَ وَتَخُونُوا أمَانَاتِكُم وَأنتُم تَعلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

﴿وَلا تكُن لِلخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥).

فلا يسعه قبول التولية فى ذلك، وإن فوض إليه، وكلاهما خائنان، فكيف يسع له طلب الرئاسة فيه، إذ هو تعدّ عن طوره، وتجاوز عن حده ﴿تِلكَ حُدُودُ اللهِ فلا تَعتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٢٩).

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق : ١) .

فإذا لم يكن أهلا لمنصب، فلا يسعه الطلب، ولا القبول إن فوض إليه، إلا إذا كان أصلح من غيره، ويستعين بغيره بالمشورة والاستفتاء إن كان الأمر دينيا، وينفذ حكمه إن لم يخالف الكتاب والسنة والإجماع، وقضايا الصحابة رضى الله عنهم واجتهاد الأئمة رحمهم الله، و إن تولى بطلب منه صح تقلّده، ويكون عاصيًا، وقد مرّت الأحاديث منّا فى باب من استعمل على عمل غير أهله.

يقول النبى ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه -وهو أهل للإمارة- : يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها»[1].

أما إذا كان أهلا لأمر، فهل يسعه الطلب أم لا؟ وهل يتحتّم عليه القبول إن فوض إليه أم لا؟ وإذا حصّل الولاية بشفاعة أو رشوة، فما ذا حكمها؟ وإن كان أهلا، أو أصلح من غيره، ولم يكن غيره أهلا، أو أصلح، فهل يتحتّم عليه القبول إن طلب، أو الطلب إن لم يُطلب أم لا، صورٌ، ولها أحكام سنفصّله فيما يأتى إن شاء الله سبحانه.

أما إذا كان أهلا لما يفوض إليه، وهو أمر دينى، فإن ظن إن لم يدخل فيه تولاه من ليس بأهل له، فيفسد فى الأرض، فإن طلب لذلك فى غير طلب منه، فينبغى له أن يتولاه، وإن تيقّن بالفساد إن امتنع يجب عليه القبول، إذا تعين لذلك، وكان غالب ظنّه أنه لا يفسد حاله إذا تولاه، وللحاكم إن كان، وإلا فللمسلمين إجباره؛ لأن الناس مضطرون إلى إحياء حقوقهم، ولا يكون إلا بالوالى.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا: "لا بد للناس من إمارة برة أو فاجرة، فأما البرة فتعدل فى القسم وتقسم بينكم فيئكم بالسوية، وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن، والإمارة خير من الهرج قيل: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال:

---

(١) هو حديث البخارى ومسلم والنسائى المذكور سابقًا.

القتل والكذب»[١].

وإن لم يطلب والحالة هذه جاز له الطلب، وقد يتحتّم عليه، إذ الدين النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما مرّ منا من قبل من حديث تميم الداري، وكذا عن جرير رضى الله عنهما.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَحسِنُوا إن الله يُحبّ الـمُحسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، والنصيحة لله سبحانه إنما يكون بإظهار دينه على الدين كله علماً وعملاً، والنصيحة لكتاب الله إنما هو بإقامته وإجراء أحكامه، والعمل به والقضاء به ﴿وَمَا اختَلفتُم فِيهِ مِن شَيء فَحكُمهُ إلَى اللهِ﴾ (الشورى: ١٠) وقال: ﴿قُل يَا أهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَيء حتّى تُقيمُوا التورَاةَ والإنجِيلَ وَمَا أنزِلَ إلَيكُم من ربّكُم وَلَيَزِيدَنّ كَثِيراً منهُم مَا أنزِلَ إلَيكَ من ربّكَ طُغيَانًا وكُفراً فَلا تأسَ عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨).

يقول الراغب رحمه الله: أى توفون حقوقها بالعلم والعمل[٢].

والنصيحة لرسوله ﷺ إنما هو باتباعه، والنصيحة لأئمة المسلمين إنما هو معاونتهم على البرّ، وإرشادهم إلى الحق قولا وعملا، والنصيحة لعامتهم إنما هو بإيصال حقوقهم إليهم، وأخذ حق الضعيف عن القوىّ، وهذه النصيحة هى العدل والإحسان الذى قال الله سبحانه: ﴿إنّ الله يأمُرُ بالعَدل وَالإحسَانِ﴾ (النحل: ٩٠).

والنصيحة هذه من قبيل الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وهما فرضان، وبها يغير المنكر باليد وباللسان وبالقلب معًا، وهذه أكمل الحالات فى تغيير المنكر، رزقها الله المسلمين فى جميع أقطار الأرض سيما الولاة والأمراء، وبناء على ما ذكرت اختلفت أحوال السلف رحمهم الله فى قبول الولايات من الخلافة والوزارة والقضاء، وغيرها من المناصب.

فيوسف الصديق عليه السلام يطلب غير ما يفوض إليه، يقول الله عزّ وجل

(١) كنز العمال (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه (ج٦ ص٣٩).

(٢) مفردات الراغب رحمه الله مادة: ق، و، م (ص٤٢٩).

عن العزيز القائل ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ويقول سبحانه عن الصديق عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥)، وكان فيما قال: صادقًا بارًا.

ويجوز مدح الإنسان نفسه إذا جهل مكانه، وكانت فيه مصلحة دينية، بل قد يجب مدح الإنسان نفسه(١).

وعمر وأبو عبيدة رضى الله عنه عنهما سمّاهما أبو بكر رضى الله عنه للخلافة يوم السقيفة، وقال: "ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، لى -أى عمر رضى الله عنه- ولأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة، قال عمر رضى الله عنه: فو الله ما بقى شىء كنت أحبّ أن أقوله إلا وقد قاله يومئذٍ غير هذه الكلمة، فو الله لأن أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى فى غير معصية أحبّ إلىّ من أن أكون أميرًا على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه"(٢).

ويقول سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته: "يا أيها الناس ولوددت أن هذا قد كفانيه غيرى"(٣).

يقول الذهبى رحمه الله: قال أبو بكر رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه: "نبايع لك، فقال عمر رضى الله عنه: إنك أفضل منى، قال أبو بكر رضى الله عنه:

---

(١) يقول الجصاص فى "أحكامه": جائز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وإنه ليس من المحظور (ج٣ ص١٧٤)، ويقول ابن كثير رحمه الله: ومدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة (ج٢ ص٤٨٢)، ونحوه فى "البحر المحيط" (ج٥ ص٣١٩) والجواهر الحسان: ج ٢ ص٢٤٣، وزاد المسير: ج٤ ص٢٤٥، والنكت والعيون: ج ٣ ص٥٢، وفتح القدير: ج٣ ص٣٥، والتسهيل: ج ٢ ص١٢٢، والقرطبى: ج٩ ص٢١٧، وروح المعانى: ج١٣ ص٥، والقاسمى: ج٩ ص٢٤٣ وغيرها.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المغازى خلافة أبى بكر رضى الله عنه (ج٨ ص٥٧١)، ونحوه فى "تاريخ الأمم والملوك" (ج٢ ص٤٤٣)، والكامل: ج٢ ص١٢ والخلفاء الراشدون: ص٤، وعبد الرزاق فى "مصنفه": باب بيعة أبى بكر (ج٥ ص٤٤٣) ومسند أحمد (ج١ ص٩٠، وابن خلدون: ج٢ ص٤٨٨.

(٣) أحمد فى "المسند" (ج١ ص٢٤)، الطبقات: ج٣ ص٢١٢.

إنك أقوى منى، قال عمر رضى الله عنه: إن قوتى لك مع فضلك(١).

قال الذهبى رحمه الله أيضاً: قال عمر رضى الله عنه لأبى عبيدة رضى الله عنه: ابسط يدك لأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه: ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت أتبايعنى وفيكم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثانى اثنين(٢).

عبد الرزاق رحمه الله: خطب أبو بكر رضى الله عنه فقال: أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارهاً ولوددت أن فيكم من يكفينى(٣).

أبو عبد الله الحاكم رحمه الله: قال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت راغباً فيها، ولا سألتها الله عز وجل فى سر وعلانية، ولكنى أشفقت من الفتنة، وما لى فى الإمارة من راحة، ولكنى قلدت أمراً عظيماً ما لى به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم، (ابن قتيبة رحمه الله: الله وزاد فيه قوله: "وما أنا إلا كأحدكم"(٤)).

ابن قتيبة رحمه الله: فلما تمت البيعة لأبى بكر رضى الله عنه أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم، يقول: قد أقلتكم فى بيعتى، هل من كاره، هل من مبغض، فيقوم علـى رضى الله عنه فى أول النـاس، فيقول: "والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً قد قدّمك رسول الله ﷺ لتوحيد ديننا من الذى يؤخرك لتوحيد

---

(١) الخلفاء الراشدون: ص٥، تاريخ الطبرى: ج٢ ص٤٤٤، وفى ابن أبى شيبة زيادة "فقد لها الثانية، فلما كانت الثالثة، قال عمر رضى الله عنه: إن قوتى لك مع فضلك" (المصنف فى مغازى خلافة أبى بكر: ج٨ ص٥٧٣).

(٢) الخلفاء الراشدون: ص٥.

(٣) أخرجه فى "مصنفه": باب لا طاعة فى معصية الله (ج١١ ص٣٣٦)، المصنف [illegible] ص٢١٢).

(٤) المستدرك معرفة الصحابة رضى الله عنهم: خطبة أبى بكر رضى الله عنه (ج٣ ص٦٦)، [illegible] والسياسة (ج١ ص١٦.

دنيانا"[١].

علىّ المتقى رحمه الله : أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته : " وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة "[٢]، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أخرج نفسه من المرشّحين للخلافة طوعًا ورضا علمًا منه بأن المرشّحين لها غيره من أهل الشورى أهل للخلافة[٣].

وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما كانا أهلا للخلافة، ولم يكن أحد يساويهما أو يساميهما فى الأهلية، فلم ينكرا قبول الخلافة لما فوضت إليهما، ولم يطلباها، ولكن لما طلبوا لها قبلوها وجعلوها أمانة من الله عزّ وجلّ، ثم من الأمة.

كما يقول الصديق رضى الله عنه فى خطبته أول ما استخلف : " يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقوّمونى، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف قوىّ عندى حتى آخذ له حقّه، والقوىّ ضعيف عندى حتّى آخذ عنه الحق إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذلّ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله "[٤].

ويقول : " ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارهًا ولوددت أن فيكم من يكفينى ألا فراعونى فإن استقمت فأعينونى وإن زغت فقومونى "[٥]، وعنه فى

---

(١) الإمامة والسياسة : ج١ ص١٦، كنز العمال : ج٥ ص٦٥٧.

(٢) كنز العمال كتاب الخلافة مع الإمارة : الباب الأول فى خلافة الخلفاء، قال ابن كثير رحمه الله : إسناده حسن (حم) ج٥ ص٥٨٦، ومسند أحمد : ج١ ص١٦.

(٣) ابن خلدون : ج٢ ص٥٦٩، تاريخ الأمم والملوك : ج٢ ص٢٩٥، الكامل : ج٢ ص٢٢٣، الخلفاء الراشدون : ص١١٦، وفى ابن أبى شيبة قول عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أيكم يتبرأ من الأمر، ثم قال : تجعلانه إلىّ، وأنا أخرج منها (ج٨ ص٥٧٧).

(٤) الكامل : ج٢ ص١٥، تاريخ الطبرى : ج٢ ص٤٥٠، وقريب منه فى " الطبقات " (ج٣ ص١٨٢-١٨٣.

(٥) ابن راهويه وأبو ذر الهروى فى " الجامع " (كنز العمال : ج٥ ص٥٩٠ و٥٩٧ و٥٩٩).

بعض الروايات: "إنما أنا متبع وليس بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني"[١].

صرح رضى الله عنه بأهم بنود الدستور الإسلامى والحقوق البشرية فى منشوره العالمى فى أول خطبة خلافته بما لا نظير لها فى الدساتير الوضعية اليوم فى العالم كله.

وإنما اختارها، أو طلبها عثمان وعلى رضى الله عنهما؛ لأنهما كانا أهلا لها دون غيرهما، و ظن كل واحد بنفسه إقامتها أحسن من الآخر لوجوه وأسباب لم تكن مع الآخر ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وكانا فى ذلك من المستبقين إلى الخيرات «إنما الأعمال بالنيات».

وكذلك عثمان رضى الله عنه لما استخلف بالبيعة العامة الظاهرة، وقدم طلحة رضى الله عنه بعد ذلك اليوم، كما فى بعض الروايات، وكان من أهل الشورى الستة، وكان غائبًا، فقال له عثمان رضى الله عنه: "أنت على الخيار فى الأمر وإن أبيتَ رددتها، فقال: كل الناس بايعوك، قال: نعم، قال: رضيت ولا أرغب عما أجمعوا عليه"، وفى "الطبرى" و "الكامل": قدوم طلحة يوم بويع لعثمان رضى الله عنه، وفيه: فقال طلحة رضى الله عنه: أتردّها؟ قال: نعم[٢].

وكذلك عمر بن عبد العزيز رحمه لما استخلفه سليمان بن عبد الملك من غير علم منه ورضا، فصعد المنبر، وقال: "إنى والله ما استؤمرت فى هذا الأمر وأنتم بالخيار"، وفى رواية أنه قال: "إنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم"[٣].

وقال فى خطبة خلافته الأولى: يا أيها الناس إنى قد ابتليت بهذا الأمر من

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص٤٦٠، الطبقات: ج٣ ص١٨٣ و ٢١٢، ونحوه فى "الإمامة والسياسة: ج١ ص١٦.

(٢) ابن خلدون: ج٢ ص٥٧٠، تاريخ الطبرى: ج٣ ص٢٩٨، الكامل: ج٢ ص٢٢٤.

(٣) الفقه الإسلامى حاشية "المصنف" (ج٦ ص٢٩٢).

غير رأى كان منى فيه، ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى، فاختاروا لأنفسكم وأمركم من تريدون، فصاح المسلمون صيحة واحدة، قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلنا بك[١].

وعلى هذا امتنع الإمام نعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفى رحمه الله عن قبول أيّة ولاية فى الدولتين الأموية والعباسية، كما ذكره المؤرّخون[٢].

وأريد رحمه الله بقضاء القضاة لجميع العالم الإسلامى، وكذا لتولية خزائن الأرض شرقًا وغربًا، وعربًا وعجمًا، فلم يقبل منها شيئًا، وعرض عليه أن يكون الخاتم بيده لا ينفذ كتاب إلا تحت أمره فأبى[٣].

وكذلك زفر بن الهزيل رحمه الله صاحب الإمام أبى حنيفة رحمه الله أكره على القضاء، فأبى واختفى مدة، فهدم منزله، ثم ظهر وأصلح منزله، ثم أكره وهدم منزله، ولكنه لم يقبله[٤].

أقوال أهل العلم

١- المرغينانى رحمه الله: وينبغى للمقلد أن يختار من هو الأقدر والأولى؛ لقوله عليه السلا: «من قلد إنسانًا عملا وفى رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين»[٥].

٢- وقال: ينبغى أن لا يطلب الولاية ولا يسألها، وقال قبيل هذا: ويكره

---

(١) البداية ترجمة عمر بن عبد العزيز (ج٩ ص٢٢١).

(٢) تبييض الصحيفة: ص١٠٧ و١٢٠، أحكام القرآن: ج١ ص٧٠، بدائع الصنائع: ج٧ ص٤.

(٣) شرح عين العلم: ج١ ص٥٢-٥٣.

(٤) الفوائد البهية: ص٧٦.

(٥) الهداية: ج٣ ص١١٦.

الدخول فيه لمن يخاف العجز عنه، ولا يأمن على نفسه الحيف فيه، كي لا يصير شرطًا لمباشرته القبيح، وكره بعضهم الدخول فيه مختارًا؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «ومن جعل على القضاء فكأنه ذبح بغير سكين».

والصحيح أن الدخول فيه رخصة طمعًا في إقامة العدل، والترك عزيمة، ثم قال بعد قليل: "إلا إذا كان الأهل للقضاء دون غيره فحينئذٍ يفترض عليه التقلد صيانةً لحقوق العباد وإخلاء للعالم عن الفساد"[(١)].

٣- الكاساني رحمه الله: يجوز تقليد الطالب بلا خلاف، لكن لا ينبغي أن يقلّد لأن الطالب يكون متّهمًا"[(٢)]، ويقول: إذا عرض القضاء على من يصلح له من أهل البلد ينظر، إن كان في البلد عدد يصلحون للقضاء لا يفترض عليه القبول، بل هو في سعة من القبول والترك، فأما إذا لم يصلح له إلا رجل واحد، فإنه يفترض عليه القبول إذا عرض عليه[(٣)].

وأما إذا خان بعد كل ما صح به تقلده وتولى، هل ينعزل أم لا؟ وهل يجب على الحاكم الأعلى عزله؟

أقوال: ينعزل في قول بعضهم، قال الكاساني رحمه الله: وهو قول الإمام الشافعي رحمه الله، وقول مشايخ العراق رحمهم الله تعالى من الحنفية، وقول المعتزلة، ومآخذهم في المسألة مختلفة، والحكم واحد.

وقال بعضهم: لا ينعزل، ويجب عزله إن لم يكن في عزله فساد أكبر من خيانته، يقول الكاساني رحمه الله: هل ينعزل بأخذ الرشوة في الحكم؟ عندنا لا ينعزل، لكنه يستحق العزل، فيعزله الإمام ويعزره[(٤)].

وعليه ينبني ما إذا كان أهلا، ولكن تولى بالرشوة، والنصوص المذكورة وإن

---

(١) الهداية: ج٣ ص١١٥.

(٢) بدائع الصنائع: ج٧ ص٣، كتاب أدب القاضي.

(٣) البدائع الصنائع: ج٧ ص٣-٤.

(٤) البدائع: ج٧ ص١٦-١٧.

كانت بعضها فى القضاء إلا أن الحكم عام فى كل ولاية لاشتراك العلة، ولما مرّ من الأحاديث فى الأبواب السابقة.

٤- الجصاص رحمه الله: ودل أيضًا على أن الفاسق لا يكون حاكمًا، وإن أحكامه لا تنفذ إذا ولى الحكم، وكذلك لا تقبل شهادته ولا خبره، إذا أخبر عن النبى ﷺ، ولا فتياه إذا كان مفتيًا، وإنه لا يقدم للصلاة، ولو قدم واقتدى به مقتدٍ كانت صلاته ماضية(١).

نماذج الانتقاء فى الإسلام

وهاك أصول ونماذج الانتقاء فى الإسلام، يقول النبى ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين»(٢).

أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لما توفى رسول الله ﷺ إلى رضوان الله ورحمته عزّ وجلّ، وإلى الرفيق الأعلى، نجم الكفر والنفاق، وحدث ما حدث، وصدق ما قال رسول الله ﷺ: «من يعش منكم من بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا»(٣)، وقوله ﷺ: «اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بعده شرّ منه حتى تلقّوا ربكم»(٤).

اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة، وأرادوا أن يبرموا أمرًا دون المهاجرين إلا أن بعضهم لم يرضوا به، وأخبروا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما عزم به الأنصار، فلم يلبثا إلا وهما عندهم فى مجلسهم المنعقد لانتقاء أمير منهم،

(١) أحكام القرآن للجصاص تفسير آية البقرة: ١٢٤ (ج١ ص٧٠.

(٢) هو جزء حديث عرباض بن سارية رضى الله عنه عند أحمد فى "المسند"، وفيه: «عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور» (ج٥ ص١٠٩).

(٣) جزء حديث عرباض رضى الله عنه عند الإمام أحمد (ج٥ ص١٠٩).

(٤) أخرجه البخارى عن أنس فى الفتن (ج٢ ص١٠٤٧)، وفى "المسند" أيضًا عنه (ج٣ ص٥٦٣).

وأمير من المهاجرين، ومعهما أبو عبيدة رضى الله عنه أمين هذه الأمة.

ولما سمعوا من الأنصار ما كانوا يريدون "منا أمير ومنكم أمير" وهى لمصلحة سياسية، وتلك هى دفع مضرة عنهم، وجلب نفع لهم، ولما أراد عمر رضى الله عنه أن يتكلم، وقد كان زور فى نفسه كلامًا، فأسكته أبو بكر رضى الله عنه وتكلم هو، فقال: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء، قريش أوسط العرب دارًا، وأعزّهم أحسابًا، فبايعوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أو أبا عبيدة رضى الله عنه، فقال عمر رضى الله عنه: بل نبايعك أنت خيرنا وسيّدنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ.

وأخذ عمر رضى الله عنه بيده فبايعه، وبايعه الناس، رواه سليمان بن بلال عنه وهو صحيح السند[1].

وفى "الطبرى": كان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها. ففتح عمر رضى الله عنه يد أبى بكر رضى الله عنه، وقال: إن قوتى لك مع فضلك[2]، وقد مرت الروايات مفصّلة فى خطط الانتقاء فى الإسلام.

فهذا أبو بكر رضى الله عنه يريد للخلافة عمر، أو أبا طلحة رضى الله عنهم. وهما يريدان أبا بكر رضى الله عنه، ويأبيانها لأنفسهما، ورجحا أبا بكر رضى الله عنه عليهما لخيريته وأفضليته وأحبيته إلى رسول الله ﷺ، ولكونه ثانى اثنين، ولسابقته فى الإسلام، ولاختيار رسول الله ﷺ إياه لدينهم فى حياته فى مرض وفاته ﷺ، ولكونه أعلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

---

(١) الخلفاء الراشدون: ص٣، الكامل: ج٢ ص١٠ و١٤، تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص٤٤٦، ابن خلدون: ج٢ ص٤٨٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص٤٤٤.

فضائل أبى بكر رضى الله عنه
واستحقاقه للخلافة

١- قال رسول الله ﷺ : «لو كنت متّخذًا من العباد خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده» .

٢- وقال ﷺ : «انظروا هذه الأبواب الشوارع اللافظة فى المسجد فسُدّوا إلا ما كان من بيت أبى بكر رضى الله عنه» .

٣- وقال عليه السلام : «فإنى لا أعلم أحدًا كان أفضل عندى فى الصحبة يدًا منه»(١) .

٤- وقال عليه السلام : «مروا أبا بكر يصلّى بالناس» ثلاث مرات(٢)

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : مرض النبى ﷺ ، فاشتدّ مرضه ، فقال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فقالت عائشة رضى الله عنها : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلّى بالناس ، فقال : «مرى أبا بكر فليصلّ بالناس» فعادت ، فقال : «مرى أبا بكر فليصلّ بالناس فإنّكنّ صواحب يوسف -عليه السلام-» ، فأتاه الرسول ، فصلى بالناس فى حياة النبى ﷺ(٣) .

(١) تاريخ الأمم والملوك : ج٢ ص٤٣٤ ، ابن خلدون : ج٢ ص٤٨٥ ، الكامل : ج٢ ص٦ .

(٢) الكامل : ج٢ ص٨ ، تاريخ الأمم : ج٢ ص٤٣٩ ، ابن خلدون باختصار : ج ٢ ص٤٨٥ .

(٣) أخرجه البخارى فى الصلاة : باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (ج١ ص٩٣ إلى نهاية ص٩٥) ، وأخرجه فى أبواب أخر من جامعه ، ونحوه فى "المسند" عن عائشة رضى الله عنها (ج٧ ص٣٥٨) ، وابن عمر رضى الله عنهما (ج٢ ص١٥١) وابن عباس رضى الله عنهما (ج١ ص٤٤٥) .

وفى الدارمى فى الصلاة : باب فيمن يصلّى خلف الإمام ، والإمام جالس (ج١ ص٢٣٠) ، وفيه فى باب وفاة النبى ﷺ بزيادة وفرق يسير (ج١ ص٣٩) ، ونحوه فى "مصنف عبد الرزاق" : باب بدء مرض النبى ﷺ (ج٥ ص٤٣٢) ، وأخرجه مسلم فى الفضائل فضائل أبى بكر رضى الله عنه (ج ٢ ص٢٧٢-٢٧٣) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ خرج عاصبًا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "إنه ليس أحد أمنّ علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة، ولو كنت متخذًا خليلا لاتّخذت أبا بكر خليلا، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر"(١).

عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه قال: خطب النبى ﷺ، فقال: إن الله سبحانه خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله عزّ وجلّ، فبكى أبو بكر، فقلت فى نفسى: ما يبكى هذا الشيخ إن يكن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله عزّ وجلّ، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال: يا أبا بكر! لا تبكِ، إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر (رضى الله عنه)، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلا لاتّخذت أبا بكر، ولكن إخوة الإسلام ومودته، لا يبقينّ فى المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبى بكر(٢).

البدر العينى رحمه الله: فيه دليل على أن أبا بكر رضى الله عنه كان أعلم الصحابة رضى الله عنهم(٣)، عن أبى رجاء العطاردى رحمه الله: رأيت الناس مجتمعين وعمر رضى الله عنه يقبّل رأس أبى بكر، ويقول: أنا فداءك لولا أنت لهلكنا، فحمد رأيه فى قتال أهل الردة(٤).

---

(١) مسند أحمد: ج١ ص٤٤٥، وأخرجه البخارى فى الصلاة: باب الخوخة والممر فى المسجد (ج١ ص٦٧، واللفظ لأحمد.

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة: باب الخوخة والممرّ فى المسجد (ج١ ص٦٧)، وأخرجه عنه فى المناقب: باب قول النبى ﷺ: سدوا الأبواب . . . إلخ (ج١ ص٥١٦)، وأخرجه مسلم أيضًا عنه فى حديث خطبته عليه السلام، وكان أبو بكر أعلمنا (فضائل أبى بكر رضى الله عنه ج ٢ ص٢٧٢)، وأخرج نحوه الدارمى: فى باب وفاة النبى ﷺ (ج١ ص٣٩).

(٣) عمدة القارى: ج٤ ص٢٤٦).

(٤) الإمامة والسياسة: خطبة أبى بكر رضى الله عنه (ج١ ص١٧).

ملحوظة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث طويل قال رسول الله ﷺ : «سدوا أبواب المسجد إلا باب على (رضى الله عنه)» ، قال : فيدخل المسجد جنبًا وهو طريقه ليس له طريق غيره[١] .

هو مخالف للروايات الصحيحة الثابتة عنه ﷺ فى سد الأبواب الشارعة إلى المسجد غير باب أبى بكر رضى الله عنه وهو إشارة كالنصّ إلى خلافته رضى الله عنه ، وقد فهمها الصحابة رضى الله عنهم ، كما قال علىّ رضى الله عنه : قد قدّمك رسول الله ﷺ لتوحيد ديننا من الذى يؤخرك لتوحيد دنيانا ، كما مر من قبل .

وقال ابن كثير رحمه الله : ومن روى "إلا باب علىّ" ، كما وقع فى بعض السنن فهو خطأ ، والصواب ما فى الصحيح" وقال قبيل هذا : إن رسول الله ﷺ قال : «سدّوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر" ، وهذا قاله فى آخر حياته ﷺ علمنا منه أن أبا بكر رضى الله عنه سيلى الأمر بعده ، ويحتاج إلى الدخول فى المسجد كثيراً للأمور المهمة فيما يصلح للمسلمين ، فأمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا بابه رضى الله عنه[٢] .

ولى جزء جمعت فيه روايات سد الأبواب المسمّى بـ " فتح الباب لجميع روايات سدّ الأبواب " جمعت الروايات ، وذكرت أقوال العلماء فيها ، وسيطبع إن شاء الله عزّ وجلّ .

(١) أخرجه الإمام أحمد عنه فى "المسند" (ج٢ ص٥٤٥ ، وفى الباب عن زيد بن أرقم رضى الله عنه وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وعبد الله بن عمر رضى الله عنه عند أحمد وأبى سعيد عند الترمذى وغيره .

(٢) تفسير ابن كثير آية النساء : ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ (ج١ ص٥٠١) .

عمر الفاروق رضى الله عنه وفضائله

وعمر رضى الله عنه اختاره وانتقاه للأمة أبو بكر رضى الله عنه لما كان أهلا فى ذلك الوقت دون غيره، كما عرف فى انتقاء أبى بكر رضى الله عنه -أى انتخابه- حيث أشار به أبو بكر رضى الله عنه، ولما كان أعلم الأمة بعد أبى بكر رضى الله عنه كأنه ذهب بتسعة أعشار العلم، وكان أعلم بكتاب الله وافقه من جميعهم بحيث لو وزن علمه بعلم أهل الأرض من الأمة سوى أبى بكر رضى الله عنه لرجح علمه، روى كل ذلك عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ابن الجوزى رحمه الله بسنده فى مناقب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، والذهبى فى "تاريخ الخلفاء الراشدين".

ولأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، قال له أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ كما هو عند الإمام أحمد فى "المسند".

ولأنه أشدهم فى أمر الله عزّ وجلّ كما ظهر منه فى قصة أسارى بدر، وشبهه رسول الله ﷺ فى تلك القصة بنوح وموسى عليهما السلام.

١- حمزة عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم شربت -أى اللبن- حتى أنظر إلى الرىّ يجرى فى ظفرى -أو فى أظفارى- ثم ناولت عمر، قالوا: فما أولت، قال: العلم.

٢- وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى حديث، قال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[1].

---

(١) أخرجهما البخارى فى المناقب: مناقب عمر رضى الله عنه (ج١ ص٥٢٠)، وأخرج الحديث الأول الإمام مسلم فى الفضائل: فضائل عمر رضى الله عنه عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه مرفوعًا (ج٢ ص٢٧٤)، وأخرج أيضًا الحديث الثانى عن سعد ونحوه عن أبى هريرة رضى الله عنه

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب»(١).

٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليّ، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجترّه، قالوا: فما أولته يا رسول الله! قال: الدين(٢).

٥- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث رؤيا النبي ﷺ، ثم جاء عمر ابن الخطاب، فلم أرَ عبقريًّا يفري فريه، روى الناس وضربوا بعطن(٣).

٦- وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه(٤).

وروى ابن جرير رحمه الله وغيره من أهل التفسير في قصة أسارى بدر: "قال رسول الله ﷺ: ما تقولون: في هؤلاء الأسارى؟ . . . . . فقال رسول الله ﷺ: إن الله ليلين قلوب رجال، حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر! مثل إبراهيم عليه السلام إنه

(ج٢ ص٢٧٦)، وأخرج الإمام أحمد الحديث الأول عن ابن عمر بألفاظ متقاربة. (المسند: ج٢ ص٢٠٦).

(١) مسلم في فضائله عن عائشة رضي الله عنها (ج٢ ص٢٧٦)، وعنها عند الحميدي (ج١ ص١٢٣)، وعنها في "المسند" (ج٧ ص٨٣)، والبخاري بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه (ج١ ص٥٢١).

(٢) البخاري في مناقبه (ج١ ص٥٢١)، وأخرجه عنه أيضًا في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (ج١ ص٨)، ومسلم في فضائله عنه (ج٢ ص٢٧٤).

(٣) البخاري في مناقبه (ج١ ص٥٢٠) وعنده نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه في باب قبل مناقبه (ج١ ص٥١٧)، وعنده أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنه في باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿يعرفُونَه كَمَا يَعرِفُون أبناءَهُم﴾ (ج١ ص٥١٣)، ومثله عن أبي هريرة في فضائله عند مسلم (ج٢ ص٢٧٥)، وكذا عن جابر وابن عمر عنده – ونحوه في "المسند" (ج٢ ص١٠٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) مسند أحمد: ج١ ص٢٢٦.

قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّه مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم﴾ وإن مثلك يا أبا بكر! مثل عيسى عليه السلام إنه قال: ﴿إن تُعَذِّبهُم فَإِنهُم عِبادُكَ وإن تَغفِر لهُم فإنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ وإن مثلك يا عمر! كمثل نوح عليه السلام قال: ﴿رَبِّ لا تَذَر على الأرض مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ ومثلك كمثل موسى عليه السلام إنه قال: ﴿ربَّنا اطْمِس عَلى أموَالِهِم واشدُدْ عَلى قُلُوبِهِم فَلا يؤمِنُوا حتَّى يرَوا العَذَابَ الأليم﴾"[١].

٧- وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: "أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر رضى الله عنه حين تفرس فى عمر رضى الله عنه فاستخلفه . . ." الحديث[٢].

ولما كان أعلم الأمة بعد أبى بكر كما قال ا بن مسعود رضى الله عنه، وكما فى حديث رؤيا النبى ﷺ فى شرب اللبن وإعطاء سؤره عمر رضى الله عنه، وجعل الله الحق على قلب عمر ولسانه كما فى حديث البخارى: إن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر رضى الله عنه، ولو سلك فجّا لسلك الشيطان فجا غير فجّه، وكان اجترّ قميصه كما رآه النبى ﷺ كما هو عند البخارى، وكان أعلم أهل الأرض بسياسة العالم، كما فى حديث فاستحالت غربًا، وكان أشدهم فى أمر الله عزّ وجلّ كما فى قصة الأسارى وغيرها إلى غير ذلك من الفضائل، ولم توجد مجتمعة فى أحد سواه، فاستخلفه أبو بكر رضى الله عنه.

ولذا قال ابن مسعود رضى الله عنه: "أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس فى عمر فاستخلفه، على أنه لم يكن من أبى بكر رضى الله عنه فى نسب؛ لأنه تيمىّ، وعمر عدوىّ.

وقال ابن حجر رحمه الله فى تفسير قوله ﷺ: قالوا: فما أولت، قال:

---

(١) ابن جرير تفسير آية الأنفال: ٦٧ (ج١٠ ص٣١)، ابن كثير: ج٢ ص٣٢٥، القرطبى: ج٨ ص٤٧، وأخرج السيوطى فى "الدر المنثور" الرواية عن ابن مسعود رضى الله عنه وأبى هريرة رضى الله عنه مختصرة (ج٣ ص٢٠١)، تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص١٧٠، وفى "الروض الأنف" عن ابن مسعود رضى الله عنه مثله (ج٢ ص٩٢).

(٢) ابن أبى شيبة فى المغازى ما جاء فى خلافة عمر رضى الله عنه (ج٨ ص٥٧٥).

العلم، والمراد بالعلم هنا سياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واختص عمر رضى الله عنه بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبى بكر رضى الله عنه، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان رضى الله عنه[(١)].

ومع كل ذلك استشار بعض أهل الرأى كما قال الذهبى رحمه الله المؤرخ المحدث النقاد بسنده: إن أبا بكر رضى الله عنه لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال له: أخبرنى عن عمر، فقال: ما تسألنى من أمر إلا وأنت أعلم منى به، قال: وإن، فقال: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان رضى الله عنه فسأله عن عمر رضى الله عنه، فقال: علمى فيه أن سريرته خير من علانيته، وإنه ليس فينا مثله، فقال: يرحمك الله والله لو تركته ما عدوتك.

وشاور سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما، فقال قائل: ما تقول لربك: إذا سألك عن استخلافك عمر، وقد ترى غلظته، فقال: أجلسونى، أبالله تخوفونى، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك، وقال رضى الله عنه: وددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق عمر رضى الله عنه أو أبى عبيدة رضى الله عنه، و قال رضى الله عنه: استخلف عليكم خيركم فى نفسى[(٢)].

وكان أبو بكر يعتقد فى عمر أنه خير أهل الله عزّ وجلّ حتى ود أنه بايعه، أو أبا عبيدة فى أول الأمر، فولاه وكان أهلا له حقًا، ولذا لم يختلف فيه اثنان من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، ومع ذلك يقول عمر رضى الله عنه لما طُعن، وقال له ابنه عبد الله: يا أمير المؤمنين! لو أجهدت نفسك، ثم أمرت عليهم رجلا، فقال: . . . ولوددت أن عليها من هو خير منى، لا ينقصنى ذلك مما أعطانى الله

---

(١) فتح البارى: ج٧ ص٥٦.

(٢) ذكر كل ذلك مفصّلا ومجملا أهل التاريخ كابن أثير فى "الكامل" (ج٢ ص٧٩-٨٠)، ذكر استخلاف عمر والطبرى ذكر أسماء قضاته وعماله وكتّابه (ج٣ ص٦١٨-٦١٩، وابن سعد فى "الطبقات" (ج٣ ص١٩٩-٢٠٠، والذهبى فى "الخلفاء" (ص٤٧-٤٨)، وابن الجوزى فى المناقب (ص٥٤)، وابن قتيبة فى "الإمامة والسياسة" (ج١ ص١٨).

شيئًا[١].

وقال لما عيّنه أبو بكر رضى الله عنه : لا حاجة لى بها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : ولكن لها بك حاجة[٢].

عثمان رضى اللّه عنه وفضائله

ولما طعن عمر رضى الله عنه جعل الخلافة فى الذين كانوا أهلا ، ولم يعين منهم واحدًا ، وهم الستة المبشرون بالجنة ، والذين مات رسول الله ﷺ ، وهو عنهم راضٍ ، وهم عثمان بن عفان الأموى رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب الهاشمى رضى الله عنه وزبير بن العوام الأسدى رضى الله عنه وسعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه ، و طلحة بن عبيد الله التيمى رضى الله عنه وعبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه ، وجعل ابنه عبد الله معهم فى الشورى ، ولم يجعل له من الأمر شيئًا ، كما لم يدخل معهم سعيد بن زيد العدوى رضى الله عنه وهو من العشرة المبشّرة ؛ لأنه ابن عمه ، ووقّت لهم لانتقاء الخليفة من المرشّحين لها ثلاثة أيام بعد دفنه ، وحدد لهم خطوط الانتقاء إذا اختلفوا ، وهاك نصوص الأئمة فى ذلك .

يروى لنا ابن جرير رحمه الله تعالى فى قصة الشورى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : " عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ أنهم من أهل الجنة ، سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ، ولست مدخله ولكن الستة " .

على وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ ، وابن عمته وطلحة الخير بن عبيد الله

(١) الخلفاء الراشدون : ص١٠٧ .

(٢) (كر) : كنز العمال : ج٥ ص٦٧٩ .

رضى الله عنهم أجمعين، فليختاروا رجلا منهم.

فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصلّ بالناس صهيب رضى الله عنه، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم منكم أمير، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر، وطلحة رضى الله عنه شريككم فى الأمر، فإن قدم فى الأيام الثلاثة، فأحضروه أمركم، ومن لى بطلحة، فقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنا لك به، ولا يخالف إن شاء الله، فقال عمر رضى الله عنه: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله، وما أظنّ أن يلى إلا أحد هذين: علىّ أو عثمان، وقال لأبى طلحة الأنصارى: يا أبا طلحة! إن الله عزّ وجلّ طالما أعزّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلا من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط، حتى يختاروا رجلا منهم، وقال للمقداد بن الأسود رضى الله عنه إذا وضعتمونى فى حفرتى، فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا منهم، وقال لصهيب رضى الله عنه: صل بالناس ثلاثة أيام، وادخل عليًا وعثمان والزبير وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضى الله عنهم إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة، واختاروا رجلا وأبى واحد، فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم، وأبى رجلان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضى ثلاثة رجلا منهم، وثلاثة رجلا منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حكم له، فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس[1].

وقال ابن خلدون رحمه الله: وجاء أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه ومعه المقداد بن الأسود رضى الله عنه، وقد كان أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة فى مكان، ويلزماهم أن يقدموا للناس من يختارون منهم، وإن اختلفوا كان الاعتبار للأكثر، وإن تساووا حكموا عبد الله بن عمر، أو اتبعوا عبد الرحمن بن

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٩٣ – ٢٩٤ قصة الشورى باختصار.

عوف رضى الله عنه[١]، وفى ابن أبى شيبة : فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم[٢].

ولما اجتمعوا تكلم عبد الرحمن رضى الله عنه فقال : أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ويوليه غيره، فأمسكوا عنه، قال : فإنى أخرج نفسى وابن عمى، فقلده القوم الأمر، وأحلفهم عند المنبر، فحلفوا ليبايعنّ من بايع، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى.

ابن كثير رحمه الله : ثم جعلوا الأمر إلى ثلاثة بعد حضور طلحة رضى الله عنه[٣]، وبعث عبد الرحمن إلى علىّ رضى الله عنه، فقال له : إن لم أبايعك فأشر علىّ، فقال عثمان رضى الله عنه، ثم بعث إلى عثمان رضى الله عنه، فقال : إن لم أبايعك، فمن تشير، قال : علىّ[٤]، ثم قال لهما : انصرفا، فدعا الزبير رضى الله عنه قال : إن لم أبايعك فمن تشير علىّ، قال : عثمان رضى الله عنه، ثم دعا سعداً، فقال : من تشير على فأما أنا فلا نريدها، فمن تشير علىّ، قال : عثمان رضى الله عنه[٥].

وفيه فى الروايات بعض اختلاف : يقول المسور بن مخرمة رضى الله عنه : أتى عبد الرحمن إلى منزلى بعد ابهيرار من الليل فأيقظنى، فقال : ألا أراك نائماً، ولم أذق فى هذه الليلة كثير غمض، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد فى الصفة التى تلى دار مروان، فقال : خل ابنى عبد مناف، وهذا الأمر، فقال : نصيبى لعلىّ، وقال : لسعد، أنا وأنت كلالة، فاجعل نصيبك لى فأختار، قال : إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعلىّ أحبّ

(١) ابن خلدون : ج٢ ص٥٦٩-٥٧٠ .

(٢) ابن أبى شيبة فى المغازى : ما جاء فى خلافة عمر رضى الله عنه (ج٨ ص٥٧٧ و٥٨٢).

(٣) البداية باختصار (ج٧ ص١٥١).

(٤) البداية المرجع السابق وتاريخ الطبرى : ج٣ ض٢٩٥-٢٩٦ .

(٥) الطبرى : ج٣ ص٣٠٠-٣٠١ .

إلىّ، أيها الرجل بايع نفسك وأرحنا، وارفع رؤوسنا، ثم قال بعد كلام لعبد الرحمن: إنى أخاف أن يكون الضعف قد أدركك فامضِ لرأيك[(١)].

ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين فى أفضلهم ليوليه[(٢)].

وفى ابن جرير رحمه الله وغيره: ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان رضى الله عنه[(٣)].

وقال الذهبى رحمه الله: ولا يخلو به ذو رأى، فيعدل بعثمان أحداً[(٤)].

وقال ابن كثير رحمه الله: فلم يجد اثنان يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان إلا ما ينقل عن عمار ومقداد أنهما أشارا بعلىّ بن أبى طالب، ثم بايعا مع الناس[(٥)].

ابن أبى شيبة رحمه الله عن حارثة بن مضرب قال: حججت فى إمارة عمر رضى الله عنه فلم يكونوا يشكون أن الخلافة من بعده لعثمان رضى الله عنه، وفيه عن عبد الله رضى الله عنه أنه قال: حين استخلف عثمان، ما ألونا عن إعلانا ذا فوق[(٦)].

الإمام البخارى فى "صحيحه" عن عمرو بن ميمون رحمه الله قال: رأيت عمر رضى الله عنه، ثم ساق قصة طعنه ووصيته، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين! استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى

---

(١) الطبرى: ج٣ ص٢٩٦.

(٢) البداية والنهاية: ج٧ ص١٥١.

(٣) المرجع السابق من ابن جرير والبداية: ج٧ ص١٥١.

(٤) الخلفاء الراشدون: ص١١٦-١١٧، الإمامة والسياسة: ج١ ص٢٤ إلى ٢٦.

(٥) المرجع السابق من البداية: ج٧ ص١٥١.

(٦) ابن أبى شيبة فى المغازى: خلافة عثمان رضى الله عنه: ج٨ ص٥٨٢.

رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمّى عليّا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شىء.

فلما فُرغ من دفنه رضى الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير رضى الله عنه: قد جعلت أمرى إلى علىّ، وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، وقال طلحة رضى الله عنه: قد جعلت أمرى إلى عثمان رضى الله عنه، فقال له عبد الرحمن: أيكما تبرئ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرنّ أفضله فى نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلىّ والله علىّ أن لا آلو عن أفضلكم، قالا: نعم[1].

وخرج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وعليه عمامته التى عممه بها رسول الله ﷺ متقلّداً سيفه حتى ركب المنبر، فوقف وقوفًا طويلا، ثم دعا بما لم يسمع الناس ثم تكلم، فقال: أيها الناس! إنى قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علىّ وإما عثمان، فقم إلىّ يا على! فقام إليه على، فوقف تحت المنبر، فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة رسوله، وفعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، قال: اللهمّ لا، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى، قال: فأرسل يده، ثم نادى قم إلىّ يا عثمان! فأخذ بيده، وهو فى موقف علىّ الذى كان فيه، فقال: هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة رسوله، وفعل أبى بكر وعمر، قال: اللهمّ نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده فى يد عثمان، ثم قال: اللهمّ اسمع واشهد، اللهمّ إنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان، قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مقعد النبى ﷺ من المنبر، وأقعد

---

(١) البخارى: المناقب باب قصة البيعة (ج١ ص٥٢٤-٥٢٥).

عثمان على الدرجة الثالثة، فجعل الناس يبايعونه[١].

وروى ابن كثير رحمه الله وابن أثير رحمه الله: الروايات كلها بألفاظ متقاربة، وزاد ابن الأثير رحمه الله في قول عليّ لما قال له عبد الرحمن: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال: أرجو أن أفعل، فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي[٢].

وذكر ابن خلدون رحمه الله ما مر من ابن جرير رحمه الله بمعناه بفرق يسير، وزاد فيه ونقص، والسيوطي رحمه الله في الخلفاء والذهبي رحمه الله في "الخلفاء الراشدون"، وابن قتيبة في "الإمامة والسياسة"[٣].

فضائل عثمان رضى الله عنه

١- أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في حديث قالت: فسمعته ﷺ يقول: إن الله عزّ وجلّ ملبسك قميصاً تريدك أمتي خلعه فلا تخلعه[٤].

وفي رواية عنها قالت: قال ﷺ: «يا عثمان إن الله عزّ وجلّ مقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة» -يقولها: مرتين أو ثلاثاً»[٥]، وعنها: أن النبي ﷺ قال له: «وإن سألوك أن تنخلع من قميص قمّصك

---

(١) ابن جرير: ج٣ ص٣٠١-٣٠٢.

(٢) الكامل: قصة الشورى (ج٢ ص٢٢٠ إلى نهاية ص٢٢٥)، البداية: ج٧ ص١٥٠ إلى ص١٥٢.

(٣) المبتدأ والخبر لابن خلدون (ج٢ ص٥٦٩-٥٧٠، تاريخ الخلفاء باختصار (ص ١٥٣)، الخلفاء الراشدون: ص١١٦-١١٧، الإمامة والسياسة: ج١ ص٢٤ إلى نهاية ص٢٥.

(٤) المسند: ج٧ ص١٦٥ و٢١٥.

(٥) المسند: ج٧ ص١١١.

هو عثمان رضى الله عنه [١] ، فهذا عثمان المترشّح للخلافة يقول فيه الصديق رضى الله عنه : والله لو تركته ما عدوتك ، ولو كتبت نفسك لكنت لها أهلا .

ويقول الذهبى رحمه الله تعالى : ولا يخلو بعبد الرحمن رجل ذو رأى ، فيعدل بعثمان أحداً ، ورأيت أن علياً صات لعثمان ، وعثمان صات لعلىّ رضى الله عنهما ، وكفى به منقبة لهما ، وأما أصحاب الشورى الثلاثة أو الأربعة ، فقد أخرج ابن عوف رضى الله عنه نفسه عن الخلافة فى أول الأمر ، وأما الزبير رضى الله عنه وسعد رضى الله عنه فصاتا لعثمان رضى الله عنه . وفى رواية : صاتا لعلىّ رضى الله عنه ، وفى رواية : عن الزبير رضى الله عنه لما سأله عبد الرحمن رضى الله عنه : أىّ الرجلين تختاره للخلافة ، فقال : علىّ أو عثمان رضى الله عنهما ، وفى رواية : عن سعد رضى الله عنه : فعلىّ أحب إلىّ ، وفى رواية : هواى مع علىّ ، ثم جعل الأمر فى الاختيار إليه ، وقال : فامض لرأيك ، كما عند الطبرى رحمه الله كأنه فوض الأمر إليه ، وهو الراجح من الروايات .

فأنت ترى أن سعداً رضى الله عنه صات لعثمان ، أو لم يعزم بالتعيين لأحد ، وكذلك الزبير رضى الله عنه صات لعثمان ، أو لم يعزم بالتعيين لأحد ، ولكنهما بل ولكنهم فوضوا إليه الأمر ، وهم على ذلك إلى آخر أمرهم لم يعرضوا عن ذلك .

وأما على رواية البخارى رحمه الله ففوض الزبير رضى الله عنه الأمر إلى علىّ رضى الله عنه ، وفوض سعد رضى الله عنه الأمر إلى عبد الرحمن رضى الله عنه ، وفوض طلحة الأمر إلى عثمان رضى الله عنه ، وعلم من رواية الصحيح أن طلحة كان حاضراً فى الشورى من أول الأمر ، ويمكن أنه لم يكن من أول الأمر ، وحضر بعد دفن الخليفة ، وبعد اجتماع أهل الشورى فى البيت .

، علم أيضاً أن عثمان رضى الله عنه صات له أربعة : علىّ وسعد وابن عوف وطلحة رضى الله عنهم ، وعلىّ صات له اثنان عثمان والزبير رضى الله عنهما على الرواية الصحيحة ، كذا فى البخارى على أن عثمان رضى الله عنه كان أهلا كما

(١) ابن أبى شيبة : المغازى خلافة عثمان رضى الله عنه (ج٨ ص٥٨٣ و٥٨٥) .

شهد الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

علىّ رضى الله عنه

وأما علىّ رضى الله عنه فكان هو الأهل للخلافة بعد شهادة عثمان رضى الله عنه لا غير، كما قال الخليفة عمر رضى الله عنه : ما أظنّ أن يلى الأمر إلا أحد هذين الرجلين علىّ أو عثمان رضى الله عنهما ، ولعلىّ من الفضائل ما ليس لغيره على أنه ما طلبها ، بل اختفى فى بيته ، ثم قبلها خوف الفتنة فى أمة رسول الله ﷺ كارهًا لها ، يقول رضى الله عنه : وما أمرتكم بمعصية -أنا أو غيرى- فلا طاعة لأحد فى معصية الله عزّ وجلّ إنما الطاعة فى المعروف[(١)] .

يحكى لنا ابن جرير رحمه الله حال الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه أن أهل الفتنة قالوا : دونكم يا أهل المدينة ، فقد أجلناكم يومين فو الله لئن لم تفرغوا لنقتلنّ غدًا عليًا وطلحة والزبير وأناسًا كثيرًا ، فغشى الناس عليًّا ، فقالوا : نبايعك ، ألا ترى ما نزل بالإسلام؟ وما ابتلينا به من ذوى القربى؟ فقال علىّ : دعونى والتمسوا غيرى ، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه ، و له ألوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، فقالوا : ننشدك الله ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟[(٢)] .

ويقول عن علىّ رضى الله عنه : أنه جاء ، فقال لطلحة رضى الله عنه : ابسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة رضى الله عنه : أنت أحقّ وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك ، قال : فبسط علىّ يده فبايعه[(٣)] .

---

(١) المستدرك معرفة الصحابة : فضائل على رضى الله عنه يقول الذهبى فيه الحكم بن عبد الملك : وهو واه (ج٣ ص١٢٣) .

(٢) الطبرى : حوادث سنة٣٥ هـ (ج٣ ص٤٥٦) .

(٣) الطبرى المرجع السابق (٤٥٦) .

وفى رواية الزهرى رحمه الله قال: قد بلغني أنه قال لهما: إن أحببتما أن تبايعانى وإن أحببتما أن بايعتكما، فقالا: بل نبايعك[١].

وفى رواية محمد ابن الحنفية رحمه الله: فقال عليّ رضى الله عنه: إنى قد كنت كارهًا لأمركم فأبيتم، إلا أن أكون عليكم[٢].

ومثل هذا كله فى "الكامل" فى قصة بيعة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه، وكذا ابن خلدون[٣].

فنرى عليّا رضى الله عنه كارهًا للخلافة فى الوقت الراهن، ويصوت لطلحة رضى الله عنه والزبير رضى الله عنه، وهما يصوتان له، و يلحّان عليه، وهو أهل لها، ولكنه ذو فراسة إيمانية كأنه ينظر ما سيأتى عن ستر الغيب، وليس يعلم الغيب، فيقول: إنا مستقبلون أمرًا له وجوه، وله ألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، ولقد صدق وكان كما قال.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

قال أبو يوسف رحمه الله: لما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله مكث شهرين مقبلا على بثه وحزنه لما ابتلى به من أمور الناس[٤]

قال ابن الأثير رحمه الله: لما عهد سليمان بن عبد الملك بخلافة من فى الكتاب، وهو عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وبايع له أهل بيته، وهم لا يعلمون من هو؟

---

(١) الطبرى: ج٣ ص٤٥٢.

(٢) الطبرى: ج٣ ص٤٥١.

(٣) الكامل: ج٢ ص٣٠٢، ابن خلدون: ج٢ ص٦٠٢.

(٤) كتاب الخراج: ص١٧.

قال رجاء بن حيوة رحمه الله : فأتاني عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال : أخشى أن يكون هذا قد أسند إليّ شيئًا من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك ، قال رجاء رحمه الله : ما أنا بمخبرك حرفًا ، قال : فذهب عني عمر غضبان ، وقال رجاء رحمه الله : لما قرئ الكتاب بعد موت سليمان وفيه اسم عمر ابن عبد العزيز ، فأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فأجلسته على المنبر ، وهو يسترجع لما فيه[1] ، وفيه أن عمر بن عبد العزيز ، قال لعبد العزيز بن الوليد -وكان غائبًا عن موت سليمان ، فعقد لواءً ودعا إلى نفسه- : لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه ، ولقعدت في بيتي[2] .

فهؤلاء الرعيل الأول ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ (التوبة : ١٠٠) وقال الله سبحانه : ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة : ١١٩) ، وقال : ﴿اتَّبِعُوا مَن لا يَسْأَلُكُم أَجرًا وَهُم مُهتَدُونَ﴾ (يس : ٢١) ، وقال : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا﴾ (النساء : ١١٥) ، وغيرها من الآيات . والأحاديث وقد ذكرت أكثرها فيما مضى من الأبحاث والأبواب -والحمد لله- .

هم الرجال المستنون بالسنة ، والشارحون لكتاب الله سبحانه بالعمل لا بالقول فقط ، وهم الرجال المقتدى بهم ، وكل منهم يجتهد أن يكون الأمر إلى غيره ، ويكون هو وزيرًا له ومشيرًا ومعينًا ، وكل يدفع الأمر عن نفسه ، اللهمّ إلا إذا خاف الفتنة ، وضياع حق الأمة ، فقبله كارهًا له ، أو طلبه وقليل ما هم ، والحق أن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا ، فرضي الله عنهم أجمعين ، ووفقنا

(١) الكامل حوادث سنة ٩١ (ج٣ ص٢٥٤-٢٥٥) .

(٢) الكامل : ج ٣ ص٣٥٥ ، ونحوه في ابن خلدون إلا أن فيه الوليد مكان عبد العزيز بن الوليد (ج٣ ص٩٤) ، والطبري : ج٥ ص٣٠٧ و٣٠٩ ، والأصح أنه عبد العزيز بن الوليد ، كما في "الكامل" وابن جرير .

للاستنان بسنتهم إلى يوم الدين آمين .

أولئك آباءى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

فوارس لم تغذو الحواضن مثلهم إذ الحرب أبدت عن خدام الخرائر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لهم إذا جهالهم سادوا

ولما تبدلت الأحوال ، وتغيرت السنن ، واتبع المسلمون كل ناعق وناهق ، واتبعوا سنن من قبلهم اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين ، وقد منعوا عنها أشدّ منع ، بل ولو دخلوا جحر ضبّ ، أو أتى أحدهم أمه لفعله المسلمون ، وافتخروا به وحسبوه ازدهاراً ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ (النساء : ١٣٩) .

فصاروا أذلّ الأمم يقادون إلى كل خسف ، وذلّ على رغم أنوف بعضهم ، كما يقاد الجمل أو العير ، وذلك لتركهم ما به عزّوا ، ألا وهو الإسلام والقرآن والسنة علمًا وعملا ، درسًا ورواية ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا﴾ (النساء : ١٣٩) .

﴿وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون : ٨) .

﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا﴾ (يونس : ٦٥) .

﴿فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (النساء : ٥٦) .

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (الفاطر : ١٠) .

فصاروا من حزب الشيطان بقدر اتباعهم إياه ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ الله أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة : ١٩) وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣).

﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشيطَانُ أعمَالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ﴾ (النمل: ٢٨).

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطَانِ وَمَن يَتَّبِع خُطُوَاتِ الشيطَانِ فَإِنَّه يَأمُرُ بِالفَحشَاءِ وَالمنكر﴾ (النور: ٢١).

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَه فَلا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِن كُنتُم مؤمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

فخالفوا جميع هذه الأوامر، و اتخذوهم أولياء، وقادة الأمة ﴿أَموَاتٌ غَيرُ أحياء وَمَا يَشعُرُونَ أَيَّانَ يُبعَثُونَ﴾ (النحل: ٢١)، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، كما أخبر الرسول الأكرم ﷺ.

مَلحُوظة:

عفواً إنى ذكرت بعض الألفاظ المتعارفة اليوم المستوردة من الخارج كالانتقاء والصوت وغيرها مراداً بها معانيها اللغوية دون معانيها الإصطلاحية اليوم المستوردة بخصائصها، إذ هى من دسائس الجمهورية الغربية الكفرية لا وجود لها فى الإسلام، والذين يطبقون هذه الأسامى والمعانى المستوردة الغربية الغربية فى الإسلام على اصطفاء الإسلام، وترشيحه الرجل لأمر، والصوت له، فهو تحريف الدين وتبديل له -أعاذنا الله منه- والتفصيل فى الباب الآتى إن شاء الله تعالى.

نتائج بحث الانتقاء وفذلكة الباب

قد فهمنا من الأبحاث السابقة أمورًا : الأهم منها :

١- أصول الانتقاء في ضوء الكتاب والسنة ، وعمل الصحابة رضى الله عنهم .

٢- إيثارهم فى المناصب غيرهم على أنفسهم .

٣- عدم الحرص على المناصب .

٤- فرائض الولاة وحقوقهم ، والتفصيل كما فى الآتى على الترتيب .

أما الأمر الأول : فأصول الانتقاء على ضوء الكتاب والسنة ، وعمل الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وهى أمور .

١- تجب الأهلية الظاهرة لكل نوع من الولاية والمنصب ، حتى النقابة والعرافة ، وهى بأمور : أن يكون مسلمًا ، حرًا ، بالغًا ، عاقلا ، ذكرًا ، ذا سعة فى العلم والجسم ، عاملا بالدين .

٢- وكذا الأهلية الباطنة حسب ما يبدو للناس منه .

١- أما كونه مسلمًا فلأن كلامنا فى الدولة الإسلامية ، ولا يتولاها أحد دون المسلمين ، فإن المتولى لكل منصب راع فى ذلك المنصب لجميع ما فى رعايته بالدستور الإسلامى ، وأمين عليها ؛ لقوله عليه السلام : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ، فهو يقوم برعاية دين رعيته ودنياهم ، وإذا لم يكن مسلمًا لم يكن راعيًا «ومن استرعى الذئب فقد ظلم» على أن الإسلام شرط فى جواز الشهادة وهى أدنى رعاية الحقوق ، فلأن يكون شرطًا فى كل ولاية عامّة أولى ، بل أوجب ﴿وَلَن يَجْعَلَ الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى المؤمنِينَ سَبيلا﴾ (النساء : ١٤١) .

﴿قَالَ لا يَنالُ عَهدِى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ١٢٤) .

ولأن غير المسلم قد خان الله سبحانه، وخان كتابه ورسوله، فكيف يؤتمن على الدين، وعلى المسلمين؟ ﴿وَدّوا مَا عَنِتّم قَد بَدتِ البَغضاءُ مِن أفوَاهِهِم وَمَا تُخفِي صُدُورُهم أكبَر﴾ (آل عمران: ١٨١).

﴿وَدّوا لَو تَكفُرُونَ كَما كَفَرُوا فتَكُونُونَ سَوَاء﴾ (النساء: ٩٨).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ الله بِأفوَاهِهِم﴾ (الصف: ٨).

﴿يُخفُونَ فِي أنفُسِهِم مَا لا يُبدُونَ لَكَ﴾ (آل عمران: ١٥٤) وغيرها من الآيات.

سيدنا عمر رضى الله عنه لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى كاتب له نصرانى" يقول أبو موسى رضى الله عنه فى كلام طويل: "فانتهرنى وضرب فخذى وأخرجه وقرأ ﴿يَا أيّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا اليَهُودَ والنصَارى أولِيَاء بَعضُهُم أولِيَاءُ بَعض وَمَن يَتوَلّهُم منكُم فَإنّه مِنهُم إنّ الله لا يَهدِي القَومَ الظَالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)".

قال أبو موسى رضى الله عنه: والله ما توليته إنما يكتب، قال: أما وجدت فى أهل الإسلام من يكتب لك، لا تُدنِهم إذ أقصاهم الله تعالى، ولا تأمنهم إذ خونهم الله، ولا تعزهم بعد إذ أذلّهم الله تعالى فأخرجه[1].

وفى النيسابورى قوله: قلت: (أى أبو موسى رضى الله عنه) لا قوام بالبصرة إلا به، قال: مات والسلام يعنى هب أنه قد مات، فما كنت صانعًا حينئذ فاصنع الآن[2].

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَه مِن مكرِم﴾ (الحج: ١٨)، ويقول: ﴿لا يَنَالُ عَهدِي الظّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

وقال الجصاص رحمه الله: فلا يكون الظالم نبيًا ولا خليفة لنبى، ولا قاضيًا،

---

(١) أخرجه البيهقى فى "السنن الكبرى": باب لا ينبغى للقاضى ولا للوالى أن يتخذ كاتبًا ذميًا (ج١٠ ص١٢٧).

(٢) غرائب القرآن: تفسير آية المائدة ﴿فَإنهُم منهُم﴾ (ج٦ ص١٦٠).

ولا من يلزم الناس قبول قوله فى أمور الدين من مفتٍ، أو شاهد، أو مخبر عن النبى ﷺ خبراً، فقد دلت الآية إن شرط جميع من كان فى محل الائتمام به فى أمور الدين العدالة والصلاح، ثم قال: لدلالة الآية على شرط العدالة لمن نصب منصب الائتمام به فى أمور الدين[1]، وإذا كان هذا فى الظالم بالمعاصى، فكيف بالظالم بالكفر يتولى المسلمين؟

٢- وأما الحرية: فلأن الرق نقص فى الولاية لا يتولى نفسه، فلا يتولى غيره.

٣- وكذا البلوغ، لأن الصبى لا يتعلق بفعله حكم، وهو مرفوع القلم، فلا يتولى أمر المسلمين.

٤- وأما العقل: فهو شرط فى جميع التكاليف الشرعيّة، وهو مطلوب لكل تصرف عام أو خاصّ، ولا يكتفى لتولية منصب الحد الأدنى للمطالبة بالتكاليف الشرعية من صلاة وصيام ونحوهما، بل لا بد من رجحان الرأى بأن يكون صاحبه صحيح التمييز، جيد الفطنة، بعيداً عن ا السهو والغفلة يتوصل بذكاءه إلى إيضاح ما أشكل، وفصل ما أعضل، وكيف يتولى من لا يعقل على من يعقل؟

٥- وأما الذكورة: فلأن المرأة عورة، ولأن الأنوثة نقص فى الدين والعقل خلقةً، ولأنها سبب الفتنة غالبًا، ولأنها أمرت بلزوم بيتها لتكون عزيزة، ولأنا أمرنا بتأخيرهنّ كما أخرهنّ الله سبحانه.

وهاك بعض التفصيل بالنصوص لتتضح المسألة بجوانبها.

١- أما إن المرأة عورة مستورة فلقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا يُبدينَ زِينَتَهُنّ إلا مَا ظَهَر مِنهَا ولِيَضربنَ بِخُمُرهنّ على جُيُوبِهنّ﴾ ثم قال: ﴿ولا يَضرِبنَ بأرجُلِهنَ ليُعلمَ ما يُخفينَ من زِينَتِهِنّ﴾ (النور: ٣١).

والزينة: زينتان: ظاهرة، وباطنة، فالظاهرة الحلى والثياب، وهى المرادة

---

(١) أحكام القرآن فى تفسير آية البقرة (ج١ ص٦٩).

هـهـنا يدل عليها ما بعدها ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ وهو القول الصحيح إن شاء الله من أقوال العلماء رحمهم الله سبحانه.

وفى الحديث الصحيح: «أن النبى ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال»[١]، و«لعن الرجلة من النساء»[٢]. «وكم من كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة»[٣]، «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسافة كذا وكذا»[٤]، و«رُبّ كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة»[٥].

ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

---

(١) ابن ماجة فى النكاح: باب فى المخنثين، عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أن النبى لعن المرأة تتشبه بالرجال والرجل يتشبّه بالنساء»، وأخرج فى الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن النبى ﷺ لعن المتشبّهين من الرجال بالنساء ولعن المتشبّهات من النساء بالرجال» (ص١٣٨).

(٢) أخرج الحميدى: ذُكِر لعائشة رضى الله عنها أن امرأة تلبس النعلين، فقالت: لعن رسول الله ﷺ رجلة النساء (ج١ ص١٣٢)، وأخرجه أبو داود أيضاً.

(٣) أخرجه البخارى فى اللباس: باب ما كان النبى ﷺ يتجوز من اللباس والبسط عن أم سلمة رضى الله عنها (ج٢ ص٨٦٩).

(٤) أخرجه مسلم فى اللباس والزينة: باب النساء الكاسيات العاريات عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج٢ ص٢٠٥).

يقول النووى رحمه الله: كاسيات فى نعمة الله، عاريات عن شكرها. وقيل: معناه تستر بعض بدنها، وتكشف بعضها إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها مائلات، قيل: عن طاعة الله وما يلزمهنّ من حفظه، وقيل: يمشين متبخترات (ج٢ ص٢٠٦)، وأخرج الحديث الإمام أحمد عن أبى هريرة بألفاظ متقاربة (ج٢ ص٣٧٠ و٤٥٦).

(٥) أخرجه الترمذى فى الفتن عن أم سلمة رضى الله عنها، وقال: هذا حديث صحيح ج٢ ص٢٦٧.

(الأحزاب: ٥٩).

وأما الأحاديث في الباب فكثيرة: منها:

١- عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[١].

٢- وأخرج الرواية ابن كثير رحمه الله عن البزار بزيادة: وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قعر بيتها.

٣- وأخرج عن أحمد عن السائب مولى أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»[٢].

٤- وروى أبو داود رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: «بيوتهنّ خير لهنّ»[٣].

٥- وعنده فى نفس الباب عن عبد اللهبن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها»[٤]

٦- وأخرج الإمام أحمد فى مسند أم حميد رضى الله عنها أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنى أحبّ الصلاة معك، قال ﷺ: قد علمت أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى[٥].

(١) أخرجه الترمذى فى باب قبيل أبواب الطلاق، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب (ج١ ص١٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٢٩٤.

(٣) أبو داود: باب خروج النساء إلى المساجد (ج١ ص٩١).

(٤) نفس المرجع من أبى داود.

(٥) مسند أحمد: ج٧ ص٥١٤، وأخرجه عنه ابن كثير فى تفسيره (ج٣ ص٢٩٤).

٧- وأخرج الترمذى رحمه الله عن جابر رضى الله عنه فى حديث : أنه عليه السلام قال : «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت فى صورة شيطان»(١) .

وأخرج مسلم رحمه الله أيضًا عنه فى حديث قال ﷺ : «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان» .

يقول الإمام النووى رحمه الله : قال العلماء : معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة لما جعله الله تعالى فى نفوس الرجال من الميل إلى النساء ، والالتذاذ بنظرهن ، وما يتعلق بهن"(٢) .

٨- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تَفِلات»(٣) .

٩- وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تَفِلات» ، قالت عائشة رضى الله عنها : "لو رأى حالهن اليوم منعهن"(٤) .

فهذه النصوص كلها صريحة فى أن المرأة سيما الحرة عورة سيما وجهها ، فإن عامة محاسنها فى وجهها ، والوجه ترجمان الحسن وعنوان الملاحة والصباحة ، ولا يخفى هذا إلا على من لا وجه له ظاهرًا وباطنًا ، ومن أجاز إبداء الوجه ، فهو مشروط بعدم خوف الفتنة والشهوة أو الضرورة ، فإن خيف الفتنة والشهوة ، فلا يجوز الإبداء ، ولا النظر إذ هو تعرض للفساد ﴿وَاللهُ لا يُحِبّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة : ٢٠٥) .

---

(١) أخرجه الترمذى فى الرضاع : باب ما جاء فى رجل يرى المرأة فتعجبه (ج١ ص١٤٧) .

(٢) صحيح مسلم مع النووى فى النكاح : باب ندب من رأى المرأة ، فوقعت فى نفسه (ج١ ص٤٤٩) .

(٣) أخرجه أبو داود : باب خروج النساء إلى المساجد (ج١ ص٩١) ، وأخرج الحميدى فى "مسنده" عنه بلفظة : «ولا يخرجن إلا وهن تَفِلات» (ج٢ ص٤٣١) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٧ ص١٠٣ و٢٧٧ و٣٣١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور : ١٩).

وهى أضرّ فتنة للرجال، كما سيأتى فى الفقرات الآتية -إن شاء الله عزّ وجلّ-.

٢- وأما إن الأنوثة نقص فى العقل والدين، فلما قال رسول الله ﷺ فى خطبة العيد: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الجازم من إحداكُنّ قلن وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها»[1].

٣- وأما إنها سبب الفتنة غالبًا فلما مر من قوله عليه السلام: ١- «استشرفها الشيطان» وقوله ﷺ: ٢- «إن المرأة عورة إذا أقبلت أقبلت فى صورة شيطان» وكلاهما عند الترمذى كما مر.

٣- وعن حذيفة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى خطبته: «الخمر جماع الإثم والنساء حبائل الشيطان وحب الدنيا رأس كل خطيئة» وقال

---

(١) أخرجه البخارى فى الحيض: باب ترك الحائض الصوم عن أبى سعيد رضى الله عنه (ج١ ص٤٤، وأخرجه فى الزكاة: باب الزكاة على الأقارب مختصراً (ج١ ص١٩٧).

وأخرجه مسلم فى الإيمان: باب نقصان الإيمان عن ابن عمر رضى الله عنهما بألفاظ متقاربة (ج١ ص٦٠، وأخرجه ابن ماجة فى الفتن: باب فتنة النساء (ص٢٩٨).

وأخرجه الحميدى عن ابن مسعود بلفظ: ما وجد من ناقص العقل والدين أغلب للرجال ذوى الرأى على أمورهم من النساء، فقيل: يا أبا عبد الرحمن وما نقصان عقلها ودينها (ج١ ص٥١).

وأخرجه البخارى فى الشهادات أيضًا باختصار: باب شهادة النساء (ج١ ص٣٦٣، وأخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما فى حديث (ج٢ ص١٧٧)، وأخرجه عن أبى هريرة رضى الله عنه باختصار (ج٣ ص٦٧).

وأخرجه أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما: باب رد الإرجاء (ج٢ ص٢٩٥)، وأخرجه الدارمى عن عبد الله موقوفًا بألفاظ متقاربة: باب الحائض تسمع آية السجدة فلا تسجد (ج١ ص١٩٠)

رضى الله عنه : وسمعته ﷺ يقول : «أخروا النساء حيث أخرهنّ الله»[١].

٤- وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «ما تركت بعدى فتنة أضرّ على الرجال من النساء»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (فى حديث شكوى المازنى زوجته معاذة ، وأنشد فيها أبياتًا قال فيها : "وهنّ شرّ غالب لمن غلب").

فجعل النبى ﷺ عند ذلك يقول : «وهنّ شر غالب لمن غلب»[٣].

ولما كن أضرّ على الرجال ، وأذهب للب الرجل الحازم بقول : "من لا ينطق عن الهوى" ، وبقول : "من لا يقول إلا الحق" فكيف بإذهابهن عقول العامة ﴿عَسى أن تُحِبّوا شيئًا وهُوَ شَرّ لكُم وَالله يَعلَمُ وَأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ و"ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"[٤] ، ما ضلّ من ضلّ من الكفرة والمبتدعة وأهل الأهواء إلا باتّباعهم العقل ، وتركهم النقل ﴿فَما لِهؤلاء القَومِ لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ حَديثًا﴾ قال الشاعر جرير :

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهـنّ أضعف خلـق الله أركانا

---

(١) أخرجه الخطيب التبريزى فى "المشكاة" : كتاب الرقاق (ج٢ ص٤٤٤) ، وأخرجه المناوى بلفظ الشباب شعبة من الجنون والنساء حبائل الشيطان (كنوز السنة ج١ ص١٥٠).

(٢) أخرجه البخارى فى النكاح : باب ما يتقى من شؤم المرأة (ج٢ ص٧٦٣) ، وأخرجه مسلم عن سعيد بن زيد فى الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء (ج٢ ص٣٥٢) ، وأخرجه أيضًا فى نفس الباب عن سعيد رضى الله عنه وأسامة رضى الله عنه (ج٢ ص٣٥٣) ، وأخرجه الحميدى عن أسامة بنحو رواية البخارى (ج١ ص٢٥٠) ، وأخرج الترمذى عنهما : باب ما جاء فى تحذير فتنة النساء ، وقال : حديث حسن صحيح ، وفى الباب عن أبى سعيد رضى الله عنه (ج٢ ص٣٣٤) ، وأخرجه ابن ماجة فى باب فتنة النساء (ص٢٩٧) ، وأخرج الإمام أحمد نحوه عن أسامة رضى الله عنه (ج٦ ص٢٦٠ و٢٧٤) ، وأخرجه عبد الرزاق فى باب فتنة النساء (ج١١ ص٣٠٥).

(٣) مسند أحمد : ج٢ ص٤١١-٤١٢.

(٤) الدارمى : باب تغير الزمان وما يحدث فيه (ج١ ص٥٨).

٤ - وأما إنها أمرت بلزوم بيتها لتكون عزيزة فلقوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ﴾ من الوقار، أو من القرار على اختلاف القراءتين، والمعنى على الأول: كن فى بيوتكن موقرات عزيزات، ويفهم منه أنهن إذا خرجن لغير ما أذن الله لهن، وبغير ما أباح الله لهن الخروج، صرن ذليلات مهانات كأمتعة مبتذلة لا قيمة لها، وقد كانت خير متاع الدنيا، ولا يجوز لمسلم أن يذلّ نفسه.

١ - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[١]

٢ - وعنه عند ابن ماجة رحمه الله بلفظ قال: «إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شىء أفضل من المرأة الصالحة»[٢].

٣ - وأخرج الإمام أحمد عنه بلفظ «إن الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[٣].

٤ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث، ثم قال النبى ﷺ لعمر رضى الله عنه: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»[٤]

ولقوله عليه السلام: «إذا خرجت استشرفها الشيطان» ولقوله عليه السلام: «وبيوتهن خير لهنّ» ولقوله ﷺ: «أقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قعر بيتها» ولما أمرت بالصلاة فى بيتها والصلاة فى مسجده عليه الصلاة والسلام على الأقل بخمسين ألفًا، وإذا كانت خلف النبى ﷺ، فهى أضعف عنها بمرات، ولقوله عليه الصلاة والسلام بلسان الوحى: «صلاتك فى بيتك

---

(١) أخرجه مسلم فى الرضاع: باب الوصية بالنساء (ج١ ص٤٧٥).

(٢) أخرجه ابن ماجة فى النكاح: باب فضل النساء (ص١٣٤)، والنسائى فى النكاح: المرأة الصالحة (ج٢ ص٧١).

(٣) مسند أحمد: ج٢ ص٣٥٥.

(٤) المشكاة: عن أبى داود فى الزكاة، الفصل الثالث (ج١ ص١٥٦).

خير من صلاتك فى حجرتك» الحديث .

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمّ إنّ عَلينا بَيانَه﴾ (القيامة : ١٩)، وقد بين رسول الله ﷺ فضائل صلاة الجماعة وفضائل مسجده، ثم يقول: «بيوتهن خير لهن» والصلاة أفضل عبادة، فكيف يسع لها الخروج لغيرها؟

٥- وأما إنّا أمرنا بتأخيرهن، فلتأخير الله سبحانه إياهنّ حتى فى بيان الأحكام إلا ما خصّ بهن، ولذا اشتكت النساء عدم ذكرهن كما ذكره المفسّرون رحمهم الله، ١- ولقول ابن مسعود رضى الله عنه: "أخروهنّ من حيث أخرهن الله"[١].

٢- وعن أبى أسيد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق، فقال ﷺ: استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطرق، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٢].

٣- وأخرج قول ابن مسعود رضى الله عنه على القارئ رحمه الله بلفظة: "أخروهنّ من حيث أخرهن الله" ثم قال: وفى الغاية كان شيخنا الصدر سليمان رحمه الله يرويه «الخمر أم الخبائث والنساء حبائل الشيطان فأخروهنّ من حيث أخرهنّ الله»، ويعزوه إلى "مسند رزين"[٣].

وأخرجه ابن حجر رحمه الله فى "الدراية"، وذكر قول السريجى رحمه الله أيضًا وقال: وفى الباب عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى مالك رضى الله عنه والحارث بن أسامة رضى الله عنه[٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى "مصنفه": باب شهود النساء الجماعة (ج٣ ص١٤٩)، وأورده الخطيب التبريزى فى "المشكاة" فى كتاب الرقاق عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعًا، كما مرّ.

(٢) أبو داود فى الأدب: باب مشى النساء فى الطريق (ج٢ ص٣٦٨).

(٣) شرح النقاية: فصل الجماعة (ج١ ص١٩٨).

(٤) الدراية فى تخريج أحاديث الهداية: بحث الإمامة (ج١ ص١٢٥).

٤ - وأخرج السيوطى رحمه الله عن البزار عن أنس رضى الله عنه قال: جئن النساء إلى رسول الله ﷺ، فقلن: يا رسول الله ﷺ! ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فما لنا عمل ندرك فضل المجاهدين فى سبيل الله، فقال: «من قعدت منكنّ فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله»[1]، ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أنفقُوا﴾ (النساء: ٣٤)، جعل الله الرجال قوّامًا بما فضله على المرأة خلقة، وبتحمله أعباء النفقة عليها بجميع أنواعها، وعلى الأولاد وهى عليه شرعًا حسب وسعه ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إلا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) والغرم بالغنم.

أقوال أهل العلم فى تفسير الآية

قال ابن عباس رضى الله عنه: "قوّامون" يعنى أمراء عليهنّ أن تطيعه[2]، القرطبى رحمه الله: "قوّام" فعّال للمبالغة، من القيام على الشىء، والاستبداد بالنظر فيه، وحفظه بالاجتهاد فيه، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد، وهو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها فى بيتها، ومنعها من البروز، وإن عليها طاعته، وقبول أمره ما لم يكن معصية، وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة والعقل والقوة فى أمر الجهاد والميراث، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر[3].

البيضاوى رحمه الله والنسفى رحمه الله: يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين: وهبىّ، وكسبىّ، فقال: بما فضل الله بعضهم

(١) الدر المنثور: ج٥ ص١٩٧.

(٢) الدر المنثور: ج٢ ص١٥١.

(٣) القرطبى: تفسير آية النساء (ج٥ ص١٦٩، ومثله فى تفسير سورة البقرة (ج٣ ص١٢٥).

على بعض بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير، ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: الرجل قَيِّم على المرأة أى هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها ومؤدّبها إذا عوجّت[٢].

وقال القاسمى رحمه الله: القوامون جمع قوّام: وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب أى مسلطون على أدب النساء يقومون عليهنّ آمرين وناهين قيام الولاة على الرعية، وذلك لأمرين: وهبىّ وكسبىّ، وقد ذكروا فى فضل الرجل العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والفروسية، والرمى، وإن منهم الأنبياء عليهم السلام، وفيهم الإمامة الصغرى، والكبرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والشهادة فى مجامع القضايا، والولاية، والنكاح، والطلاق، والرجعة، وعدد الأزواج، وزيادة السهم، والتعصّب، وهم أصحاب اللحى والعمائم، والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص[٣].

ويقول الرسول ﷺ على لسان الوحى فى منشوره العالمى: إسلاميه وكفريه، إنسيه وجنيه، إذ هو رحمة للعالمين لا للإنس فقط، بل ولا للمسلمين فقط، ﴿وَمَا أرسَلنَاكَ إلا رَحمةً للعَالَمِينَ﴾ لما أخبر أن الفرس ملكوا عليهم ابنة ملكهم، فقال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأةً»[٤] ﴿وَمَن

---

(١) البيضاوى: ج١ ص٩٠، والنسفى باختصار (ج١ ص٢٢٣).

(٢) ابن كثير: ج١ ص٤٩١.

(٣) محاسن التأويل: ج٥ ص١٣٠ ونحوه فى أبى السعود بهامش الكبير (ج٢ ص٣٣)، وكذا "فتح القدير" (ج١ ص٤٦٠)، وكذا فى "غرائب القرآن"، وزاد فيه: وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلّب والقهر (ج٢ ص٣٦٠ وج٥ ص٤٠)، ونحوه فى الكبير تفسير آية البقرة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنّ دَرَجَة﴾ (ج٢ ص٢٤٧).

(٤) البخارى فى المغازى: كتاب النبى ﷺ إلى كسرى و قيصر عن أبى بكرة رضى الله عنه (ج٢ ص٦٣٧)، وأخرجه عنه فى الفتن بعد باب باب الفتنة التى تموج كموج البحر (ج٢ ص١٠٥٢)، وأخرجه النسائى عنه فى أدب القضاة: باب النهى عن استعمال النساء فى الحكم (ج٢

يشَاقِقِ الرسُولَ مِن بعدِ مَا تَبين لَهُ الهُدى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المؤمنِينَ نُوَلّه مَا تَولّى ونُصلِهِ جَهَنّم وَسَاءَت مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

يقول أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى كلام له عن النساء: " يا أيها الناس لا تطيعوا النساء أمرًا، ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تدعوهنّ يدبرن أمر عشيرة، فإنهنّ إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهنّ لا دين لهنّ فى خلواتهن ولا ورع لهنّ فى شهواتهن"[1].

٦- وأما اشتراط العلم: فهو العلم بما يتولى من الأمر إذ لو لم يعلم ما ينفع مما يضرّ، ولا ما يجب مما يمتنع، ولا ما له مما عليه من الحقوق والفرائض فيما تولاه كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وأهون ما يكون، كان كحمار الطاحونة يدور يومه وليلته فى أول موضعه، فما الفائدة فى توليه أمرًا من أمور الناس.

٧- وكذلك اشترط الجسم أى القوة على الأمر وصلاح الأعضاء التى لابد منها للعمل فيما يتولاه، إن كانت الولاية تحتاج إلى علاج الجوارح، وإلا فيكفى أن يكون المترشّح لولاية ما، ما بعد العلم ذا همة تامّة، وعزم كامل وصبر وثبات ورأى فى وجوه العمل.

ص٣٠٤)، وأخرجه الحاكم أيضًا عنه فى معرفة الصحابة رضى الله عنهم بلفظ البخارى (ج٣ ص١١٩)، وأخرجه فى كتاب الأدب بلفظ «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» وبلفظ «هلكت الرجال حين أطاعت النساء» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح (المستدرك: ج٤ ص٣٩١)، وأخرجه أيضًا فى الفتن والملاحم (ج٤ ص٥٢٥).

وأخرجه الترمذى بلفظ البخارى فى آخر الفتن (ج٢ ص٢٧٥)، وأخرجه الإمام أحمد بلفظ «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» (ج٦ ص١٨ و٣١)، وعنده بلفظ «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» (ج٦ ص٢٥)، وعنده: الآن هلكت الرجال إذا أطاعت النساء ثلاثًا (ج٦ ص٢٨)، وعنده ما أفلح قوم يلى أمرهم امرأة (ج٦ ص٣٦)، وعنده: لن يفلح قوم تملكهم امرأة (ج٦ ص٣٨)، وأخرج ابن أبى شيبة فى كتاب الجمل فى سيرة عائشة رضى الله عنها بلفظ: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة (ج٨ ص٧١١)، وكلها عن أبى بكرة رضى الله عنه وابن كثير رحمه الله (ج١ ص٤٩١).

(١) كتاب التذكرة: باب ما جاء فى أكثر أهل الجنة وأكثر النار (ص٤٣٩).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

﴿لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

﴿إِنّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهلِهَا﴾ (النساء: ٢٧٦).

وغيرها من الآيات والأحاديث وعمل الأمة، فإن فقد المترشّح لولاية ما كلا الشرطين، أو أحدهما، فهو ذئب فى جلدة ضأن و ﴿هُوَ كَلّ عَلى مَولاهُ أَينَمَا يُوجّههُ لا يَأتِ بِخَير﴾ وإنما هو عبد الدرهم والدينار، وعبد البطن لا غير، وإنما همته نفسه ﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدنيَا وَيُشهِدُ اللهَ عَلى مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلَدّ الخِصَامِ وَإِذَا تَوَلّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحرثَ والنسلَ وَاللهُ لا يُحِبّ الفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥).

«وإذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة».

«ومن استرعى الذئب فقد ظلم».

وما ضرت الجمرة أن لا تطول، ومعظم النار من مستصغر الشرر، وفى تولى مثل ذلك فساد فى الأرض كبير.

أبو ذر رضى الله عنه: كنت مخاصر النبى ﷺ يوماً إلى منزله، فسمعته يقول: «غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال»، فلما خشيت أن يدخل، قلت: يا رسول الله! أى شىء أخوف على أمتك من الدجال، قال: «الأئمة المضلّين»(١).

٢- وأما الأهلية الباطنة الظاهرة بآثارها: فهى أن يكون متّقيًا مجتنبًا عن الكبائر موثوقًا به "إذ الاستعانة بغير أهل الثقة هلاك العامة" (قول أبى يوسف).

وأخرج المناوى رحمه الله حديثًا «استعينوا على كل صنعة بأهلها»(٢)، وإن لم يكن متّقيًا، فهو ذئب فى زىّ شاة، كلما قدر على استيفاء شهوة نفسه، واستخفى

(١) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند" (ج٦ ص١٧٨).

(٢) كنوز الحقائق (ك): ج١ ص٢٩).

من الناس قضاها وارتكبها، ولو لم يكن مجتنبًا عن الكبائر، فلا خير فى ولايته إذ يكون بارتكابه المعاصى داعيًا إليها؛ إذ الناس على دين ملوكهم[١].

والنفس تسرق، وتحاكى ما تراه ملائمًا لها سيما إذا كان عن كبير وجيه، وأشار إليه النبى ﷺ، كما مرّ عن أبى ذر رضى الله عنه ﴿يا لَيتَ لَنا مِثلَ ما أوتِيَ قارُونُ إنّه لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩)، وإنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، هو فى المرفوع عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعًا إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة[٢]، وعنه مرفوعًا: الناس كالإبل المائة، لا تكاد ترى فيها راحلة، أو متى ترى فيها راحلة[٣].

٤- فيكون بولايته داعية إلى المنكرات، فتكن فى الأرض فتنة وفساد كبير، ولو لم يكن من أهل الثقة، فلا يعتمد عليه فى ولايته، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

التحريض على أداء حقوق بنت حواء عليها السلام

وهذا الذى يشرع للجنّ والإنس، ويخبر بفساد العالم، وخرابه بقوله (عليه الصلاة والسلام): «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» هو الذى يقول لنا عن الله عزّ وجلّ: ١- ﴿وَعَاشِرُوهُنّ بالمعرُوف﴾ (النساء: ١٩).

٢- ﴿ولَهُنّ مِثلُ الّذِي عَلَيهِنّ بالمعرُوف﴾ (البقرة: ٢٢٨).

---

(١) هو مشهور على الألسنة، وليس بحديث، وفى معناه قول على أو عمر رضى الله عنهما: "الناس بزمانهم أشبه منهم بآباءهم" (الأسرار المرفوعة: ص٢٥٠)، وكذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إنما السلطان سوق فما راج عنده حمل إليه (كشف الخفاء: ج٢ ص٣١١).
وقريب منه قول عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، وإنما الأيام كالسوق ما نفق فيها يحمل إليها (البداية: ج٨ ص٣٥٠).

(٢) مسند الإمام أحمد: ج٢ ص٧٨.

(٣) المسند: ج٢ ص٢٥١).

٣- ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣٦).

٤- ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا﴾ (النساء: ١٩).

٥- ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة: ٧١).

٦- ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين. ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها. . .﴾ (التحريم: ١١-١٢).

٧- ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا. وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرًا﴾ (النساء: ٣٤-٣٥) وغيرها من الآيات بينت فيها حقوق المرأة فى المعاشرة البشرية إكرامًا وإعزازًا لها.

١- يقول الرسول ﷺ: «حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء»[(١)].

٢- «والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسؤولة»[(٢)].

٣- «اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله».

٤- «يا أيها الناس إن النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله»[(٣)].

---

(١) البيهقى فى النكاح جماع أبواب الترغيب فى النكاح، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» (ج٧ ص٧٨)، وأخرجه الإمام أحمد عنه أيضًا (ج٣ ص٥٨١ وج٤ ص٢٠١).

والنسائى فى عشرة النساء: باب حب النساء (ج٢ ص٩٣)، والسيوطى فى "الجامع" (حم، م، ك، هق) عن أنس رضى الله عنه، ورمز له بالحسن (ج١ ص١٤٦).

(٢) أخرجه البخارى فى النكاح: باب قوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾ (فى حديث) (ج٢ ص٧٧٩)، وأخرجه فى النكاح أيضًا: باب المرأة راعية فى بيت زوجها (ج٢ ص٧٨٣).

(٣) الدر المنثور: ج٢ ص٢٣٢، وأخرجه مسلم فى حديث حجة الوداع (ابن كثير فى تفسير آية: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ ج١ ص٢٧١)

٥- «من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له سترًا من النار»(١).

٦- «أحق ما أكرم به الرجل ابنته وأخته»(٢).

٧- «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(٣).

٨- أنس رضى الله عنه قال: "كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه"(٤).

٩- «استوصوا بالنساء خيرًا»(٥).

١٠- «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهنّ عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك»(٦)، وغيرها من النصوص فهل ترى أن كلامه يناقض بعضه بعضًا ﴿وما ينطقُ عن الهَوى. إن هُو إلا وَحيٌ يوحى﴾ كلا والله، بل هما حقان للمرأة كلاهما حقوق طبيعية لها، أفرطت فيها جاهلية، وفرطت فيها جاهلية.

فبين الرسول الخاتم ﷺ المبعوث لبيان الحقوق: حقوق الله سبحانه، وحقوق

---

(١) المسند عن عائشة رضى الله عنها (ج٧ ص٥٢) وفى مواضع منه.

(٢) المسند عن عائشة رضى الله عنها (ج٧ ص١٧٦).

(٣) ابن كثير: ج١ ص٤٦٦ والترمذى فى الرضاع: باب ما جاء فى حق الزوجة عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم» وقال: حسن صحيح، وفى الباب عن عائشة رضى الله عنها وابن عباس رضى الله عنهما (ج١ ص١٤٧)، وابن ماجة فى النكاح: باب حسن معاشرة النساء (ص١٤٣): عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما بمعناه مختصرًا، والإمام أحمد فى "المسند" عن أبى هريرة رضى الله عنه (ج٣ ص٢٤١)، والدارمى عن عائشة رضى الله عنها فى النكاح: حسن معاشرة النساء (ج٢ ص٨٢).

(٤) المسند: ج٣ ص٥٦٤.

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى فى النكاح: باب الوصاة بالنساء (٢ ص٧٧٩)، وأخرجه مسلم عن أبى هريرة فى الرضاع: باب الوصية بالنساء (ج١ ص٤٧٥).

(٦) أخرجه ابن ماجة عن عمرو بن الأحوص عن أبيه فى خطبة حجة الوداع فى النكاح: باب حق المرأة على الزوج (ص١٣٤)، والترمذى فى الرضاع: باب حق المرأة (ج١ ص١٤٧).

المخلوق سيما حقوق الضعفة، والمبعوث رحمة للعالمين، وبين حقها وفرضها بالوحى الجلى والخفى، فصلى الله عليه وسلم لما أحيى حقوق الضعفة سيما المرأة بمنشوراته العالمية الأبدية الدائمة التى لا ناسخ لها ولا مبدل -فجزى الله عنا محمداً ما هو أهله ورزقنا اتّباعه- .

ولا تتضح قيمة كلام النبى ﷺ حق الاتّضاح إلا ببيان حالة المرأة فى التاريخ القديم قبل مبعث النبى ﷺ وعند مبعثه .

سيدنا عمر رضى الله عنه : "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية"(١) .

ويقول رضى الله عنه : قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ، ولم يكن له قدم فى الإسلام(٢) .

فلنرجع إليه لنرى فى ظلمته ضوء المنشورات النبوية ، إذ هو ﴿كَمَثَلِ الذِى اسْتَوقَدَا نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَولَه ذَهَبَ الله بِنُورِهِم وتَرَكَهُم فِى ظُلُمَاتٍ لا يُبصِرُونَ﴾ (البقرة : ١٧) ، ولنرى مظلومية بنات حواء عليها السلام .

تفصيل فى الجاهليات :

فهاك بعض التفصيل ونرجع فيها إلى بعض الأدوار التاريخية السابقة الواضحة المشهورة ، فنرى من أقدم الأدوار المشهورة التاريخية جاهلية المجوس أهل فارس وهى أشد وأكبر ظلماً على بنات حواء عليها السلام ، بل على كل أولاد آدم عليه السلام .

---

(١) الكبير لشيخ الإسلام رحمه الله (ج٤ ص٣٨٧) .

(٢) البداية : ج٨ ص٢٣٥ .

المجوس :

وهى جاهلية الشركة فى النساء والمكاسب ، المال والمزارع ، وهى من مخازى مزدك الثنوى الذى ظهر فى أيام قباذ بن يزدجرد بن بهرام ، يحكى لنا ابن جرير عن دينه المردود الذى كان يتدين به ، ويدعو الناس إليه .

يقول : قالوا : إن الله إنما جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسى ، ولكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردّون من المكثرين على المقلّين ، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء ، فليس هو بأولى به من غيره .

فافترص السفلة ذلك ، واغتنموه وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتلى الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره ، فيغلبونه على منزله ونساءه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئًا يتّسع به ، وصيروا قباذ فى مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا مكانه أخًا له يقال له : جاماسب ، وقالوا لقباذ : إنك قد أثمت فيما عملت فيما مضى ، وليس يطهرك من ذلك إلا إباحة نساءك ، وأرادوه على أن يدفع إليهم نفسه ، فيذبحوه ويجعلوه قربانًا للنار .

فلما رأى ذلك زرمهر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلا نفسه ، فقتل من المزدكية كثيرًا ، وأعاد قباذ إلى ملكه[1] .

وكان أصل هذا الدين الخبيث كما يقول ابن جرير : من زرادشت بن خركان من أهل فسا ، ابتدعها فى المجوسية ، فتابعه الناس على بدعته تلك ، وفاق أمره فيها ، وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مزريته مزدق بن بامداز ، وكان فيما أمر به الناس وزينه لهم ، وحثهم عليه التآسى فى أموالهم وأهليهم ، وذكر أن ذلك من البر الذى يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ج١ ص٥٢٠-٥٢١ .

وإنه لو لم يكن الذى أمرهم به، وحثهم عليه من الدين كان مكرمة فى الفعال، ورضى فى التفاوض، فحضّ السفلة على العلية، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء، وسهل السبيل للغصبة إلى الغصب، وللظلمة إلى الظلم، وللعهار إلى قضاء نهمتهم، والوصول إلى الكرائم اللائى لم يكونوا يطمعون فيهن، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله[1].

ويقول ابن حزم فى الفصل: الكلام على من قال: إن فاعل العالم، ومدبره أكثر من واحد، ومنهم المزدقية أصحاب مزدق الموبذ، وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب والنساء[2].

الشهرستانى: المزدكية هو مزدك الذى ظهر فى أيام قباذ والد أنوشيروان، ودعا قباذ إلى مذهبه، فأجابه واطلع أنوشيروان على خزيه وافترائه، فطلبه فوجده فقتله، وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، فأحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والكلأ والنار، وحكى أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة[3]، فقتله أنوشيروان لما ملك بعد أبيه، وأتبعه بثمانين ألفًا من أصحابه[4]، كما قتلهم قبل أنوشيروان فى أيام قباذ أبيه لما حبسوه زرمهر بن سوخرا كما مر عن ابن جرير، ويقول أيضًا فى ملك أنوشيروان: وقتل بشرًا كثيرًا ثبتوا عليها، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها[5].

ويقول ابن جرير: ثم أمر برؤوس المزدكية، فضربت أعناقهم، وقسمت

---

(١) تاريخ الأمم: ج١ ص٥٢٥.

(٢) الفصل: ج١ ص٢٨ وج٢ ص١٠٩.

(٣) الملل والنحل: ج٣ ص٧٤.

(٤) مروج الذهب: ج١ ص٢٩٠.

(٥) تاريخ الأمم والملوك: ج١ ص٥٢٥.

أموالهم فى أهل الحاجة[1]، فهذه الجاهلية جعلت المرأة مباحة أصلا كسائر المباحات، بل جعلتها أهون المباحات، حتى لا يكون لها راع، ولا لما ولدته أبٌ ولا محافظ، فنرى بنت حواء فيها مظلومة مهانة.

٢- أهل الكتاب:

وهناك جاهلية ثانية جاهلية الذين قالوا: إنا نصارى أهل الروم، ظلموا بنت حواء كما ظلمها المزدكية المجوس، قالوا: إن الفساد فى العالم من شيئين: بنت حواء والمكاسب، فيجب أن يعتزل عنهما ويجتنب، فدانوا بالرهبانية، ترك النساء وترك المكاسب، فتركوا بنت حواء لا راعى لها، و لا سائل عنها فى شؤون حياتها، حتى اضطرّت فى اكتساب ما يشبع بطنها، ويوارى جسمها إلى الاكتساب بنفسها بالأعمال السفلية المهانة عند السفلة الأراذل ففشى الزنا، وعدمت الأنساب ﴿ورَهبَانِيَةَ ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم إلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ الله فَمَا رَعَوهَا حَقّ رِعَايَتِهَا فَآتَينَا الّذِينَ آمَنُوا مِنهُم أجرَهُم وَكَثِيرٌ مِنهُم فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧) «لا رهبانية فى الإسلام»[2].

وهذه الحالة فيهم إلى الآن، حتى أجازوا الزنا إذا كان برضا المرأة، وهذه الحالة من جاهلية الرهبانية الأولى هى من بقية الآثار السابقة.

فهى على طرف النقيض من الجاهلية الأولى، فكلتا الفرقتين مخالفتان فى المذهب والتدين، متفقتان على ظلم بنات حواء عليها السلام جعلتها الفرقة الأولى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ج١ ص٥٢٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عن عائشة رضى الله عنها بلفظ، فقال: "يا عثمان! إن الرهبانية لم تكتب علينا" (ج٧ ص٣٢٢)، وعنده عن أنس رضى الله عنه بلفظ: "لكل نبى رهبانية ورهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله عزّ وجلّ" (ج٤ ص١٦٨).

وأخرجه السيوطى عن أحمد والحكيم الترمذى فى "نوادر الأصول"، وأبو يعلى والبيهقى فى "الشعب"، وأخرج أيضًا عن عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رحمه الله قال: ذكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع (الدر المنثور: ج٦ ص١٧٨).

بهيمة حَمولة، من شاء وكيف شاء، ومتى شاء، وأينما شاء، ركبها وحمّلها متاعه، ولو بشق نفسها، وعدم رضاها وإذا بلغ بها ما يريد عنها، تركها أحوج ما كانت إلى الراعي.

وجعلتها الفرقة الثانية أقذر شيء كالعذرة، ينفر عنها ويستنفر، وهي بنت أبيها وأمها آدم وحواء عليهما السلام، وهي التي ولدتهم وربتهم، فكلتا الفرقتين خالفوا الشرائع، و ناقضوا العقل، وظلموا أختها الضعيفة الرابّة لهم، فيا حسرة على العباد.

٣- العرب :

وهناك جاهلية ثالثة وهي جاهلية العرب، وفيها ألوان من الظلم على بنت حواء عليها السلام، ١- فنرى المرأة في قريش لا مكانة لها، ولا قدر في جميع بيئتها، كانت في بيت أبيها، أو في بيت زوجها، أو مع إخوانها، أو غيرهم من أهل القرابة، إنما هي عندهم كالأمة الخادمة، إن احتاجوا إليها للخدمة، لا رأي لها، ولا كلام، ولا اختيار مع أحد، يقول سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه: "كنا معشر قريش نغلب النساء"[(١)]، ويقول: "ما كنا نعدّ النساء في الجاهلية شيئًا"[(٢)]، فهذا لون من الظلم.

٢- الدارمي رحمه الله في مقدمة كتابه: "إن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إنا كنا في جاهلية وعبادة الأوثان فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي ابنة لي وكانت مسرورة بدعاءي إذا دعوتها، فدعوتها يومًا، فاتبعتني فمَرَرت حتى أتيت بئرًا من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها، فرديتها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه، فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه" الحديث.

---

(١) البخاري في المظالم والقصاص: باب الغرفة والعلية عن ابن عباس رضي الله عنهما (ج١ ص٣٣٤، و أخرجه عنه في النكاح: باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (ج ٢ ص٧٨١).

(٢) البخاري في اللباس: باب ما كان النبي ﷺ يتجوز في اللباس والبسط (ج٢ ص٨٦٩).

وعنده فى نفس الباب عن مجاهد رحمه الله قال هارون - أحد الرواة - ويربى كلبه ويقتل ولده[١]، وأخرج ابن جرير رحمه الله عن قتادة رضى الله عنه كان أحدهم يغذو كلبه ويئدُ ابنته[٢].

ابن كثير رحمه الله والنيسابورى رحمه الله: كانوا يقتلون بناتهم أحياء[٣].
النيسابورى رحمه الله: كانوا مختلفين فى قتل البنات، فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها إلى أن تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها[٤].

ووأدَ قيس بن عامر فى الجاهلية ثمانى بنات[٥]، وفى رواية: اثنتى عشرة ابنة أو ثلاث عشرة[٦].

وجاء عن عمر رضى الله عنه: أمران فى الجاهلية: أحدهما: يبكينى، والآخر: يضحكنى، أما الذى يبكينى فقد ذهبت بابنة لى لأئدها، فكنت أحفر لها الحفرة، وتنفض التراب من لحيتى، ولا تدرى ما أريد لها، فإذا تذكرت ذلك بكيت[٧]، فهذا لون آخر من الظلم.

٣- وحكى لنا أهل العلم جاهلية العرب، وظلمهم بنات حواء بنوع آخر.
يقول ابن جرير رحمه الله: كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً ولا الصبى،

---

(١) الدارمى: باب ما كان عليه الناس (ج١ ص١٣-١٤)، ونحوه فى "الترغيب" (ج٤ ص[illegible]) تفسير آية النحل: ٥٩.

(٢) تفسير ابن جرير: ج١٤ ص٨٤ وج٣٠ ص٤٦، والدر المنثور: ج٤ ص[illegible].

(٣) النيسابورى: ج١٤ ص٧٧، ابن كثير: ج٢ ص٥٧٣، البيضاوى: ج٢ ص٤٨٤.

(٤) النيسابورى: ج١٤ ص٧٦-٧٧.

(٥) ابن جرير: سورة التكوير (ج٣٠ ص٤٦).

(٦) ابن كثير: ج٤ ص٤٧٨.

(٧) تكملة أضواء البيان: ج٩ ص٦٣.

من إيفاء حقها كالرجل، ثم خيارها فى الزواج، وحقها فى الميراث إلى غير ذلك[١].

فهذه حالها عند العرب تؤد حيّة، أو تقتل، أو تذبح، أو ترمى من شاهق، أو تغرق، وإن أحييت بقيت مهانة خادمة، لا حق لها، ولا ميراث، بل لا تستطيع التصرّف فى خالص مالها بدون رضا وليها، وأورثت كأمهن متاع البيت حتى ظنّ بعض المسلمين أول الأمر أن أجرها فى الإسلام نصف أجر الرجل، كما قرره الشرع فى الأموال الميراثية، وكانت مغلوبة أبداً، وهى جدة، وأمّ، وأخت، وعمة، وخالة، وزوجة، وبنت إلى غير ذلك من الأحوال.

(١) تكملة أضواء البيان: ج٩ ص٦٦-٦٧.

٤- الأفاغنة

ومثل جاهلية العرب وظلمهم بنت حواء جاهلية الأفاغنة في ظلمهم بنت حواء، بل هم أسوأ حالا من العرب، وحتى الآن أكثرهم على ذلك، إلا أنهم لا يدفنونها حيّة، ولكن يقتلونها بأدنى تهمة من غير حجة وبرهان، ولا سائل عنها، تورث ولا ترث، وإن مات زوجها تحبس على صغير سنوات من غير رضاها، أو تزوج بمن يرضى أولياءها به، وإن لم ترضَ هي، ولا خيار لها في الزواج، واختيار الأزواج، وكان بعض العرب يتزوج زوجة أبيه بعد موته.

وأما الأفاغنة: فلا يتزوجونها، ولكن يزوجونها من شاؤوا، ويقبضون مهرها لهم، لا لها، وأكثر ما يزوجونها في غير كُفْءٍ كي لا يرونها، ولا تراهم، وإن سخطت في كل ذلك، وكرهت، لا اختيار لها في كل ذلك، ولا ينكر هذا الظلم العظيم أحد، بل يقررها "﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾".

وكان بعض العرب يزوج أخته، أو ابنته، أو قريبته على أن يزوجه الآخر بنته، أو أخته، أو قريبته، ولا مهر لها، ويسمى شغاراً.

وأما الأفاغنة وإن لم يعقدوا الشغار المصطلح إلا إنهم يزوجون قريبتهم ممن يزوجه قريبته، ويكون لهما مهر، فليس هذا شغاراً، ولكنه قريب منه، ويسمون هذا [بدلا]، وربما كان أحد الزوجين شيخًا، ومن تزوج بها شابّة، وربما كان زوجها صغيراً لم يبلغ، وهي شابّة لا ترضى به، ولكن إلى من تشتكي المظلومة، وبمن تستغيث البائسة.

وإذا قتل أحد أحداً، وأراد أن يصالح ورثة المقتول، فيعطي في الصلح المال وبنات حواء أو بنات حواء فقط، واحدة، أو اثنتين، أو ثلاثة، وربما

كانت صغيرة فى المهد، أو شابّة كبيرة، ويزوجونها ممن هو كبير شيخ، أو ممن هو فى المهد، وتكون مهانة عندهم كأنها من مال الدية والصلح، ظلمات بعضها فوق بعض، وظلم أقبح ظلم وحول ولا قوة إلا بالله.

٥- المصريّون القدماء:

ونرى بنات حواء مظلومات فى مصر أيضًا قبل مبعث النبى ﷺ بنوع آخر من الظلم، يحكى لنا ابن كثير رحمه الله وغيره من أهل العلم عن ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه، قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص رضى الله عنه، وكان أميرًا بها، حين دخل بونة من أشهر العجم، فقالوا: يا أيّها الأمير! إن لنيلنا هذا سُنة لا يجرى إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى النيل، فقال لهم عمرو بن العاص رضى الله عنه: "إن هذا لا يكون فى الإسلام إن الإسلام يهدم ما كان قبله"، رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائى رحمه الله فى "كتاب السنة" له(١).

٦- الهنود:

ونرى الهنود ومن أصل دينهم تحريم الظلم، بل الأذى، حتى إنهم يحرمون قتل الحيات والمؤذيات وغيرها، ونراهم يظلمون بنات حواء من غير أيما اكتراث، بل قد يجعلون الظلم من دينهم، بنتًا كانت أو أختًا، أو أية قريبة غيرها، وجعلوا ظلمها دستورًا دوليًا.

يحكى لنا الرحّالة ابن بطوطة فى رحلته عن ظلمها يقول عن بعض

---

(١) ابن كثير: ج٣ ص٤٦٧، وذكرها فى "تاريخه" مسندة مفصّلة، البداية: ج٧ ص١٠٢-١٠٣.

جزائر الهند: كان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء من القناديل، فكانت عادتهم إذا رأوه، أخذوا جارية بكراً، فزينوها وأدخلوها إلى بدخانه -وهي بيت الأصنام- وكان مبنيًا على ضفة البحر، وله طاق ينظر إليه منه، ويتركونها هنالك ليلة، ثم يأتون عند الصباح، فيجدونها مفتضّة ميتة، ولا يزالون في كل شهر يقترعون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى ابنته[١].

ومن عادتهم تدينا منهم بها أن زوج المرأة إذا مات، تحرق المرأة نفسها مع زوجها الميت تعتنقه، فتحترق معه، ومن لم تحرق نفسها لبست أخشن ثيابها، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة خادمة لأهل بيت أبيها، أو لأحمائها طول حياتها، وترى مشؤومة منحوسة لا حق لها في الزواج ثانيًا، وهذا دينهم إلى اليوم، وأما الرجل فيتزوج كلما ماتت زوجته، ولا يحرق نفسه معها، فهل في العالم ظلم أكبر من هذا ببنات حواء عليها السلام؟ لا، وكلا، فصلوات الله وسلامه على من أحيى بنت حواء وأعطاها حقها ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

فهذه حال المرأة في التاريخ القديم عند أبناء آدم عليه السلام قبل مبعث خاتم الأنبياء عليه وعليهم السلام، ومحمد ﷺ كان يرى حالها ومظلوميتها عن قريب ويحترق لذلك، ولكن كان كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى: ٥٢) ولما أوحى الله إليه أول ما أوحى، قال: «والله لقد خشيت على نفسي»[٢]، وقال: لا راحة بعد اليوم.

وقال له ورقة بن نوفل -عالم الكتب الإلهية-: "يا ليتني كنت جذعًا إذ يخرجك قومك"، فقال عليه الصلاة والسلام كالمقرّ لمقالته ومتعجبًا منها: «أو مخرجيّهم»، وكل ذلك لما يرى من الظلم في حق الله عزّ وجلّ، وفي حق

(١) ابن بطوطة: الرحلة (٥٦٧-٦٥٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده": عن عائشة رضي الله عنها (ج٧ ص٣٣٢).

الضعفة سيما المرأة بنت حواء: «وما ملكت أيمانكم»، ويرى استكبار قومه عن الإذعان لحق الله عزّ وجلّ، والاستكبار عن حق المرأة والضعفة غيرها، فيقول فى أول يوم نبوته ﷺ -وفداه أبى وأمى، ونفسى أولا-: «والله لقد خشيت على نفسى» لم يعددن ولم يحسبن فى شىء، وإنما هن للخدمة ولقضاء شهوة الرجل كيف شاء، وبأية طريقة شاء.

وهناك جاهليات أخرى: جاهلية أهل اليونان، وجاهلية اليهود، وجاهلية أهل الصين وغيرها، ولم أرد إحصاءها، بل ذكرت ما ذكرت ليتضح ظلم بنت حواء فى مختلف أدوار التاريخ إلى يومنا هذا، وكل ثانٍ من هذه الجاهليات: إما مناقضة لما قبلها، وإما متولدة منها، فزادوا فيها من ما قبلها، وصدق قول رسول الله ﷺ «إلا والذى بعده شر منه» كما مر من قبل.

وبالجانب الآخر ما عرفت بنت حواء نفسها، ولا حقها فى كل تلك الأدوار، بل حسبت نفسها حسب ما وضعت فى بيئتها ومعاشرتها «والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» وإن كانت تحسبها مظلومة.

٧- الجاهلية المعاصرة:

وتولدت من الجاهليات السابقة جاهلية أخرى سابعة هى أسوأ وأخزى مما مضى، بصورة حسنة عند الناس، وهى جاهلية عصرنا، جاهلية باسم حقوق النساء والحقوق البشرية، ومساواة الرجل والمرأة، وتحرير المرأة وترقى النسوان إلى غير ذلك من الأسامى، ويجمع كل ذلك المخازى كلمة الجمهورية، فكل واحد يستدلّ بها، ويعبر عنها بما يهوى، وهى أخزى الجاهليات وأوقحها، وأسبق من كل الجاهليات فى محو الإسلام وطمسه، وهلاك المسلمين وتدميرهم، بل هلاك البشرية أصلا، وإحياء السبعية والبهمية، وهى جاهلية أسّسها اليهود والنصارى، ثم صارت عالمية اليوم، والمرأة فى الجاهليات السابقة كانت تحسّ مظلوميتها، وربما شكت منها.

وأما الجاهلية هذه: فالمرأة نفسها مدعيتها وتحسبها حقها وترقيها، فألقت جلباب حياءها، وجدّت أن تسامى الرجل فى كل شؤونها، وتستدل لها بالجمهورية والتحرير الدستورى الوضعى، فاستحمرت الأتن، وكانت خير متاع الدنيا، فصارت أمهنها وأهونها، وصارت كأنها الشارعة لها، بل كأنها ليست مخلوقة لله ﴿أم خُلِقُوا من غَير شَيءٍ أم هُمُ الخَالِقُون﴾ فتردّ أحكام الله عزّ وجلّ، وأقوال رسول الله ﷺ، فلا دين ولا إسلام، بل هى أسماء وقعت على غير مسمّياتها «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا حرفه» فبقينا فى حثالة من الناس لا يعرفون معروفًا، و لا ينكرون منكراً "كيف بك إذا تركت بدعة يقولون: ترك سنة" فخرجت النساء متبرّجات بزينة، بل عاريات إلى محافل الرجال، وإلى كل مجتمع، حتى خرجت إلى ميادين العب، بل خرجت إلى الدول الخارجة الكفرية وكل ذلك جمهورية عندها، وعند القوم وترقّ وحق، وحرية للنساء، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿لَتَركَبُنّ طَبَقًا عَن طَبَق﴾ (الانشقاق: ١٩).

﴿تَشابَهَت قُلُوبُهُم﴾ (البقرة: ١١٨).

﴿أتَوَاصَوا بِهِ بَل هُم قَوم طَاغُون﴾ (الذاريات: ٥٣).

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «لتتبعنّ سنن من قبلكم» الحديث.

«إن الله نظر إلى العباد فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ويقول ﷺ فى حديث عن الله عزّ وجلّ: «يا عبادى كلكم ضالّ إلا من هديته فاستهدونى أهدكم»[1]، فبعث إليهم رسولا خاتم النبيين أكمل به دينه، وأتمّ به نعمته، ورضى لهم بالإسلام دينًا، وأعطاه كتابًا تبيانًا لكل شىء، ونوراً فى جميع ظلمات الحياة، ومهيمنًا على الكتب كلها، فقال فيه: بصدد

---

(١) أخرجه النووى عن أبى ذر رضى الله عنه فى "رياض الصالحين" عن مسلم (٩٣ و١١١).

حقوق بنات حواء عليها السلام .

القرآن وحقوق بنات حواء

١- ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمعرُوف﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

٢- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمعرُوف﴾ (النساء : ١٩) .

٣- ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم﴾ (النساء : ٣٦) .

٤- ﴿وَلا تُمسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعتَدُوا﴾ (البقرة : ٢٣١) .

٥- ﴿أَسكِنُوهُنَّ مِن حَيثُ سَكَنتُم من وجدِكُم ولا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيهِنَّ وَإِن كُنَّ أولات حَمل فأنفِقُوا عَلَيهِنَّ حَتَّى يَضَعنَ حَملَهُنَّ فَإِن أرضَعنَ لَكُم فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأتَمِرُوا بَينَكُم بِمَعرُوف وَإِن تَعَاسَرتُم فَستُرضِعُ لَه أخرى لِيُنفِق ذُو سَعَة مِن سَعَتِه﴾ (الطلاق : ٦-٧) .

٦- ﴿وَإِن أَرَدتم استِبدَالَ زَوج مكَانَ زَوج وآتيتُم إحدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأخُذُوا مِنهُ شَيئًا﴾ (النساء : ٢٠) .

٧- ﴿وَلِلمُطَلَّقَات مَتَاع بِالمعرُوف﴾ (البقرة : ٢٤١) .

٨- ﴿وَإِن أَرَدتم أَن تَستَرضِعُوا أولادَكُم فَلا جُنَاحَ عَلَيكُم إذَا سَلَّمتُم ما آتَيتُم بِالمعرُوف﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

٩- ﴿وَعَلَى الوَارِث مِثلُ ذَلِكَ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

١٠- ﴿وَلا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ (الطلاق : ١) .

١١- ﴿فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أو فَارِقُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾ (الطلاق : ٢) .

١٢- ﴿وَإِن خِفتُم أَن لا تُقسِطُوا فِي اليَتَامى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاء﴾ ﴿وإن خِفتُم أَن لا تَعدِلُوا فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم﴾ ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ

صدُقَاتِهِنّ نِحلَة﴾ (النساء : ٣).

١٣ - ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء : ٣٢).

١٤ - ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مفرُوضًا﴾ (النساء : ٧).

١٥ - ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (النساء : ١١).

١٦ - ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ (النساء : ١٢).

١٧ - ﴿وإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ شَيْئًا فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ١٩).

١٨ - ﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآيات : ٢٢ إلى ٢٤).

١٩ - ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء : ٢٤).

٢٠ - ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء : ٢٥).

٢١ - ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء : ١٩).

٢٢ - ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء : ٣٤).

٢٣ - ﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢١).

٢٤ - ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢٣).

٢٥ - ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ (البقرة : ٢٢٦).

٢٦ - ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ (البقرة : ٢٢٩).

٢٧- ﴿فَلا تَعضُلُوهُنَّ أن ينكِحنَ أزوَاجَهُنَّ إذَا تَرَاضَوا بَينَهُم بالمَعرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

٢٨- ﴿وَعَلَى المَولُود له رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بالمعرُوف﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٢٩- ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَة بِوَلَدِهَا﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٣٠- ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُه وَعَلَى المُقتِرِ قَدَرُه مَتَاعًا بالمعرُوف حَقًا عَلَى المُحسِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٦).

٣١- ﴿وَالّذِينَ يُتَوَفّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أزوَاجًا وصِيّةً لأزوَاجِهِم مَتَاعًا إلَى الحَولِ غَيرَ إخرَاجٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠).

٣٢- ﴿وَاللاتِي يَأتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِسَاءِكُم فَاستَشهِدُوا عَلَيهِنَّ أربَعَةً منكُم فَإن شَهِدُوا فَأمسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتّى يَتوَفّاهُنّ الموتُ أو يَجعَل الله لَهُنّ سَبِيلا﴾ (النساء: ١٥)

٣٣- ﴿وَلا تُمسِكُوهُنّ ضِرَارًا لِتَعتَدُوا﴾ (البقرة: ٢٣١).

٣٤- ﴿يَا أيّهَا الذِينَ آمَنُوا لا يَحِلّ لَكُم أن تَرِثُوا النّسَاءَ كَرهًا﴾ (النساء: ١٩).

٣٥- ﴿وَإن خِفتُم شِقَاقَ بَينِهِمَا فَابعَثُوا حَكَمًا مِن أهلِه وحَكَمًا مِن أهلِهَا . . .﴾ (النساء: ٣٥) وغيرها من الآيات ولم أرد الإحصاء.

بل آكد من ذلك أن الله عزّ وجلّ أنزل سورة فى كتابه سميت بسورة النساء، فى ثلثها الأول، فى بيان حقوقها وفرائضها، ومن الثلثين الأخيرين أيضًا بعض ما يتعلق بها، وابتدأت السورة بقوله: ﴿يَا أيّهَا النّاسُ اتّقُوا ربّكُم الله الذِي خَلَقَكُم من نفس واحِدَة وخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثّ مِنهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً واتّقُوا الله الذِي تَسَاءلُونَ بِه وَالأرحَام إنّ الله كَانَ عَليكُم رَقِيبًا﴾ صدر الله عزّ وجلّ السورة بقوله: ﴿يَا أيّهَا النّاسُ﴾ تلويحًا، بل تصريحًا بأن حقوق بنات حواء حقوق لها بشرية، ولم يحافظ عليها الناس فى الأعصار كلها، ولا

يحافظ عليها فيما يأتى ﴿لتركبُنّ طبقًا عَن طَبَق﴾ .

﴿إلا المتقُون﴾ .

﴿وإلا مَن رحِم الله﴾ .

﴿وقَلِيل مَا هُم﴾ .

﴿ولا يَزالُونَ مُختَلفِينَ . إلا رحمَ ربّك﴾ (هود : ١١٨-١١٩) .

فالمفهوم أن من لم يحافظ على حقوق بنات حواء ليس من الناس، بل هو من النسناس، وهى إحدى السورتين اللتين صدرتا بقوله : ﴿يا أيّها النّاسُ﴾ ولا ثالث لهما فى القرآن العظيم، ثم ثنى بقوله : ﴿اتّقُوا﴾ إشارة إلى أن التقوى كما هى فى حق الله سبحانه وتعالى، كذلك فى الحقوق البشرية، ثم ثلّث بقوله : ﴿الذِى خَلَقَكُم من نفس واحِدَة﴾ كما قال رسول الله ﷺ : «كلكم بنو آدم وآدم من تراب» تصريحًا بأن أصلكم واحد، فلا فضل لأحد بالنسب إذا لم يكن معه إيمان وعمل، وهما لا تختصّان بالرجل، بل إذا حصلهما بنت حواء كانت عند الله ذات فضل، وقد تعارف الناس الفضل بالنسب والمال، ويفتخرون به، بل ﴿إنّ أكرَمُكُم عِندَ الله أتقَاكُم﴾ (الحجرات : ١٣) .

﴿مَن عَمِلَ صَالحًا مِن ذَكَر أو أنثى وهُو مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنّه حَيَاة طيبَة ولَنجزِيَنّهُم بأحسَنِ مَا كَانُوا يعمَلُونَ﴾ (النحل : ٩٧) .

﴿وَمَن يعمَل منَ الصّالِحَات مِن ذَكَر أو أنثى وَهُو مُؤمِنٌ فَأولئِكَ يَدخُلُونَ الجَنّةَ وَلا يُظلَمُونَ نَقيرًا﴾ (النساء : ١٢٤) .

﴿وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَر أو أنثى وَهُو مُؤمِنٌ فَأولئِكَ يَدخُلُونَ الجَنّة يُرزَقُونَ فِيهَا بِغَير حِسَاب﴾ (الغافر : ٤٠) .

ثم ربّع بقوله : ﴿وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا﴾ بأن المرأة من الرجل وصنوه ليست غيره، حتى يستذلّها، وخمّس بقوله : ﴿وَبَثّ مِنهُمَا رِجَالا كَثيرًا وَنِسَاء﴾ تنبيهًا

بأن الرجل محتاج إلى المرأة، وهى محتاجة إليه، لا غنى لأحدهما عن الآخر ﴿هُنّ لِبَاسٌ لكُم وَأنتُم لِبَاسٌ لَهُنّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

﴿يَا أيّهَا النّاسُ إنّا خلَقنَاكُم مِن ذَكَر وأنثى وَجَعَلنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرت: ١٣).

وسدّس بقوله: ﴿والأرحَام﴾ إشارة إلى أن التقوى كمالا بصلة الأرحام، وسبّع بقوله: ﴿إنّ الله كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ مخوفًا عاقبة الظلم فى الأرحام، سيما بنت حواء فسبحان الله ما أرحم بعباده، وسبحان الله ما أكمل وأعظم كتابه، وسورة النساء كأنها سورة حقوق الضعفة، كما أشار إليه إبراهيم بن عمر البقاعى رحمه الله فى تفسير سورة النساء، يقول: لما اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة من التكاليف منها التعطّف على الضعفاء بأمور كانوا قد مرنوا على خلافها، فكانت فى غاية المشقة على النفوس[١].

وفى القرآن سورة أخرى تسمى سورة النساء القصرى، واشتهرت بسورة الطلاق، وكلا اسميها يدلان على أن السورة فى بيان حقوق بنات حواء وفرائضها، وقد تلوت عليك منها آيات.

هذا: وفى كتب السنة بيان حقوق بنات حواء بأبسط مما فى القرآن الكريم بعناوين مختلفة كعشرة النساء والنفقة والحضانة وغيرها من الأبواب، وفيها وصايا النبى ﷺ بحقها وبفرائضها، وبالإحسان إليها ﴿قُل يَا أهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلى شَىء حَتّى تُقِيمُوا التورَاةَ والإنجيل وَمَا أنزل إلَيكُم من ربّكُم﴾ (المائدة: ٦٨) وفيما أنزل إليهم من ربهم، قوله: ﴿وَقرنَ فى بُيُوتكُنّ وَلا تَبَرّجنَ تَبَرّجَ الجَاهِلِيّةِ الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣).

---

(١) تناسق الدرر: ج٢ ص٢٠٥.

الجمهورية هذه وليدة محادّة الله ورسوله

ولما شاقّوا الله ورسوله اختلقوا هذه الجمهورية، وهى فى الحقيقية مجموعة أنواع الكفر، إما أولا وذاتًا، وإما ثانيًا ومآلا، وهى كما قال عليه الصلاة والسلام: «يستحلّون الخمر والحر ويسمّونها بغير اسمها» واستولدوا من هذه الجمهورية الكفرية تلك الحرية الخبيثة المضادّة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأقاموا المرأة فى كل عمل مشاركة ومساهمة للرجل، وقد منع الله عن اتّخاذ الأخدان بقوله: ﴿ولا متّخِذات أخدَان﴾ (المائدة: ٢٥)، فقابلتها الجمهورية هذه بالتبرّج بالزينة واتّخاذ الأصدقاء علانيةً وجهاراً من غير أيما حياء «وإذا لم تستحى فاصنع ما شئت»[1] من كلام النبوة الأولى.

وأدخلت الجمهورية هذه بنت حواء فى جميع صيغ الدولة مساهمة للرجال، بل وإقامتها مقابلة للرجال لعضوية البرلمان، وإنما يريدون حسواً فى إتغاء، والحديث ذو شؤون ١ - ﴿ذلِكَ بأنهُم شَاقّوا الله ورَسُوله ومَن يُشَاقِق الله ورَسُولَه فَإنّ الله شَديدُ العِقَاب﴾ (الأنفال: ٣٠).

٢- ﴿ومَن يُشَاقّ اللهَ فَإنّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (الحشر: ٤).

٣- ﴿ذلِكَ بأنهُم كَرِهُوا مَا أنزَلَ الله فأحبَطَ أعمَالَهُم﴾ (محمد: ٩).

٤- ﴿ومَن يُشَاقِق الرسُولَ مِن بَعد مَا تَبيّنَ لهُ الهُدى ويَتّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المؤمنِينَ نُوَلّه مَا تَوَلّى ونُصلِه جَهَنّم وَسَاءَت مَصِيراً﴾ (النساء: ٣٤).

٥- ﴿وَلِلرّجَالِ عَلَيهِنّ دَرَجة﴾ (البقرة: ٢٢٨).

---

(١) أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى «إذا لم تستحى فاصنع ما شئت» (ج٥ ص١٠٠)، أخرجه فى مواضع، وأخرجه الطحاوى عنه وعن حذيفة رضى الله عنهما مرفوعًا (مشكل الآثار: ج١ ص٤٧٩).

١ - ﴿والله يقولُ الحقَّ وهُوَ يهدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب : ٤).

٢ - ﴿ولَو اتَّبعَ الحقُّ أهواءَهُم لفَسَدتِ السمواتُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون : ٧١).

٣- ﴿فَمَاذا بعدَ الحقِّ إلا الضّلال فأنّى تُصرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢).

٤ - ﴿قُل الحقّ مِن ربِّكُم فَمَن شَاء فَليُؤمِن وَمَن شَاءَ فَليَكفُر﴾ (الكهف: ٢٩).

ويقول الرسول ﷺ : «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» ويقول عزّ وجلّ في نبيه ﷺ: ﴿بَل جَاءَهُم بِالحقِّ وأكثَرُهُم للحقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون : ٧٠).

فهذه الجاهلية أسوأ من الجاهليات الأولى إذ فيها فقد تشخصها الذاتى الصنفى، وفيها تبديل خلق الله، وفيها تبديل لفطرة بنت حواء التى خلقت عليها ٥ - ﴿ولآمُرَنَّهُم فَليُغَيِّرُنَّ خَلقَ اللهِ﴾ (النساء : ١١١).

٦ - ﴿فِطرَةَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيهَا لا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ﴾ (الروم : ٣٠).

٧- ﴿مَا تَرى فِي خلقِ الرحمنِ مِن تَفَاوُت﴾ (الملك : ٣).

٨- ﴿فَتَبَارَكَ الله أحسَنَ الخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون : ١٤).

---

١ - «يا أنجشة رويدك بالقوارير»[(١)]، «دعيني فإنكن أنتنّ صواحب يوسف -عليه السلام-»[(٢)]، «ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم»[(٣)]،

---

(١) أخرجه أحمد فى "مسنده" فى مواضع عن أنس رضى الله عنه قال: كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين يقال له: أنجشة، فقال له رسول الله ﷺ: ... الحديث (ج٣ ص٥٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مواضع من "مسنده" عن عائشة رضى الله عنها (ج٢ ص١٣٩)، وأخرجه البخارى عنها فى الاعتصام: باب الاقتداء بالنبى ﷺ (ج٢ ص١٠٨٥)، وأخرجه الدارمى فى باب وفاة النبى ﷺ (ج١ ص٣٩)، واللفظ للبخارى.

(٣) أخرجه البخارى فى الحيض (ج١ ص٤٤) مر تخريجه مفصلا.

«خلقت من ضلع»[١]، أضر فتنة على الرجال[٢]، إذا خرجت استشرفها الشيطان[٣]. وغيرها من النصوص تصريحات وتلويحات إلى فطرتها الضعيفة المفتونة الفتانة.

١- ولكن بدلت الجمهورية هذه فطرة الله سبحانه ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ (الروم: ٣٠).

٢- ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ (يونس: ٦٤).

٣- ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ (الأنعام: ٣٤) ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (١١٥).

٤- ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ (الفاطر: ٤٣).

٥- ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ (الفتح: ٢٣).

٦- ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾ (الإسراء: ٧٧).

٧- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾ (الفتح: ١٥).

هؤلاء دعاة الجمهورية يسمّون الأشياء بغير اسمها ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: ٩-١٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٣).

ويقول الرسول ﷺ: «يكون فى أمتى قوم يستحلّون الحرَ والحرير والخمر

---

(١) أخرجه البخارى فى النكاح: باب المداراة مع النساء عن أبى هريرة مرفوعًا: «المرأة كالضلع» الحديث، وعنه فى الباب: «فإنهنّ خلقن من ضلع» الحديث (ج٢ ص٧٧٩).

(٢) مرّت الأحاديث فى معناه.

(٣) مرّت الأحاديث بمعناه فى نتائج بحث الانتقاء.

والمعازف»(١).

﴿وَمَنْ أصدَقُ مِنَ الله حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧).

﴿وَمَنْ أصدَقُ مِنَ الله قِيلا﴾ (النساء: ١٢٢).

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصدقِ وَصَدَّق بِهِ أولئِكَ هُمُ المتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣).

﴿وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إبليس ظَنَّه فاتّبعُوهُ إلا فَرِيقًا مِنَ المؤمِنِينَ﴾ (السبأ: ٢٠).

فسمّوا كل ما نهى الله عنه فى كل شعب الحياة ترقّيا وتحريرًا، وحقًّا بشريًّا، وجمهورية، فيا ليتهم فعلوا ما فعلوا، ولم يحسبوه ولم يجعلوه إسلامًا وإسلاميًّا، ولكنهم يجعلون كل ذلك، كأنه من أعمال الإسلام، ونرى ونسمع فى الجرائد، ومن الإذاعات يستدلون لقبائحهم ومخازيهم من الكتاب والسنة والسيرة، بنت حواء مع أنها صنو الرجل وشقيقته، ولها مثل الذى عليها، ولها تشخصها وحريتها وحقها البشرى، وحق الترقى والتساهم مع ابن آدم عليه السلام إلا أن كل ذلك فى حد، حده لها خالقها، والعالم بفطرتها ومزاجها.

﴿قُل أنزَلَه الذى يَعلَمُ السرّ فى السموَاتِ والأرض﴾ (الفرقان: ٦).

﴿وَالله يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦ و٢٣٢، النور: ١٩).

﴿يَعلَمُ سرّكُم وَجَهرَكُم وَيَعلَمُ مَا تَكسِبُونَ﴾ (الأنعام: ٣).

وأسوأ من هذا كله أن الجمهورية هذه أنتجت الدياثة فى أبناء آدم عليه السلام كلهم إلا من رحم الله، لا يغارون على أهليهم الإناث والأمارد حتى وهم يرونهم فى الوقاحة فى المدارس الدولية وخارجها، المرأة لها أصدقاء وأخدان وأبوها وأخوها وزوجها لا يبالى بها بالةً، وقد حرم الله الجنة على الديوث.

---

(١) أخرجه البخارى فى الأشربة: باب ما جاء فيمن يستحلّ الخمر ويسمّيه بغير اسمه، عن أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى (ج٢ ص٨٣٧).

باب
ثلاثة لا يدخلون الجنة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة العاقّ لوالدَيه والديّوث ورجلة النساء»[(١)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاقّ والديّوث»[(٢)]، وفى الحديث: «تحرم الجنة على الديّوث وهو الذى لا يَغار على أهله»[(٣)]. ولى فى المسألة جزء لطيف، سميته "الحادى البصير بسوق القوارير" وفقنى الله لتبييضه.

العود إلى نتائج بحث الانتقاء

٢- وأما إيثارهم الغير فى المناصب، فكما رأيت السابقين الأولين يودّ كل واحد منهم، ويجتهد أن يكفيه الغير، ويتولّى مكانه، بل يقيل بيعته، ويستقيل عما ولّى، ويقول: "لست بخير منكم وإنما أنا واحد منكم" و "إنما أنا كأحدكم".

٣- وعلمنا مما مضى من سيرتهم أن صوت الكبير والصغير فى الدرجة فى حق أحد إذا كانت المسألة غير منصوص بها، وكان الصائت أهلا صوت واحد كواحد من المسلمين ليس صوت الكبير والأمير والخليفة فى القوة

(١) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" فى الإيمان: ثلاثة لا يدخلون الجنة (ج١ ص٧٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مواضع من "مسنده" (ج٢ ص١٨١).

(٣) النهاية لابن الأثير (ج٢ ص١٤٧).

كصوت اثنين، أو أكثر حتى ينسخ بصوته فى أمر أصوات من خالفه، إلا أن يكون صوته فى أمر يكون فيه أميراً، و الأمر يتعلق بالشورى، فإذا عزم فيه برأيه، أو برأى أحد، وخالفه الآخرون، وليس قولهم راجحًا بوجه من وجوه الترجيح، فالقول له، وإلا فهو كواحد من المسلمين لا حق له فى تنسيخ أصوات غيره، ويسمى اليوم "حق الفيتو" كما هو اليوم فى الجمهورية الغربية فى العالم كله.

وهاك أقوال الرعيل الأول قادتنا إلى يوم القيامة رضوان الله عليهم أجمعين يقول: سيدنا أبو بكر رضى الله عنه: "وما أنا إلا كأحدكم"(١)، ويقول: "يا أيها الناس إنما أنا مثلكم"(٢)، ويقول: "فما أنا إلا رجل منكم"(٣)، ويقول سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه: "فإنى واحد كواحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق"(٤)، ويقول: "ما أنا فيه (الفيء) إلا كأحدكم"(٥)، وكتب إلى أبى موسى رضى الله عنه فيما كتب: "فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا"(٦).

فعلم من عموم النصوص أن صوته كصوت رجل واحد، ولا حق له في تنسيخ أصوات غيره، كما اليوم فى الجمهورية الكفرية فى العالم كله.

٤- وأما فرائض الولاة وحقوقهم، وهى تتنوّع بحسب الولايات والولاة، وقد مرّ ذكرها فى تفصيل النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ولم أرد الإحصاء والتفصيل، وفيها كتب مصنّفة جامعة كاملة.

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص١٦.

(٢) البداية والنهاية: ج٦ ص٣٠٧.

(٣) كنز العمال، (خط فى رواة مالك) (ج٥ ص١٦١.

(٤) الخراج لأبى يوسف رحمه الله (ص٢٧).

(٥) الخراج لأبى يوسف رحمه الله (ص٥٠).

(٦) أخرجه فى "الكنز" (ج٥ ص٦٩٦.

٥- وأما عدم الطلب والحرص على المناصب فكما رأيت فى الرعيل الأول قادتنا رضى الله عنه، ويقول الصديق رضى الله عنه: "ألا قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر رضى الله عنه أو أبى عبيدة رضى الله عنه" ويقول: "ولوددت أن هذا كفانيه غيرى"، ويقول ابن قتيبة رضى الله عنه: فلما تمت البيعة لأبى بكر رضى الله عنه أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم، ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه: لأن أقتل مرات وأحيى مرات أحبّ إلى من أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه، وكذلك غيرهم أحبّ كل واحد أن يكون غيره أميراً ووالياً، ويكون هو وزيره ومشيره، وقد سردت الروايات عنهم فى باب خطط الانتقاء، وفيما بعده من الأبواب.

٦- وتبيّن من مجموع ما ذكرنا أنه يشترط فى المترشّح لعمل من أعمال المسلمين أن لا يطلبه بنفسه، بل ولا يتمنّاه، فضلا عن أن يزكى نفسه، ويصفها بما ليس فيه، ويذل من انتصب له غيره، بل ويبهته ويفترى عليه، ويخزيه، ويسبّه بما يستحيى عن ذكره واستماعه، وكل هذه حرام وكبائر.

وهاك بعض التفصيل: أما إنه لا يطلب الولاية، فلما روى أبو موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ (فى حديث) أنه قال: «إنا لا نولّى هذا من سأله ولا من حرص عليه»[(١)]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة»[(٢)].

وأخرج مسلم رحمه الله تعالى حديث أبى موسى رضى الله عنه بلفظ "لن" أو لا نستعمل على عملنا من أراده[(٣)]، وقال: يا عبد الرحمن بن سمرة (رضى الله عنه)، "لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن

---

(١) أخرجه البخارى فى الإمارة: باب ما يكره من الحرص على الإمارة (ج٢ ص١٠٥٨).

(٢) نفس المرجع من البخارى.

(٣) أخرجه مسلم فى الإمارة: باب النهى عن طلب الإمارة، والحرص عليها (ج٢ ص١٢٠)

أو تيتها عن غير مسألة أعنت عليها»(١).

اللهم إلا في صور خاصة بجوز الطلب، وقد يتحتم ومر منا التفصيل من قبل، فتذكر، وليست موجودة هي في الانتقاء المبحوث عنه، ولا في باكستان.

وأما مدح الرجل نفسه وتزكيتها، والتذليل والغيبة والسبّ لأحد والبهتان والافتراء على أحد، فهي مفروغ عنها أنها كبائر، ومعلوم عند كل من يدعي الإسلام، وهذه بعض النصوص، يقول الله عزّ وجلّ:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥).

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَن لَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

٣ - ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (الأنعام: ١٥٣).

٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

٥ - ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

٦ - ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام: باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، وباب من سئل الإمارة وكل إليها (ج٢ ص١٠٥٨)، وأخرجه مسلم في الإمارة (ج٢ ص١٢٠).

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١).

٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

٩- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرت: ١٣) وغيرها من النصوص القرآنية.

وأما الأحاديث: ١- فالأول عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا ثم شبك بين أصابعه»[١].

٢- وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢].

٣- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه»[٣]، وقد مرّت الأحاديث فى وجوب النصح لكل مسلم، عن تميم وجرير رضى الله عنهما عند

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب: باب تعاون بعضهم بعضًا (ج ٢ ص ٨٩٠)، وأخرجه فى الوضوء أيضًا، وأخرجه مسلم فى البر: باب تراحم المؤمنين بعضهم بعضًا، وتعاطفهم وتعاضدهم (ج٢ ص٣٢١)، وأخرجه ابن أبى شيبة رحمه الله فى "الزهد" (ج٨ ص١٤١).

(٢) وأخرجه مسلم فى نفس الباب، وابن أبى شيبة فى "الزهد" بألفاظ متقاربة (ج٨ ص١٤١).

(٣) أخرجه مسلم فى البر: باب تحريم الغيبة (ج٢ ص٣٢٢).

البخارى ومسلم وغيرهما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما السبيلُ على الّذينَ يظلِمُون النّاسَ ويَبغُونَ فِي الأرض بِغَير الحَقّ أولئك لهُم عَذابٌ أليمٌ﴾ (الشورى: ٤٢).

٤- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(١).

٥- وعن أبى موسى رضى الله عنه قالوا: يا رسول الله! أىّ الإسلام أفضل، قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢).

٦- وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»(٣).

٢- وعلمنا أيضًا بعض بنود الانتقاء الإسلامية، مثلا ١- إذا وجد الأهل لولاية، فلا ينبغى، أو لا يجوز أن يتولاها غيره، كما أخرج ابن عوف رضى الله عنه أو الثلاثة أنفسهم عنها.

٢- وإن تولاها أحد، ثم وجد أهلا، فينبغى أن يفوضها إليه رضا وطوعًا، كما يقول الصديق والفاروق وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم، يقول الصديق رضى الله عنه: "ولوددت أن فيكم من يكفينى" وأقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم، ويقول: "وددت أنى يوم الثقيفة ضربت بيد أحد الرجلين عمر وأبا عبيدة رضى الله عنهما.

ويقول الفاروق رضى الله عنه: "ولوددت أن عليها من هو خير منى"، ويقول على رضى الله عنه: "دعونى والتمسوا غيرى"، ويقول: "ولقد كنت

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون (ج١ ص٦)، وأخرجه مسلم أيضًا فى الإيمان: باب تفاضل الإسلام، عن جابر رضى الله عنه (ج١ ص٤٨).

(٢) المرجع السابق من البخارى ومسلم.

(٣) البخارى فى الإيمان: باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه (ج١ ص٦)، وأخرجه مسلم أيضًا فى الإيمان: باب من خصال الإيمان.. إلخ بزيادة: «والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد» (ج١ ص٥٠).

كارهًا لأمركم" ويقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لعبد العزيز بن الوليد: "ولو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه ولقعدت فى بيتى". ويقول: "أيها الناس إنى ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى ولا طلبة ولامشورة من المسلمين وإنى خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى، فاختاروا أنفسكم غيرى".

٣- وأن لا يدعى الخيرية لنفسه ولا يزكيها، كما قال الصديق رضى الله عنه: "لست بخيركم" والحال أنه خيرهم بإجماع الصحابة رضى الله عنهم، ثم بإجماع الأمة بعدهم إلى يومنا هذا، ولا يعبأ بمن خالف الإجماع من الرافضة الخبيثة.

ويقول: ما أنا إلا كأحدكم" و"إن زغت فقومونى" و"أطيعونى ما أطعت الله ورسوله وإن عصيت فلا طاعة لى عليكم"، وكما يقول عمر رضى الله عنه: "فإنى واحد كواحدكم" ويقول: "وما أنا فيه (الفىء) إلا كواحدكم إلى غير ذلك من أقوالهم وسيرتهم رضى الله عنهم.

٤- وأن يكون خيرهم عندهم، وأفضل فى الدين والعلم، وأقواهم فى أخذ الحق من القوى والعزيز.

٥- وأن يعرض نفسه للاحتساب فى كل أعماله الظاهرة.

يقول عمر رضى الله عنه فى خطبته عام الرمادة سنة ١٨: يا أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمرًا غيره خير منه، فقالوا: اللهم لا[١].

٦- وأن يكون صادقًا غير كاذب، فإن الصدق أمانة والكذب خيانة.

٧- وأن يكون أمينًا غير خائن، فإن الله لا يحبّ الخائنين.

٨- وأن يكون قويًا فى أخذ الحق منه، ومن غيره، ولا يخاف فى الله أحدًا، ولا لومة لائم.

---

(١) البداية والنهاية: ج٧ ص٩٣.

٩ - وأن يكون مجاهدًا وناويًا الجهاد، فإنه من مات، ولم يَغزُ ولم يَحدثْ نفسَه بالغزو، مات على شعبة من النفاق، وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلّ فى العالم كله.

اللهمّ أعزّ الإسلامَ والمسلمينَ، واخذل الكفرة والمشركينَ والمبتدعة والشيوعيينَ، اللهم انصُر عساكر المسلمين فى أفغانستان وكشمير وشيشان والبوسنة وفلسطين وغيرها من البلاد، وبهذا أتممت ما أردت موجزًا.

والحمد لله وصلّى الله على رسول الله، ولا بد أن أشكر من أعاننى على الجمع سيما فى مراجعة الكتب من أصحابى وإخوانى، وسيما فى الكتابة والتبييض والطبع والسعى فيه، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

وعين الله ناظرة إلينا وستر الله مسبول علينا

ونختم بالصلاة على محمّد إمام الكل خير الشافعينا

بحمد الله رب العالمينا

العبد

ولى الله

أهم المراجع

من علوم القرآن العظيم :

١ - جامع البيان لابن جرير الطبرى رحمه الله دار المعرفة بيروت

٢ - الكشاف لحقائق التنزيل للزمخشرى رحمه الله دار الفكر بيروت

٣- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله سهيل أكاديمى لاهور، باكستان

٤ - النكت والعيون للإمام الماوردى دار الكتب العلمية بيروت

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى ناصر الدين البيضاوى شركة مصطفى البابى الحلبى (مصر)

٦- معالم التنزيل لمحيى السنة البغوى رحمه الله مع تفسير الخازن بمطبعة التقدم العلمى بمصر

٧- التأويل لمعالم التنزيل لعلى بن محمد رحمه الله الشهير بـ"الخازن" مطبعة التقدم بمصر

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مع الكبير للرازى لأبى السعود محيى الدين رحمه الله دار الفكر بيروت

٩- زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج بن الجوزى المكتب الإسلامى بيروت

١٠ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازى فخر الدين محمد دار الفكر بيروت

١١ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنظام الأعرج النيسابورى طبع مع ابن جرير فى دار المعرفة بيروت

١٢ - جامع أحكام القرآن	لمحمد بن أحمد الشهير بـ"القرطبى رح"	دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بيروت
١٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل	للإمام عبد الله بن أحمد النسفى	دار الفكر بيروت
١٤ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور	للإمام جلال الدين السيوطى رح	دار المعرفة بيروت
١٥ - تفسير الجلالين	الأول للسيوطى رح	
	والثانى لمحمد بن أحمد المحلى رح	أيج أيم سعيد كراچى باكستان
١٦ - التفسير الكبير	لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله	دار الكتب العلمية بيروت
١٧ - البحر المحيط	لأبى حيان الأندلسى رح	مكتبة النصر الحديثة الرياض السعودية
١٨ - تأويلات أهل السنة	لأبى منصور الماتريدى رح	لجنة القرآن والسنة مصر
١٩ - روح المعانى	للسيد محمود الآلوسى رح	المكتبة الإمدادية ملتان باكستان
٢٠ - محاسن التأويل	لجمال الدين القاسمى	دار الفكر بيروت
٢١ - فتح القدير الجامع بين فنى الدراية والرواية من التفسير	لمحمد بن على الشوكانى رح	مصطفى البابى الحلبى مصر
٢٢ - معانى القرآن	لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء	انتشارات ناصر خسرو طهران إيران

٢٣- تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن	لعلى بن محمد المهائمى رح	المطبعة النعمانية بشاور باكستان
٢٤- تنوير المقباس من تفسيرابن عباس رضى الله عنه بهامش الدر المنثور	لمجد الدين الفيروزآبادى رح	دار المعرفة بيروت
٢٥- تناسق الدرر فى نظم الآيات والسور	لإبراهيم بن عمر البقاعى رح	دار الكتب العلمية بيروت
٢٦- غريب القرآن	لعبد الله بن مسلم بن قتيبة البغلانى	مكتبة توحيد وسنة بشاور باكستان
٢٧- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل	لمحمد بن أحمد بن الجزرى رح	دارالكتاب العربى بيروت
٢٨- أحكام القرآن	للقاضى محمد بن عبد الله الشهير بـ"ابن العربى رح"	دار المعرفة بيروت
٢٩- أحكام القرآن	للقاضى محمد بن أحمد الجصاص رح	سهيل أكاديمي لاهور، باكستان.
٣٠- الجواهر الحسان فى تفسير القرآن	لعبد الرحمن بن محمد الثعالبى رح ٥	مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت
٣١- جامع البيان فى تفسير القرآن مع تفسير الجلالين	للسيد معين الدين رح	أيج أيم سعيد كراچى باكستان
٣٢- التفسير المظهرى	للقاضى ثناء الله الپانى پتى رح	بلوچستان بكڈپو كوئٹه باكستان
٣٣- الكمالين على الجلالين	للشيخ سلام الله الدهلوى رحمه الله لمطبوع مع الجلالين	

في قديمي كتب خانه كراتشي

٣٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

وتكملته	لمحمد أمين الشنقيطي رح ولتلميذه عطيه محمد سالم رح	السعودية
٣٥- في ظلال القرآن	للسيد قطب المصري رح	دار إحياء التراث العربي بيروت
٣٦- صفوة التفاسير	لمحمد علي الصابوني رح	دار إحسان طهران، إيران
٣٧- نزهة القلوب بهامش تبصير الرحمن	لمحمد بن عزيز السجستاني رح	بشاور باكستان
٣٨- كتاب الإشارة	لعز الدين بن عبد السلام رح	مكتبة توحيد وسنة بشاور، باكستان
٣٩- مفردات القرآن	للراغب الإصفهاني رح	نور محمد كتب خانه كراتشي، باكستان
٤٠- الإتقان في علوم القرآن	لجلال الدين السيوطي رح	مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر

من علوم الحديث :

١- الجامع الصحيح	لمحمد بن إسماعيل البخاري رح	أصح المطابع كراتشي باكستان
٢- الجامع الصحيح	لمسلم بن الحجاج النيسابوري	قديمي كتب خانه كراتشي، باكستان
٣- الجامع الصحيح	لأبي عيسى الترمذي	نولكشور، لكهنؤ الهند
٤- سنن أبي داود	لسليمان بن أشعث السجستاني رح	مطبع مجتبائي دهلي الهند

٥- المجتبى	لأبى عبد الرحمن النسائى رح	قديمى كتب خانه كراتشى، باكستان
٦- سنن أبى ماجة	لأبى عبد الله ابن ماجة القزوينى رح	أصح المطابع لكهنؤ، الهند
٧- سنن الدارقطنى	لأبى الحسن على بن عمر رح	دار نشر الكتب الإسلامية لا هور باكستان
٨- سنن الدارمى	لأبى محمد عبد الله بن عبدالرحمن رح	نشر السنة ملتان، باكستان
٩- المصنف	لابن أبى شيبة أبى بكر بن عبد الله	دار الفكر، بيروت
١٠- المصنف	لأبى بكرعبدالرزاق بن همام الصنعانى	دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر
١١- المسند	للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	دار إحياء التراث العربى، بيروت
١٢- مسند الحميدى	لأبى بكر عبد الله بن زبير المكى	دار الكتب العلمية، بيروت
١٣- المستدرك على الصحيحين	لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى رح	دار الفكر، بيروت
١٤- الموطأ	للإمام مالك بن أنس الحميرى الأصبحى رح	مير محمد كتب خانه كراتشى باكستان
١٥- السنن الكبرى	لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى	إدارة تأليفات أشرفية ملتان باكستان
١٦- مشكل الآثار	لأحمد بن جعفر الطحاوى رح	دار صادر بيروت
١٧- تخريج العراقى الموسوم بـ "المغنى" عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار	لزين الدين العراقى رح	طبع مع الإحياء دار الخير

١٨- كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال | لعلى بن حسام الدين الهندىؒ | مؤسسة الرسالة، بيروت

١٩- المسند (طبع مع الأم) | للإمام محمد إدريس الشافعىؒ | دار المعرفة بيروت

٢٠- كتاب البدع والنهى عنها | لمحمد بن وضاح الأندلسى القرطبىؒ باكستان

٢١- كتاب العلم | لأبى خيثمة زهير بن حرب البغدادىؒ | قديمى كتب خانه كراتشى باكستان

٢٢- رياض الصالحين | ليحيى بن شرف النووىؒ | مؤسسة الرسالة بيروت

٢٣- مشكاة المصابيح | للخطيب ولى الدين التبريزىؒ | أصح المطالع، دهلى الهند

٢٤- الجامع الصغير من حديث البشير النذير | لجلال الدين السيوطىؒ | دار الكتب العلمية، بيروت

٢٥- كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق طبع مع الجامع الصغير | لعبد الرءوف المناوى رحمه | دار الكتب العلمية بيروت

٢٦- الكواكب الدرارى | لشمس الدين محمد بن يوسف الكرمانىؒ دار الفكر بيروت

٢٧- فتح البارى | لأحمد بن على بن حجر العسقلانىؒ قديمى كتب خانه كراتشى باكستان

٢٨- عمدة القارى | لبدر الدين محمود بن أحمد العينىؒ دار الفكر بيروت

٢٩- الدراية فى منتخب أحاديث الهداية | لابن حجر العسقلانىؒ | الشركة العلمية ملتان باكستان

٣٠- مرقاة المفاتيح | لعلى بن سلطان محمد القارى الهروىؒ المكتبة الإمدادية ملتان،

باكستان

٣١- شرح النووى لصحيح مسلم — للإمام النووى رح وهو مرادى بالمنهاج — قديمى كتب خانه كراتشى، باكستان

٣٢- عون المعبود طبع مع أبى داود (الهامش) — مطبع المجتبائى دهلى، الهند

٣٣- العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية — لابن الجوزى رح — دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور باكستان

٣٤- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس — لإسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى رح — دار إحياء التراث العربى، بيروت

٣٥- الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة المعروفة بـ"الموضوعات الكبرى" — لعلى القارى رح — دار الكتب العلمية، بيروت

٣٦- تلخيص المستدرك — للإمام الذهبى رح — طبع مع المستدرك

٣٧- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى — لعبد الله بن محمد الغنيمان — توزيع مكتبة الدار بالمدينة

من علوم الفقه :

١- كتاب الأم — للإمام محمد بن إدريس الشافعى رح — دار المعرفة، بيروت

٢- كتاب الحجة على أهل المدينة — لمحمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله — دار المعارف النعمانية

		لاهور، باكستان
٣- مختصر المزنى	لإسماعيل بن يحيى المزنى	دار المعرفة، بيروت
٤- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع	لأبى بكر بن مسعود الكاسانى رح	أيچ أيم سعيد، كراتشى باكستان
٥- كتاب الخراج	لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم رح	طبع مصر
٦- مجموع الفتاوى	لشيخ الإسلام ابن تيمية رح	طبع الملك فهد بن عبد العزيز السعودية
٧- الفتاوى التاتارخانية	لعالم بن العلاء الأنصارى الدهلوى رح	إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشى، باكستان
٨- المبسوط	لشمس الأئمة السرخسى	دار المعرفة بيروت
٩- الهداية	لعلى بن أبى بكر المرغينانى رح	مكتبة الشركة العلمية، ملتان باكستان
١٠- شرح النقاية	للملا على القارى رح	أيچ أيم سعيد كراتشى باكستان
١١- الفتاوى الكبرى	لشيخ الإسلام ابن تيمية رح	دار المعرفة بيروت
١٢- مختصر الفتاوى المصرية	لبدر الدين محمد بن على رح	دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانواله باكستان
١٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيّم الجوزية رح		دار الجيل، بيروت
١٤- ردّ المحتار حاشية الدر المختار المعروف بـ"الشامى"	...مد بن عابدين رحمه الله	تركيا

١٥ – مجموعة رسائل ابن عابدين الشامي رح		سهيل أكاديمى لاهور، باكستان
١٦ – الفقه الإسلامي وأدلته	للدكتور وهبة الزحيلي رح	طبع دمشق
١٧ – الحاوي للفتاوى	للإمام السيوطي رحمه الله	مطبعة السعادة بمصر
١٨ – حجة الله البالغة	لإمام الهند ولي الله الدهلوي رح	كتب خانه رشيديه دهلي
١٩ – مجالس الأبرار	للعالم الرباني أحمد الرومي رح	المكتبة المجيدية كانفور، الهند
٢٠ – المدخل إلى تتمة الأعمال	لمحمد بن محمد العبدري الفاسي بن الحاج رح	دار الحديث
٢١ – الرسالة	للإمام الشافعي رح	المكتبة العلمية، بيروت
٢٢ – أصول البزدوي	لعلي بن محمد البزدوي فخر الإسلام رح	نور محمد كارخانه تجارت كتب كراتشي باكستان
٢٣ – أصول السرخسي	لشمس الأئمة السرخسي رح	دار المعارف النعمانية، لاهور، باكستان
٢٤ – الموافقات في أصول الفقه	لإبراهيم بن موسى الشاطبي رح	دار المعرفة بيروت
٢٥ – التحرير في أصول الفقه	لكمال الدين بن الهمام رح	مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر
٢٦ – المستصفى	للإمام الغزالي رح	منشورات الرضي قم، إيران
٢٧ – مسلم الثبوت طبع مع المستصفى	للقاضي محب الله البهاري رحمه الله	منشورات الرضي قم، إيران
٢٨ – فواتح الرحموت		

شرح مسلم الثبوت	لعبد العلى المدراسى رح	منشورات الرضى قم، إيران
٢٩- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول	للشوكانى رح	مصطفى البابى، مصر
٣٠- التنقيح والتوضيح كلاهما	لعبيد الله بن مسعود البخارى رح	طبع مطبعة نولكشور، لكهنؤ الهند.
٣١- نور الأنوار	للملا جيون أحمد بن أبى سعيد رح	أيج أيم سعيد، كراتشى باكستان

من السيرة والتاريخ :

١- السيرة النبوية	لابن هشام رح	المكتبة الفاروقية ملتان باكستان
٢- الروض الأنف	للسهيلى رح	طبع مع السيرة
٣- شرح السير الكبير	لشمس الأئمة رح	طبع وتقديم حركة الانقلاب الإسلامية أفغانستان
٤- زاد المعاد من هدى خير العباد	لابن قيم الجوزية رح	دار الفكر، بيروت
٥- الطبقات الكبرى	لابن سعد كانت الواقدى رح	دار الصادر بيروت
٦- تاريخ الخلفاء	للسيوطى رح	قديمى كتب خانه كراتشى باكستان
٧- الخلفاء الراشدون	للحافظ الذهبى رح	دار الكتب العلمية، بيروت
٨- مناقب أمير المؤمنين عمر رض	لأبى الفرج ابن الجوزى رح	دار الكتب العلمية بيروت
٩- تذكرة الحفاظ	للذهبى رح	دائرة المعارف النعمانية

بحيدرآباد دكن، الهند

١٠- تبييض الصحيفة بمناقب الإمام
أبى حنيفةؒ للسيوطىؒ إدارة القرآن والعلوم
الإسلامية كراتشى باكستان

١١- الانتقاء فى فضائل
الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البرؒ دار الكتب العلمية،
بيروت

١٢- البداية والنهاية لابن كثيرؒ دار الكتب العلمية بيروت

١٣- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرىؒ مؤسسة الأعلى، بيروت

١٤- كامل التواريخ لابن أثير الجزرىؒ دار إحياء التراث العربى،
بيروت

١٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودىؒ دار الأندلس، بيروت

١٦- ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ
العرب والبربر، ومن عاصرهم
من ذوى السلطان الأكبر
الشهير بـ"تاريخ ابن خلدون" لعبد الرحمن ابن خلدونؒ دار الفكر بيروت

١٧- الفوائد البهية فى تراجم الحنفية لعبد الحيى اللكهنوىؒ
دار المعرفة بيروت

١٨- الرحلة لشمس الدين ابن بطوطةؒ دار الفكر بيروت

١٩- نيل السائرين فى طبقات المفسرين لشيخنا شيخ المشايخ العلامة
محمد طاهر الفنج فيرىؒ طبع دار القرآن پنج پير،
باكستان

من الملل والنحل :

١ - شرح عقيدة الطحاوى	لابن أبى العز الدمشقى رح	المكتبة السلفية لاهور، باكستان
٢ - شرح المقاصد	لسعد الدين التفتازانى رح	دارالمعارف النعمانية، لاهور
٣ - التمهيد	لأبى شكور السالمى رحمه الله	المطبع الفاروقى دهلى، الهند
٤ - شرح الفقه الأكبر	للملا على قارى رح	مطبع المجتبائى، دهلى، الهند
٥ - شرح الفقه الأكبر	لأبى المنتهى رح	نورانى كتب خانه بشاور باكستان
٦ - النبراس شرح شرح العقائد	لعبد العزيز الفرهاروى رحمه الله	شاه عبد الحق أكاديمى سرگودها، باكستان
٧ - الحصون الحميدية	لحسين بن محمد الجسر الطرابلسى رح	مصطفى البابى الحلبى، مصر
٨ - الإبانة عن أصول الديانة	لأبى ا لحسن الأشعرى رحمه الله	توزيع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة
٩ - الكافية الشافية ا لمعروفة بـ "القصيدة النونية"	لابن القيم رحمه الله	سهيل أكاديمى لاهور، باكستان
١٠ - الملل والنحل	لمحمد بن عبد الكريم الشهرستانى رح	مكتبة محمد على صبيح بميدان الأزهر بالقاهرة
١١ - الغنية للشيخ عبد القادر الجيلانى رح		مكتبة خاور لاهور،

		باكستان
١٢- مجموعة الرسائل	لشيخ الإسلام ابن تيمية رح	لجنة التراث العربي
١٣- العبودية	لابن تيمية رح أيضاً	ابن تيمية أكاديمي لاهور، باكستان
١٤- إغاثة اللهفان عن مصائد الشيطان	لابن القيم رحمه الله	دار المعرفة بيروت
١٥- تلبيس إبليس	لأبي الفرج بن الجوزي رح	دار الكتب العلمية بيروت
١٦- الصارم المنكي في الرد على السبكي	لابن عبد الهادي رح	مطبعة الخيرية، مصر
١٧- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء	لإمام الهند رح	سهيل أكاديمي لاهور
١٨- قرة العينين في تفضيل الشيخين	لإمام الهند رح	المكتبة السلفية، لاهور
١٩- غاية الأماني في الرد على النبهاني	لمحمود شكري الآلوسي رح	مكتبة العلم بجدة، السعودية

اللغة والمصطلحات :

١- النهاية في غريب الحديث	لابن أثيرا لجزري رح إسماعيليان قم إيران	مؤسسة مطبوعاتي
٢- لسان العرب	لابن منظور الأفريقي رح	دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣- الكامل في اللغة	للمبرد رح	مكتبة المعارف، بيروت

٤- كشاف اصطلاحات الفنون	للقاضى محمد أعلى التهانوى رح	سهيل أكاديمى لاهور، باكستان
٥- المعجم الوسيط	ترتيب مجمع اللغة	انتشارات ناصر خسرو طهران، إيران

علم تزكية النفس :

١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإيّاك نَستَعِين	لابن القيّم رح	دار الفكر، بيروت
٢- إحياء علوم الدين	للإمام الغزالى رح	دار الخير
٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين	لابن القيّم رح	دولة قطر
٤- المكتوبات بالفارسية	للشيخ أحمد السرهندى رح	نولكشور، لكهنو، الهند
٥- شرح عين العلم وزين الحلم	للملا على القارى	دار المعرفة بيروت لبنان

المتفرقات :

١- كتاب القصاص والمذكرين	لأبى الفرج ابن الجوزى رح	المكتبة العلمية، لاهور
٢- البدور البازغة	لإمام الهند رح	المطبع الحيدرى، باكستان
٣- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة	للإمام القرطبى	دار الريان، القاهرة
٤- جامع بيان العلم وفضله	للإمام أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى	دار الكتب، بيروت لبنان

فهرست عناوين الكتاب

****

تاليفات الشهيد رحمه الله

۱- ياحسرتاً على العباد

۲- دزمکی زلزله اوبيادايمان زلزله

۳- عقيده مونځ اوضروری مسئلی

۴- خبرے شل سر ئی یو

غیرمطبوعه (مخطوطات)

۱- عقدالدرربيان المناسبات والميزات بين الايات والسور وخلاصتهاالمختصر

۲- ودقات الغمامه بجمع روايات العمامه

۳- سبق الغايات بجمع روايات الوية والرايات

۴- فتح الباب بجمع روايات سدالابواب

۵- الجواهر الملتقطه

کاتب الحروف:۔ فداء الرحمان عابدؔ تورڈھیر صوابی

0333.4490986

0314-9981942